

ويلبر سميث

# RIVER GOD

من الكتب الأكثر مبيعًا في  
قائمة نيويورك تايمز

الأنهار

رواية

من مصر القديمة

ترجمة: سليمان ع. يوسف



# الجمعة الله

«وحشية الحياة في العصور القديمة  
جائئة في جميع جوانب حكاية تايئا، التي  
تضم مكنة قاتلة في كل ركن من  
أركانها، من الواضح أن سميت عليه  
بموضوع روايته، فتصوره الحي  
للشهوة وإزاحة الدماء والسياسة.  
وفي حالة تايئا، الشرف، قائم على  
تفاصيل متقنة تبعث الحياة في تلك  
الفترة».

- Booklist

«عودة أسرة غنية إلى زمان امتزج فيه  
التاريخ بالأسطورة».

- San Francisco post

«هائلة وشجاعة وناجحة نجاحًا باهرًا...  
وصفّ مفضل ذكي للحياة على نهر  
النيل».

- Mail on sunday

«ملحمة... انضم سميت إلى صفوف  
أساتذة الرواية العظماء في القرن  
العشرين».

- تولسا وورلد

«حيّة وساحرة... زاخرة بالشغف والحرب  
والخدعة والانتقام... تفاصيلها  
حميمية وملهمة يملك الكاتب على  
رؤيتها، وسماعها، وحتى سَمْعها».

- Orlando Sentinel

«ملحمة أصيلة»

- The Times

# الشمس

I





إدارة التوزيع

00201750636448

للمراسلة الدارة

email: P.booth@orca@yahoo.com

Web-site: www.eseemilakub.com

### ● الكتاب الأول ●

- ترجمة: سليمان ع. يوسف
- تحقيق لغوي: شيماء بهحافة
- النسب: داخلي: معز حسين علي
- الطبعة الأولى: يناير / 2024 م
- رقم الإيداع: 26677 / 2023 م
- الترخيم الدولي: 2-348-992-907-978

● العنوان الأصلي: River God

● العنوان العربي: إله النهر

● طبع بواسطة: Macmillan

● حقوق النشر:

Copyright © Orion Mintaka (UK) Ltd

1993, 2018

Author image © Maudre Low

● حقوق الترجمة محفوظة لدار عصير الكتب

هذا الكتاب يعرض عن وجهة نظر الكاتب  
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار عصير الكتب

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية

أو ميكانيكية أو بالتصوير أو سلكاً ذلك إلا بإذن مكتبي من الناشر فقط



ويليام ستيفنس

# RIVER GOD

من الكتب الأكثر مبيعاً  
عائلة نيويورك تايمز

الأنهر  
الله



هذا الكتاب إهداءً إلى زوجتي،  
«مونييسو»  
أجمل ما حدث لي على الإطلاق.





كان النهر يمتدُّ ثقيلًا من فوق الصحراء، ساطعًا كمعدن منصهر اندلق من فرن، وبخار الحرارة يملأ السماء، والشمس تنهال على كل ذلك ضربًا كمطرقة نحاس. وفي السراب، بدت التلال الهزيلة الملاصقة للنيل ترتعش تحت ضرباتها.

أسرع قاربنا متاخماً أحواض البردي، قريباً بالحد الكافي ليلعنا صرير دلاء الماء المعلقة على أذرع الشواديق<sup>(١)</sup> الطويلة المتوازنة عكسيًا من الحقول على الجانب الآخر للمياه، ويتناغم صوتها مع غناء الفتاة في الجؤجؤ<sup>(٢)</sup>.

كانت لوستريس في الرابعة عشرة من عمرها، وكان الفيل قد بدأ فيضانه الأخير في اليوم نفسه الذي أزهز فيه قمرها الأحمر<sup>(٣)</sup> للمرة الأولى، في مصادفة رآها كهنة حابي<sup>(٤)</sup> مبشرة بكثير من الخير. ولوستريس - اسم المرأة الذي اختاروه لاحقًا ليستبدل اسمها الطفولي المهمل - يعني «ابنة المياه».

أنكرها ببالغ الوضوح في ذلك اليوم. كان مقدراً لها أن تزداد جمالاً مع مرور السنين، وأن تكبر اتزاناً وجلالاً، لكن وهج العذرية النسوية ذاك لن يشع منها بهذا السطوع القاهر ثانية أبداً. أدركه كل الرجال على متن القارب، وحتى المحاربين في مقاعد التجديف، وعجزت كما عجز أي منهم عن إزاحة نظره عنها. ملأته بشعور عجزى الشخصي، وباشتواء عميق لاذع، ذلك أنني، ورغم كوني خصبًا، لم تُسل خصيتي إلا بعد أن عرفت متعة جسد المرأة. نادّته: «تايقا، غنْ معي»، وابتسمت بحبور عندما أطعته. كان صوتي أحد الأسباب العديدة التي جعلتها تُبقيني بجوارها متى استطاعت، فصوتي

(١) الشادوف: أو المنزفة، آلة لرفع المياه للري ابتكرت في مصر القديمة في عهد القراعنة. (المترجم).

(٢) جؤجؤ السفينة: صدرها. (المترجم).

(٣) قمرها الأحمر: كناية عن البلوغ الجنسي. (المترجم).

(٤) حابي: إلهة نهر النيل والفيضان في الميثولوجيا المصرية. (المترجم).



الصالح ينعم صوتهما الندي<sup>(1)</sup> الغاتن إلى حد الكمال. غنينا إحدى أغنيات الحب  
القروية القديمة التي علمتها إياها نيعاً حسي، والتي لا تزال إحدى مفضلاتها:

قلبي برأف كالسفان إن جرحا  
لما لوجه حبيبي الغر قد لمحا  
خداي يعرفهما ورد السما سمرًا  
ليسمي من شفاه تمنح الصبحا...

انضم لصوتينا ثالث من الكوئل<sup>(2)</sup>. كان صوت رجل، عميق وقوي، لكنه  
يفتقر إلى نقاوة صوتي ووضوحه، وإن كان لي صوت شحور يؤدي تحية  
الفجر، ثمة إذن صوت أسد شاب.

أدارت لوسقريس رأسها وقد صارت اجسامتها قتلاً كأشعة الشمس على  
صفحة النيل. ورغم أن الرجل الذي عابته بتلك الابتسامة صديقي، وربما  
صديقي الحقيقي الوحيد، شعرت بصقراء الحسد اللاذعة تحرق مؤخر خلقي،  
لكنني أجبرت نفسي على الابتسام لقانوس بحب، مثلاً.

كان أبو قانوس، بيانكي سيد حاراب، أحد أعظم النبلاء المصريين،  
لكن أمه ابنة عبد معتق من شعب النهنو<sup>(3)</sup>، ومثل العديد من بني شعبها،  
كانت شقراء الشعر زرقاء العينين، وماتت جراء حمى المستنقعات في طفولة  
قانوس، لذا فذكرياتي عنها منقوصة، بيد أن النساء العجائز قلن إن جمالاً  
كجمالها قلماً شوهد في كلتا المملكتين.

من الناحية الأخرى، فقد عرقت أبا قانوس وأجلسته، قبل أن يفقد ثروته  
الفاخرة وكل أملاكه التي كادت ذات مرة تضاهي أملاك الفرعون نفسه،  
كانت له بشرة سمراء وعينان مصريتان بلون السيج<sup>(4)</sup> المصفول، وكان رجلاً

(1) الصالح، أو تيلون، نوع من الأصوات الغنائية وبعد أعلى الأصوات الرجولية، والذي أُر  
سوبرانو نوع من الأصوات الغنائية وبعد أعلى الأصوات النسائية. (المترجم).

(2) كوئل السقيفة: مؤخرها وفيه يكون الملاحون ومتاعهم. (المترجم).

(3) النهنو: إثنية قليلة العدد وباندة سكنت في منطقة صغيرة جدًا إلى الغرب من وادي النيل.  
(المترجم).

(4) السيج: حجر كريم بركاني يأتي من حجارة المصم السوداء. (المترجم).

ذا قوة بدنية تزيد على جماله، وقلب معطاء نبيل، وقد يقول البعض إن قلبه كان معطاءً ووثوقاً أكثر مما ينبغي، ذلك أنه تولى عائزاً، وقلبه مكسورٌ بأيدي أولئك الذين ظنهم أصدقاءه، وحيداً في الظلام، محروماً من إشرقة حظوة الفرعون عليه.

لنا بدا أن قافوس قد ورث أفضل ما في والديه، في ما هنا ثروة بسيطة، فكان في طبعه وقوته كأبيه، وشابة في جماله أمه. إذن لم أمتعض من حب مولاتي إياه؟ لقد أحببته كذلك، ولكوني هذا الشيء النجس الخصى، أدرك عجزني عن تبليها لنفسي أبداً، ولا حتى لو رفعت الآلهة منزلتي فوق منزلة العبيد. لكن مع ضلال الطبيعة البشرية: أتعطش لما لا يمكنني تذوقه أبداً، وأحلم بالسعال.

جلست لوستريس على ثمرتها<sup>(1)</sup> في المقدمة وجارياتها متمدتان عند قدميها. كانتا بنتين صغيرتين سوداوين من مملكة «كوش»<sup>(2)</sup>، رشيقتين كالزهور، وعاريتين تماماً إلا من طوقين ذهبيين حول عنقيهما. لوستريس نفسها لم تكن ترتدي إلا تنورة من الكتان الأبيض، أنيقة وناعمة كجناحي ابن الماء<sup>(3)</sup>. كانت بشرة نصفها العلوي الذي قبلته الشمس بلون خشب الأرض المزيّن القادم من الجبال وراء جبل، ونهداما بحجم وصورة نيتتين ناضجتين جاهزتين للقطاف، وعلى قمتيهما عقيق وردي.

كانت قد طرحت جانباً باروكتها الرسمية، وأرخت شعرها الطبيعي في جديلة جانبية لتدلى حبلاً سميكاً ناعماً فوق أحد نهديها، وحسنت قبل عينيها بخط قضي مخضر من مسحوق الدمنج<sup>(4)</sup> لامتس بمكر جفنيها العلويين. وكان لون عينيها أخضر كذلك، لكنه الأخضر الأدكن الأصفي لليل وقتما تنحسر مياهه وتضع أحمالها من الطمي الثمين. وبين نديها، حملت تمثالاً نحاسي، إله النيل، مصوغاً من الذهب والأزورد الثمين ومعلقاً على سلسلة ذهبية. كان قطعة بدعية بلا شك، فقد صغته لها بيدي هاتين.

(1) الثمر: وسادة صغيرة يُنكأ عليها. (المترجم).

(2) كوش: اسم أطلق في قديم الزمان على جزء من النوبة، يشمل المنطقة جنوب الجندل للنيل، والتي تمثل بلاد النوبة العليا حيث قامت حضارة وادي النيل النوبة الكوشية. (المترجم).

(3) ابن الماء: جنس من طيور مالك الحزين يتبع فصيلة البلشونيات المتوسطة. (المترجم).

(4) الدمنج: جوهر كالزمرّد. (المترجم).

فجأه، رفع تانوس مياه بقصة مصومة، وكرحل واحد، لحم المعدن  
ضرباتهم ورهعوا راحت مجاديفهم عاليًا، فأحدثت تقللاً تحت أشعه الشمس  
وتقطر ماءً ثم زخ مخداف التوجيه بشدة، وأقحم الرجال على دكة الميسرة  
مجاديفهم الحفية عميقاً، محدثين سلسلة من الدوامات الضخيلة على صفحة  
المياه انخسراء. تدخلت الميسرة بعدد بقوة، فدار القارب دوراً عسفاً حذراً  
أن متنه صبح بزواوية مزعة، ثم سقى الحائنان جهودهما واطلعتا إلى الأمام.  
سقى الجؤجؤ المدب، وعين حورس<sup>(١)</sup> لزرقاء مزرکشه عليه، أجمات البردي  
الكثيفة حابب، وشقى طريقه خروجاً من مجرى النهر إلى المياه لراكدة  
للبحيرة لشاطئة حفه.

قطعت لوستريس الأعيرة وظللت عينيها لترقى إلى أمام، ثم صاخب،  
ها هم، وأشارت بيد دقيقة بهيئة كانت بقية قوارب صوب تانوس مورعة  
مثل شبكة على الروافد الصومية لنعيرة، حاسمة لمدخل ابرئس إلى النهر  
العظيم، وقاطعة أي مهرب في ذلك الاتجاه.

بطبيعة الحال، كان تانوس قد احتار لنفسه لمركز الشمالي، بمعرفة  
أنه حيث ستبلغ المطاردة أشد صراوتها، وتمنيت لو لم يكن الأمر كذلك،  
لا لأنني بعيد، لكن عليّ أحد سلامة مولائي في الحسب دائماً، كانت قد  
أوصلت نفسها إلى مثل أنفاس حورس بالمخالبة بعد الكثير من المحاربة  
التي - كالعادة - ورطنتني فيها توريطاً عميقاً، وعندما يعرف أبوها - وسيخرف  
حنفاً - بوجودها في سعة الحسد، مأنال من سوء العائنة ما يكفي، لكن إن  
عرف أيضاً أنني كنت المسؤول عن السماح لها بمرافقة تانوس يوم كامل،  
لن يحميني حتى منصب الممّاز من غضبته، بل إن تعيّماته التي أملاها عليّ  
بخصوص هذا الشاب قاطعة.

على أي حال، بدا أنني النفس المضطربة الوحيدة على مثل أنفاس  
حورس، ولبقية كلهم يحشون حماسة رجر تانوس المجذوبين بإشارة  
حاسمة من يده وانزلق القارب حتى توقف ثم جعل يتأرجح برمي قوس المياه  
الخصراء لركبة إلى درحة أبي عندما ألقت نظرة إليها رأيت انعكاسي يرد  
لي نظرتي، وأدهشني كالعادة حس احتمال جمالي بسحب. هي عيني،  
رأيت وجهي أجمل من زهور اللوتس بزرقاء السماوية لتي أطرته، لكن لم  
يكن أمامي إلا وقت وجيز لأدعه، فالطقم من خلفي يتخبط نشاطاً

(١) حورس إله الشمس عند قدماء المصريين، وغيره شعار قديم ذو خصائص شيعية. (المترجم).

رفع أحد صناد أركان قانوس لواء الحاص أعلى لصاري، وكان صوره  
تمسح أرقى، ديله المُختار متصب، وقَّاه معترقان لم يُحوَّل إلا ضابط من  
رسة الأفضل في عشر لاف باملاك لواء حاص، وقد صغر قانوس بودة  
ارتبه، إلى جانب قيادة قرقه القصصاح الأزرق من تحبه حرس الفرعون  
الشخصي، قبل عيد ميلاده العشرين

وكان رفع اللواء على الصاري إشاره بدء الصيد، بذت بقعة اسرب في أقق  
البحيرة ضئيله بفعل المسافة، لكن مجاديقها أخذت تضرب ضرباً موزوناً،  
فتعبر وتهبط كأحنحة دور بري طائر تألق تحت أشعة الشمس ومن كواكبها،  
امتدَّت الموجات المُركَّبة حدها فوق المياه الرائقة واصططعت مدة طويلة على  
السطح كأنها قُذت من صلصال صلب.

أمر قانوس لصيغ من فوق الكوئل، وهو أسوب بروري طويل، وسُبح  
لطرفه بالاعماس تحت سطح الماء حتى إذا ما طُرق بمطرقة من المعدن  
نفسه، تفيض منه النفقات الصرَّة الربانة إلى الماء مائلة طرائد دعوا  
ولسوء حظ رصانتي عرفت أن هد هد يتحول عاجلاً إلى تائرة دموية.

ثم ضحك عني مدركاً هواجسي حتى في دروة إثارتة، وقد كان ذا بطه  
استثنائية بالنسبة إلى جدِّي جلف، وأمرني قائلاً: «تعال إلى برج الكوئل  
يا قايلاً يمكنك صرب الصبح لما سيُلهبك ذلك عن سلامة جلدك الحمية  
لبعض لوقت»

جرحني هزله، لكن أرحتني دعوته، ذلك أن برج الكوئل يرتفع عالياً فوق  
الماء، وتحركت لتفيد أمره من دور لعنة مُخلقة، وببما أعره، نوقشت  
 لحظة لأعظه بصرامة «أثنته بسلامه مولاتي، أسمعني أيها الفتى؟ لا تحسَّنها  
على الرعوبة، فحموحتها لا ينقص شيئاً عن جموحك» كان بحقدوري اللكلم  
بهذه الصنعة إلى قائد عشرة آلاف أعز، بك أنه كان بات مرة تليذي،  
وقد دافعت عصي في أكثر من مناسبة ذبذت لردعين العسكريين، معني  
ابتسامة عريضة كما كان يفعل في ذاك الزمان، بالعرور والوقحة المعهردين  
بفسهم، وأجاب: «سُتخلِّك أن تترك السيدة بين يدي يا صديقي القديم،  
سيس ثمة ما ألتذ به أكثر، صبقني!» لم ألمه على هذه اللهجة قليلة لآلب،  
لقد كُنت في شيء من المحلة لأحد محلي في البرج، ومن هناك راقبه بسيل  
قوسه.

كانت تلك لقوس شهيرة بالفعل في جميع قطع الحبش، وبالطبع على امتداد النهر العظيم من الحنابل<sup>(1)</sup> إلى البحر صممته به وقتما عد مستاء من الأسلحة الباقية التي - حتى ذلك الحين - لم تُنح به غيرها، فاقترحت أن يجرب صنع قوس بعض العواد لجديدة غير خشب الواش الذي ينمو في وادي النهر الضيق؛ ربما ببعض الأخشاب الغريبة كخشب قلب الريتون من أرض الحبشيين<sup>(2)</sup> أو أسوس كوش، أو حتى من مواد أغرب كثر حرثت أو ناب ميل عاصي

وما إن شرعوا في المحاولة حتى تعثروا في مشكلات لا حصر لها، كانت أولها سهولة تكسار هذه المواد الغريبة، فهي حالتها الطبيعية، لا يوجد بينها ما يحثي من دون تصدع، ولن يسمح له إلا أضخم أبيب الفيلة، ومن ثم أتمدها بحت جذع قوس كامل منه. حلت كلتا المشكلتين بخلق حاجب أصغر إلى شطأيا والصاقها معا بمقاس وحجم كافيين لتشكيل قوس كامله، غير أنها كانت أقسى من أن يثدّها أي رجل للأسف

لكن من تلك المرحلة، باتت خطوة سهلة ومطرية أن نصفح معا موادنا المختارة الأربعة: خشب لريتون والأسوس والقرن والساج بالطبع، مرّت عدة أشهر من الاختبار في تركيب هذه المواد، وبشئ صوب الغراء لجمعها، ولم ينجح قط في صناعة عراء قوي بالحد الكافي. حلت هذه المشكلة الأحيرة في النهاية بربط كامل جذع القوس بسلك من الإلكتروم<sup>(3)</sup> لصنعها من التشظي، إذ حثت برجليين صخمين يعبقان قانوس في لف لسلك من حولها بمجموع قوتيهما ينف لا يزال العراء ساعدا، وعندما يرد، استقر على تركيبة تكافون مثاليه من القوة والليونة.

قصصتُ بعدئذٍ خيوطا من أحشاء أسد عظيم أسود اللبنة كان قانوس قد صاده وقتله برمح الحربي ذي النص البرونزي، فدمعتها وجدلتها معا لأشكّل انور، وكانت السمحة هذه القوس الراقية ذات القوة الاستثنائية التي لم يستطع إلا رجل واحد من بين مئات المحاوليين شدّها إلى مداها الكامل.

(1) حنابل النيل، أو بشلالات لبلبة، أو للشلالات الستة، هي الشلالات التي كونها النيل ويوجد منها خمسة في السودان وواحد في مصر. (المترجم)

(2) الحبشيون شعب أماصوبي الذي يوزع مهنيا في تأسيس، مراطورية كان مركزها حانوشا في شمال وسط الأناضول عام 1600 في م. تقريبا (المترجم)

(3) إلكتروم سبيكة طبيعية المنشف من نحس وفضة مع كميات قليلة من الرصاص وكميات أخرى (المترجم)

كان الأسلوب البطامي للرماية كما يعلمه مدرّبو الجيش يقتضي مواجهة الهدف، ويشدّ السهم الموتر إلى قُصّ الصدر والمحافظة على التصويب مُهارةً متروية، ثم إرخاءه عند الإنجاز لكن حتى تانوس لم يملك القوة الكافية ليشدّ هذه القوس ويحافظ على تصويبه ثابتاً، فاصطر إلى تطوير أسلوب جديد كلياً، حيث صار يقف جانبياً أمام الهدف مواجهها إياه من فوق كقفه السرى، ثم يقذف درعه السرى ماسطاً إياها ويشدّ السهم -بجهد متشنّج- حتى تمسّ ريشات سيله شفّتيه وتبزّر عضلات ذراعيه وصدره مرهوةً بمجهودها. وفي لحظة التمدد الكامل نفسها، تبدو ظاهرياً بلا تصويب، يرحب

في البداية، كانت سهامه تطير حبط عشواء كحصى بريّ يمدد حليته، لكنه تدرب يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر حتى سُحجت أصابع يمينه وحملت ترقّ إثر احتكاكها بالوتر، لكنها شُفيت وحُشيت، وتكّدم باطن ساعده الأيسر وسُلح حيث كان الوتر يجنده ععب إرخاء السهم، لكنني صنعتُ له وافيةً جديدةً تحميه. وغل تانوس واقفٌ أمام الأهداف يتدرب ويتدرب

حتى أُنأ فقدت الثقة في قدرته على إحضار السلاح لكنه لم يستسلم قطّ وسطاء، وسطاء مُمض، سيطر عليه حتى صار أحياناً قدراً على إطلاق ثلاث أسهم بسرعة تجعلها في الهواء في الوقت نفسه كان اثنان منها يصيبان الهدف على الأقل، وهو قرص نحاسي بحجم رأس رجل منصوب على مسافة خمسين حصوه من موقع تانوس وكانت هذه السهام تبلغ من القوة ما يحطها تخترق بلا عاء المعدن الذي يحكي ثخانة حنصري.

سمى تانوس هذا السلاح الحيار لاثاناً والذي كان -بالمصادفة- لمحصة الاسم الطفليّ المعبود لمولاتي، وها هو الآن واقف في المؤذن، المرأة بحارسه، وسميها في يسراه. كانا يشكلان ثنائياً بديعاً، لكنه بديع بوصوح لا تحتمله راحة نالي

صحتُ بحدة «مولاتي! أرجعي إليّ هنا حالاً موقفك غير من» ولم تتنار وتلعي بطرة من فوق كتفها حتى، بل أشارت إليّ من خلف ظهرها، برأى كل صائم السفينة ذلك، وفهقه أجسرهم. لا بدّ أن إحدى جاريّتيها المشاكستين السوداوين قد علمتها تلك الإشارة، التي تناسب سيدات حانات جانب النهر أكثر ما تناسب نعة شريفة النسب من أسره إسف. فكرتُ في أن أحجّ، لكنني صجرتُ هذا الطريق لأهوج من فوري، فمولاتي لا تدعني لقبود، لا هي بعص



حالاتها المراجية. وبدلاً من ذلك، شعيت نفسي بصرب الصلج النحاسي بحرم  
كافٍ لستر صيقي.

دخبت البغمة الصبغة المججلة عبر مياه البحيرة الشفيفة وامتلاّت اسماء  
تواً بوشوشة الأجدحة وظلّ ألقي فوق الشمس كأنما ارتفعت عيمة شمسمة من  
طيور اسماء من أحواض الردى والركب المسحقة والماء المقبوحة إلى السماء.  
كانت من مئة صنف وصنف: أبو منحل للأسود والأبيض ذي الرأس السري،  
المقدس كرمي لإبهه لنهر، وأسراب من لإور الصيّاح في ريشه الحمري، كل  
منها تحمل نقطة ياقوتية للون في مركز صدرها، وطيور مالك حزين بلون  
أزرق محضر أو أسود فاحم بها مناقير كالسيوف وخفي أحسنة ثقيل وشد  
وقير حدّ أن أمداده تتحدى لأعين ومصد قبة الراثي

صيد طيور الماء من أكثر الهوايات حماسة بين اسلاء المصريين، كما  
يومها كذ يلاحق طريدة أخرى. وفي تلك اللحظة، رأيت على مسافة بعيدة  
أمامنا اصمخراً فوق سطح الماء اشعيف. كان ثقيلًا وهائلًا، وحانثني  
معنوياني، ذلك أنني أعرف أي وحش مُروّع قد تحرك هناك. رآه تانوس  
كذلك، لكن ردة فعله كانت مختلفة كل الاختلاف عن ردة فعلي، إذ نبح ككلب  
صيد استروح الصريدة، وصاح رحابه معه مدكّين على مجاذيلهم، فاصبقت  
أنفاس حورس لي لأمام كأنها أحد تلك الطيور التي عُب قبة السماء من  
فوقنا. ورعقت مولاتي حماسة ثم صرّيت بقمصتها الصغيرة كتف تانوس  
مقبول العصالات.

تمكّرت لمداه مرة أخرى وبسبما أشار تانوس إلى قائد دفّته أن يتبع  
الحركة طرقت الصبح لأدعم شجاعتي وأحافظ عليها. وصلنا إلى النقطة حيث  
رأيت الحركة آخر مرة، واسلّ المركب حتى جمد في حين أخذ كل رجل على  
صنته يحق من حوله منشوقاً

ووحسي نظرت من فوق الكوئل مباشرة. كان اسماء من تحتنا قليل العمى  
ويكاد يكون بصفاء الهواء من لوقنا ثم رعقت رعدة بشدة وحدّه رعدة مولاتي  
وهللت متراحف عن سور الكوئل، إذ كان الوحش من تحتنا تمامًا.

مرس النهر رفيق حايي، إلهة السير، ولا يمكن صيده إلا بإعفاء خاص  
مده. ولهذا الغاية، كان تانوس قد صلى وقدم لأصاحي في معبد الإلهة ذاك  
الصباح، ومولاتي حلاصة به، حايي. لهنها الراعي بالطبع لكنني أشك في أن  
هذا هو السبب الوحيد بمشاركتها التوفّة في المراسم.

كان الوحش الذي رأيته تحتنا ينفو دكراً عملاقاً هجوراً، وفي عيني، بدا بضخامة سفيدته، جسماً جباراً يتناقل الحصى في قاع البحيرة وقد بطأت مقاومة المياه حركاته فصار يتمرك كمحلي من كانوس بشئ من بسن حوافره الطين كما تنبر الصها العيار في إسرائها فوق رمال الصحراء.

أبار قاموس انقارب بمجدها استوجيه وانطلق خلفه لكنه ابتعد عنا بسرعة رغم عسوه البطيء المتكلف ذاك، وتلاشى شبحه الداكن في أعماق البحيرة الحصراء أمام.

فصاح برحاله: «شُدُّوا بحو أنفاس بعت<sup>(1)</sup> لكريهة شدوا»، لكن عندما حلَّ أحد صباطه عمدة كرجاج العسوط، عسس قاموس وهر رأسه. لم أوه يستخدم الكرجاج قط إن لم يكن استخدام مبرراً.

ومجأة، شقَّ الوحش صهجة لماء أمامنا ونفخ سحابة عظيمة من البخار الشئ من رنتيه. غمرتنا حناشها رغم أنه بعد وخارج مرمى السهم، وللحظة، خلق ظهره جزيرة جرابيئة برّاقة في البحيرة، ثم جزَّ نفسها صاعراً وغاب في دوامة من جديد.

### جار قاموس: «انطلقوا خلفه»

وصحب مشيراً من فوق الجانب «هو هنا، إنه يلتف عائناً»

فضحك قاموس علي قائلاً: «أحسنت صنعاً يا صديقي القديم، سنجعل منك معارناً أيضاً». كانت المفكرة ساحره، فأب شاح وحكم وقبآن، ومطولات بطولات عقل، ورغم ذلك، شعرْتُ برعشه بهجه كما أشعر دائماً إزاء مديح قاموس، وضاع معي - في الوقت لراهن - في حماسة المطاردة

ثم انضمت بقية سفر السرب من الجنوب إلى الصيد. كان كهنة حابي قد حافظوا على إحصاء دقيق لعدد هذه الوحوش العظيمة في البحيرة، ومنحوا مباركتهم لذبح خمسين منها في مهرجان أوزيريس<sup>(2)</sup> القادم، ما يترك ثلاثمائة تقريباً من قطيع الإلهة في بحيرة المعبد وهو العدد الذي عده الكهنة مثاليًا لإبقاء الممرات المائية خالية من الأعشاب الحاصلة، ومنع أحواس البردي من التعدي على الأراضي الزراعية، وتزويد المعبد بمؤونه منتظمه من

(1) ست إله للمرب والعوصى والعواصف في مصر القديمة (المترجم)

(2) أوزيريس، إله البعث والحساب ورئيس محكمة الموتى عند قدماء المصريين وهو من آلهة التسرع المقدم الرئيس. (المترجم)

للحم. ثم يَكْنُ أكل لحم أفراس لنهر في غير أيام مهرجان أوزيريس العشر  
مسموحًا إلا للكهنة أنفسهم

ثم يار لصعد فوق العدا مثل رقصة معقّده، وببعض أخذت سفن لسرب  
تغزل وتبرم كانت الروحوش المسعورة تفرّ من أمامها، فتغوص وتنعخ وتنعز  
عندما تطفو تعود إلى العوص ثنية لكن مع ذلك، أخذت كل غطسة تقصر  
عن سابقتها، وصارت الاحتراقات الملتفة بسطح اماء أكثر تكرّرًا، فقد فرغت  
رذاتها وما عاد بمقدورها ملؤها بالكامل قبل أن تنقض لسفن المطاردة عليها  
وتصيرها على العوص من جديد. وطيلة تلك الوقت، ظلت الصجوج البرومرية  
في بروج كواثل السفن تدوي لتمتدح مع صيحاب المجدفين وتبديها فدة  
الدماث داب كل شيء هي حجة وعليلة حبوسينين، ووجدت نفسي أصرخ  
وأهل جنبًا إلى جنب مع أشد الرجال تعطشًا للدماء.

كان ثانوس قد ركّز اهتمامه كله على أول العحول وأضحى، فتجاهل  
الإناث والحيوانات الأصغر التي أحدثت نطهر ضمن مرمى السهام، ولحق  
باسوحش العظيم في كل انثناءاته، مقتربًا منه بعناد كلف طفا على اسطح،  
وحتى في فيض حماسي، لم يسعني إلا استداع لمهارة التي أدري بها  
ثانوس أنفاس هورس، واستعانة أفراد طاقمه لإشاراته، بكنه من ماحية  
أخرى، بطالما تمتع بملكة استخراج أفضل ما في جيوده، وإلا فكيف استطاع،  
بلا ثروه ولا وليّ عظيم يسدده الارتقاء بهذه السرعة إلى هذه الرتبة الرفيعة؟  
لقد حقق ما حققه بكفاءة الخاصة، وهذا على الرغم من الأثر الحيث لأعدائه  
المستحقين الذين ررعوا طريقه بكل هروب العقبات.

شقّ العجل فجأة سطح الماء على بُعد ألف من ثلاثين خطوة من لجوجو،  
وخرج يتلألأ في شعاع الشمس، هائلًا وأسودًا ومروّعًا، وسحب من بخار فاجر  
تنهّج من منحريه كمحبوق العالم السفلي ذلك الذي يلتهم قلوب من تراهم  
الآلهة غير أكفاء<sup>١</sup>

كان ثانوس قد أوتر سهفًا ثم رفع انقوس العظيم وأطلقه في اللحظة  
الحاطة بنفسه، فعزف لأياتًا موسيقاه المهيبة لبرأقه، وصحم السهم في  
غشابة تخدع الأنصار وببعضا كان يهس في طيرائه لم يزل، تبعه آخر ثم ثالث،

(١) إشارة إلى أُنث أو أُنث المعروف باسم آكلة نعوبي، وهي كائن خرافي يظهر في الأساطير  
المصرية القديمة مربيحا بين رأس حصاح وحسد أسد وفرس نهر (المنرجم)

وهمهم وثر القوس كوتر اعود، أصابت السهام هدفها، الواحد ظو الآخر، فجار  
الثور عندما دفنت نفسها بكمن طولها في ظهره اترحب، وغاص ثانية

كانت تلك السهام خوارق<sup>(1)</sup> ابتكرتها خصوصًا لهذه المناسبة، فاستبدلت  
بالدبول المرتشة عوامات دقيقة من خشب لبليدي كاليي يستخدمها الصيادون  
تعويم شبكهم، وركبتها لتتسل من عمب أسهم بطريقة تجعلها ثابتة في  
أثناء انطيرانها لكنها تتحلخل حالف يعوص لوحش ويجرها عبر الماء وكانت  
ربطتها بالسنان البرونزي بخيط كتان رقيق نفقة حول العقب، لكنه يتكشف  
حالما تنفصل العوامات لذا في تلك اللحظة وببما يصلو الوحش متعدًا  
تحت الماء ظهرت العوامات الذهبية الثلاث فوق السطح وأحدث تقديب  
حلمه، وكانت قد طليتها بلون أصفر ماقع لتجذب الأنظار إليها وينكشف موقع  
لفحل مباشرة ولو كان في عمق لبحيرة.

وهكذا تمكن قنوس من ترهب كل انقضاضات الفحل اجماحة، ومن  
رسال أنفاس حورس مسرعة لتسبقه وتررع مجموعة أخرى من السهام  
عميقًا في انضهر الأسود الامح كلما خرج من المياه. بحلول هذا الوقت صار  
لفحل يجرُ مجموعة من ابعوامات الصفراء الجميله خلفه، وصارت المياه  
تتحطط وقدُرم بأحمر دمائه وعلى الرغم من مشاعر السحرة العبيقة، لم  
يسعني إلا الإشعاع على المحتوي المنكوب كلما دزع إلى السطح يجار تلاقيه  
رحة أخرى من السهام الهاسة الفتاكة. لكن مولاتي الصغيرة لم تشاركني  
تعاطفي، بل كانت عالقة في لجة الاشتباك ترعق جرأ الرعب الجديد وخماسة  
الأمر كله.

مرة ثانية، خرج الفحل أمامنا مباشرة، سكن بمواجهة أنفاس حورس  
المقصنة عليه هذه المرة، وانخرج فكاك انفراج وسفا حتى إنني تمكنتُ  
من رؤية قعر حلقه. كان لثاة من اللحم الأحمر الشاقع يمكنها اسلام رحل  
كامل بسهولة، وكان فكاك مبطنين بصف أنياب جمد أنفاسي ودب في جلدي  
القشعريرة، برزت أنياب وكه السفلي مباح عاجية هائلة مصممة لحصاد  
القصببات انثوية والقوية من السربي المنتصب، وثثأت أنياب العلوي رماك  
نصاء لامعة بخانة معصمي يمكنها تصم أخشاب هكل أنفاس حورس  
بسهولة قضمي كحكة من دقيق الدرة، كنت حضيت مؤخرًا بفرصة معاينه جته  
فلاحة أروع - في أثناء قصو البردي على ضفة النهر - أثني مرس نهر ولدت

(1) - بخازن السدان البافد (المتروجم)

من بؤها عجلًا، وشطرتُ نفسي بدقة شديدة جعلها تبدو كأنها قد صُيرتُ  
بأشد النصول البرورية بقاء.

صدر هذا الهول الهائج بشدته العاصري بتلك الأسنان البراقة مدعص  
عجاء، وعلى الرغم من أنني في برج الكوئل المرتفع وبعيد عنه أقصى بعد  
ممكن، وجدتُ نفسي عاجزًا عن التصويت أو الحركة عجز تماثيل المعبد  
تخشيتُ فزع.

أطلق تانوس سهمًا آخر حلق مباشرة إلى مؤخر الحلق الفاعر، لكن عذاب  
المخلوق كان مظليًا إلى درجة بدا معه كأنه لم يلاحظ هذه الإصابة الإضافية  
وإن ثبت في آخر الأمر أنها قاتلة. انقصر بلا تمهل أو تردد مسبقًا على حة حو  
أنفاس حورس، وفاص من الحلق الملوّغ حوَار حلق وألم فائق مدفع، ذلك  
أن شربانًا مرق في مقه، وأرسل قطرات دم تترشش من شديده المبرجين،  
استحال الدم امتفجر سحبًا من عشاوة حمراء تحت أشعه لشمس، جميلة  
ومرّوعة في الآن نفسه، ثم اصطدم احد رأسًا بجوؤ سفيتنا

كانت أنفاس حورس تمحر الماء بسرعة غزال يعدو لكن الوحش فاقه  
سرعة في غضبته، وبنا جسمه متينًا متانةً أشعرتنا أننا حنحنا فوق شطرن  
صحري، طار المجدنون ناشربن أصرافهم من مقدمهم، في حين فذقت إلى  
سور برج الكوئل بعزم بلغ من الشدة أنه أفرغ رئتي من الهواء وأبدل به  
صخرة صماء من الألم في صدري.

وحتى في خصم صدقني الشخصية، كان قلبي كله منصًا على مولائي،  
إذ رأيتها من بين دموع الألم تطوّح بعمل لتصادم، ومد تانوس ذرعه محاولًا  
إبعادها، لكنه كان صخل التواء كذلك، وأعاقه لقوس في يسراه، لم يتمكن  
إلا من كبخ ارتفاعها للحظة، ثم أخذت بعد ذلك تتأرجح على السور ويداه  
تزعزعان بيأس، وظهرها منقوس جراء السقطة.

صرختُ، «تانوس!»، وهدتُ يداً ذليته، فاستعاد توازنه وحاول بحفة  
بهون إمساك يده تلاصقت أصبعهما للحظة، ثم بدا أنها سُحبت بعدد  
وسقطت عن الحاب

تمكنتُ من موقعي المرتفع في الكوئل من رؤية سقطتها، إذ انقلب في  
الجو مثل قطعة، وماجّت تدويرتها البيصاء وارتفعت لتكشف عن أطول اعائن  
لتخديها بد لي أنها سقطت سقطة نهائية، ومتزجت صيحتي المكروبة  
معولتي النائم

صرخت: «طفلي! صغيري!» ذلك أدنى كدث وانثقا أدنها هلكت شعرت  
أن حياتها تكملها، كما عرستها، تعدد نفسها أمام عسي، فرأيتها ثانية طفلة  
بارحة، وسمعت التودعات الطفولية التي كانت تعبئها علي مربيتها لمحـب  
رأيها تكبر لتصير امرأة، وتذكرب كل ما أنزلته بي من اغتباطات وآلام في  
القلب، وأحببتها آنذاك في لحظة ففدما أكثر حتى من حبي لها في تلك  
السنوات لأربع عشرة لطولة.

سقطت على ظهر الفحل اشتر المريض لملطح بادم، وللحصة، بمدت  
لوقه باشرة أطرافها كأصحنه بشربة عى مذبح ديانة ما ساعلة، دار ابوحش  
في مكانه، وارتفع عاليًا في السماء، ثم بوى رأسه الضخم البشع إلى الخلف  
محاولًا بلوعها، فتأججت عتاه الهمتين المصرجتين بجذون ثائرتة، وبينما  
تلاطم فكاك العظميين كان يهْمُ نهشها

بطريقة ما، قدسرت لوستريص جمع شذات نفسها والتشت بروج من  
حنوع الأسهم الباتئة من ظهره الواسع كالمقاصص، ومددت باشرة ثراعيها  
وساقبها، لم تعد تصرخ، وصارت كل حينها وفوتها مسخرة بلقاء عى قيد  
لحياة. بيد ربت تلك الأنياپ الحاجبة الحقاء فوق بعضها كنصال محاربين  
مقاررين كان تنهش الهواء، وعند كل عصة، بدأ أنها تحفق في القبص عبيها  
بما لا يجاور عرض إصبع، وتوقعت في أي لحظة أن يقضم أحد أطرافها  
لمايحة مثل عص داية هش وأن أرى دمها الحلو الشاب يعترج بتلك السيول  
لهيمية العندقة من جروح فرس النهر.

اسعد تانوس توازنه في الحوجو بسرعة، وللحظة، رأيث وجهه وكان  
مُهرعًا ثم ألقى القوس اشى لم تعد تابعة إياه جانبًا، وقبض بدلًا منها على  
بصااب سيفه هازًا فصله حتى حرره من غمده امصروع من حلد التمساح،  
وبهرت قطعة براقه من السروج بصر نراعه شجنت حوافها حتى صار  
بوسعها حلقة شعر ظهر يده.

وثب عى شفير المركب وبواز فوقه للحظة يراقب لتفاعلات الفحل  
المصاب بعروح عاتلة في السماء من تحت، ثم قذف نفسه وهبط كباري مدقضى  
حاملًا سبعة بكتا يديه وسنه موجها للأسفل

نزل عى رقبة فرس النهر الغليظة، وحط بساقيين منفرجتين حولها كأنه  
موشك أن يمتطيه إلى العالم السفلي. كان ورس حسمه بأكملة، وزحم القفزة  
الجامحة، يدفعان اسف عندما طمس به، فخاص تصف الفصل في علق فرس



النهر عند قاعدة حميمته، ومن مجلسه فوقه مثل خيال، كأمح تانوس وأعر  
الروبر الحاد أكثر مسخدمًا كلنا درعه وقوة تلكم الكتفين العريضين، ثم،  
ومع نخسة لنصر، صدر لفحل مسعورًا، تيبب مقدومته حتى تلك اللحظة  
واهية بالمهارة بهذه القوره الجديدة، رفع معظم جسده الهائل خارج  
البحيرة، مُؤرجحًا رأسه يمين ويسرة وملقبًا صفعات متمسكة من الماء عاليًا  
في الجو حتى إنها تكسرت على من السفينة وحدث - مثل ستاره - المشهد  
تقريبًا عن بصري المنعور

رئت في حسم كل ذلك النهائي ينحط على ظهر الوحش بلا رحمة، ثم  
بقصم جدع أحد السهام التي كانت بوستريس متشبثة بها، وكادب تُقذف  
بعيدًا، وبس حث ذلك، لمرقها انوحش بلا ريب وقطعها إلى مرقٍ دامية تلك  
لأنياب العاحية، بينما مد تانوس جسده لحلف وقبض عليها مثبتًا إياها  
بسراده، لم يوقف نمده عن إعمال النصل لروبري أكثر في قعا من العجل،  
لعجر مرس النهر عن يورغهما شق خاضرتيه يدعسه، مُزلاً بجيبه جراحًا  
فاغرة قطعية إلى درجة أن الماء في حميد خمسين حصوة من السفينة اصطبع  
بوس الدم، وطلب الدماء لمتعجرة كلاً من لوستريس وتانوس بالقرمزي من  
رأسيهما إلى أخمص أقدامهما، فاستحال وجههما إلى لدعين مشوهين تلعب  
من داخلهما عياهما البيضوان.

كانت سكرات الموت الميعة للوحش قد حطنتهم بعيدًا عن جانب السفينة،  
وكتب أول من استعاد سلامة عقله على منها فصحت بالمجدعين، «اتبعوهم»  
لا تسمحوا بهما بالابتعاد، ووثبوا إلى مواقعهم مرسين أمفاس خوريس إلى  
المطاردة.

في تلك اللحظة، بدا أن سنان نايوس لا شيء قد عثر على مقصير فقرات  
عقب انوحش وانسل عبرها، ذلك أن انحنى الهائلة تحسنت وتجمدت، وانقلب  
مرس النهر على ظهره وأطرافه الأربعة ممدودة ومتببسة، ثم عطس تحت مياه  
البحيرة حاملاً لوستريس وتانوس معه إلى الأمان.

كبحث بحيب اليأس الذي ارتفع في حلقه، وزممرت أمر للطاقم من  
تحتي، «جذفوا بالعكس! لا تسحقوهم! وليتوجه السباحون إلى الجؤجؤ»،  
وحتى أنا أجفلت من قوة صوتي وسلطته

توقع تقدم لسفينه إلى الأمام وقبل أن أتمكن من التفكير في حصة ما أعطته، وجدت نفسي ألتقدم حملة من المحاربين الجسام عبر لمتن. ربما كانوا ليهلوا لمشاهدة أي صابط آخر يفرون، لكن ليس عزيزهم تانوس

عن نفسي، كنت قد مزعت عني تنويرتي وتعريتي، ولم يكن الهمد سمته جيدة يحتمني على فعل ذلك في أي ظروف أخرى ذلك أسي لم أسمح إلا لشخص واحد بأن يرى اجراح التي ابرلها حلال الدولة في مدد عهد بعيد، وقد كان الشخص نفسه لدي أمر بإعمال سكين انخفي بي في المقام الأول. لكن لأن، ولسره الأولى، سهوت تمامًا عن تشوّه رجولتي القطيع.

أنا سماح قوي، ورغم أن هذه المجازفة ترجفني كلما تذكرتها، أعتقد حقًا أنني ربما كنت لأعوص من فوق لجانب وأصبح عبر تلك المياه المصبوغة بالدم محاولاً إتخاذ مولاتي. لكن ما إن حيات نفسي عند سور السفينة، حتى تحت المياه تحتي تمامًا وبرع رأس يقطران ماء ويتلاصقان كزوج قناس في طور لتراوج. كان أحدهما أسمر ولآخر أشقر، لكن كليهما يطلق أكثر صوت مسنعد سمعه في حياي، إذ كانا يصحكان، بينما يعويان ويصرخان ويبيعمان صحتك، كانا يتحبطان ناحية جانب اسفينه، وكلامهما قابض بإحكام على دراعي الآخر إلى درجة تقيت معها ألهمما في خطر حقيقي أن يغرق أحدهم الآخر.

استحال قلبي كله من فوره إلى غضب إزاء هذه الرعونة، وبراء فكرة لحماقة الرهبة التي كنت موشكًا أن أقترفها. ومثل أم أملت عليها غريزتها لأولى بعد إيجاد أبها، المفقود أن تحلده بالسود، سمعت صوتي يفقد كل سمعه العميق السابق وبصر حائًا متدمرًا. كنت لا أزال أويح مولاتي بكل مصاحتي لشهيرة وقتما سحنتها هي وتدوس نزيهه من الأياشي المسحدة من الماء إلى متن السفينة، وأقدعها قائلاً: «أيتها الهمحية الصغيرة، الجامحة لرعداء! أيتها، لطائشة الضئيلة الأنسية معدومة الانضباط والتفكير! لقد وعدتني! لقد حلفت يميناً على بتولة إلهة»

فركضت إليّ وألقت بذراعيها حول عنقي ثم هتفت وهي لا تزال تدفق صحتك «أوه يا تايلا أرايته؟ أريت تانوس يشب بجدني؟ ألم تكن تلك أس معة سمعت بها على الإطلاق؟ مثل بطال واحدة من أحسن مصصك تمامًا،

أهملت تمامًا حقيقة أسي كنت قد فوسين من لقيام ببادرة بطولية مماثلة، ولم يعد ذلك، لا زيادة انزعاجي. وأضاف إليه إدراكي المفاحي أن

لوستريس قد فقدت قنورنها، وأن الجسد البرد الصلابة لدى حشرته مجسدي  
عاري بالكامل. وأن روح لأرباب الأتعم والأكثر اكتناراً في مصر مكشوف أمام  
نظرات الصباط والرجل الوقحة

سما امتشقت أقرب درع واستخدمتها لأعصي كلا حسدينا كنت أصرخ  
بجارتيتها أن يحدا قنوره أخرى لها، ورددت قهقهتهما من حثي، وحالها  
عدت أنا ولوستريس محتشمي الملبس انقصضت على تانوس.  
أما علك، أيها البربري لمستهن، فعسخر مولاي إنكف بمعلتك  
وميسلخ جلد ظهرك

ضحك مني قائلاً «إن تفعل شيئاً كهذا (والقى نراها مبللة مفتولة  
لعصلات قوون كنفني وصممني بشدة رفعتني في الجوف)، ذلك أنه سيسلحك  
بالسمكة نفسها تماماً، ورغم ذلك أشكر قلقك يا صديقي القديم».

نظر حوبه بسرعة ودرعه لا يزال مصوقة كنفني، وعلقت حاحيه، ذلك أن  
أنفاس حورس كانت قد انفصلت عن بقية شعر السرب، لكن الصيد انتهى  
وأخذت كل السمس -اللا- حصتها الكاملة من الغنائم بقي أباها الكهنة.

هز تانوس رأسه، لقد ضيعنا معظم فرصه، أليس كذلك؟ وتحرر، ثم  
طلب من أحد صباطه أن يرفع إشارة استدعاء السرب

أجبر بعد ذلك وجهه على الالتسام «وهنتح إبريق جعة معاً، ذلك أن  
أمامنا الآن بعض لا ينظر وقد كان ما فعلت عملاً يذب بالعطش في الحروق،  
ويذهب إلى الحوحو حيث تنير الجاريتن الحلبة حور لوستريس في البداية،  
كنت غاضباً إلى درجة رفضي لاتضمام إلي نزهتهم المرتجلة على المتن  
وحافظت بدلاً من ذلك على وقار متحفظ في الكوئل.

سمعت لوستريس تهامس تانوس وهي تعيد مرء كوبه بالحجة المرعبة  
«أوه، دعه يهرق قليلاً لقد أصاب العجور العربي نفسه بفزع رهيب، لكنه  
سيحاوله حالما يداهمه الجوع، فهو يحب لطعام أيما حب»

إن مولاتي لخلصة الإحماض، أنا لا أهرق، ولست تهف، وفي ذلك الوقت  
كنت بالكاد قد بلغت الثلاثين من عمري، وإن كان أبناء لرابعه عشرة يرون  
أي امرئ جاور العشرين عتيقاً وأعترف أنني -عندما يتعلق الأمر بالطعام  
أتمتع بدوي مهيب لنواق خبير بالفعل. كنت الإثورة البرية المشوية مع التين  
التي تعرضها بتاء أحد طباقي المفصلة، وهي تعرف ذلك حق المعرفة

تركهم يعمون فيمة أخرى، ولم يكر إلا حين جاءني قانوس شخصيًا حاملًا بيده إبريقًا من الحقة وحاسبي بكل عذوبته أن تكزمت ولتقل قليلًا وسمحت له أن يسوقني إلى الدصبة، ومع ذلك، ظلت حاسد التعاس معهم حتى قبلت لوستريس وجنتي وهات بصوت عالٍ بالحد الكافي لسمع الجميع، «لقد أخبرتكُم ميثاتي أنك توبيت قيادة لسفينة مثل محارب قديم، وأنت كنت لتغوص في الماء في سجين إنقاذي. أوه يا قايقة، ما الذي كنت لأفعله من دونك؟» فابتسمت لها اذًا، وقبلت شريحة الإورة التي أصرت بها على. كانت شهنة، وكانت الحقة مكوّدة ثلاث مولات، لكنني اقتصدت رغم ذلك في أكلها، لأن عليّ الانتباه إلى دوامي، ولأن سمريتها الساقطة حال شهيتي لا تزال تعتمل في نفسي بعض الشيء.

كان سرب قانوس متناثرًا فوق البحيرة الواسعة، لكنه بدأ يستعيد انتظامه، ورأيت أن بعض القوادس<sup>(١)</sup> الأخرى قد تكبد العطب مثلنا، إذ تصابحت سفينتان في احتدام امطاردة، فيما هاجمت اطرد أربف غيرها. ومع ذلك، أعادت السمح سرعة واتخذت موقعها الحربية، ثم عبرتنا بسرعة في رتل أحادي وبأشرطة من أعلام مثلثة زاهية ترهف على قمم الصواري معلنة حجم صيد كل قانس. أخذت الطرتم ترفع أنحابًا عند مرورها بمحانة أنفاس حورس، وحياتهم قانوس بقصة مصومة ولواء التمساح الأزرق منكس على الصاري<sup>(٢)</sup> فقد كنا في أعين العالم بأسره كمن حقق نصرًا مفتخرًا في وجه صعب مُحيفة لعله استعراض صيلاني، لكن من جهة أخرى، ما زال بي من الصناسة ما يكفي لأستمتع بالمراسم لعسكرية

حاليما أنهى الأمر، استردت من سرب مواقعها الحربية، وحافظت على أماكنها في مواجاة التميم الحقيب الذي هب من حلال الاستخدام الماهر للمجاديف ومجاديف التوجيه. وبالطبع، لم يظهر أي أثر لأمر من لنهر النسيحة حتى الآن، فرغم أن كل قانس قتل واحدًا على الأمد، ويعصبه قتل اثنين أو ثلاثة، غاصت كل الجثث إلى الأعماق الخصرء للبحيرة، عرفت أن قانوس يصغر في سره على حقيقة أن أنفاس حورس ليست لسفينة الأنجح، وأن اشتياكنا المظور مع الفعل قصر حصليدا عليه وحده، فهو معتد التفوق.

(١) القانس: نوع من السفن البحرية مسددة بدعها، بدأت في إقليم البحر المتوسط واستخدمت في الحرب والتجارة والرمسة منذ الألفية الأولى ق.م. (المترجم).

(٢) تلكيس العلم خفضه عن الصاري بسميه معينة دلالة على الاحترام أو التنبه في بعض الحالات. (المترجم).

على أي حال، لم يكن على سحبه المبتدئة المعتادة وسرعان ما غادر الجوجو ومضى ليحرف على صبية بدن أنفاس حورس.

كس محوم نرس النهر قد أضرب بالأكوج تحت المائية، فصرود تشرب من الماء ما يكفي ليتطلب الأمر تفريغاً متواصلاً لبطن السفينة بالدلاء الخشبية، وهي مهمة من ألقه انهمام التي تلهي الرجال عن واجبهم بصفتهم محققين ومحايلين، وفكرت في نفسي أنها يمكن أن تحسبها بلا شك

لداء وبیم، تنتظر أن تطفو جثث الوحوش الميتة، أرسلت إحدى الجاريتين لمطلب لي صلة معدات الكنافة الخاصة بي، ثم بعد تفكير إصافي ضيف، بدأت أخط فكرة لتفريغ الماء ألياً من بطن سفينة مقاتلة في أثناء عملها، طريقة لا تتطلب جهود نصف الطاقم. كانت قائمة على مبدأ دلاء الشايوب نفسه، ورايت أن رجس قد يشعلونها بدلاً من دزيه يحملون لداء، كما هي الحال الآن.

عندما أتممت المخطط، رحلت أتا من في النصابم لدي سبب اعطاب الأصلي تاريخياً لطالما كانت التكتيكات المستخدمة في المعارك بين أسراب القوادس النهرية هي تكتيكات الاشتباكات البرية نفسها، إذ تتراص السفن جنباً إلى جنب ويتبادل المحاربون رشقات السهام، ثم تقراض فيشتبكون ويركبون وينهون الأمر بالسيوف، ودفء ما كان لمباطنة حريصين على تلافي النصابم، إذ يعد ذلك إهمالاً في الملاحة.

فكرت فجأة: لكن ماذا لو... وبدأت أرسم مخططاً بقدس محوّم مسّاح، وحالما ترسب الفكرة، أضعت عند مستوى سطح الماء قرناً شبيهاً بقرن لخرتيت، يمكن نحه من الخشب الصلب ولقه بالبرونز وإذا ما كن موجهاً إلى الأمام وقليلًا إلى الأسفل، فيمكنه احتراق بدن مركبه مقابله وتعميق بطنها كنت مسعرقاً إلى سرحة أني لم أسمع قنوس يقترب من خلفي، ثم حنطف لفيفة البردي في وراج يدرسها بهم.

هم من قوره بالطبع ما كنت بصدده، فعندم خسر أنه ثروته حاولت بكل ما في وسعي (بعاد سيد ثري يرعاه ويدخله أحد لعاب بصفة مسّاح مبتدئ، حيث يكمل دراسته وتعليمه، إذ آمن بحق أنه -وإرشادي- يمنع بكل الإمكانيات اللازمة ليتصور إلى أحد أعظم عمول مصر، وربما يصير في

ومن ما استأصطفُ إلى جانب اسم إمحوتب<sup>(1)</sup> الذي صمّم - قبل ألف عام -  
تلك الأهرامات الأولى المدهشة في سقارة

لم أجد، وهذا طبيعي ليس إلا، ذلك أن العدو الذي دُمّر حقله وغيده أبا  
ثانوس اعترافاً صريحاً لثانوس نفسه. لم يكن ثمة رجل فوق الأرض  
يمكنه التغلب على نفوذ مُهلك كهذا. لذا سألنا من تلك سمعة ثانوس على  
الانضمام إلى الجيش. وعلى الرغم من خيبه أمني وهواجسي، فقد كان هذا  
السلطة خياره الشخصي. وقد وقف منتصباً للمرة الأولى وحمل سيفاً حشيشياً في  
وجه الأطفال الآخرين في ساحة اللعب.

هتف مدهوشاً وهو ينفخُ رسوماتي: «محو لدمايل على البني بسبت<sup>(2)</sup>!  
أنت وريشة التصميم لحاصة بك تعادلان عشره أسراب كاملة في نظري».

دائماً ما يفر عني تحديف ثانوس: «لعرصي باسم الإله العظيم ست، فرعم  
أن كليب من أتعاج حورس، فما رلت لا أعتقد بالإساءة الصادرة لأي عضو من  
مجمع الآلهة المصرية، وعن نفسي، فلا أمرٌ يذيق من دور أن أصلي وأقدم  
أضحية صغيرة، مهما كان إله الذي يسكن فيه متروصباً أو ثابوياً. وهذا  
- في رأيي - تغلّ سبط وصمان حديد، قلمراء أعداء كامون بين بني لبشر  
من دور أن سحت عمداً من صيرهم بين الآلهة، وإنني متدلل لبست على وجه  
الخصوص، ذلك أن سمعته لرهيبه ترعيني، وأشك أن ثانوس يعرف كل ذلك  
ويستمر بتجديفه عمداً بعبائتي على أي حال. سرعان ما صاع ارعاحي في  
وهج ثنائيه الحار

سألني مُلحاً: «كيف تفعل هذا؟ أنا الحديدي، ورأيث اليوم كل ما رأيته، لم  
لم نمر في دلي هذه العكرة؟».

غرقنا من فوراً في نقاش وقد عر تصميمي، وبالطبع، لم يكن من  
الممكن إقصاء لوستريس طويلاً. فجاءت لتتضم إلبا. كانت جاريتها قد  
جفتا شعرها وأعدتا جدله. وهذبنا تعويجها، فصار بهاؤما مشتباً للألبان لا  
سيماً أدها وقلت بحواري وأسدت غير عتبة درعا هفاه فوق كتفي، ثم تكى  
بتلمس رجلاً بهذه الصبغة في المدن أبداً. فذلك ينتهك حدود الأعراف والعفة.

(1) محوتب، يعني هرم روسر المدرج وأول مهندس معماري وطبيب في التاريخ، وأشهر  
مهندسي مصر القديمة. بلغ من درجة معبوده بعد وفاته وحضر إلى الطب (السرجم).

(2) بسبت إلى الصحراء والعواصف والأجانب في الديانة المصرية القديمة، وصار في الأساطير  
«الاحمر إلى الغلام واليهومي كذلك» (المترجم).



لكنني من ناحية أخرى سمعت رجلاً، ورغم أنها اتكأت عليّ، فلم تعارق عيائها  
وجه ثانوس تصد.

يرجع استغراقها فيه إلى وقت تخمها المشي. كانت تتعثر بدعجاب خلف  
ثانوس المهيّب ذي لستوات العشر، محبوبة بإحلاص محاكاة كل إشارة أو  
إيماءة تصدر عنه، إذا ما بصق بصمته، وإذا ما تلعظ بشتيمة تلعطت لاذعة بها  
نفسها، حتى اشتكى إليّ بمرارة «أيمكنك حملها على تركي وشأني يا ديق؟  
إنها محص طفلة!»، بكنه لا يبدي الكثير من استدمر الآن.

قاطعنا أخيراً هتاف أطلقه الراصد بي الجوّجّ، فهُرَعنا إلى الأمام ورحنا  
بصدق بفارغ الصبر إلى أرحاء البصرة. أخذت حثة أول قوس نهر بطفو على  
السطح؛ ظهرَ بطنها أولاً، ذلك أن العازات في أمعائها تعددت وبمحت الأحشاء  
كنفاخة<sup>١</sup> طفلي مصبوغة من مئذنة معرة، ثم جعلت تهتزُّ على سطح الماء  
وأطرافها كلها ممدودة متحشية، وأسرع أحد القوادس إليها ليستردّها انزعج  
بحار متسلّقاً الحثة وربط حبلًا بإحدى أرجلها، وحالما تم ذلك، قَطَرَهُ انقادس  
إلى الشاطئ البعيد.

بدأت الجثث الضخمة تظهر في كل مكان من حولنا، وأجنت القوادس  
بجمعها وسطلو بها بعيداً ربط ثانوس اثنين منها إلى مرسّة<sup>(2)</sup> كوئنا  
ونكبّ المجمعون على مجاريهم بكل قوتهم ليَجْرُوه عبر الماء.

عندما اقتربنا من الشاطئ، ظللتُ عينيّ تحت أشعة الشمس المائلة  
ورحت أصدق أماًدا، بدا أن كل رجل وامرأة وحمل في مصر العليا ينظر  
على الضفة، إذ حضر جمعٌ غفير، وأخذوا يرقصون ويفنون ويلوحون بعصف  
التحيل مرحبين بالأسطول المقل، كآز الحركة المصطربة لأتوابهم البيضاء  
موجاب نوّ تذكسر على حافة البحيرة الرائقة.

حالما اصطفت القوادس كلها بمحاداة انصفة. خاصت سرق من رجال  
لا يلبسون إلا أقصر انوزرات في الماء حتى أنبطهم ليوتقوا لحيال بالجنث  
المنتفخة، وغفلوا في سعة حمستهم عن التهديد القائم دائماً بوجود تماسيح  
كامنه في المياه لخصراء الكمداء. تعقرس هذه الثنائين الكاسرة مذت البشر

(١) الكُفَاخَةُ: لعبة للأنامل مطّاسة يجمعون فيها متصمخ. (المترجم)

(2) المرسّة: الحبس وأمراس المركب. أظناه أر حباله (المترجم)

كل عام، وتبلغ بها الجسارة أحياناً أن تهاجم ابنة وتقبض على طفل يرب  
مرب حافة المياه أو علاجة غسل الملابس أو نصب الماء لعائلته.

لكن هؤلاء الناس الآن وفي حصم الجوع لعظيم اللحم اندي استبد بهم، لم  
يكونوا مهتمين إلا بشيء واحد، فقبضوا على ابحال وطفقوا يجررون الحث  
إلى الشاطئ. وعندما ابرلق إلى الضفة الموحلة، أبطأ عشارب الأسماك  
القضية لصحية التي كانت تقصف على ابحر ح المفتوحة في إرخاء قبضتها  
وسميت مع الحث، سمعت على أحوال الضفة وأعدت تتحيط وترتعش مثل  
بحر سقطت على الأرض.

تزاخم رجال ونساء يحملون سكاكين أو فؤوس تزاخم الغمل على الحث.  
وفي هذيان طمعهم أحد بعضهم يعوى ويصرخ على بعض كالتمسك والصناع  
حول صبة أسد بينما يثارعون على كل قطعة جيدة من اللحم ينهالون على  
الحث الهائلة بقصعاً، وينطاد الهواء بشظايا العظام في حداول من الصال  
الصمغ مرماً وتقديراً سقطت أمام لصعد في ذلك مساء طوابير طويلة من  
الجرحى المنتظرين معالجة الكهنة لأصابعهم المبتورة وجراحهم التي بلغت  
العظم حيث أسأت البصير المستهترة

وأما اشغلت نصف الليلة أيضاً، ذلك أن لي في بعض الأوساط سمعة  
صيب معالج تفوق سمعة كهنة أوزيريس حتى، ولا بد لي من الاعتراف بكل  
تواضع أن هذه السمعة مستحقة تماماً، ويعلم هورس أن أحري معقولة  
أكثر بكثير من أجور رجال الدين. ولأن مولاي إنتف يسمح لي بالاحتفاظ  
بثلث ما أكسبه لنفسه، صرت رجلاً يتمتع ببعض الثروة، بصرف النظر عن  
مكنتي العبدية

وقعت على برج كوثل أنفاس حورس شاهد مسرحية انشاشة البشرية  
المصائمة التي تحري تحتي عادة ما يُسمح للعوام بمراء بطونهم من لحوم  
لصت على صدر لشاطيء شريطة أن لا تحمل شيء من البضائع إلى مكان  
آخر وبمعيشتهم على هذه الأرض الورقة التي يخصصها النهر العظيم وبيروبيها،  
يتعدى شعب حير نعتيه، لكن لنظام العنائي الثابت للطبقات الفقيرة هو  
الحبوب، وقد تمر شهرين بين آخر قسمة لحم قضموها وتالياتها

إصانه إلى ذلك، كان الاحتفال وقتاً تُنقى فيه كل الضوابط الاعتيادية  
لحياة اليومية جانباً، وتُمنح رخصة بالتمادي في كل الحاجات الجسمانية،  
في الأكل والشرب والشغف الشهواني سيمتلئ الصباح بالنصون لألمة

والرؤوس المصدوعة والاتهامات الزوجية، لكنه اليوم الأول من المهرجان  
ويس ثمة من رادع لأي اشتها

ابسمتُ وأبا أراقب أمّا عربة حتى حصرها ومكموة من رأسها إلى  
أحصر قدميها بالدم والشحم، تخرج من تحويف بطر برس نهر قابضة على  
كتلة سائلة من كبد وورمها إلى أحد سلاها في حمرة الأطفال المذاق  
الرائع للمحيطين بالجنة، ثم بينما عطست عائدة إلى جوف الوحش انطلق  
الطفل قاصدا على حائره إلى إحدى مئات بيران الصبح العشمة على  
الشاصي. كان له أخ أكبر انتزع قطعة الكبد منه وألقاها على الحمر، في حين  
براحت في أمام رمرة من قنافة البحر الصعبره بأفده الصر برئل كالجرء،  
القط الصر الأكبر الكبد اندي بالكاد لعته النار بعصن أحصر، وانها  
عليه إحوته وأحواته فالنهموه، وحالما استهلك رخوا يبحون طاليين المريد  
والذهن والعصارة تسير على وجوههم وتقطر من دقوبهم. من المرجح أن  
الصغار لم يتذوقوا لحم أبقار النهر الشهي من قبل. إنه لذيد ونغم وناعم  
الملص، لكن شحمه أهم ما فيه، إنه أغزر شحما من لحم الأبقار أو الحمير  
البرية لمحططة، ولب عظامه به لذة حقة تليق بلإله العظيم أوريريس نفسه  
كان شعبا يتصور حوق للشحم الحيواني. وقد أصابهم مداهم بالجنون  
فأصابوا أنفسهم بالتحمة، وهذا حقهم في هذا اليوم

كنت قانعاً بالانحرال عن هذه الغوغاء الطبيعة، وسعيداً بمعرفتي أن حُباب  
مولاي إنك سيؤمنون أحسن قطع اللحم وألباب العظام لمطابخ القصر حيث  
سمهر الطباخون طيقي لخاص أحسن سمهر إن أقصيني في أسرة اوزير  
تفوق الآخرين جميعهم، حتى القهرمان<sup>(1)</sup> أو قائد حرسه الشخصي، وكلاهما  
من الأحرار. بالطبع، لا تُحكى في الأمر حماراً أثناء، لكن بعرف الجميع صميتاً  
بمصبي لمتار والمنفوق، وقلة منهم تجرؤ على تحدّيه

رحت أشاهد الحُباب يطلقون لحصاد حصّة مولاي، لحاكم والوزير  
الأعظم لجور<sup>(2)</sup> حصن لعيا الاثنتين والعشرين كلها، أحداً بلوحوون يوراواتهم

(1) القهرمان القائم والوكيل وحافظ له تحت يده وهي كلمة فارسية تعني أمين الملك أو القائم  
بأمر الرجل (المترجم)

(2) كره جمعها جور بلفظة عربية، تستخدم بعد دخول العرب إلى مصر للتعبير عن المعاملة  
أو لإقليم (وكانت اللفظة لإعرشة المستخدمة قبلًا يوم) (المترجم)

بخبرتهم المولودة من طوبى الممارسة، صارسين أي ظهر باد أو زوج لرد ف  
عارية تصع بنفسه مرصع الهدف في حين يصبحون بمطالبهم.

كاتب أسنان أقراس النهر الساحية ملكًا للورين، وجمعها الحخاب كله، بلا  
استثناء، فقيمته تعادل قيمة أنياب الفيلة التي تحلبها التجارة من أراضي  
كوش وراء الحدود، ذلك أن آخر جبل في مصر قبل ألف عام تقريبًا، في  
عهد أحد فراعنة الأسرة الرابعة أو هذا ما تفيجح به النصوص الهيروغليفية  
على ألواح معبد، بطبيعته الحال، كان مُنتظرًا من مولاي أن يمنح عُشر جنى  
الصيد لكونه حاجي، لأنهم الرعاة الاعتباريون لقصيع أبقر النهر الخاص  
بالإلهة، غير أن تحديد مقدار هذا العُشر بيد سيدي، وعرفت، وأنا لمسؤول  
العدم عن حسابات القصر، أين سيتهي الأمر بحصة الأسد من الكثر، مولاي  
إنتف لا يمانى في سحاء عمر ضروري، حتى في سبل إلهة.

أما عن جلود أقراس نهر، فهي ملك للحش نصح منها الدروع الحرسية  
لصباط أهواج الحرس، لذا أشرف صياد إمداد لصيخ على سلاحها ومعالجتها،  
وكائت كل منها بحجم خيمه بدويّة.

وعن اللحوم انثى لم تُستهلك على الصفة، فتُحُلّ في ماء مالح أو تُنَحّن  
أو تُجفف، ويُزعم أنها تُخصص لإطعام الجيش ورجال المحاكم والمعابد  
وغيرهم من الموظفين المدنيين في الدولة، لكن ما يجري عمليًا هو أن جزءًا  
كبيرًا منها يُباع سرًا، وتنتسب العائدات بصورة طبيعية تمامًا إلى خراش  
سيدي، فكما قلت سابقًا، سيدي أثري الرجال في المملكة، لعيا بعد الفرعون  
نفسه، ويرداد ثروة كل يوم.

اندلعت قلقة جديدة من حلقي واستدرتُ سرمة لأرى أن سرب ماموس  
لا يزال قيد العمل، إذ سطعت انقواس في تشكيلة المعركة، كوتلًا يحادي  
الكوتل، مواريه حط الشاطئ لكنها بعيدة عنه خمسين خطوة عند حافة المياه  
العميقة، وانتصب على سور كل منها رماة الحريين<sup>١</sup> بأسلحة مستعدة  
وموجهة إلى سطح البحيرة

فقد حذب رائحة لدم ويقايا لذبايح التماسيح، وليس من جميع أرجاء  
البحيرة وحسب، بل من مسافة بعيدة تبلغ المحرى الرئيس لتيل، وجاءت  
منزاحة إلى الولىعة. كان رماة الحريين مسطرونها، وكل حذع حريون مزود

١ : الحريون سلاح يركب من رمح ورؤ رأسه مطاوعة أو خفافات بسنه من لانسلا من  
القرينة بعد صوبها، ويستخدم في الصيد البحري (المترجم)

رأس برومري صغير سمياً له أساس صلبة وفي الرأس معدني حبل كان قوي معهود في عدة متينة.

ولرماة الصرايين أولاء مهارة مثيرة للإعجاب حقاً، فعندما تأتي إحدى تلك الأعطاءات المحرشفة صسله عبر المياه الخضراء، ترفرف حديتها العظيم المفتوح، وتصبح كشبح طويل ساكن صامت قاتل تحت سطح الماء، يكون الراصي في انتصارها، فيتركها تمر من تحت القادس، ثم عندما تلوح من الطرف الآخر ويد السفينة يحجب حركته عنها، يتحني من فوق البس ويطعها ولا تكون طعنة عنيفة، بل أقرب إلى وكرة سقيقة بعصا طويلة، ذلك أن الرأس البرومري حاد كإبرة الحزاج، ويغرس بكامل طوله عميقاً تحت الجلد النخس المحرشف للراحف. كان الرماة يصوبون إلى قفا العدو، وكانت هذه الطعنة تلح من مهاره أن العديد منها يثقب اسحل الشوكي ويهتل المخلوق مباشرة.

لكن عندما تحطى صريرة مدعها، يتمجر الماء مع تعجر التمساح لجريح في تشجات عيغه، فتبزم عصا الحروب ويفصل الرأس المعدني عنها ليبقى معروشا في عنق الزاحف المدرع. ثم يشد أربعة رجال حبل الكنن ليسيظروا على تلويثاته، وإنما ما كان التمساح ضحماً - وبعضهم يبلغ أربعة أضعاف طول رجل متمد على الأرض - تنطلق الحبال من الكرات مدحنة إثر احسكاكها بحافة المركب، حارقة راحات الرجال الذين يحاولون مساكها. عندما حدث ذلك، توقفت حتى الحشود الجائعة على اشاطئ برهة لذهل وبصبح عبارات لشحيع، ولشاهد لصراع حيث إما يحصع التمساح في آخر الأمر وإما ينهت الحين مثل جلدة سوط مسقطاً لبحارة على أعقابهم فوق السفينة. كان حبل الكنن لمتين يصمد في أغلب الأحيان، فحالما يتمكن أفراد اطاقم من تنوير رأس لراحف ناحيتهم، يصير عاجز عن السباحة باتجاه المياه العميقة ثم يمكنهم حره في معمعة من المياه المزجدة البيضاء إلى جانب السفينة حيث تنتظره جماعة أخرى تحمل النابست لنحطم جمجمته اصلية كالصخر.

وقتما سُحبت حث التماسيح إلى الضفة، ذهبت لأعاليها، وكان دناعو موج قافوس قد باشروا عملهم بالفعل.

كان حد ملكنا الحالي من منح الفوج بقب دحرس التمساح الأزرق العظيمي وأصبح عيه لواء التمساح الأزرق، وكانت دروع أحساد عناصره

تُصنع من الجلود لمهزّنة لهذه التدبير، التي تبلى من الصلابة بعد أن تُعالج  
ونمّح -كما يجب- أن تصب سهماً أو ثرداً طعنة سيف عدو. ووربها أحف  
بكثير من المعدن، ويبسها تحب الشمس اصحراء أبرد بكثير وكانت رؤية  
لثانوس في خوذته المصنوعة من حلد التمساح والمريّة بريش اسفم،  
وصدارته المصوّغة من الحلد نفسه اسصفونة واستأنفة برهيرات مروبرية.  
تحمل لزعب سب في قلب أي عدو، أو التشجج في مطن أي عدر، تعطر إيه  
وبسما أقيس وأدوى أطوال العثث وحمومها، وأراقب الداسين محملون.  
لم أشعر بأقل معاصف حاطف حتى ماحمة هذه الوحوش القبيحة كم شعرت  
ماحية أفسر النهر الدسيحة، ففي رأيي، لا يوجد وحش في الطبيعة أشنع من  
اتمساح، مع احتمال استثناء الأفعى السامة.

زاد حدي مئة صعب عندما شق دثاغ بطن أحد أصحم هذه الحيوانات  
امشوّهه، وبراقت منه إلى الصين بقايا مهصومة جرثياً لبثت صغيرة. كان  
اتمساح قد ابتلع النصف العلوي من جعدها كاملاً، من الحصر فأعلى، ورغم  
أن اللحم قد ابيض واستحال رخواً ناص للون يفغر العصدرات الهاضمة،  
وبدا بالاسلاخ عن حممتها، كانت قسمة است لا تزال سليمة ومصفورة  
ومسوفة معدة فوق وجهها المّحصف الخرب، وإصامة لمسة رهية أخرى.  
كن ثمة قلابة حوس حلقها وأساور حملة من اخرد الخزفي الأزرق والأحمر  
حول معصمها اعظميين.

ولم تك هذه العثة العروعة تمكش حتى صدحت رعدة مدوية ودطرة  
للغوّاد حد أنها احترقت اصطحاب الجموع، وشقت امرأة طريقها بين السجود  
دافعه إياهم في انصلاقها لتتهار على ركبتيها بجور الرقاب المتجسة ثم مرقت  
ملايسها وراحت تثبت بولولة التفجّع المّفرقة.

«اييني! فتاتي الصغيرة!»

كانت امرأة نفسها التي جاءت إلى القصر في ليوم لسابق تبلى عن  
مقدان ابنها، فأحبرها لمسؤولون أن الطفلة على الأرجح قد اختطفت وبيعت  
في سوق النحاسية بأيدي حدي عصابات قطاع الطرق التي ثروّع البريف.  
كنت هذه العصابات قد صارت ذات بأس في البلاد، تحري أعمال عليها  
وبنها العاصية بوقاحة لي وضح النهار وصولاً إلى موانات المدن.

وثبه مسؤولو لقصر امرأة إلى أنه لا شيء يمكنهم فعله لاسترداد ابنتها،  
ذلك أن العصابات حارج أي سلطان بملكه لدوة



تبين هذه العرة أن هذا التكهن الأليم عارٍ عن الصحة، إذ تعرفت الأم على  
الخلي التي ما زالت تدين الجثمان الصئيل المحدث داب قلبي تعاصماً مع  
الأم التكلّي، وأرسلت حارية لتجلب جرة خمر فارغة ورغم أن المرأة وبذها  
غريبتا عني، بينما عثرتُ على مبع عيني أن مجود باندمع كنت أساعدها على  
جمع البقايا ووضعها في الجرة لدسها دساً لانف.

عندما عصت تقريح ممثلاً بين العشود لعمرده غير لهيئة، حاملة  
الجرة مصعومة إلى صدرها، تفكرتُ في أنه، وبصرف النظر عن كل الطقوس  
والصلوات انني ستبدلها الأم في سبيل ابتذالها، وحتى في الحالة بعيدة الاحتمال  
إذ يمكنها تحمّل اكلفة الصاعقة لأكثر عمليات التحنيط بدائية لن تتمكن  
روح الطفلة من بلوغ الطود في الحياة الآخرة أبداً، فليتحقق ذلك يجب أن  
يكون الجنة سليمة وكامنة قبل انصبط كانت كل مشاعري مشمولة بالأم  
للمنكوبة، ومن بعد ضعفي أني كثير التمعجج، حتى إنني أحسن على عاتقي  
مهموم كل بائس يعجز طريقي باحرانه. كان من الأسهل لو أن لي قلباً أقسى،  
وعقلية أكثر كلبية<sup>(1)</sup>.

وكما يحدث دائماً عندنا يتتابى الحزن أو الكرب تناولتُ ريشتي ولفيفتي  
وسأت بتدوين كل ما يحري من حولي، كل شيء من رماة الحرامين، والأم  
المفجوعة، وسخ أبقار النهر واقماسيح وقصبته على النشاط، إلى السلوك  
السائب للزراع القاصفين المعربين

كان أولئك الذين خشوا لعماً وأنعموا حمة بشمرون حدث سقطوا، داهلبن  
عن ركل الدين ما زالوا يدرين على الاستواء بهم وذؤسهم عليهم. أما الأصغر  
سناً والأكثر مجوناً فأحدوا يرقصون ويتعاقون ويستعلون الظلام الأخذ في  
الهبوط والغطاء الهزيل للشجيرات القليلة وأحواض البردي المدوسة بسننروا  
تباكحهم السائلر كن هذا السلوك الخليع محض عرض من أعراض الضائقة  
التي مرت بالبلاد كلها، وما كانت الحال تسبح هذا المبلغ لو نعة برعون قوي،  
وإداره أخلاقية وسوية في كوره طينة العصمى فاعامة يمتلكون لمن يعلوهم،  
لكني أخذت أدون بأمانة رغم استيكاوي الشدبد للأمر، وهكذا مرّت ساعة  
سريعة وأنا جالس متدبج ومستغرق تماماً فوق مؤخرة متن ألباس حورس،  
أحربش وأخطط حتى عطست الشمس وبدأت تخمد نفسها في الدهر العظيم،

(1) الكلمة: أو العليسة التشاؤمية محب فلسفي اسمه الميسوق اتيستينس في القرن الرابع  
ق.م. والتشاؤمين لا يثرون بوجود نصير في الطسمة الشرية (المترجم).

تاركه بريقاً محاسياً على الماء ووهجاً دحانياً في سماء المغرب كما لو أنها  
أضربت النار في أحوض للبردي

كانت الحشود على الشاطئ ترداد حشوية وحموحاً أكثر فأكثر، وبشط عمل  
العاهرات، راقبت كاهنة حب يدينه ووقور، تلبس جزر دعوتها على جبهتها،  
ونفود بحاراً بحيلاً بنصف حجمها من أحد القوادس إلى اضلال حلف ضره  
السر أسقطت هناك ثوبها وهبعت عى ركبتها في القراب، معطية إياه زوجاً  
فرتحاً من الأرذف الضحمة، فأطلق صديقنا الضئيل صيحة فرحة واعتلاها  
ككلب يعنلي كلنته. بدأت برسم عتائب سلوكهم، بكى الصوء بلاشى سريفاً  
واضطربت إسى التوقف لداك اليوم.

حاشا نحيب اللقيعة جانت، أدركت مُجفلاً أنتي لم أر مولاتي من قبل  
حادثة الصفة المينة، ورثت واقفاً في بوة ذعر. كيف وسعني أن أكون على  
هذا القدر من الإهمال؟ لقد توت مولاتي تربيته صارمه، تحت شرفي، وكبرت  
طعمة صالحة وخلق، مدركة تمام لإبراك ابوجبات والالتزامات التي فرضتها  
الأعراف والقوانين عليها، ومدركة كذلك شرف العائلة الرفيعة التي ننتمي  
إليها، ومكانتها في المجتمع. وفوق ذلك، كاذب تهاب سطوة أبيه وانفعاه  
بقدر ما أهابها؛ وبالطبع وثقت بها

وثقت بها بقدر ما كنت لأثق بأي شاة أخرى قوية لعريمة في فورة  
أنوثتها الشهوانية الأولى في بيلة كهده، وهي وحيدة في هذه الظلمة مع  
الجدي الوسيم الذي يضاهيها شهوانية والذي اعتنيت به أتم الافتتان

لم يكن فزعي عى بقولة مولاتي الهشة، التميمية السموية التي قلما تُدب  
بعد أن تُفقد، بقدر ما كان على حصر الأدب الأشد الذي سيحيق بجدي. ذلك  
أننا سمرجع في الصباح لى لكرنك وقصر سيدي إفتقه حيث سيعج المكان  
بالأسلة الثرثارة التي ستثقل حكاية أي رلة أو رمونة اقترقها أي منا إليه.

حواسيس مولاي يتخللون كل طبقة من طبقات المصمم وكل زاوية من  
رواب الأرض، من أحواص السفن والحقول إلى قصر اشروعى بمسه. كانوا  
أكثر عدداً من حواسيسي حتى، ذلك أنه يمك أموالاً أكثر ليدفع بعملائه، رغم  
أن العبيد منهم حدم كلها براهة وشابكت شبكات في مستويات عديدة.  
ولن ألحقت لوستريرس العار بما كلنا، أبيها وعائلتها وأنا، معلما ورعيها،  
فسيعرف مولاي إنتف بذلك في الصباح، وسأعرف أيضاً

عدوتُ من أقصى السقيفة إلى أقصاها ناحيًا عنها، ثم تسلمتُ برج الكوتل  
ومسحتُ لشاطلي بعيني في حال من الألم، فلم أَرَ أثرًا لها أو بتانوس،  
واسححتُ ذلك أسوأ محارقي.

بم أعرف من أين أبدأ أبحث عنهما في هذه اللينة لمسجورة، واستهتُ  
إس نفسي أعتصر يدئ من ألم الإحباط، فكعبتُ عن ذلك من قوري، دائمًا ما  
أستل جهورًا مصصية لعلامي أي مطهر من مظاهر الحبوثة، إذ إسني أمقت كنز  
امقت تلك المحلوقات البهينة لمرهوة العاصفة التي عانت ابتر الذي عانيته،  
ودائف ما أحاول التصرف كرجل بدلًا من خصي.

سبطرتُ على نفسي بجهد وبصنعتُ السحنة العارده العازمة التي رأيتها  
على ملاحج قانوس في وطيس المعركة، وعندئذ استعدتُ حصاقتي وعدتُ  
عقلانيًا من جديد. تأملتُ في السلوك المحتمل بمولاني، بك أنثي أعمرها  
معرفة حميمية بالصبح، وقد درستها لأربعة عشر عامًا برعم كل شيء، تبينتُ  
أنها أليفة جدٌ ومبركة برتبتها لليلة بوقاحة تمنعها من الاختلاط بالجموع  
الذملة الفطة على الشاطئ، أو من الانسلاخ بعدُ إلى الشحيرات لتلعب لعبة  
الوحش ذي الظهرين كما شاهدتُ أسحر والعاخرة العجوز السميكة يفعلان،  
وعرفتُ إسني عاجزٌ عن نداء أحد سواي ليساعدني في محلي، فلك سببهم أن  
بسمع مولاي إنقف بكل الفصة، لذا كان لزامًا علي البحث بنفسي.

إلى أي مكان خفي تركت لوستريس نفسها تنساق؟ كأي شبه في  
عمرها كانت مسجورة بفكرة الحب لرومانسي وأشك في أنها فكرت بجدية  
بالعواب الأكثر عملية لمارسته السديّة فيلاً، برعم فصرى جهود هاتين  
العاسقتين لسوداوين لصغيرتين للتوثيرها، بم تظهر أي قدر واضح من  
الاهتمام حتى في تقنية لمسألة عندما حاولتُ تحذيرها كما يملي علي واجبي،  
بم يكفي عني الأقل لأحميها من نفسها.

أحسستُ أن علي البحث عنها في مكان يرقى إس آمالها الحساسه في  
الحب، لو كان شهر أنفاس حورس يحمر مقصورة لهرعتُ إليها، لكن  
مودسا البهريه صغيره، وهي سفن مغائلة بعمية حُرذت لمصلحة السرعة  
والقدرة على المناورة، فبينم يخام لطاقم على امتر العاري، لا يذل لقبطان  
وصباطه إلا كنة من لقصب تسفرهم ليلاً وبم تكُن هذه مجهرة في الوقت  
الراهن، لذا لا مكان على متن السفينة يمكنهم الاختباء فيه.

كانت الكرك والقصير يبعدن سفرٌ نصف يوم، وكان العبيد قد بدؤوا من نوبهم في نصب خيامنا على إحدى الجزر الشاطئية التي حُصصت لمنح جمعتنا لخصوصية عن بهما<sup>(1)</sup> البشر ومن تقصير العبيد أن يكونوا بهذا القواني، كنهم علقوا في زحام الاحتفالات، ورأيتُ في صوة امشعل أن بعضهم أكثر من محتل التوارس في حين يكافح في ربط حبال التثبيت الوثنيه ولم يكونوا قد نصبوا خيمه لوستريس الشخصية بعد، لذا فأعصاب الراحة الفاخرة من نُسج وستائر موشة ومقارن محشوة بالرغب وعطية كتامة ليست متاحة لمعاشعين إن فأي نرهما يكونان؟

في تلك اللحظة، جذب انتباهي وهجٌ أصغر حفيف لمشعل بعيد فوق البحيرة، فثارت بدبهي من فورهم، وأدركتُ - بالنظر إلى صفة مولاتي بالإلهة حابي - أن معدها في الجزيرة الجراسيتية الخلابة الصغيرة في وسط البحيرة هم بالوسط المكان الذي سيميل لوستريس بلا مقاومة، ففتشتُ الشاطئ بحثًا عن وسيلة ما توصلني إلى الجزيرة، ورغم وجود أسراب من المراكب الصغيرة المشدودة إلى الشاطئ، كان المراكبيون يتساقطون في ثمانتهم.

ثم رأيتُ كراتاس على الشاطئ، تنصب ريشات العدم على خونته عاليًا فوق رؤوس الحشد، ووثقته الشفاء تميزه عنهم

صعدتُ به «كراتاس»، فنظر ناحيتي وروح سمه. كان كراتاس كبير ملازمي قانوس، وبمعزل عني، أصلب أصدقائه العديدين وكان بمقدوري أن أصعب به ثقة لا أحرؤ على وضعها بأيّ غيره.

صرختُ «اقتني بهارب! أيّ قارب!»، بصوتٍ مهتاج وحاد، إلى درجة أنه بلغه بوصوح، وكان من شيم الرجل أنه لا يهدر لحظة حتى في المساءلة أو التردد. مشى موسعًا خطاه إلى أقرب زورق على الشاطئ، ورأى نوبته راقداً كجدع شجرة في بطنه، فأمسكه من قفاه ورفعته رفعة واحدة ثم ألقيه على الشاطئ، ولم يتحرك السوتي قيد أنملة. بل ظل راقداً في خدر النبيد الرحيص، فطويًا بأوضعية التي ألقيه كراتاس عليها. ثم أطلق كراتاس المركب بنفسه وركنه بعد بصع دحجات من مصا التسيير سحداً أنفاس حورس فتشقلت في عطلتي عن لبرج وحططتُ متكورًا على نفسي في مقبلة المركب الصئيل

(1) اللُحْماء. عاتيه الناس بموادهم (المدرج).

ناشدته وأنا أنسلق ساقِي دإلى المعد يا كراتاس وتتمز عبيا الإلهة  
الصبية حسي بأن لا يكون قد تأخر أكثر مما يجب»

حظفنا بسيم المساء الذي ملأ الشراع المثلثي بسرعة عبر المياه البعمقة  
إلى المرمى الحجري أسفل المعد ثم ربط كراتاس حبل لقرب بإحدى  
حلقات إرساء، وهم يالبحاق بي إلى الياپسه، لكنني معنّه،

قلت له، «لا تتعدي، لأحل قافوس، لا لأجلي، أرجوك».

تردد لحظة، ثم أوما برأسه، «سأكون منصتاً إن ناديت»، واستل سيفه ثم  
قدمه إلي من طرف المقصر، «أستحتاج إليه؟».

هرزت رأسي «بن أواجه هذا النوع من الخطر، وأيضاً، خنجرى معي، لكن  
أشكرك على ثقّتك» وثركته في القارب ثم هُرعتُ إلى الحجرات الحربية، بيتة  
بمدخل معد حاجي.

ألقت مشعر الأسل في حاملاتها على أعمدة المدخل الشاحمة ضوءاً أحمر  
مرتعشاً بدا أنه يدب بالحياة في النقوش العائرة على لجدران ويجعلها  
ترقص. حاسي إحدى آلهتي المفضلة، ولأنحري الدقة هي ليست إلهاً ولا إلهة،  
بل مخلوق حشوي غريب مُلجّ يحور في أن معاً قصداً عملاقاً ومهبطاً معادله  
بالخوبف، وتدين سحيبين سمعان الطيب لجميع، هي قأليه الليل، وربة  
الحصان، وتعتمد مملكت مصر وكل الشعوب فيهما عثماتاً تاماً عليها وعلى  
اسفيضان الدوري للنهر العظيم الذي هو داتاه الدنية يمكنها تعبير حسنها،  
أو - كاحديد غيرها من آلهة مصر - انخاذ شكل أي حيوان نشاء، وبحسبها  
المهضة هو رسم النهر، وبصرف لنظر عن جنسانية لربة المبهمة، دانما  
م تعدها مولاتي لوستريس أنثى، وأد كذلك، وقد يخالفنا كهنة حاجي هنا  
ارأي

كانت صورها على جدران الحورية هذلة وأمومية، ولأنها مطلية بالألوان  
الأساسية المبقدة، الأحمر والأصفر والأزرق، أشئت برأس مقرة نهر عطوف  
يبدو أنها تدعو كل الصبيعة إلى الخصوبة والتكاثر ولم تكن هذه الدعوة  
ملائمة لقلقي الراهن البتة، إذ عراني العرع أن تكون وصيتي الثمينة تستغل  
سمح لإلهة في هذه اللحظة

رأيت كهنة ركعةً إلى المدبح اجانبي، فهُرعتُ إليهم وأمسكتها من حشية  
ردائها وحديثه بمحالة قائلاً، «أنتها الأخت المقدسة، أحبريني، أرايت لسيده

لويستريس اية الورير الأعظم؟» ثم نكس ثمة إلا قلة قليلة من المواطنين لا تعرف مولاتي شخصياً في مصر لعديا، وقد أحبها الجميع لجمالها وروحها المشرقة وعريكتها الطيبة. وكانوا يحتشون من حولها ويهلون بها في اشوارع والأسواق إذا ما مشيت بينهم

عسست الكاهنة في روحه معقد ومع آبد ووصعت إصبعاً مخفاه على جانب أنفها مع نظرة حبيثة وحجيرة تؤكد أسوأ مخاوفه.

مزقتها ثانية، لكن بلطف أقل «أين هي أيتها الأم العجيبة العجوز؟ أستحملك أن تنطقي!» لكنها بدلا من ذلك هزت رأسها ودوّرت عينيها ناحية بوابات الحرم الداخلي

نطلقت فوق لابلط الحرائتي وقلبي يسبق في عدوه ساقتي لمسورتين، لكنني سجدت في قمة شقائي خساره مولاتي فرغم أنها تتمتع بحق دخول قدس الأقداس لكوبها من طبقه اسبلاء العبياء، أبتمتع سواها في مصر كلها بالشجاعة اللازمة ليختار مكاناً كهذا لموعده القرمي؟

توقفت عند مدخل الحرم لقد صدق خدسي كان كلاهما في الداخل، كما بهئت ناعماً واستعود نفسي الخاص فما بحري علي حتى إني كنت أصبح جهازا لأوقفه، ثم رحلت نفسي

مقد رابت مولاتي في لباس كامل. كل أكمل من عاداتها. إذ سترت ثدييها ونشرت فوق رأسها شألاً من لصوف الأزرق وكانت راحة أقدام تمال حايي الهائل، والإلهة تستطيع من فوقها، مريئة بأكاليل من رقيق الماء

وكان ثانوس راکفا بجوارها، بعد أن طرح عنه أسلحته ودرعه وكومها بحوار باب الحرم، ولم يعد لائسا إلا قميصاً كدسياً وجلالة مصبره، وستعل صندلاً شابك الشائي بديهما، وبينما كاد وحاهما يشرقن يهيسان بإجلال مفا

نُحِصْتُ شكوكي الخبيسة، واعتراي الدم وأخرى كيف أمكنني لشك في مولاتي؟ أخذت أنسحب بهدوء وإن كنت لا أنوي تجرد لمذبح الحدي، حيث سأقدم شكري للإلهة على حماسها، ومن حيث يمكنني مراعاة الإحرامات الإصافية بحد.

لكن في تلك اللحظة بهضت لويستريس واقفة ودنت من تمثال الإلهة بحل، وسحرتي بهاؤها البتتي حد أني تلكأت لحظة إصافية لأراقدها

ثم حُت من حول عبقها مُجسّم الإله اللازوردي لذي صعته لها، وأدركت  
بعضة أنها موشكة على تقديمه أضحية كدت قد صنعت لها هذه الحومرة  
بكل حبي ومعتت رؤيتها تغادر رعبتها وقعت بعد ذلك على رؤوس أصابعها  
وعبقته حول عبق اصدم، ثم بينما ركعت وقبلك القدم الحجرية كان تانوس  
شاهد ولا يران راكف حبت بركتته.

ثم بهصت واستد رث لترحم إله، لكنها رأني آسك في لمدحر، حاوت  
التلاشي في الظلال، فقد كبت مُخرجًا من قلصصي على لحظة بهذا القدر من  
الحميمية، لكن الغبطة أضاعت وجهها قبل أن أتمكن من الهرب وركعت إليّ  
فأمسكت بيديّ.

قالت «أوه يا تايئا، كما أنا سعيدة أنك هب، أنت دون الجميع! هذا ملائم  
جدا، ويجعل الأمر كله في غاية المثالية»، ثم ساققتني إلى مقدمة الحرم وبهص  
تانوس وحاء منسّم بأحد بيدي الثامنة، وقال: «شكرا لحضورك، أعرفت أن  
بوسعنا الاعتماد عليك دائما» تمنيت لو أن دوافعي كانت بالبقاء الذي يظن،  
لدا ححت وجداني المذب عنهما باستسامتي لمحبة

أمرسي لوستقريس «اركح هذا هيا، حيث يمكنك سماع كل كلمة بقولها،  
أحبنا الآخر ستشهد عينا أمام حاسي وكل آلهة مصره، وكبستني حتى برت  
على ركنتي ثم عاد وتانوس إلى مكانيهما أمام لإلهة وأمسك كل منهما بيد  
الأخر، باطرا في عيبه باما

نطق توستريس أولا خامسة «أنت شمسي يومي مطلم من بونك»

وأجابها تانوس بهدوء: «أنت نيل قلبي، مبه حبك تروي روحي»

- أنت رجلى، هي هذا لنام وكل ابحوام التايه

فقال تانوس بصراحة ووضوح، ورجعت الأوراق الحجرية صدى صوته،  
«أنت امرئي، وأعاهدك على الحب أفعم لك عيه بأنفس حورس وبمته»

فبكت لوستقريس: «أقبل عهدك وأرثه بك مصاعف مئة ضعف. لا يمكن  
لأحد أن يحول بيننا أبدا، لا شيء يمكنه تفريقنا، نحن واحد، إلى أبد الدهر».

وقدمت وجهها لوجهه فقبلها، قبله شديدة ومديدة كانت بحسب علمي  
أول قبله يتدبها الزوجان على الإطلاق، وشعرت بالامتيار لشهودي لحظة  
حميمية كهده

عندما تعانعا هددت ريح باردة مفاجئة البحيرة ودارت عبر أروقة المدرج حافثة الإصاءة مرجفة السنة لهب المشعل، فتشوش وحها العاشقين للحظة أمام عيني وبدت صورة الإلهة بهر وبومش، ثم صرت أنريح مسرعة هبوبها بنفسها بكن ممسها حول الأعمدة الحجرية الهائلة كأن أشبه بالصحكة الهازئة البعيدة للآلهة، فاقشعر جسمي برغبة حرافية.

إن استعزاز لآلهة بمطالب متهورة أمر خسر دائما وقد طلبت يوستريس المستحير لتو، كانت تلك هي اللحظة التي علمت من سموات أبها آنية، ولسي تهيئتها أكثر من تهيئي يوم موسي، فالعهد الذي قطعته تانوس ويوستريس لا يمكنه أن يصمد البتة، لا يسعه الاستمرار مهما كانت مشاعرهما صادقة. وشعرت أن قلبي يتمزق داخلي وعندما أنهيا القبلة واستدارا عودا إلي

سألني يوستريس ووجهها يعيض عبطة. «لم الحزن يا تايثا؟ ابتهج معي، فهذا أسعد أيام حياتي»

أجبرت شفتي على الانقسام، لكنني عجرت عن إبعاد أي كلمة شحيح أو مشاركة لهدس الانسب، أحب أنسب إلي في العالم بأسره، وظللت على ركتي، حاملا تلك الابتسامة الثابتة الخرقاء على شفتي، وأخراب في روحي.

ثم أبهمني تانوس واحتضني، وبينما يعانقني سألتني: «ستكلم السيد إنتف نياجة عني، أليس كذلك؟»

قصت يوستريس توسلها إني توسله، «أوه بلي يا تايثا، قمينصت أبي إنيك، أنت الوحيد الذي يمكنه فعل ذلك لأحسب أن تخيب، صميح يا تايثا؟ لم تحذلني قط، ولا مرة واحدة في حياتي ستكلمه من أحلي أليس كذلك؟»

ما محساي أقول لهما؟ لا يمكنني أن أسع من العسوة حد إخبارهما بالحقيقة اسرة عجرت عن نطق الكلمات التي ستفسد هذا الحب العن لرفيق كانا ينتظران أن أتكم، أن أعرب عن سروري نجلهم، وأن أعدهما بمسعدتي ومساندتي، لكن الكلام استعاض علي، وجف فعي كأسي قصمت رمانة قبة

قال: «ما الخطب يا تايثا؟» (راقبت العبطة تدوي عني محنا مولاتي الحبيب) لم لا سهج لأحلي؟»

قلت: «تعرفان أنني أحب كليكما، لكن...» عجرت عن لمتاعه.

فسألتني يوستريس: «بكر؟ بكن مانا يا تايثا؟ لم تزعجي بالأعداء والوجه المكهر هي أسعد يوم ممكن؟»



كان الغضب يرتفع فيها، وفجأها يتصلبان، لكن الدموع تتجمع في الوقت نفسه في عمق عينيها «ألا تريد مساعدتي؟ أهذه هي القيمة الحقيقية لكل ابرعود الذي قطعها عبر السبر؟» واقترعت مني زاحة وجهها في وجهي تحدياً.

قلت: «لا تكلميني بهذه الصيغة يا مولاتي أرجوك، أذا لا أستحق هذه المعاملة. لا، أنصتي لي! (ووضعت أصابعي على شفتيها لأحبط فورة أخرى)، ليست «المشكلة في»، بل في أبيت إن سيدي إنتف .»

قالت «بالصبط (وأبعدت يدي عن قمها بصير يكاد يطف)، ألي استذهب إليه وتكلمه كما تكلمه دائماً، وسيكون كل شيء على ما يرام».

فشرعت أقول: «دوستقريس (وكان استعمامي اسمها بهذا الأسلوب المحميم دليلاً على ضمي)، لم تعودي طفلة، ولا ينبغي لك تضليل نفسك بهذه الأوهام الطفولية. تعرفين أن أباك من يوافق أبناً ..».

لم تنصت إلي، ثم تردد سماع الحقيقة التي سأقول، لذا «دفعت كلمات قصدها أن تطفى على كلماتي: «أعرف أن تانوس لا يملك الثروة، أعرف ذلك. لكن مستقبلاً يدعاً يعتد أمامه. سيقود يوماً ما كل جيوش مصر سيخوض يوماً ما المعارك لي سعيد بوحيد المملكتين، وسأكون لي جاسه».

- اسمعيني أرجوك يا مولاتي. ليست المشكلة في قه ثروة تانوس وحسب، بل أكثر من ذلك، أكثر بكثير

سلالته ونسبه إن؟ أهذا ما يتغل علي؟ أنت تعرف حق المعرفة أن عائلته لا تقل نبلاً عن عائلتنا، فيياتكي سيد حاراب كان س والدي وأعز أصدقائه

كانت قد أصغت أذنيها عني. ثم تذكر فور المصيبة التي بحوض، ولا تانوس أدرك لكن من ناحية أخرى، ربما كنت الشخص الوحيد في المملكة الذي يفهمها حق الفهم

كنت قد حميتها من الحقيقة طيلة هدي السنين، وبالطبع، لم أقدر على إخبار تانوس كذلك، فكيف لي أن أقصرها لها الآن؟ كيف لي أن أكشف لها عن حجم الكراهية التي يكنها أبوها لشباب الذي تُحب؟ تلك الكراهية لمولودة من رحم الذنب والحسد، والتي ترداد حقداً للأسباب نفسها.

لكن سيدي إنتف رجب أفات ومروج بإمكانه حجب مشاعره عن المحيطين به، وإخفاء كراهيته وضغينته، وتقيل الشخص الذي يوشك أن يدمره وإعدق إهدايا التهمة وإملاطقات المسكنة عليه. كان يتحلى بصبر تمسح كامل في الصين عند سهل المهر ينتظر الظبي الغافل يمكنه الانتظار لسنوات، بل حتى يعقد، لكن ما إن تفتح الفرصة أبوابها حتى يصرب بسرعة ذاك الراحف ويجز فربسته إلى افعر

كانت لوسقريس دهنه زهولاً بهيجاً عن ضعبية أبيها، حد تصديفها أنه أحب بيعانكي سيد حراب، كما أحبه أبو تانوس لكن من ناحية أخرى، فأنى لها أن تعرف حقيقة الأمر وقد وقيئها منها. على لدم؟ كانت سرءنها العذبة مقتنعة أن الإصراسات الوحيدة التي سبدها أبوها على حبسها هي الثروه والعائلة.

- أنت تعرف أمها الحقيقة ما تافا. تانوس ندي في قوائم النبالة، وهذا مكتوب في سجلات المعبد لإراء الجميع. كيف لأبي إنكار ذلك؟ كيف لن إنكاره؟

- ليس بإمكانني الإنكار أو الإقرار يا مولاتي ..

- إذن ستكلم أبي من أحسب. أليس كذلك أيها العزيز تايقا؟ قل إنك ستكلمه، أرجوت قلها!

لم يسعني إلا حي رأسى دعائاً، وإخفاء البطرة القانطة في عيني.



كان الأسطول مُثَقلاً بالحمويه في طريق عودتنا إلى الكرك وغانص أبدان القوادم في الماء تحب شحذتها من اجلود الحام واللحوم المملحة. فباتت تقدم في عكس اتجاه تيار النيل أبطأ منه في رحلة حروصنا لكنه ظل رغم ذلك أسرع مما يحمله قلبي المُثقل وفزهي المتعاطف.

تهلل العاشق وجذلا محبه المعلن حديثاً وثقتهم في لأريل العقبات من صريقتهما، وعمرت عن حمل نفسي على حرمتهما يوم الفرح هذا. لمعرفتي أنه سيكون أحد أيام الفرح الأخيرة التي سيعيشانها أحسب أنني لو تمكنت من استحصار لكلمات أو استجماع الشجاعة اللازمة، لحدثتهما - في ذلك المكان والزمان - على إكمال حبهما الذي عارضته أيم معارضة في الليلة السابقة، ذلك أنهما بن يثالا فرصة ثانية أذاً، ليس بعد أن أحذر سيدي

إنْتَفَ عن طريق محوري محكمة بالفشل في الوساطة لهذا الزواج حالما  
يعرف ما يوشك أن يفعله، سيحول بينهما ويفرق شملهما إلى أبد الدهر  
لدا صحت وانتسحت بابتهاج مثلهما، وحاولت إحقاق محاوفاي عنهما،  
وكان أحب قد أعفهما حد أنني تجحت، بينما في أي وقت آخر كانت مولاتي  
تعلم ذات صدري من هورها، فهي تعرفني تفريقاً كما أعرفها.

جلسا معاً في الجؤجؤ ثلاثين، وناقشنا إعدادة تمثيل آلام أوزيريس،  
ما سيكون لعنوان البار في المهرجان، عهد عهد سيدي، إنتف إلى إدارة  
الحفل، وصحت كلاً من لوستريس وتانوس دوري البطولة

يقام المهرجان كل سنين، عند إشرافه من أوزيريس التمام. من زمان  
كن المهرجان فيه مناسبة سنوية، لكن نفقات احياة الملكية واختلالها  
السحيق عز الفل الاصطرازي للبلاد من إفتنتين إلى طيبة كانا هائلين حد  
أن الفرعون أقر مدة فاصلة أطول بين المهرجانات، لظالما كان فرعوناً رحلاً  
متعلقاً في ما يخص ذمبه.

وفر لي التخطيط للحفل إلهاء ممتازاً عن المواجهة الشخصية مع مولاي  
إنْتَف، لدا رحت أمرن عاشقين على سطورهما أوكلت إلى لوستريس دور  
إيزيس<sup>1</sup>، زوجة أوزيريس، في حين تولى تانوس دور خورس البطولي.  
كان كلامنا متسلطاً كثير التسي فيكرة أن يؤدي تانوس دور من لوستريس،  
و صطرت إلى أن أشرح لهما أن الآلهة دائمة اشبيب، وأنه من الممكن أن  
تدو إلهة ما أصغر سناً من ذريتها

كنت قد كنت بصاً حديثاً سحفل بدلاً من النص الذي ظل دون تغيير  
لألف سنة تقريباً، فتخ النص القديم عتيقه وغير موافيه للجمهور المعاصر،  
وسيكور لفرعون ضيف اشرف عندما يُقدّم الأداء في معبد أوزيريس في  
الليلة الأخيرة من المهرجان، لدا اششع بالي بنجاحه أيما اشغال، وقد واجهت  
بالفعل معارضة لنسحتي الجديدة من الآلام من البلاء والكهنة الأكثر تحفظاً،  
إلا أن تدخل مولاي إنتف عب على اعتراضاتهم.

وسيدي ليس رجلاً شديد الدين، وما كان ليُزج بنفسه في الأحوال الطبيعية  
في سجالات لاهوتية لكنني أدرجت بضعة مصور مصممة لتعبيته وتماثقه،

1) إيزيس، إلهة رئيس في الديانة المصرية القديمة كان أول ذكر لها في أسطورة أوزيريس حيث  
أحييت زوجها ملك الآلهة المذبوح أوزيريس والجب وريته خورس. (المترجم)

وعراتها، عليه معتطعة من سباعها، ثم نُوهت بلبابة بأن المعارضة الكبرى  
لنسختي مصدرها كاهن أوزيريس الأعلى، وهو عجور متمرّت أحبط ذات مرة  
اجتمام عيدي إشتف بشمس شاب وسيم، وكان ذلك تجاوراً لم يسامح مولاي  
الكاهن الأعلى عليه قط.

وهكذا تقرر أن تؤدى نسحتي للمرة الأولى، فكان أمرًا جوهريًا أن يُبرر  
المتصور مهابة شعري كلها، وإلا قد يكون أمر مرة تُسمح فيها

وكان كل من قانوس ولوستريس يحوز صوتًا خطابيًا مُدهشًا، واعتبرا  
مباراتي على وعدي بمساعدتهما فلقنما لي أفضل ما عندهما، وهكذا كان  
لاختبار أحادًا والإلقاء مذهلاً حتى إنني بسيت نفسي لوهلة

ثم أعادني نداء الراصد من لأم الآلهة إلى شواغلي اندنيوية لخاصة إلمع  
لسرب آخر حيات النهر، حيث تقبع المدينيتين التوءمتين «الأخصر والكرنك»،  
وبينهما تقوم هضبة لكبرى، مرسمة على الضفة أمامنا فتلقي كعقد من اللآلئ  
في أشعة الشمس لمصرية الصارخة لقد انتهت فصدنا الرائع، ولا بد لنا من  
مواجهه الواقع مرة أخرى، وبينما أنهض وقفاً شعرت بانهايار معنوياتي.

- قانوس عليّ أن تنقلني ولوستريس إلى قدس كراتاس قبل أن  
نقترب أكثر من لمدينة، فثبع مولاي سيرصدونا من اليابسة، ولا  
يشغني لهم رؤيتنا بصمتك

ابتسم لي قانوس وقال «لقد تأخرت بعض الشيء»، أليس كذلك؟ كان  
سحر بك التفكير في ذلك قبل نصة آدم».

وأيدت لوستريس احتجاجه «سيعلم أبي بأمرنا في لقريب العجل وقد  
تسهل مهمتك، ر أحظركم بنوايانا مقدما»

هاكتسيكُ أصيب سحنه عيدي وأكثرها استياءً قائلاً «إن كنتما أعلم مني،  
معلكما المصبي بالأمر بطريقتك ولن أؤذي أي دور إضافي في قصصكما  
لمحنوية هذه»، فتراجعا من نورهما.

أشار قانوس لقدس كراتاس أن يقترب حائياً لم يكن أمام العاشقين  
سوى لحظات قليلة يتودعا، ولم يجرؤا على اعتناق أمام أعين نصف العرب،  
كنّ النظرات وكلمات الحب لتي تبادلتها أدت العذبة نفسها تقريباً.

لوحيا من برج كوثل سفينة كراتاس لألفاس حورس وهي تبتعد  
عنا وتنطق بمجديها اللّعة كأجنحة ايعسوب إلى عرساها أمام مديحة  
الأقصر، في حين تأسعنا طريقنا أعلى النهر إلى قصر الوزير الأعظم.

#### البناء

حالما رسونا على الرصيف البحري لبقصر، أُجريتُ تحقيقًا حول مكان  
مولاي وارتحتُ لمعرفة ما كان قد عثر النهر ليقود تفتيشًا تقرر في آخر دقيقة  
لغير الفرعون والسعيد الحائري عى الضفة الغربية كان قصر اسك ومعهده  
في البناء منذ اثنتي عشرة سنة، منذ أن اعتمر تاح اسمكتين دي الأبيض  
والأحمر وقد قُرب من الاكتمال أخيرًا، لذا سيتوق الملك إلى ريارته حال  
انتهاء المهرجان وتعرعه له، وكان العلق يعزو مولاي إنك خشية أن يخيب  
أمل الملك، فحارس المقابر الملكية أحد ألقاب سيدي وتشريفته الكثيرة،  
والها مسؤوله ثقيلة.

منحني غيابه يومًا إضافيًا أحضره حجتى واخطط استر تيجيتى، هي  
أي حال كان الوعد المقدس الذي استخلصه العاشقان هي هو أن أتكم  
بالعبادة عندهم عند أول فرصة، وكنت أعرف أن ذلك سيكون في الصباح عندما  
يعقد مولاي جسسه الأسبوعي.

وحالما رأيت مولاتي وقد استكثت بأمان في الحريم، هُرعْتُ إلى مهجتي  
العاص في جناح لقصر المعصن لأصحاب الوزير الأعظم المعزين.

كانت ترتيبات سيدي إنكف الممزية بمستوى مكر بهية وجوده نفسه، فله  
ثمانى زوجاء، كلهن جليلن إلى سرير زواجه إما جهازًا هائلًا وإما علاقت  
ساسة نافذة لكن ثلاثًا فقط من هاته النساء حملن أطفاله، وأحب صديق  
إلى جانب سيدي لوستريس.

بحسب علمي، وقد كنتُ عنيًا بكل ما يجري داخل القصر ومعظم ما  
يجري خارجه، لم يَرُ مولاي الحريم في السنوات الخمس عشرة الأخيرة،  
وكان إنجاب لوستريس أمر مناسب أوى فيها واجباته الزوجية، ذلك أن  
ميوله الحسية تسلك مسالك أخرى، فعشرته الوزير الأعظم الخصوصيين  
الذين يعيشون في حاشنا من القصر مجموعة من أحمل ما يمكن إيجاده من  
العبث في المملكة العليا، حيث جلب العناية بهم في المئة عام المنصرمة

محل صيد طيور السماء والصيد البري بوصفها الشاغل المفضل لمعظم النبلاء  
وهذا محض عرض خرم من أعراض الأسقام التي اكتسفت أرضها الحبيبة.

كنتُ لأكبر سنًا في مجموعة القلعان المسحارة هذه، وهي عكس الكثيرين  
ممن جاءت بهم السنون غيري، لذيذ ما إن بدأ جمالهم الجسماني بالزوال  
أو الخبو حتى أرسلهم سيدي إلى المزار العسي في سوق النخسة صمدتُ  
وليس لأر حماسي قد ذوى، بل لعكس، فقد ازداد حادية مع بصوحي. ولا  
تحسنتي مغرورًا بل ما ذكرت ذلك، لكنني اعترفتُ ألا أبؤن إلا الحقيقة في  
هذه الحكايات، فهي استثنائية بالحد الكافي من دور لن أضطر إلى اللجوء  
للتواضع ارتفع.

لا، فما شعر مولاي نفسه شأسي في تلك الأيام، ويدا له من تجاهل امتعتُ  
له حق الامتنان وحيما كان يفعل ذلك، كان يقعه عادةً عقابًا بي، فهو مدرك  
تمام الإدراك الأعم لبدني والإذلال الذي طالما سببته ملاصقاه لي. ورغم أنني  
كنت لا أزال صعلًا عندما تعلمتُ، حفاء اشمرازي وتصنع المتعة في الفصل  
لمحروقة التي أجبرني عليها، قلم أجد في خداعه قط.

وعلى نحو غريب، لم تنتقص مشاعر نفرتي وبغضي لهذا الأمر الشاذ  
شيئًا من ملذته البتة، بل بدا أنها تعمرها إذ لم يكن سيدي إنلف رحلًا لملقًا  
ولا عطوفًا. وقد أخصيت على مر السنين المئات من الخلعان الذين جلبوا  
إليّ ممزقين ينتحبون بعد أول ليلة مع مولاي كنت أطبهم وأبذل جهدي  
لأواسيهم، وربما هذا سبب مناسيتهم لي نأج-كبر في مهاجع العلما، وهو  
اسم يعني الأخ الأكبر.

لعمري لم أعد ألعوبه مولاي المفضلة، لكنه ثقتني أكثر من ذلك بكثير، فقد  
كنتُ أشياء كثيرة أخرى في نظره طيب ونداء وموسيقيا وسدًا وعماريا  
ومحاسنًا ومستشارًا ومؤتمنًا ومهدسًا ومريًا لابنه، لستُ سادج حد  
تصديقي أنه أحسن أو وثق بي، لكنني أظنه اقترب من ذلك في بعض الأوقات  
بقدر استطاعته ولهذا أثقتني لوسفريص بمباشرة نيابة عنها

لم يشعر سيدي إنلف شاغل في ما يخص ابنته الوحيدة إلا الحفاظ على  
قيمة زواجها في حيف الأقصى، وكان هذا واجبًا آخر أوكله إليّ بالكامل كن  
أحيانًا لا يكلمها كلمة واحدة من فيصن حتى تاتي، ولم يظهر أي اهتمام  
محموظ في التقارير المنتظمة التي أعدها له عن تدرسها ودرستها

وبالطبع، لطالما غاشت لأمرّيس في إطفاء مشاعري الحقيقية بحاء  
لوسرريس عنه، لمعرفتي أنه سيستغلها صدي عند أول فرصة بلا شك.  
حاولت دائمًا إعطاءه بطيخ أسّي أرى تثقيفها والعناية بها واجبًا غليظًا أستاذ  
بعض الشيء من فرضه عليّ، وأثني أشاركه أراءه ونفوره من جنس النساء  
كله لا أحاله في أدرك قبلاً أنثي، ورغم حصاني، كنت أحمل دخلي مشاعر  
ورغبات رجل طبعي بأحبة الجنس الآخر.

كان اصراف سيدي عن اسنه السب الذي أعواني بن الحين والآخر، بحث  
إلحاح مولاي، علي خوص محازفات محبولة كرعوبنا الأخيره هذه علي من  
أمفاس خورس، إذ إنه يمنح احتمالاً علي الأقل أن ننجو بفعلتنا.

امكأنت منكراً في سبك اسساء إلي مهممي الخاص حيث كان هسي لأول  
إطعام أعزائي وتديبلهم، أعشق الطيور والحيوانات، وعندي قدرة على التعامل  
معها تذهلي شخصياً. كانت تربطني صداقة حميمة بدزينة من القطط، ذلك  
أنه لا أحد يمكنه ادعاء امتلاك قطّة أبداً، بيد أسّي امتلكت من لياحية الأخرى  
رمرة من الكلاب الممتارة، وكنت وتانوس نستخدمها في جسد المها ومضاع  
الصحراء

كانت الطيور البرية تتوافد إلي شرفتي لتدعم بحسن صداقتي، وتتنافس  
بصحب فيما بينها على مجثم<sup>(1)</sup> فوق كتفي أو على يدي، والجسور بينها يأخذ  
طعامه من بين شفتي. اعتاد عرلي الأليف أن يحتك بساقي كإحدى القطط،  
وصقري أن ينفقنا<sup>(2)</sup> لي من مجثميهما على الشرفة كما صقري صحراء  
ناريين، حميلين وضاربين، وكنت أنا وتانوس -متى استصعبنا- بأجرهما  
إلى اصمراء لنطرنهما خلف صبور الحباري العملاقة، فأدعج عظم البهجة  
يسرعتهما وبهاتهما الجوي عندهم ينقصان على فرستهم لو حاول أي أحد  
عيري مداعبتهم، نال منه الحد العاطح لتلك المواقير الصمراء المعقوبة،  
لكنهما بين يدي بصيران مهانين كالعصافير.

ثم أباد أحد الغلمان ليحلب لي وجبة عشائي حتى انتهيت من الاعتناء  
بحديقة حيواني، فجلست في شرفتي المطبة على الامتداد الأخضر لواسع  
لنيل لثاً بطبق العُسن البري الصغير الدحر المطهق بالعسل وحليب الماعز  
الذي أعدّه لي كبير الطباخين خصوصاً ليرحب بعودتي إلى الدار، ومن هناك

(1) المجثم: مكان حثوم الحيوان أو العناصر (المترجم)

(2) انطفئة: صوت الصغار الرقيق. (المترجم)

يمكنتني ارتقب عودة صندل<sup>١</sup> سيدي من الصفة البعيدة ثم جاء والشمس  
تتقد على اشراع المربع لوحيد وشعرت بمعبوياتي تنحسف قد يرسل في  
طلي هذا المساء، ولست مستعداً لمواجهته.

ثم عرسي الارتياح عندما سمعت راسفر فاند حرس العصر، يناي  
محطتي سيدي في ذلك الوقت، وهو فتى بنوي دو عيين لوريثين داكثين  
لا يكاد يبيع اعاشرة من حمده، بعد فترة وجيزة، بينما سمعت الولد يحتج  
بصوت عالي الطبقة كن يجزّه راسفر من أدم باي إلى المدخل المغطى  
باستائر لحدود الوزير الأعظم. ورغم أمني سمعتها مرات كثيرة من قبل، لم  
أقدر على تقسية نفسي في مواجهة أصوات الأطفال وشعرت بغصة شففة  
المعهودة. أراحي رغم ذلك أنني لم أكن المطبوب في تلك العشية، ذلك أنني  
سأحتاج إلى يوم هين لأظهر أنني صورة في الصباح

استقبلت قبل الفجر وشعور الحزع ما زال ينقل كاهلي، وحسني سباحي  
الطقس في مياه الببل الباردة لم تحفف منه شيئاً، فعدت مسرعاً إلى عرعتي  
حيث ينظرني غلامان بدهما حسدي بالربت ويسرح شعري، كنت أمت  
بدعة لتبرج الجديدة بين الذلاء، فجلبني وبشرتي نقيين بأحد الكافي لئلا  
يحتاجن إليه، لكن سيدي بعد أن سرج حسنة، وأردت إعادته في ذلك  
اليوم تحديداً

ورغم أن صورتي في المرأة البروبرية طمأنيني، لم أجد قابلية على تناول  
مطوري، وكنت أول عضو من حاشية مولاي يشطر وصوله هي الحديقة المائية  
حيث يعقد جلساته كل صباح

سما أنظر اجتماع نقية المجلس، رحب أراقب الرمايات<sup>(٢)</sup> لعبكة  
في عمها كنت قد صممت الحديقة اعائية وأشرفت على نباتها، فالتحت  
مُحملاً حبناً من الفواكه والبرك التي تبصر إحداهما إلى الأخرى، وخمعت  
اسباتات الفزرة من جميع أجزاء المملكة وما بعدها، فرسمت لوحة ألوان  
بمدر الأنصار، وزودت البرك بمئات صروب الأسماك التي يهبها العين شمال  
الصيايين، لكن كان لزاماً، عادة ملئها يومياً نفحة لسرقاد الرمايات

(١) الصندل. سفينة نقل مسطحة الشراع تستخدم في الأنهار وبحرها. (المترجم).

(٢) الرمايات. صيالة من المهور تنتمي إلى الشفراقيات. (المترجم).



كان سيدي إلتف سميع بمراقبة الطيور وهي تحب في الجو كأحبار  
لازوردية، ثم تنقض تنضرب الماء في ومضة رداً وثرثبع ثانية حاملة شطقة  
فضية تنفص في مفايرها الصويلة أحسب أنه كان يرى نفسه ممترساً  
مثلها، سياد رحال، وأنه كان يصير إلى اطيور على أنها من بني قومه، لم  
يسمح للبستانيين بمكافحتها قط.

انضمت إلي بقية المجلس بالتدريج، وكان العديد منهم أشعث ومتثائلاً  
من ثار النوم، أما سيدي إلتف فأحب الاستيقاظ باكراً وإجاء معظم أعمال  
الدولة بين اشتداد حرّ النهار، إذ جلسنا منتظر وصوله باحترام تحت أشعة  
الشمس الأولى.

ممن الحاجب وهو يتحدث مكانه بجواري دابة في مزاج حسن هذا  
لصباح، وشعرت بوخزة أم ضئيلة قد أتمكن من النجاة من العواقب  
لحدية لوعدي الأرض الذي قطعته للوسريس.

ثم قام اضطراب وعممة بيننا عندما هب نسيم الحور من بين أحواص  
الجردى وخرج سيدي إلتف عينا.

جاء بمشية فهيبة وهيئة مُتروفة، فقد جعله ثقل القلب وسلطانه متعطرساً،  
وكان محيطاً عمقه بنهب الثناء، وهي قلادة من ذهب أحمر مستخرج من  
مناجم بوت ألبسه إياها العرعون يبيده، معبفه مدأحه، القزم محبب اساقين  
الذي اختير لجسده المشوه وصوله الجمهوري، إذ طألم تسلي سيدي بإحاطة  
نفسه بالطرف، حميلة كانت أم شعبة، وراح القزم -متحترزاً ومتوثباً على  
ساميه الممؤستين- يترجم بعائمة ألقاب سيدي وتشريفاته.

«انظروا عماد مصر! حيوا حارس مياه النيل! اتحدوا أمام صاحب  
العرعون!».

كانت كلها ألقاب محبة إياها الملوك، والعديد منها يعرض عليه واجبات  
والترامات معينة، فمثلاً، كان مسؤولاً بوصفه حارس مياه النيل عن مراقبة  
مستويات انقيصانات الموسمية للنيل وتدفعاتها، وهو واجب عُوض بطبيعة  
الحال إلى العبد المخلص ثابت الذي لا يعرف التعب.

وأمصيت نصف عام مع فريق من المهندسين والرياضيين لعامين تحت  
إمرتي، بقيس الحروف الصخرية في أسوان وتحفره حتى يصير بالإمكان  
معايرة ارتفاع الماء الذي يعوي بدقة وحساب حجم الفيضان، ومن خلال

هذه الأرقام تمكنت من تقدير أشهر الحصاد مُقدِّمًا، ما سمح للحكومة بتزويد كل من القمح والتمر والوزرة والتخطيط لهما وسُرَّ المرعون من عملي وأوسع المرید من انشريفات وانكفاءات عی مولای إبتفہ.

«ارکعوا أمام أمير الكويت وحاكم كُور مصر العليا الاثنین وانعشرون کلها حیوا سيد المدينة الجناثیة وحافظ لمقابر لملکیة ،

وتنف بهذه الألقاب، کان سیدی مسؤولاً عن تصعیم وبذاء أضرحة الفراعنة ایدی بوفوا مد رمی بعید والیدی لا یرایون أحياء والحفاظ علیها. ومرة أخرى، ألبیت أوزار هذه الواجبات علی کتفی العبد طویں الأناة. کانت زیارة سیدی إلی قبر المرعون البریحة أولى زیارته منذ مهرجان أوزیریس الماضي، وکنت أنا من أرسن فی الخیار والقیط لیلصف المعماریین الکذابیین والبیاتیین امتأمرین وبشتعهم. کثیرا ما ندمت علی لسماح لسیدی بإبراک مدي مواهبی.

احتضني من المجموعة من دون أن يظهر ذلك، إذ لامست عيناه الصعراوين الحافيتين كعيني فهد بري عيني وأمال رأسه بعض الشيء، فمشيت خلفه عندما مر، ودُهلتُ كما أدهل دائم إزاء طوله وعرض كتفيه كمن رجلاً وسيمًا وسامه صارخه ذا أطراف طويلة ورشيقة ويطن مسطح صلب ورأس أسدي بريّه شعر كثيف لمّاح، وكان عمره آنذاك أربعين عامًا قضيتُ عشرين منها مقرّبًا عنده.

قادني سیدی إفتف إلی نجلّة في وسط الحديقة، وهي بناء مسقوف بلا جدران محيطية تحب نسيم النهر البارد، وجلس مثنياً على الأرضية المرصوفة إلی الطاولة المحضبة التي بُسط عليها لفائف الدولة، وتحدث مكاني بعدد خلفه لقد سألت أعمار النهر

وفي حلال الصباح، مال سببي ميلاً طفيفاً إلى العلف مرسى، لم يُدر رأسه ولم يمس بيت شمه، لكنه كان يطلب نصيحتي، وتكلمت بصوت خفيض من دون أن أحرك شفتي تقريباً، فلم يسمعني سواء ولم تدرك إلا قلة قبلة هذه التبايلات بيننا

غممعتُ مرة «إيه كذاب»، وثانية: «ريقك رجل أئمل لمنصب، وقد عرض هديه قوامها خمسة حواتم ذهبية لحزينة سیدی لخاصه» وحاتم ذهبي أحمر لي، د ما ضمن المنصب، لكنني لم أذكره آنذاك.

عند الظهيرة صرف سيدي جمع المسؤولين والمُتمسرين، وطلب وجبة منتصف النهار الخاصة به. ولأول مرة في ذلك اليوم، بقينا وحدنا، فيما عنا واسفر، الذي كان قائد حرس القصر وجلال الدولة الرسمي في آن معاً، واتخذ موقعه عند بوابة الحديقة، حيث تكون الطلّة في مرمى نظره لكن خارج مجال سمعه.

دعاني سيدي بإشارة منه لأتقدم إلى جوار مرقفه وأندوث اللحوم والعاكهة البديئة التي مُنت أمامه، وبينما انتظرتُ أن تظهر أي آثار تسمّم محتملة بنفسها فيّ، ناقشت أعمال الصباح بالتفصيل.

ثم سألني بخصوص الحملة على بحيرة حابي وصيد أفراس النهر العظيم، فبيّنت له كل شيء وأعطيته أرقام العوائد التي تنتظره من لحوم أبقار النهر وجلودها وأسديها مصغفاً التقديرات بعصا شيء، فاستمع، كانت انتسامته صريحة وهاتئة، وما إن يراها المرء حتى يعلم قنرة سيدي لثقت على القلاعب بالرجال واتحكم بهم، وحتى أنا، من ينبغي أن يكون أكثر تعقلاً، تحدثتُ بها مرة ثانية.

وبينما يقضم قطعة عصاة بارده من شريحة لحم هرس نهر، جررتُ نفسي واستحصرتُ حراةتي وبدأتُ مناشدتي: «لطبعم سيدي أنتي سمحت لانتكم بمرافقتي في الحملة»، ورأيتُ في عينيّه أنه كان يعرف ذلك بالفعل ويتنظر أن أحاول إحقاقه عنده.

سألني تلتطف «ألم تفكر في طلب إيدي سابقاً؟»، متحاشيتُ البطر في عينيّه وبينما ركزت على تفسير حبة عنب له أجبتّه «لم تسألني إلا عندما كنا على وشك المعادرة، وكما تعلمون فإن حابي راعينها، وكانت ترغب بعبادتها وتقديم أصعبها لها في معد البعيرة».

فكرّر كلامه «لكنك لم تسألني بأي حال، أليس كذلك؟»، وقدمتُ به حبة المدب، لباعد بين شففتيه وسمح لي بوضعها في فمه. ولا يمكن لذلك أن يعني إلا أن موقفه ودّيّ ناحيتي، إذ من الواضح أنه لم يكشف بعد الحفيضة بكامة لخصوص قافوس ولوستريس.

- كان سيدي في مجلس مع أمير أسوان آنذاك، ولم أكن لأحرز على إزعاجه. وأيضاً، لم يكن ثمة لأيّ من يسعني إدراكه في الأمر، كان قراراً منزلياً بسيطة ارتأيتُ أنه لا يرقى لاهتمامكم

معهمه وثلاً: «إن لسانك لمحسول جداً يا عزيزي أليس كذلك؟ وإليك لبالغ الجمال اليوم. تعجبي طريقة تلويك جفتك، وما هذا العطر الذي يفرح منك؟»

وأحببه: «به مَطَر من ملات استفسج لبري، وقد سعدتُ جداً لأنه أعجبكم. دلت أن بحورتي حنجوراً منه هدية صغيرة لكم يا سيدي». وأحرج لبحور من محفظتي وثقت على ركنتي لأقدمه به فوضع إصبع أسفل نفسي ورمح وجهي ليعتلي. ومنتحت لقلته استماية ملؤها الواجب حتى سحب ورثت خذي.

- أياً ما كان ما قنتويه، وإليك لا تزال في غاية الجاذبية يا ثايتا ما رلت قدر عى جعلي ألتسم حتى بعد كل هدي الستين لكن أحسرتي، لقد أحسنت الاعتناء بالسيدة لوستريس وبم تتركها تغيب عن نظريك لحظة، أليس كذلك؟

فواقته بحبة «كما هي الحال دائماً يا سيدي»

- إذن ألا يوجد شيء غير اعتيدي فيما يخصها قوداً إبلاعي به؟ كنت لا أزال على ركنتي أمامه، وفشلت محاولتي التالية لكلام جف صوتي

لمضحك قائلاً: «لا تصرُّ أمامي يا عزيزي القديم، انطو كالرجال، وإن لم تكرر رجلاً» كانت سحرية صنيعة لادعة، لكنها مدنتني بالقوة.

ثمة بالفعل أمر أروع بكل صفة أن ألقت انتباه سيدي إليه وهو في رافع الأمر يحص سيدي لوستريس، كم أبلغتكم بالفعل، فقد طلع قمر ابنتكم لأحمر للمرة الأولى عند فيضان النهر العظيم، ومذ ذلك الحين، أخذت بورانه يتدفق بشده كل شهر.

أندى سيدي بحوث كره صغير، ذلك أن وفائف الحسد لأشوي تنقره وكان بك هي رأي من سحرية البدر، بالنظر إلى «بهماكه في القطاعات الحسدية الذكورية الأقل لدة بكثير.

فاستعجلت كلامي. «إن سيدي لوستريس الآن في عمر مناسب للزواج وهي امرأة ذات طبيعة متقدة ومجدة أرى أنه من الحكمة أن محد لها روحاً بأسرع وقت ممكن».

فمالي بحفاف: «ولا شت في أن ليدك روح تقترحه صحيح؟»

أومأت برأسي «ثمة حاطب بالفعل يا مولاي».

ليس حاطبًا واحدًا يا تايقا، بل تعصد أن تقول حاطبٌ آخر، أليس كذلك؟ فأنا أعرف ستة على الأقل، من بينهم أمير أسولن وحاكم لوت للدين، سَما عروصًا بالفعل.

- لقد عييتُ حاطبًا آخر بالفعل، لكنه هذه المرة حاطب وافقت اسيدة لوستريس عليه، ذلك أنها، وكما تذكرين، أشارت إلى الأمير بقولها «إن الضمير العدين» وإلى لحاكم على أنه «ماعر عجوز شهواني».

هزُّ رأسه قائلاً: «إن موافقه الطفل أو رفضها أمر لا يهمني لبقّة (ثم ابتسم ووسّس حدي ليشجعني)، لكن تابع يا تايقا، أحمرني باسم هذا الحُبِّ الملهوف الذي سيشرّقي بأن يصير صهري مقابن أثري جهاز في مصر (مقوِّت نفسي للإجابة، لكنه أوقفني بقوله) لا، انتظرا! دعني أحرره».

ثم استدلت اسمته إلى تلك التكمشة الحسنة لذكره لتي أعزها حق المعرفة، وأدركت أنه يعابثني.

تظاهر بأنه يتفكّر في المسألة «كي تفيل لوستريس به، لا بد أن يكون شيئًا رومانيًا، ولكي تتكلم أنت فعائنه، لا بد أن يكون صديقك أو ربيبك ولا بد أن فرصة ما قد سجدت لعمودج الكمال هذا ليعلن طلبه ويستجدي دعمك. عجب ما نراه يكون الرمان والمكان المناسبين لحدوث ذلك؟ أترأه منتصف السيل في معبد حابي؟ هل أسيّر في الأثر الصحيح يا تايقا؟».

شعرت بلوي يشحب. كيف عرف كل هذا القدر؟ ثم أوثق يده خلف رأسي وداعب فعا هنفي. كانت هذه الحركة في الغالب تمهيدًا للممارسة المصقوفة، وقبلني، وقال: «يمكنني أن أرى في وجهك أن تخميناتي قريبة من الهدف (وأخذ حفنة من شعري في يده برّما إياها برّما حفيماً)، لم يبق علينا الآن لا التكهّن باسم هذا الحاشق الحسور أترأه ذاكا؟ لا، لا، هذا كما ليس عبثًا بالحد الكافي ليمسثير سمطي (وبرم شعري بقوة تكفي ليقنع عساي بالذموع). كراتاس إذن؟ إنه وسيم وأحمق بما يكفي ليتخذ المجارفة، وبرم بقوة أشد حتى شعرت أن كتلة من شعري خرجت في يده مصبرة صوت مرق، وسحبت لأنه في حلقني.

قال: «أجبنني يا عزيزي، أكان كراتاس؟»، وأنزل وجهي إلى حشره نابوقة.

فهمست متألمًا: «لا يا سيدي» كان مستثنًا سنثارة نامة ولم يفاحثني ذلك، ثم حشر وجهي في حجرة وألقاني هناك.

ونصّح الحجرة: «ليس كراميس؟ أوافق أم لا؟ إن لم يكن كراتاس، فقد أعبثني الحيلة إذن في تخمين من سواه قد يكون على هذا القدر من الوقاحة والإهابة والعناء القاتل لسقرب من الامة العدا،» لورير مصر لعليا الأعظم،  
رفع صوته فجأة وصاح: «راسفرا»، وكان رأسي ملوئًا في حجرة رأيت من بين دموعي راسفر يقترب

في حديقة حيوان القرموز على جزيرة الضفتين في أسوان، كن ثمة دب أسود عملاق جلسته القوافل التحارية قبل سدوات عديدة من الشرق، وصلب ذكرني ذلك المتوحش لمذب الشرس بقائد حرس سيدي لشخصي أيضًا تذكير، إذ إن كليهما يتمتع بأجسد الهائل معدوم القوام نفسه والقوة البربرية المحة الكالية لطحن رجل حتى الموت. لكن من حيث ملاحظة لوجه وعدويه الطبع، كان الدب مفضلًا على راسفر بكثير.

راقبته يبدو في هرولة سريعة ورشيقة على نحو مما جرى بالمسلة إلى سدك الصامس اثنتين الشبهتين بشرتين وبطنه المنتفح مزير الشعر، وحملت عودًا عبر المدين إلى ليوم الذي اجتث فيه رجواتي.

بدا كل شيء مألوفًا، كأني أحيى على عيش ذلك اليوم الرهب مرة أخرى، فقد كانت تفاصيله كلها لا تزال واضحة في ذهني حتى إنني أردت الزعيق ملء صوتي، وكان ممثلو تلك المأساة القديمة أنفسهم: سيدي إنتف، وراسفر المتوحش وأب، إلا أن الفناء عاثبه.

كان اسمها أليدا، وكانت في سني بعشها، سب عشرة سنة بريئة، وأمة مثلي، أذكرها الآن على أنها حميلة، كن من المرحح أن ذاكرني بحديثي علو كانت كدك لأرسلت إلى حريم إحدى العائلات الكبرى، لا أن تبعث إلى المطبخ وأعرف بقصتها أنها كانت تبيع بشره بلون وبريق الكهرمان المصقول وأنها كانت داخلة وبعمة الممس، لي أنسى شعور ممس جسد أليدا أبدأ، ذلك أنني لم أختبر شيئًا مثله ثانية. كان واحد قد وجد اصلوان وحالض العراء لي الآخر، ولم أكتشف قط من الذي خائف، لست رجلًا انتقاميًا، لكنني ما رلت أحلم أنني سأحد الشحص الذي وشى بنا يومًا ما

كثت في ذلك الحب محظي سيدي إنقف، غريزه الممصر، وعدم اكشف  
أنبي لم أكن مخلصاً له، أصاب كبرياءه جرح عميق، دفعه إلى حدود لغته.

فحاء راسفر بيأحدا، حاراً إياما، كل في يد، إلى مخرج سيدي إنقف  
مسهوة كما لو كنا زوج هرة، وبينما عزانا من ثيابنا هناك جلس سيدي  
متريقاً على الأرض كما يحل، لأن تمام، ثم قيد راسفر معصمي أليدا  
وكأحليها بيسيور من الحلد العام، كانت شاحبة وبربعش، نكها لم تدك، ولم  
أحبها وأعصب شجاعته في أي وقت سبق أكثر من تلك اللحظة

أشار لي سيدي إنقف بأن أركم أمامه فأحد حصاة من شعري وراح يهمس  
بعبرات انتحى هي رتي، ثم سألني، «أنحبي يا تايقا؟»، ولأنني كنت حائفاً،  
وضعت بطريقة عامضة ما أنه قد يصفح عن أليدا أحنته، أحل يا سيدي،  
أحبك،

فسألني بصوت خريري، «أنص غري د قبقا؟»، ولأنني كنت رعدبداً  
وحائفاً، أحنته: «لا يا سيدي، لا أحب سوك» سمعت في تلك اللحظة أليدا  
تحتب، وكان واحداً من أشد الأصوات قرويقاً في حياتي.

ثم نادى راسفر «اجلب لفاسقة إلى هدا، وصغف بطريقة تسمح لهما  
برؤية بعضهما بعضاً بوصوح ينبغي لقيق أن يرى كل ما يحدث لهما،

أرى راسفر أنشودة من جبل مجدور من الحلد الخام حول حبة أليدا  
وكان أحبل معقوداً عقدًا قريبة من بعضها بعضاً، هدا كقصاصة ابرام التي  
مريدها لنباء اندوياب، ثم وبف حلب البت وأفحم هرة قصيرة بديته  
من حشب الزيتون في أنشودة الجلد الخام وبرمها حتى اشتدت على جلدها  
اندعم غير المشوب، فعضت عقد الحلد القاسية بحم أليدا وعست ألما

حدره سيدي، «على مهلك يا راسفر، لا يزال أمامنا شوط طويل بقطعه،  
بب هراوة خشب الزيتون كلعبة أطفال في كهي راسفر الضخمين  
امشعرتين، وراح يبرمه بترق حدر، ربع دورة كل مرة، أخذت العقد سمير  
أكثر، ثم فمر ثم أليدا وفرغت رئاه في دفقة هواء لاهثة، واسلّ اللون من  
حليها حتى صارت بلون رماد الموتى، كاحت بعد ذلك لثماً رئيها بالهواء  
ثم أصغته في صرخة طويلة ناقبة،

برم راسفر -ولا يزال ملتصماً ابتسامة عريضة- الهرة قدون خط انعقد  
الجلدية نفسه في جبهة أليدا، وتغير شكل جسمه صمت في السادة أنها

حديقة من عشي المفضل، ثم أدركت أن رأسها في اسفينة صبق ويستطيع مع اشتداد الأنشوصه، وصارت صرختها دويًا متواصلًا متتابعًا انغمس في قلبي كصل العيف، واستمر إلى ما بدا أبداً

ثم انفجرت حميمتها سمعتُ اعظام تتحطم بصوت أشبه بحوزة نحس نسحق من هكي قبل. طمعت تلك الصرخة المربعة المدونة فعاه مع تدني جثه أليدا بين يدي راسه، وملئت روعي بالأسى واليأس حتى صفحت.

وبعد ما شعرت أنه الأزل، رفع سيدي رأسي ونظر إلى عيني، وكانت سحنه حزينة ودمعة عندما قال لي: «لقد رحلت يا قايقا. كان شرًا أودي بك إلى الصلار، وبحب أن تمرص أن لا يحدث ذلك ثانية. يجب أن تحميك من أي عوايات أخرى».

وأشار إسي راسه مرة ثانية، فأمسك بجسد أليدا اساري من كعبيه وجره إلى الشرفة، وراح قف رأسه المسحوق يرتطم بالدرجات وشعرها يتموج حلمها، وألقها بدفعة من كفسه الهائلتين بعيدًا إلى انهر التمعت أطرافها المرتخية وتثقلبت عندما سقطت وخطت الماء، ثم عرفت بسرعة وانتثر شعرها حولها كسعف أعشاب النهر.

استدار راسه بعد ذلك ومضى إلى طرف الشرف حيث كان اثنان من راحه بعنبان محمرة من الفحم المشتعل، وجوار امجرة، ضقت مجموعة أدوات جراح كاملة على صيدية خشبية ألهم نعره إليها وأبها برأسه راصنا، ثم عاد وانحنى أمام سيدي إنتف قائلاً: «كل شيء في حاله جاهدة».

مسح سيدي وجهي المخطط بدموع بإصبعه، ورفع الإصبع إسي ثقتيه كما لو أنه يدوق أساي. ثم همس: «تحال يا عزيزي الحمير»، وأنهمني فساقتني إلى اشرفه، كنت داهاً معميًا بدموعي حتى إسي ثم ادرك دهكتي العاصفة إلى أن أمسكتني اجندبان وألقيني على لأرض باسطين أطرافني فوق البلاط لأحرزي، وثقتا معصمي وكاحني فلم يعد بإمكانني تحريك شيء سوى رأسي.

ركع مولاي عند رأسي، بينما ركع راسه بين فخذي المتباعدين، وقال: «لن تقترف هذا الشر ثانية يا قايقا».

وفي تلك اللحظة انتهت إلى الصبح المروبري الذي كان راسه قد أخفاه في عناه. ثم أوما سيدي له، عمد يده لحره إلى أسفلي وهبص عليّ وشدني حتى شعرت أنه يتزعج أحشائي من بين ساقي



ابتسم راسفر «يا لهما من بيضتين ممتازتين!» (ثم أراهم المصنع، واصفاً إياه أمام عيني)، لكنني سأضعهما للقماسيح، مثلما فعلت بحبيبتك الصئيلة بالضبط» وقبل اتصال.

توسلت إليه: «أرجوك يا مولاي، قرأف بي... لكن تصرعني انتهى في صرخة حادة عندما بصعني راسفر، وشعرْتُ كما لو أن سخاً موهجاً حراره قد أجم في بطني.

رفع راسفر كيس الجلد المجدد الشاحب ومكوناته المثيرة للشفقة «ودعهم أيها الصبي الطوب»، ثم همّ بالذهوض، لكن سيدي منه، وقال له بهدوء: «لم تنه عمالك بعد، أريه كله»

حذق راسفر إبيه للحظة غير مسبوغة الأمر ثم قهقه حتى سقط كرشه وحاً: «بحق دماء خورس من الآن فصاعد سيقطر الصبي الحلو، لي أن يقرص كفتاة عندما يريد القبول»، وصرب ذبابة ثم انفجر ضاحكاً وهو يرفع إصبع اللحم التي كانت ذات مرة الحرة الأكثر حميمة من حسدي.

قال راسفر: «هون عليك يا بني، سيكون مشبك أحف بكثير من دون هذا الوزن»، وهمّ يصفي وهو يتربح ضحكاً ناحية حافة الشرفة كأنه يقتوي رمي ما يحمله إلى النهر، لكن سيدي باداه بحدة ثانية.

وأمره «أعطينها!»، فوضع راسفر بكل صدمة فئات رحولتي الدامي في يديه تفحصه سيدي بفضول لصع ثوانٍ ثم كلمني مز جديدة: «لست فاسب إلى درجة جرمانك من هذا التفكير المحر إلى الأبد يا عزيزي، سأرسلها إلى المحنطين، وعندما تصير جاهزة سأجعلهم يعلقونها في قلابة محاطة باللؤلؤ والدرود لتكون عيني لك في مهرجان أوريسن القاسم. وهكذا، في يوم نونك، يمكنك وضعها إلى جوارك في القبر، وإن كانت الأكله رؤوفة، فقد تسمح لك بالاستفادة منها في حياة لآخرة».

كان ينبغي هذه اذكريات لفروعة أن تنتهي عندما أوقف راسفر الريف بمفرقة من ورنيش الحباطة المعلي أحذاها من المحبرة، وحملني وملافة الأكم عبر المحتملة إلى عيامب النسيان الميمون، لكنني صرْتُ الآن عاباً في الكاوس، كل شيء يحدث ثانية، إلا أن أليدا غائبة هذه المرة، وبدلاً من سكين الإحصاء، يحمل راسفر سوطاً من جلد أفراس لنهر في قنصه المشعره العظيمة.

كان لسوط يعادل الامتداد الكامل لدراعي واسفر، ويستدق حتى تبلغ  
 بهيته سُمك خصره واقبته فيما مضى وهو يحُره نفسه، إذ قشر الطليقة  
 الخارجيه الغبيطة من شريط الجلد المدبوع الطويل حتى انكشف الجلد  
 الداخلي، متوقفاً د يتطام ليختدر اقزائه وثقله، وظل يضرب الهواء به حتى عول  
 وانتحب كريح اصعراء في عبورها أحاديث قلال لوت كان بين الكهرمان،  
 وصقله واسفر بحُب حتى صار أملس وشفيفاً كالزجاج، لكنه مرَّ حدُّ أن  
 بمقدوره ثنيه في قومن مثالي بين كفيه. وقد ترك دماء مئة صعبة سفع عنه  
 وتصبح بهيته المستدقة ملون صدئي لُغاع رائع من السحابة الاحمالية

كان راسفر منائاً في استخدام هذه الأداة الشنيعة بإمكانه. رسال بقرة  
 حاطقة إلى فخذ شابة عَض لا تخلف عليه سوى أثر قرمزي لا يخرق الجلد  
 البنية، لكنه يلسع بصراوة العقرب، ناركاً صحبه تنوئ وتسحب مصاصة، أو  
 يمكنه بدزيه من اضطرابات المهسوسة أن يعرى ظهر رجل من الجلد واللحم  
 ناركاً أهلاعه وقمة عموده الفقري مكشوفة

صدر راسفر وانثفا فوقه ييسم حلاء فمه وهو يشي اسوط الطويل بين  
 يديه فقد كان يحب وطيفته، ويكرهني بكل عنف حمسه ومشاعر الدونية  
 التي زرعه دكائي وخُسر مظهري وخطوني فيه

مُسَد سيدي إنثف ظهري العاري وتنهَّد: «إبك لحبيث في بعض الأوقات  
 ما مزبري القدم تحاول خداعي وأنا الذي تدين له بأحسن الولاء لا بل أكثر  
 من مجرد الولاء، بوجودك نفسه (وتنهَّد ثانية) لِمَ تفرض هذا الكدر عليَّ؟  
 ينبغي أن تكون أعقل بكثير من أن ترعجني بطلب خطية داك لوثج الصغير  
 كانت محاولة مخيفة، لكن أظني أنهم سبب إقدامك عليها: إنّ جسَّ الرحمة  
 الطفولي (حتى فقط ضعفك الكثيرة، وأرجح أنه سيكون يوماً ف سبب  
 سقوطك البهائي، غير أنني أراه أحداً طريقاً ومحباً، ولعلي قد سامحك  
 عنه عن طيب نفس، لكن لا يمكنني انخاضي عن حقيقة أنك عرّصت القيمة  
 السوقية لبصائم التي أسلمتك أمرها لخطر (ثم برم رأسي محرراً قمي كي  
 أحبه)، ولأجل ذلك، سحب أن نعاقب، أنفهمسي؟».

همست: «أحسن يا سيدي». لكنني أدركتُ عيني لأرفع السوط في يدي  
 وسفر، حشر سيدي إنثف وجهي ثانية في حجره، ثم خاطب راسفر من  
 مرق رأسي،

- وظف كل براعتك يا راسفر لا تشق جلده بر سمحت، لا أريد بها  
الظهر لذاع لمبهج أن يشوه إلى الأبد عشر جلدات تكفي بدايةً،  
ومعدها جهراً

كنت قد شاهدت مئة ناس أو أكثر يخضع لهذا العقاب، ويعصهم  
محاربون وأطباء متعاضدون، ولم يقدر أيهم على النقاء صامتاً تحت سوط  
راسفر بعد أنه من الأفضل لمرء أن لا يعنى صامتاً، ذلك أنه يرى الصعق  
تحدياً شخصياً لمهارته، وكنت أعرف ذلك حق المعرفة، كوني مررتُ بها  
اندرب قبلاً، فتجهزت تماماً لابتلاع أي كدباء غبية وبلاشارة بعن راسفر  
بصوت عالي، وملأت رئتي استعداداً.

بحر راسفر، «وحدة» وصقر السوط، وكما تنسى امرأة شدة ألم الولادة  
قيم بعد، كنتُ قد نسبت بسعته الحادة، وصرحتُ بصوت أقوى مما انتويت  
حتى.

غمغم سيدي إنلف لي أذني، «أنت مصوبه يا عربي قايقا، فقد أمرتُ  
كهنة أوزيريس بتحصن الضائع الليلة الماضية، ولا تزال سليمة»، تلويثُ  
في حجره، ولم يكن ذلك جراً الألم محسوب بل حراً فكرة أن يتجسس جدار  
المعدن المجرى الحائر فتاتي الصغيرة ويتطفلوا عليها.

كان لراسفر طعنه الصغير اخاص في إطالة العقاب وضمان أن يتولد  
وضحيته بكل لحظة أقصى لتلذذ، حيث يهرول بعد كل جلدة في دائرة  
صغيرة حول مكان الاجتماع، تأخر عبارات الحث والتشجيع بنفسه، وحاملاً  
«سوط كسيب احتفائي ومع تمامه اندثرة، يتخذ مكانه لجلدة ثانية،  
ويرفع السوط عالياً،

صاح: «اشمان»، ورعقتُ ثانية.



كنت إحدى إماء بوسثريس تنتظري على شرفة مهجمي الواسعة بينما  
أصعب درجات الحديقة أخرج ألم حيتتي قائلة: «تأمرن مولاتي ان تحصر  
عندها من بورك».

أجبها «أحبريها أنني متوعد» محاولاً التملص من الاستدعاء، ثم نادى  
أحد العمان ليُبسم إصاباتي، وأسرعني إلى محذعي لأتخلص من الفتنة، ثم  
يكن بوسعي مواجهة بوسثريس بعد، فقد حلفت من إبلاغها بفشلي، ومن

حملها أخيراً على مواجهه الواقع واستحالة حبها لقانوس، لكنَّ ابنت العبداء  
تبعثني وهي ترنو إلى آثار الحند المزرقفة على ظهري برعب لديد  
قصحت من فوق كتفي. داهسي، إلى مولاتك وأخبريها أنني حريح وأنتي  
عاجر عن القدوم إليها

- لقد قاست لي إنك ستجاوز التملص من الأمر، لكنها أمرسي أيضاً بأن  
الارمل وأحرص أن لا تفعل

فبينما ومحتها بصرامة كان الصبي سهرن ظهري بمرهم شافٍ من إعدادي؛  
«إنك لأمةٌ وحقة،

وامعثنني ابعريئةً مبتسمةً دُجَل، لكنك كذلك أيضاً»، وقد ردت الصمعة  
العاثرة النني وجهتها إليها بسهولة.

فأنبعث. «أذهبي وأخبري مولاتك أنني أب،  
أمرتني أن أنتظر وأحرص على مجيئك.

وبينما أعبر حارسي بوابة الحريم هكذا حظيتُ بمن يرفقني. كان  
الحارسان خصيين مثلي لكنهما، وعلى عكسي، صحمين ومخضين، وكأما  
قويين شرسين رعم بداسهما، أو ربما بسببهما، لكنني استخدمت بقوي في  
الماضي لأؤمّر لهما هذه لوطيفة سهلة، لذا سمحا لي بالعبور إلى مهاجع  
النساء مع تحية احترام.

لم يكن الحريم كبيراً ولا دحرجاً مثل مهاجع العلمان، وبنا محل اهتمام  
سبدي إنتفج الحقيقي واضحاً، فقد كان مُجمَع من الأكوخ اللدنية المحاطة  
بجدار لبني مرتفع، وليس فيه من الحدس والريفة إلا ما نهضت بوسقوس  
ورماؤها به بمسعدتي. أما روحات الورير فكانت بديبات وكسلات أكثر مما  
ينبغي ومشغلات بفصائح الحريم ودسائسه ليعرعن طاقاتهم.

وكان مسكن لوستريس أقربها إلى البوابة الرئيسة، محاط بروضة حميلة  
فيها بركة رنق وطيور معددة تزقزق في أقفاص مجبولة من الخيزران  
المفلوق، وجدرانها للبية مزينة ببحاريات بهيحة لمشاهد من النين أو لأسماك  
وصيور وإلهات ساعدت في رسمها

كانت إماؤها محشبات في مجموعة مقهورة في المدخل وثمة أكثر من  
واحدة تبكي ووجهها مسطّر بدموعها شملت طريقي عبرهن إلى الداخل  
المعتم لبارد، وسمعت من قوري مولاتي تنسج في لفرقة الدحلية، فهُرع

إليها. مستمياً من أبي كنتُ رعداً إلى درجة محاولة انحصار من وأحيى  
نجاهها

وجدتها مستلقية على وجهها فوق سرير المخفض وكامل جسمها  
يرتجف من شدة الأسى، لكنها سمعت وقع دحولي وانتفضت عن السرير  
مسرعة إليّ

- واه يا تايقا! ميرسون قنوس بعيداً عداً يصل الفرعون إلى الكرك،  
وسيحمله أبي على أمر قنوس بأخذ سربه أعلى النهر إلى الفنتين  
وبجاءه واه يا تيت! إنها رحلة عشرين يوماً إلى الجندل الأول.  
لن أراه ثانية أبداً يا ليتني مت. سأرمي بنفسي في النيل نلتهمني  
المسيح. لا أريد العيش من دون تانوس...

قالت كل ذلك في مولة بأس واحدة منصاعده، مهددتها حين درعي  
رويدك يا طفلي، أنتى بك معروفه كل هدي لأمور المروعة؟ قد لا تحدث أبداً

- أوه، بلى سيفعلون. لقد أرسل لي قنوس رساله ذلك أن لكوتاس أخ  
في حرس أبي الشخصى، وقد سمع أبي بد قش الأمر مع راسفر، إذ  
اكتشف أمرى وتانوس بطريقة ما، إنه يعرف أب كفا في معبد حامى  
وحدنا. واه يا تايقا لقد أرسل أبى لكهنة ليقمصونى أنزل أولئك  
العجائر القدرين العظائى بي، وألمنى ذلك كثيراً يا تايقا

عافتها عاقاً لطيفاً، ولا يتكرر كثيراً أن تسبح لي العرصة بفعل ذلك،  
لكنها ردت بي العناق بكل قوتها وقد تحول تفكيرها من جراحها الخاصة إلى  
حبيبها.

مكت قاتلة: «لن أرى تانوس ثانية أبداً (وذكرى ذلك بصبر منها  
الحقيقي، إنه لا تعدو كثيراً كونها طفلة، هشه وثائيه في أسها)، سيدمره  
أبى»

حاولت طمأنيتها: «حتى أبوب عاجز عن مس تانوس، فهو قائد أحد أفواج  
سنة حرس الفرعون الشخصى، رجل من رحى المك لا يتلقى تانوس  
أوامره إلا من الفرعون، ويتمتع بالحصانة الكاملة لتاج مصر المروج (ولم  
أودع أن هد على لأرجح السبب الوحيد الذى منع أباه من تدميره حتى الآن،  
بل أردفت بلطف ) أما عن عم رؤية تانوس ثابته فستمثلين أممه في  
الحفل. وسأحرص على أن تحظا بفرصة للحدث بين الفصول»

- لا يمكن أن يسمح أبي باستمرار الحفل بعد الآن

لا بديل لديه، إلا إن كان مستعدًا لتحريب إنديجي، والمخاطرة بإثارة  
استياء العرعور، وثقي أنه لن يفعل ذلك أبدًا.

فانتخب قائلة: «سيرسل ثانوس بعيدًا، ويأتي بممثل آخر ليؤدي دور  
حورس».

- لا يوجد وقت كاف لتدريب ممثل آخر، سيؤدي ثانوس دور الإله  
حورس، وسأوضح لك لسدي إتقف، وستحظير وثانوس بفرصة  
للتكلم، وستحد محررًا لكليهما.

غالبت دمعها ورفعت إليّ نظرة تشي بخالص الثقة. «أه يا قايقة، أعرف  
أنك سعيد محررًا، دائمًا ما تحده...» ثم توقفت فجأة وبصوت سحسها، إذ  
تحركت يداها على ظهري، مكنتشفه لكدمات المَحززة التي رسمها سوط  
راسفر عليه.

- آسف يا مولاتي، لقد حاولت طرح طلب خطبة ثانوس، مثلما وعدتك  
أبي سأفعل، وهذه نسخة عماشي.

وقعت حلمي ورفعت العلالة الكتابية السقيمة التي أسدلتها على جراحي،  
وشهقت: «إن هذا، لمن عمل راسفر، أوه يا عرجري الدائس قايقة، لم لم معذري  
أن هذا سيحدث، وأن أبي معارض أعنف المعارضة لعلاتني بقاتوس؟».

شق عليّ ألا أشهق إزاء هذه الصفاته السابجه أنا لذي توش إليهما  
وحدتهما وأتهم بالمقابل بعدم الولاء لكنني أمسكت عن الكلام، وإن كان  
ظهري لا يزال يخفق أشد الحفقات.

أصامت مولاتي بؤسها لسرفت ابرهن على الأقر في قلقها على جراحي  
لسطحية، فبيما نظيتني أمرتني أن أجلس على سريرها وأطع عي علاني،  
وعوضني حبها وعطعها لصايقين عن وتغارها للمهارات الطبية أرحها  
هذا الإلهاء من أعماق يأسها لسحقيقة، وسرعان ما عادت تنثر بأسويها  
لمتحمس المعناد وبسط الخطط لتحيط سخط أبيها وتجمع شملها بقاتوس.

سبب أوصحت بعض هذه لخطط خُسن إدراكها، أظهرت أخرى، أبعد  
احتمالًا، بفدعتها الواثمة وقلة معرفتها وخبرتها في دروب الحياة الحسنة، إذ  
أعلنت في إحدى لمرحل «سوف أقدم أداءً ممتازًا بدور إيزيس في السجن،  
وسأجعل من نفسي مُحبةً إلى قلب العرعور حتى إنه سيصطني أي عطية

أطعها منه، ثم أنوسل إليه أر بروجي تانوس، وسحق... (وهنا قلت تبرد  
املك المقنعة المراسميه بدكاه أجبرتي على لايتسام)؛ أعلن جطبه تانوس  
سيد حاراب، بن بيانكي، على السيدة لوستريس ابنة إنتف، وأرقى حامي  
اصالح تانوس إلى رتبة أسد مصر العظيم وفائد كل جيوشي وأمر أيضا  
بأن نعاد إليه كل الأملاك التي كانت فيما مضى لأبيه السيل بيانكي سيد  
حاراب...» وهنا توقعت فجأة في خضم مدواتها جراحی ولغت ذراعها حول  
علمي

يمكن أن يحدث ذلك، صحيح يا عزيزي تايئا؟ أرجوك قل إنه ممكن!  
فابتسمت إزاء سحفها: «لا رجل طبيعي يمكنه مقاومتك يا مولاتي ولا  
حتى الفرعون للعظيم نفسه، ولو علمت حينها مدى اقتراب كلماتي من  
الحقيقة، أحسب أنني كنت لأصع جمره متوهجة على لساني قبل أن أطلعها  
عاد وجهها يشع أملا، وكهاني بذلك ثوبا، ثم أسدلت علاتي ثانية لأنهي  
تطبيبها المتحمس أكثر مما يجب بظهري، وقلت: «أما الآن يا مولاتي، إن كنت  
تبتغي أداء بارعا ولا يقدم في دور إيزيس، فلا شك من بعض الراحة،

كذلك قد جلبت معي حرة مصنوعة من مسحوق لرهرة المبوئة المسماة  
بالخشخاش المثور، وكانت تدور هذه الرهرة الثمينة قد جلبت لي لبداية  
إلى مصر ما عبر القوافل لمحاربة من أرض حبلية في اشرق الصعيد، عبر أنني  
صرت الآن أشتبت زهور الحمر هي حديقتي، وعندما تسقط أوراقها،  
أخيش قوقعة البذرة بثوكة ذهبية ثلاثية الأسان، فيسيل من هذه الجروح  
حليب أبيض كثيف أجمعه وأجفله وأعاجه وفق الوصفة التي صورتها بمقدور  
هذا المسحوق أن يدعث على النوم، أو ينثر الأحلام لعربة، أو يسكن الأكم.

سما عجمت أسكانت إلى سربرها والنقت على نفسها كهزه وشس، د بق  
معى لبعض الوقت يا تايئا، احتضنى حتى أسمع كما كنت تفعل في طفولتي»،  
وبينما أحيطها بدرعي تكرب بأنها لا تزال طفلة.

ثم هسبت، «سيعبر كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟ وسنعيش في  
سعادة أبدية كما حدث في قصصك، صحيح يا تايئا؟»

وعندما نامت هلت حبهتها برفق وغطيتها بدثار من الفرو قبل أن أتسل  
من مدعها.

في اليوم الخامس من مهرجان أوزيريس. ركب لعرعون تيار انهر إلى الكرمك من قصره على جزيرة العنتين في رحلة تستغرق عشرة أيام على قارب نهرى سريع، وجاء بكامل أنتهته مع جميع حاشيته ليرأس مراسم مهرجان الإله.

كان سرب قانوس قد غادر الكرمك قبل ثلاثة أيام، واسطلق مسرعاً بعكس التيار ليقتل الأسيطيلين بعقبهم ويرافقه في المرحلة الأخيرة من الرحلة، لذا لا أمارأيته ولا لوسستريس منذ عاد ثلاثاً من الصيد الكبير فكانت رؤية قارسه ينفخ حذية انهر متحلف بأقصى سرعة التيار والرياح لصحراوية الشديدة تضرب عرصه معة استثنائية لكلماء، إذ تقدمت أنفاس حورس الأسطول، قائدة إياه صعوداً من الجنوب،

وقفت لوستريس في حاشية الوزير الأعظم حسب أخويه مينصيت وسوبيك. كان الشاس بهيئتي وحميلي الصلحة، لكن فيهما من صعدت أنيهما أكثر من اللارم في رأيي. ولم أثق بمينصيت تحببنا، الأكبر، أما الأصغر فكان تابعا لأخيه

ووقفت بعيداً خلفهم في حشد بطانة الوزير والموظفين الأقل شأنًا من حيث أمانتي مراقبة كل من لوستريس وسيدي إنتف. رأيت قفا عبقها بوزء مسرء وحماسة عندما نمت فوام قانوس المشيق في برج كوتل أنفاس حورس، إذ تألق الحراشف على صدارته المصنوعة من جلد التماسح تحت أشعة اشمس، ورفرفت باقة ريش المعام على حوزنه في الهواء الذي أثاره عبور سعادس.

أحدث لوستريس تنعاز إثارة وتلوح مكنتا براعيها (البحيلتين قوني رأسها، لكن زعقاتها وطرافة سوكها ضاعت في هدير الحمهير العفيرة اسي سطررت صفبي السبل لاستقبال فرعونها كانت طيبة المدينة الأكثر سكانًا في العالم، وجمعت أن ربح مليون سعة تقرياً قد خرج لترحيب بالملك

في هذه الأثناء لم يقلب قانوس بصره بعة ولا بعرة، بل ظل محدف أمامه بصرامة حاملاً سيفه المسلون قتالة وجهه بأداة لتعبه لعسكرية تبعت بمية السرب أمفاس حورس في المثلث الواسع لتشكليلة ابن الماء والتي سُميت كدك نسبة لى يسق طياران هذه الطيور عند عودتها في المغيب إلى محاشها كانت كل الودها وأوسمتها الحربية تحقق في بهيب واجف من



ألوان هوس المزج، مقدمة عرص «ببيل أسرى الجيوش، في تهيلات اششود وتلويحها بسعف النخيل.

ومرّ بعض الوقت قبل أن يندفع أول مركب من الموكب الرئيس عابراً الحنية من خلفهم. كان مُحملاً بسيد حاشية الملك وببلاطها، ثم تبعه مركب آخر، ثم سرب موضوعي طلل من سفن كبيرة وصغيرة. اكتسحت مخربى النهر بعد ذلك باقلاّت تعج بحصم القصر وعلمايه وكل تجهيزاتهم ومعداتهم، وعيارات محملة بالثيران والماعز والدجاج للمطابخ، وسفن مذهّبة راجية الألوان تحمل شحبات من أثاث القصر وكفوره، ومن النبلاء والمحلوقات الأعمال شأنًا، الممترجة مزجًا مزعجًا بطريقة تجتعد كل البعد عن البحارة وأسالبيهم. ويا له من تناقص أبعاد العرص الذي قدمه سرب ثانوس صمد استدار بعكس السار وحافظ على شكله المساعد هندسًا في مواجهة تبار السرج وأحبار، ومن صندل الفرعون الملكي منقلاً إلى السخنة، هارتقت تهيلات الحشد إلى أوجها، وثبتت هذه المركبة الهائلة، أكبر مركبة بناها بنو البشر، طريقها بهابة إلى حيث كنا ننتظر استقبالها على الرصيف الصخري أسفل قصر الوزير الأعظم.

كن أصمي وفرة من الوقت لأتفحصها وأأمل قدر ملاءمة حجمها وتصميمها وتوجيهها الدوية والحكومة للحالين لمصرنا، مصرنا الصامدة في العام الثاني عشر من عهد الفرعون هاموس، ثامن حامسي الاسم والثامن في سلالته، والأضعف حتى لأن في أسرة ضعيفة ومندبجة. كان الصندل الملكي بطول خمسة فوادم مقاتلة مصطفة في رتل أحادي، لكن ارتفاعه وعرضه غير متدسين إلى درجة أنت غرائزي السخنة إيذاءً شديداً. وكان بدنه الهائل مطبياً بالألوان الصاخبة التي كانت موصلة الحصر، وتمثال أوروريوس الحيرومي<sup>(1)</sup> مُعسجُ بصيغة ذهبية حقيقية غير أنه عندما دنا من العرسي حيث ستظره، رأيت أن الألوان لبراقه قد جهت في بقع متناثرة وأن جانبيه محططان بحطوط ناكته كحصر الزرد حيث تعوط طاقمه من فوق السور

انتصت في وسط السفينة حُجرة هي مخدع الفرعون الخاص وكانت مبنية بمثانة بالأواح سمكة من خشب الأرز الثمين، ومحصوة بأثاث ثقيل إلى درجة أثرت يا للأسف في خصائص المصدر الملاحية قوي هذا المصح

(1) الحيروم، مقدم السفينة والتمثال الحيرومي محدّ خشبي يُثبت على الحيروم ويربط بدور السفينة وطبيعة عملها، (المترجم)

البشع، وراء سياج مزيج مجدول من الزنايق الغصية، وتحب طُلَّة من جلود  
العراب امدبوعة بإتقان والمُحيطة بعضها ببعض بمهارة، والمكسوة بوحات  
لكبار الآلهة، الإلهات، حسن الفرعون في عزلة مهيبه. كما، مستعلاً صعداً<sup>(1)</sup>  
من لذهب لمخزوم، ولايساً رداءً من كتان نقي نقاء ساطعاً كالسحب الركاميه  
العابية في عر اصيف ومعتزلاً التاج المزدوج الطويل، تاج مصر العليا  
الأبيض وعليه رأس الإلهة لشمس نخبيت<sup>(2)</sup>، مدموحاً بالتاج لأحمر ورأس  
الإلهة النصل واسحب<sup>(3)</sup>، إلهة دينا النيل.

وبرعم التاج، كانت الحقيقة الساحره هي أن حاكم المصوب هذ، حسر  
ادلنا قبل عشر سنوات تقريباً، فقد حكم مصر السفلى في أيام اضطرابنا  
فرعون آخر، فرعون اعتمر التاج المزدوج كذلك، أو على الأقل نسخته الخاصة  
منه فرعون مُدَّع كالي حصفاً بدوياً لحكمنا، واستنزفت حروبه المستمرة  
علينا كلا المملكتين من الذهب ودماء الشباب، فقنم النزاع الداخلي مصر  
ومزقها، وطالما كانت الحال هكذا في تاريخنا الممتد ألف سنة أو نحوها  
عندما يتسربل الضعفاء بعبء العرعور، كنا في حاجة إلى رجل شديد  
وجسور وذكي يقبض على المملكتين بقمصتيه.

لتنوير المركبة صعبة الانقياد مع التيار وإيصالها إلى مرساها على  
رصيف القصر، كان على القبطان أن يوجهها إلى الصلة السعيدة، ولو فعل  
ذلك، لانفتح أمامه النهر على اتساع عرصه يكمل دورته، كن من لواصح  
أنه أساء تقدير شدة الرياح والتيار وبدأ دورته من منتصف المجرى، تارحج  
الصنذل في البداية متثقلًا في التيار، ومار ميلاناً شديداً عندما استقبل ارتفاع  
الحجرة على منبعه رياح الصعراء الساحبة كأنه شراع، فذرت دائرة نصف  
درجته من عُرف الحجرة على السطح الأسفل وراحت سياطهم تعلو وتهبط،  
والماء يحمل صوت جلد الأكتاف ابحارية.

وبتحفير السياط، أجهد المجذعون مجاديفهم بجنود خص الماء على  
طوب دن السفينة محيلاً إياه رعدة، مئة مجداف في كل جانب تشد تلقاء

(1) الصنذل هنا حُف بعض ملين به سبور من الجلد يثبت بها في التدم، (المترجم)

(2) سميت أو سميت إلهة مصرية تدعى تُحسد هي حيثة نسر وكانت الرب الرئيسة لمدينة سني  
عاصمة الإقليم الثالث لمصر العليا (المترجم)

(3) والحيث إلهة الكوبر الفرعونية، تُعرف في العالم اليوناني باسم أودو أو بوتو، ومدينة بوتو  
بول عاصمة لأول دولة منظمة في مصر السفلى قبل توحيدهم القطريين، وموقعها الحالي قرب  
مدينة بسوق في شمس لابلنا بمطبخه نل المراجين (المترجم)

بعضها ويدرس بعضها واحدٌ بذل أي جهد في مرامنة صرسته. امتزجت شتاتهم  
وصيحاتهم مع الأوامر التي يصرح بها قادة هذه الأربعة الذين يصارعون  
مجداف التوجيه اضويز في الكوئل، وفي هذه الأثناء مرر بميت، الأميرال  
الفسن وقبطان الصندب، أصابعه مالتاوب في لحيته الطوية الهزيلة اشهباء  
وخبط يديه في ابرعاج عقيم.

وعالي فوق هذه الحلة، جلس الفرعون، حاملاً كتمثال وغير مُبارٍ بكل ما  
يحدث، أوه، هذه مصرنا من غير رب.

ثم أخذ معدن استدارة لصندل يخفص حتى لم يحد بتأرجح، بل صدر  
يتجه رأساً إلى مكانٍ وموقعا على الصفة، مُقيّداً بقوة جذب التيار وشدة دفع  
الريح المعاكسة لها. بدا القبطان ولطاقم، على لرعم من جهودهم اجامحة  
وغريبة الأطوار، عاجزين عن إتمام المتورة وسوقه إلى المحرى، أو عن إيقافه  
ومدعه من حراثة متاريس الرصيف الجرائيتية برأسه وتهشيم حوْله العظيم  
المُدْهب.

وعندما أترك اصمغ ما يوشك أن يحدث، حنت بهللات الحشد المشاهد  
من الشاطئ تدريجياً وحلُ صمت مُروّع على كلد صفتي النيل اللتين يبلغهما  
الصراخ والجعجة من متن لمركة الهائلة بوضوح.

ثم فجأة. شُدَّت أمين الحشد كلها إلى أسفل النهر، وقتما هادرت أنفاس  
حورس موقعها في طليعة السرب واطلقت تمخر اماء صعودٍ يدفع  
مجاديف حلقة، مجاديف تطعن الماء وتدفعه وتتأرجح ثم تطعن ثابتة في  
تناغم مثالي، ورفعت نفسها أسفل جُوْحُ الصندل بعنف جعل الحشد يشهق  
بصوت أعلى من صوت لرياح في أحواض البردي، إلا سا الاصطدام حتمياً،  
لكن في آخر لحظة ممكنة أشار تابوس بقبضة مصمومة ربحها فوق رأسه،  
وفي الوقت نفسه، عكس كلا الجانبين لتجديف وحرك قائد ابدقة مجداف  
التوجيه إلى أقصى مداه.

تمهّيت أنفاس حورس وانحرفت أمام التقدم الثقيل لصندل الصحم،  
قتلامست المركبتان تلامسا بخفة قليلة عذراء، واللحظة، صار مرج كوئل  
أنفاس حورس بمسوى السطح الرئيس لصندل تقريباً

في تلك اللحظة، بموضع قانوس على واقية المرج، وقد رمى صندله من  
قدميه وتحرد من درعه وألقى أسلحته جانباً، وعقد حور خصره طرف حبل  
كثافي خفيف. ثم وثب، والحبل يطارده، عبر الفجوة الفاصلة بين الصفيحتين.

هاج الناس ونفضوا أنفسهم كما لو أنهم يعمعون من سُبت، وإن كانَ عليهم من لا يعرف تانوس بعد، فسيعرفه قهر انقضاء هذا اليوم، باصطبح، كانت شهره تانوس قد حُفَّت بالفعل في حروب النهر ضد جحافل القاصب في لملكة السفلى، لكن لم يره في المعارك إلا جنوده، ولا يحمل الفهر المعقول وقع الفعل المرئي بأمر الحين نفسه أبدًا.

والآن، على مرأى من الفرعون، والأساطيل الملكي، وسكان الكرنك كلهم، قهر تانوس من متن إلى متن وحط خلفه بمر

«تانوس» أثق أن مولاتي بوسقريس كانت أول الهاتقير باسمه، لكنني كنتُ التالي.

صحتُ: «تانوس»، ثم تلعب كل من حولي الصيحة وراحوا يشدون، «تانوس تانوس! تانوس!» كأنها قصيدة إله اكتُشف حديثًا.

في لحظة هبوط تانوس على امتري، استدار واسطلق مسرعًا إلى الجوّجى، صاحبًا الحبل من يد إلى يد بينما يركض كان طاقم قادسه قد وَصَلَ حبلًا ثقيلًا، بثخانة سراج رجل، بدهاية حبل العنق، فأخذوا يرسلونه إلى الطرف الآخر عما شدَّ ثقله تانوس، لي خلف، ثم حرَّه إلى الداخل وعصلات ذراعيه وظهره تنلأ عرقًا.

بحلول هذا الوقت، أدركت مجموعة من طاقم الصعد ما يوشك تانوس أن يفعله، مهرعت لمساعدته. وتتوحيهاته، لغوا بهية الحبل ثلاث لفات حول دقر<sup>(1)</sup> الصعد الأمامي، وحالما صار وثيقًا أشار تانوس لقادسه بالانطلاق.

وثب أنحاس حورس إلى المجرى وراحت تحت سرعتها بعجالة، ثم مجأة، قُشت في شد الحبل وألقاها ورن السفينة الثقيلة على جانبها، ظننتُ، لحظه مُروَّعه واحدة، أنها قد تنقلب وتغرق، لكن تانوس قد توقع الصدمة وأشار لصداقه بامتصاصها عبر عكس حركة المحديف لطويلة بمهارة

ورغم أن انعاس حُرُّ إلى الأسفل حتى غرق من المياه الحضرء بكوئله، طفا فجأة وهتز وعاد يشدُّ الحبل. ولبرهه طويلة، لم يحدث شيء، لم يحمل وزن القادس لفاقه أي أثر في سير السفينة العظيمة الثقيل، فتربطت السفينتان كأنهما تمساح قابض على خُطم جاموس عجوز لكنه عاجز عن سحبه عن الصفة. ثم اسدَر تانوس في حَوْج الصعد ليواجه الطاقم

(1) الدَقْرُ الأمامي خشبةٌ طويلةٌ تجر من صدعه لسفينة (مخرج)

المضطرب، وأوحى إليهم بإشارته أمره واحداً حدث كل انتماهم، وحل عليهم  
تغيّر عجيب، كانوا ينتظرون أمره.

كان نيميت قائد أسطول الفرعون بكامله، حاملاً رتبة أسد مصر العظيم،  
وكن في السنين الماضية من الرجال شديدي الأمر، لكنه الآن محور حرق،  
تسلم قانوس القيادة منه من دون عاء، كأن الأمر طبيعي بقدر قوة التيار  
والرياح، واستجاب به صائم الصدى من نورهم  
أشار إلى المجذفين في الصف الأيسر، «شُئوا»، محبوا ظهورهم وشدوا  
بعزيمة.

وطحن بقبضته المشدودة الميمية قائلاً، «جعدوا عكياً»، فأحنوا بحرثون  
الماء دراجات محاذيفهم المدينة، ثم اتجه إلى السور وأشار لقائد دفعة أنفاس  
حورس، مُسقاً بعزاة جهود كلا الطاقين. ولا يزال لحنس محقّق على  
الرصيف لا يفصل بينه وبين العتاريس الجراييتية إلا شريط هريس من المياه  
المفتوحة

ثم أحيّزاً سطاء، سطاء شديد، بدأت الاستجابة. بينما أخذ السحور مُهرج  
ابطلاء بالتهادي إلى المجري كن يجره لقادم يستدير ومرة ثانية تلاشي  
استهيل وحل داك الصمت المشؤوم عليل ونحن ننظر أن يصطدم بالرصيف  
ويفقأ أعضائه على الصخور وعند يحد ذلك، لا شك بما ستكون عاقبته  
على قانوس، فقد احتطف اسمائه من الأميرال الحرف، إذا لا بد له من تحمل  
المسؤولية الكاملة عن أخطاء المعجزة عند يقذف الفرعون من عرشه بفعل  
الاصطدام، عندما يندرج التاج المردوح بكل سموه على سطح السفينة،  
وعندما يعوض الصندل الملكي من تحته ويحرق من الدهر مثل جرو هرق  
على مرأى كل أتباعه، سيكون كل من الأميرال المهان نصبت وسيدى إنتف  
جاهرين لحد الفرعون على إنزال كامل ثقل ابرعائه على كاهلي الشاب  
المحرور حديث العهد

وفقت عاجزاً أر تحف حوف على صديقي المرير، ثم حدثت المعجزة، كان  
الصندل بالفعل على وشك أن يجنح وقانوس قريب جداً إلى مكان وقوس  
حتى، ن صوته يلعب بوضوح عندما صاح: «يا حورس العظيم! أعني الآن»  
إنني موقن كل الإيقار بأن الآلهة غالباً ما تتدخل مشؤور البشر، وقانوس  
من رجال حورس، وحورس إله الريح

كانت رياح اصمراء معصف منذ ثلاثة أيام وسال من الصمراء الغربية  
الياب، تصرب بنصف قوة الحاصفة من دون وادع طوال الوقت، لكنها  
انحسرت الآن. لم تنحصر تدريجياً بل فوّقت عن الخفق وحصب، فتسطحت  
المويجات التي رُقّطت صفحة النهر، وهمدت أشجار البخيل التي كانت نهر  
معقها بشدة على طول الضفة، كأن صقيعاً ماعناً قد حمدها

وبعد أن تحرر الصندل من براثن لريح، تراجع إلى حالة توازن أهلي  
واستسلم لشدة أنفاس حورس، ثم تحوّل جُوجؤه الأبحر إلى المجري، يوازى  
الرصيف في اللحظة نفسها لتي لمس جانبه الحجارة المطبقة عليها وأخذت  
سرعة النيل تقدمه مثبّتة إياه بلا حراك في المياه.

أعطى تانوس أمراً أخيراً، وقبل أن تتمكن السفينة من التقهقر، ألقيت  
حبال الرسو إلى الرصيف وجمعتها الأيدي لمتلهّفة بسرعة لترمطها بالمرابط  
المصرية. وبخفة رغبة إوزة سطحو على سطح الماء، سَكَّرَ الصندل العظيم  
أماً مطمئناً في مرساه، ولم يُزعج إرساؤه لا العرض الذي يجلس عليه  
الفرعون، ولا القاج الطويل فوق رأسه

انفجرتنا نحن المتفرجون في مديرت ثناء على هذا العمل الباهر ود راسم  
تانوس بدلاً من اسم الفرعون على السفينة وكلّ تواضع، وحصافة، لم يُبد  
تانوس أي اعتراف بتصفيف، فمن الحماقة أن يملك لنفسه من لانتباه  
الإصافي ما قد ينقصر من الترحيب الذي ينتظر الملك، وسيلقى ذلك أي  
خطوة ملكيه أكسبته مآثرته، ياها، إذ طالما كان الفرعون غيورا على هيبتة  
الملكية بدلاً من ذلك أشار إلى أنفاس حورس حسنة لنصطف بحارب  
الصندل، وعندما احتفت عن أنظارنا خلف عصامته، هبط عن حانبه إلى متنها،  
لنخرج من المسرح الذي حقق عنه هذا المجد، تاركاً إياه لملكه.

ومع ذلك، رأيت سماء الشُّحم و لصيق على وجه يميت، الأميرار المتيق  
أسد مصر العظيم، وهو يبرل إلى الشاطئ حسب الفرعون وعرفت أن  
تانوس قد أكسب نفسه عدواً قوياً آخر.



أمكنني في ذلك المساء الوفاء بوعدى للوستريس عندما جمعتُ حلائق  
الحفل في اسروفة النهاية وقبل أن يبدأ العرض، ندرتُ منح العاشقين  
ساعة خلوة قريباً

كُتِبَ قَدْ نَصِبْتُ فِي بَاحَتِ مَعْبَدِ أَوْزِيرِيسَ، الَّذِي قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ مَسْرَحَ  
حَفِيسٍ، حِصَانًا يُؤَدِّي نَوْرَ غُرُوبِ مَلَأَسِ لِكُلِّ الْمُسْتَلْبِثِينَ الْأَسَاسِيِّينَ. وَوُضِعَتْ  
حِجْمَةُ لُوسْتَرِيسَ عِندَ مَدْعُولِهِ بِعَصْرِ الشَّيْءِ عَنِ الْبَقِيَّةِ، وَمَحْجُوبَةٍ عِنْدَهَا  
بِالْأَعْمَدَةِ الْحَجَرِيَّةِ الصُّخْرِيَّةِ الَّتِي تَحْمِلُ سَقْفَ الْمَعْبَدِ. وَبَيْنَمَا أَقْفُ حَارِسًا عَلَى  
مَدْحَلِ الْحِجْمَةِ، رَأَيْتُ نَابُوسَ الْعَطَاءِ الْخَلْفِي وَاسْتَلَّ مِنْ تَحْتِهِ

حَاولْتُ أَنْ لَا أَتَنَصَّتُ عَلَى هَتَافَاتِ اعْتِبَاطِهِمَا عِندَمَا تَعَانَقَ، وَلَا عَلَى  
هَمْسَاتِهِمَا وَتَغَاظِلِهِمَا وَضَحْكِهِمَا الْمَكْتُومَ، وَالْأَهَامَاتِ وَاللَهْثَاتِ الْخَفِيضَةِ الَّتِي  
اسْتَحْتَنَاهَا بِمَآرِسَةِ الْحُبِّ الْمَحْشُومَةِ بَعْدَ ذَلِكَ وَرِغْمِ أَنِّي مَا كُنْتُ لِأَحَاطِلَ  
مَنْعَهُمَا فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، كُنْتُ مُقَنَّنًا أَنَّهُمَا سَيَبْلُغَانِ بِمَعَارِسَةِ الْحُبِّ هَذِهِ  
دُرُوتَهُمَا الْخَدْمِيَّةَ وَيَعْدُ رَمْسٌ طَوِيلٌ، أَكْثَرُ لِي لُوسْتَرِيسَ وَقُدُوسَ ذَلِكَ كُلِّ  
عَلَى حِدَةٍ، وَظَلَّتْ مَوْلَاتِي عِشَاءً حَتَّى يَوْمَ زَهَافِهِمَا، أَنَسَدَلُ كَمَا كَانَتْ لِنُخْتَلِفَ  
تَصَرُّفَاتِنَا آنَذَاكَ لَوْ عَلِمَ أَيُّ مَنَا بَعْدِي اقْتِرَابَ حُلُولِ يَوْمِ الزَّهَافِ ذَلِكَ عَلَيَّ

وَرِغْمِ أَنِّي كُنْتُ مُبَرِّكًا أَوْضَحَ الْإِدْرَاكُ أَنَّ كُلَّ دَقِيقَةٍ تَمُرُّ وَهْمَا وَحِيدَانِ  
فِي الْحِجْمَةِ تَرِيدُ الْخَطَرَ عَلَيْنَا جَمِيعًا، عَلِمَ يَسْعَى حِمَاً بَعْضِي هُنَا مِنْعُهُمَا  
وَتَقْرِيقُهُمَا وَرِغْمِ أَنَّ الْكِدْمَاتِ الَّتِي رَسَمَهَا سَوْطُ رَاسِفَرٍ عَلَى ظَهْرِي مَا زَالَتْ  
تَحْرِقُنِي وَأَنَّ حَسْدِي لِعَاشِقَيْنِ يَحْرِقُنِي بِأَقْدَرِ نَفْسِهِ فِي عَمَمٍ مُسْتَنْقِعٍ  
رُوحِي حَيْثُ أَحْضَرُ دَهْنَ كُلِّ أَفْكَارِي وَعِرَاضِي النَّاسِئَةِ، تَرَكْتُهُمَا مَعًا مَدَّةً أَطْوَلَ  
بِكَثِيرٍ مِمَّا يَنْبَغِي لِي

لَمْ أَسْمَعْ وَقَعَ خَطَوَاتِ سَيِّدِي إِنْتَقَفَ الْمُقْتَرِبَةِ، فَقَدْ اعْتَادَ تَنْحِيلَ صِدْقِهِ  
بِالْبَيْنِ جُلُودَ الْجَدَاءِ لِيَكْتُمَ صَوْتَ قَدَمَيْهِ كَانَ يَتَحَرَّكُ هَادِئًا كَشَحْجٍ، وَكَمْ دَاقَ مِنْ  
حَاشِيَتِهِ وَغَلَمَتِهِ سَوْطُ رَاسِفَرٍ أَوْ أُنْشُوطُهُ نَسَبَ كَلِمَةِ طَائِشَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ يَدِي  
مُضَادَّةً فِي أَشْءٍ تَعَشُّبِهِ اصْصَامَاتِ بَيْنِ رَدْمَاتِ الْمَصْرُ وَدَهَالِيرِهِ. لَكِنِّي طَوَّرْتُ  
عَلَى مَرِّ السَّنِينَ بِدِيَهَةِ تَمَكُّنِي مِنَ الشُّعُورِ بِوُجُودِهِ فِي مَعْظَمِ الْأَوْقَاتِ قَبْلَ أَنْ  
يَخْرُجَ مِنَ الْحُلَالِ. وَلَمْ يَكُنْ هَذِهِ الْبَدِيَهَةُ مَعْصُومَةً عَمَّا أَنَّهَا أَحْدَسِي خَيْرُ بَقَعٍ  
فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ، فَعِنْدَمَا نَظَرْتُ حَوْلِي مَجَآءً كَانَ عِنْدِي تَقْرِيبًا، يَتَسَدَّدُ بَيْنَ  
أَعْمَدَةِ الرَّدْمَةِ بَاحِيَّتِي، أَهْيَفُ وَطَوِيلًا وَفَتَاكًا كَمَلُّ مُنْتَصَبٍ.

صَحْتُ بِصَوْتِ عَالٍ حْدَ أَنِّي أَحْفَلْتُ بِنَفْسِي، «سَيِّدِي إِنْتَقَفَ! بَشَرَفِي قَدُومَكَ  
لِحُضُورِ تَهْرِيبَتِنَا، وَسَأَكُونُ فِي عَابَةِ الْإِمْتِنَانِ لِأَيِّ نَصِيحَةٍ أَوْ اقْتِرَاحٍ...»، وَحَدْتُ  
أَثَرُ بَعْثَاتِهِ مَعَارَلاً سَخِرَ ارْتِنَاكِي وَتَعْدِيرَ الْعَاشِقِينَ فِي السُّجَّةِ الْخَلْفِي

وتجسّستُ في كلا الموضوعين أكثر مما بحق لي توقعه. ثم سمعتُ جليبه  
الفرع المماثلة في خيمة الملايس من خلفي عندما تعارق العاشقان، وتلاها  
خفى لعمد الحلمي عندما نزل ثانوس من سحبه مثلما دخل.

ما كنت لأسمح في أي وقت آخر في حداث سيدي إنقاذ بهذه السهولة، إذ  
كان يهراً أدب على وجهي بوصف فرامتي لهبروعليفية على جدران المعبد  
أو حروري على هذه اللقيفة لكنَّ سحطه في ذلك المساء أعمى عيني، ولم  
يكن في لبّي إلا توبيخ على جبحني الأخيرة، فلم يتر ولم يهر غضباً، وكنت  
أعرف أن مولاي في أحمر حالاته عندما تكون لهجته مُهددة وبفسامته عدية.

وال بصوت يكان يكون همساً: «مريري قايقا، سمعتُ أنك عدلت بعض  
ترنيمات اعرض لاقتناحي للحقل على الرغم من أنني طلبتها شخصياً، ثم  
أصدق أنك تصرفت بهذه القطرسة، فاضطرت إلى قطع كل هذه المسافة في  
المر لأكشف نفسي»

عرفتُ أنه لا حدود من بصعُ العزاة أو العناء، لذا حسنتُ رأسي وجاهلتُ  
أن أبدو محزوناً: «مولاي، ثم تكن أنا من طلب التغييرات، بل قداسته، رئيس  
معد أوزيريس.»

لكنه قاطعتني بصبر يكان ينفد، «أجل، بالنظير فعن، لكن بعد أن حدثته  
على ذلك. أتملني لا أعرفكما أنت والكاهن المحور المُغمغم؟ ثم تسكن رأسه  
مكرة أصيلة مطاً، في حير لا يعلأ رأسك إلهاء

فاحتججتُ: «سيدي!»

ثم سألتني، بصوت ناعم كهخيم، خدي الأصيل المقدسة التي نجتاح  
المعبد وتنسل على البلاطات الحجرية، «أي حية صفيلة مكرة دُرب هذه  
المرّة؟ أكان حلمًا مؤثّرًا من الأحلام التي ترسلها الالهة لنا؟»

— سيدي

بدلتُ ما في وسعي لأبوء مصدوماً إزاء الاتهام، رغم أنني في الحقيقة  
حكمت للكاهن لطلب حكمة خبائية بفص الشيء عن زبارة أوزيريس إياي  
في هيئة عراب أسود وتجرّسه من الدم المهروق في محبده.

حتى ذلك الحين، ثم يكن الكاهن قد أعرب عن أي اعتراض على المطعة  
لمسرحيه لواقعيه التي أعدها سيدي إنقاذ لتسلية الفرعون، ولم الحأ إلي  
لأحلام إلا عندما هشت كل جهودي في إقناع سيدي بالعدول عنه، فقد حفت



مقتًا شديدًا أن أكون طرف في شناعة كالتي طلب سيدي أن تؤدي في الفصل  
الأول من الحفل، وبالطبع أدرك أن بعض شعوب الأراضي الشرقية تقدم  
أصحية بشرية لألهتها سمعت أن الكيشيين، الذين يعيشون حلف انهرين  
التوأمين رحلة والفرات. يلقون أطفالا حديثي الولادة في نهر سنقد، وبحكي  
أرباب العواجل الذين سافروا إلى تلك الأراضي البعيدة من مظانح أخرى تؤدي  
باسم الدين، عن عذارى صغيرت تدبحن لتحسين الحصاد أو أسرى حرب  
تقطع رؤوسهم أمام تمثيل إله ثلاثي الرؤوس.

بيد أننا نحن المصريين قوم متحضرون يعبدون آلهة حكيمة وعادلة،  
لا وجوشًا مخنوبة بسفك الدماء حاولت إقذع مولاي بهذا، وأوضحت له أن  
فرعون واحدًا فقط قدم أصحية بشرية في الماضي، عندما ذبح أمحقب<sup>(1)</sup>  
الأمراء المتمردين السبعة في معبد يست وخطع حثثهم أرباعًا وأرسل قطعة  
محنطه إلى حاكم كل مقاطعة تحنيزًا. لا يزال التاريخ يذكر الفعل بنفور، ولا  
يرال أمحقب حتى يومنا هذا يُعرف بالملك الدموي.

منارضي قائلًا، «ليست تضحية بشرية، بل محض إعدام مُستحق يُنفذ  
بطريقة مصرية بعض الشيء، إن تنكر يا قديق العرير أن عقوبة الموت لطالما  
كانت جزءًا مهمًا من نظامنا العدلي، صحيح؟ إن بود لص سرق من الخزائن  
الملكية ولا س أن يموت، وإن لم يكن موته إلا غيره للأحرار».

بدا كلامه معقولًا، غير أنني أعلم أن لعالة لا تهمة في شيء، بل ما يهمه  
هو حماية كثره وإثارة إعجاب افرعون، لذي كن عاشقًا للحفلات والمسرحة،  
ولم يترك لي ذلك بُدًا من أن أحلم لأجل الكاهن الطيب، ارتعفت شقة سيدي  
إختلف بعد ذلك في ابتسامه كشفت عن أسنائه المثلثة، لكنها جمدت دمي  
وقشعرت شعر قفائي.

ثم همس بالقرب من وجهي: «هالك بعض مصيعة أفرح أن يراودك حلم  
آخر الليلة، حتى يحظى إله اندي زارك المرة الماضية أي ما كان بفرصة  
ليلخي أوامره السابقة للكاهن ويجير ترتيباتي وإن لم يحدث ذلك، فسأحد  
بعض الحمل الإضافي لواسفر وهذا وعد مقدس أقطعه لك، واستدار موسعًا  
خطاه تاركًا إبي مرتاحًا لأنه لم يكشف العاشقين وبأسًا لأنني بت مُجبِرًا  
على المصير بالعرض لسائل الذي أمر به».

(1) الفرعون أمحقب الثاني، سابع ملوك الأسرة الثامنة عشرة، الذي أرسل حملة إلى بلاد ممسي  
في شمال سوريا وذبح بيده أمراء ممسي السبعة. (المترجم).

وطى الرغم من ذلك، نحت البروفة، بعد معاداة مولاي بجاحا مشجك  
نُعش مصوباتي، إذ أحاط بلوسفريس وهج سعادة بعد لقائها بتانوس جعل  
جمالها إلهياً بحق، وبدا تانوس بشابه وقوته حورس الشاب مُتحمداً

ألقني بطبيعة الحال دخول أوزيريسي لمسرح وقد صرتُ مدرّكاً مهبره  
لدي أمر سيدي إنتف به، أسي دور أوزيريس رجل وسيم في منتصف العمر  
سمه تود، كان أحد الحجاب حتى قبض عليه يمدّ يده إلى خرائي سيدي إنتف  
ببعل بعث شابة وباهطة أغرم بها، ولستُ فحور أن مدققي الحسابات هو ما  
سعد الصوة على الحبل بينها.

أطلق سيدي سراحه من الحجر حيث كان منتظراً محاكمة وحكماً رسميين،  
يؤدي دور إله العالم السفلي في الحفل ووعده أنه لن يتخذ أي إجراء إضافي  
في لمساءلة إذا ما أدى دور أوزيريس بصورة مرضية لم يكن تود الشقي  
مدرّكاً للخطر المخبأ في طيات هذا العرض، وألقى بنفسه في الأداء بحماسة  
مثيرة للشفقة معتقداً أنه موشك أن يكسب إعفائه، لم يعرف أن سيدي، في  
هذه الأثناء، قد وقع سراً على أمر إعدامه وسلم اللقيطة لراسعور، الذي لم يكن  
جلاد الدولة وحسب، بل خيارى لدور هبت في عرش المسمر هذا كذلك.  
كانت رغبة سيدي أن يجمع الدورين في المساء التالي عندما يؤدي الحصر  
أمام الهرعون، ودعم أن راسعور خيار بدهي لدور هبت، فقد ندم على منحه  
ياه عندما شاهده يتدرب على المشهد لافتتاحي مع تود، واربعتُ إزاء  
تصوري كيف سيمتظف الأداء الرئيس عن البروفة.

بعد البروفة، كانت مرّة مولاتي إلى احريم الواجب الأحب إلى قلبي، ولم  
تسمح لي بالمغادرة، بل أبقني لأستمع إلى موجرها المتحمس لأحداث النهار  
لاستثنائية والدور الذي لعبه تانوس فيها

- أرايت كيف نادى الإله العظيم حورس، وكيف أعابه الإله من فوره؟ إنه  
سمتع بكامل متحسان حورس وحمانيته بلا شك، ألا توافقني انري؟  
لن يسمح حورس لأي شر بأن يصيبنا، إنتي واثقة من ذلك الآن.

ثم بار الكثير من الكلام حول هذا لخيال السعد، ولا مزيد من الكلام عن  
انقري والانتحار ما أسرع تبدل رياح احب الشاب

- لا شك أن تانوس، بعد ما فعله اليوم، بعد إنقائه البندل الملكي من  
التحطم، قد كسب مكانة عالية لدى الفرعون أيضاً، ألا يحسن ذلك يا

تايقا؟ وأمام استحسان إلهه والفرعون، لا يمكن أن يذبح أبي في  
إبعده الآن، أيمنه يا تايقا؟

نقد موديث لأؤيد كل الأفكار السعيدة التي تمر ببالها، ولم يُسمح لي  
بمصادرة لحريم حتى حفظه على لأق درينة رسائل حب أبي أقسمت على  
حملها إلى تانوس شخصياً

وعندما بلغت مهجعي مُتهكاً في آخر، لأمر، لم أجد وقتاً للراحة فيه كذلك،  
فقد كان اطمأن جميعهم تفريراً سقطرونني، متحمسين ومهددين بمدر  
مولاتي هم أيضاً أرادوا سماع رأيي في أحداث النهار، ولا سيما إنقاذ تانوس  
لسفينة الفرعون وأهميته هذا الفعل، فسيما أطعم حيواناتي تراحموا حولي  
على الشربة فوق النهر ور حوا ينامسون على اسدي.

- أحي الأكبر، أصبح أن تانوس بابي الإله يبعده، وأن حورس  
تدخل فوراً؟ أريت ذلك يحدث؟ يقول البعض حتى إن الإله قد ظهر هي  
حيثه لصقربة وحوم فوق رأس تانوس، نشرقاً حياحي حمايته فوقه.  
أهذا صحيح؟

أصبح يا أخ أن الفرعون رقي تانوس إلى رتبة صاحب لفرعون،  
ومعه عربة وحسمته هان من الأراضي الحصنة على شاطئ النهر  
مكافأة؟

أحي الأكبر، يقولون إن يعرف في الضريح اصعدراوي نتحوت<sup>(1)</sup>، إله  
الحكمة، قد قرأ صالح تانوس، وتنبأ بأنه سيكون أعظم لمحاربين في  
تاريخ مصر وأنه سيال عبد الفرعون خطوة تقوى الصبح يوم ما.

من لميلي تذكر هذه لثرائر الطفولية، والانتباه إلى الحقائق الغربية  
المحتجة بين شائها، لكنني أمدك صرمتها مثلما صرقت الأطلاق مفسره  
زائفة.

عندما أعددت نفسي للنوم، كانت أخرى أمكاري أن تانوس قد سكن قلوب  
سكان المدينتين اتوءمتين الأقصر والكرنك وستقر فيها، لكن هذا لا متير  
مُشكّل وبمخط الثمن، فالشهرة والشعبية بولان الحسد في المراتب لرفيعة،  
وتملق الدخلاء ليس تايقا، ذلك أنهم في الغالب ما يستمتعون بتصريق اسجوم

(1) نتحوت، أو بوت إله الحكمة عبد المصريين القدماء وأحد أرباب ثامون الاثوميين الكوي نعد  
من أهم آلهة مصر العديده ويُصور برأس أبو مجبل (المزعج).

الذين سئموا منهم بقدر ما استمتعوا في رجعهم إلى هذه المبرية في المقام الأول.

من الآن كثيرا أن يعيش لمرء حمياً غير ملحوظ، كما أحاول دائماً أن أعيش.



في ظهيرة اليوم السادس من المهرجان، انتقل الفرعون في موكب مهيب من داره في عمرة الأراضى الملكية بالريف المكشوف بين الكونك والأقصر، مروراً بالجادة لمراسمة المصطبة مماثين لأسود العرانيته، إلى ممد أوريريس على صفة لنيل

بيما كانت الزلاحة الصممة التي ركنها عابئة علواً أحبر الحشود الغميرة المصطبة على جانبي لجادة على لى أعناقهم خلفاً ليرفعوا أبصارهم إليه فوق عرشه العظيم المدهب تهر متدحرجة كان يجرها عشرون ثوراً أبيض ناصعاً بأكتاف هائلة معدودة ورؤوس مقربة مكللة بالأزهار، وسحبت هاعتها لبلاط سحب شديداً ترك نوباً على الكتل الحجرية

فاد الموكب مئة موسيقي يعرفون على السمسيمات<sup>(1)</sup> والقيثارات، ويصربون الصنوج والطبول، ويهرون الحشحيشات والسيسترومات<sup>(2)</sup>، وينغحون في قرون الصها اصطولة المعنقيمة وقرون الكباش الحبية الملتفة شعثهم جولة قوامها مئة من أحسن الأصوات في مصر، يعي براسم النناء عى الفرعون وبك الإله الأحمر أوريريس، وبطبيعة الحال، كنت قائد الحوقة مشى خلفنا حرس شرقي من فرقة التمساح الأزرق بقيادة تانوس شخصياً، وخصته الحشود بتهليل مثير عندما مر مُرِيَّشاً ومُدْرَعاً من أمامها، ورعقت العذري وسقطت غير واحدة منهن مغشياً عليها في الرمل وقد غلبها الهستيريا التي أثارها الشهرة المكتسبة حديثاً.

وراء الحرس الشرقي، مشى انوزير ومسؤولو المصائب العليا إليه، ثم النبلاء وروحدهم وأطفالهم، ثم سرية من فرقة لصق وأحياناً عرية الفرعون العظيمة وبالإجمال، كان جمعا لعدة آلاف من اتري أهل المملكة العلب وأشدهم نفوذاً

(1) السمسمة آلة وثنية مصرية سطية ترجم حدودها إلى مصر القديمة (المبرحم)

(2) السيستروم، آلة موسيقية من عائلة الإنفاخ وترتبط بصورة رئيسة بمصر القديمة (المبرحم)

عند رؤيتها من معبد أوريريس، وجدت رئيس المعبد وجميع كهنة  
منتصبين على الدرج بين اسوارات الشاهقة لاستقبال العروب ماصوبين. كان  
المعبد قد طُلِيَ حديثاً، والنُحْبُ الغائر على لجدران الخارجية يتألق ألواناً في  
وهج عروب الشمس الأصفر اندفى، وثمة غيمة رامية من الألوية والريات  
تدور على سارياتها المثبتة في تجاويف الجدران الخارجية.

عند هذه الدرج هبط العروب من زلاجه وبدأ يتسقى الدرجات لينة في  
جلال مهيب كانت الجوقة قد اصطفت على حاذي الدرج واحتلت الدرجة  
الحامسة عشرة، لم تكن من تفحص الملك بدقة في بضعة اللواتي اني  
اسمرقها مروره بقرى.

وكنت أعرفه عبر المعرفة بأعمل، ذلك أنه كان أحد مرصاي سما سنق  
لكنني سببت مدى صغر حجمه، وأعني صغره بالنظر إلى كونه إنهما إذ لم  
يبلغ طوله ارتفاع كتفي، رغم أن اتاج المروج جملة أكثر جاذبية بكثير  
كانت ذراعاه مطويتين فوق صدره في الوثقة لمرسية وحاملاً عصا الراعي  
وامدية<sup>(1)</sup> الحاصين بمنصبه الملكي وألوهيته، ولاحظت متلماً لاحظت قبلاً أن  
يديه مديون وباعمتان وأنتويتان تقريباً، وأن فميه صغيرتان ودقيقتان  
كان يابس خوانم في كل أصبع يديه وقدميه وتماث في عضديه وأساور في  
معصميه، وكانت صدارة الذهب الأحمر الثقيلة على صدره مرصعة بألوان  
مختلعة من القيشاني<sup>(2)</sup> الذي يصور الإله تحوت حاملاً ريشة الحقيقة، ويعدُّ  
هذا المصراع كنزاً فيجلا عمره خمسمئة عام تقريباً ارتداه سبعون ملكاً من  
قبله.

أسفل التاج المزدوج، نئص وجهه بمسحوق يحاكي بياض الثلث، وكملت  
عيناه بإسراط يكمل أسود فحم، وألويت شفاته بأحمر مزّي وتحت المكياج  
لثقل، كان تعبير وجهه برتاً وشفته رقيقتان ومستويتان وحديثان، وعبداه  
مواريتين ومضطربتين، وفكرت في نفسي بأن ذلك غير مستغرب

فأسمع هذه العائلة المصرية العظيمة متصدعة، والمعكة ممزقة  
ومتداعية، وحتى الإله لا يبرأ من الهوم. في زمان مصري أمتد ملكها من

(1) عصا الراعي والمعدة رموز كانت تستخدم في المعجم بمصري القديم، وهي في الأصل  
سميت الإله أوريريس التي أصبحت سارة للبطنة المصرية القديمة (المترجم)

(2) القيشاني: حرق منطى بقشرة رقيقة بيضاء عليها طلاء أبيض شفاف يحقنه رسوم،  
(مترجم).

البحر، عند مصبات الدلتا أسبغة، جنوبًا إلى أسوار والجنبل الأول. كانت أعظم إمبراطورية على سطح الأرض، لكنه هو وأسلافه تركوها تنسل كلها من بين أصابعهم، وباتت حدودها المتقلصة تعج بأعدائها لمعططين مثل الصرع ولصور وسات آوى في انبطار اندراس حدة مصرنا.

فقد اجنلت الصوب قبائل إفريقيا السوداء، وسكنت الشمال على طول ساحل البحر الكبير شعوب بحر العرصانية، وسيطرت جحافل الفرعون الكادب على امتداد لراهد لسفلى للنيل. وهي العرب أقام البدو الغدرون والليبيون المذكورين، في حين بد أن قدس جديدة تظهر في الشرق يومياً، قبائل تدب أسماؤها باندعر في أمة صيرتها الهراثم رعديّة ومتذبذبة. الآشوريون والامبيدون واليكشيون والحوريون والحثيون، كأى عديهم لا ينتهي.

وأي أفضلية تظل بحصارنا العتيقة إن كثرت ضعفاً ووهناً مع كبر سنهم؟ كيف لذا أن نقاوم البربري بعزمه الوحشي وجبروته القاسي وشهوته لنسب والذهب؟ كنت على يقين من أن هذا الفرعون، كأولئك الذين سبقوه مباشرة، عاجز عن قيادة الأمة إلى أمجادها السابقة، بل كان عاجزاً عن انتخاب ولي عهد حتى

هذا أن هذه الحاجة إلى ولي عهد لإمبراطورية مصر تقض مصححه أكثر من خسارة الإمبراطورية نفسها، إذ كان قد اسحد حتى ساعتها عشرين زوجة لم ينجب له إلا البنات، تبيلة معينة من البنات، من دون صبي واحد، ولم يقبل أن يعيب فيه بوصفه الأب، بل استشار كل طبيب ذائع الصيب في مملكة العليا وزار كل عزاف في كل ضريح ذي شأن.

عرفت كل هد لأنني كنت أحد الأطباء المتبحرين الذين أرسل في طلبهم أعترف أنني شعرت بذاك ببعض الارتعاد إزاء وصف علاج لإنه، وتساءلت عن سبب حاجته إلى استشاره محص فإن في موضوع حساس كهذا ومع ذلك وضيت بحمية هائلة قومها خصي الثيران المقلية بالعسل وأشرت عليه بالبحث عن أجمل عدراء في مصر وجمها إلى سريريه الزوجي في غضون عام من أول إرمار لقمر أنوثته.

لم أومن كثير الإيمان في علاجي، لكن خصي الثيران، إن ما طُهيت وفق وصفتي، طبق لديش، وفترضيت أن البحث عن أحمل عدراء في البلاد قد يلهم الفرعون وسين أنه ليس مسئلاً فحسب بل ممتع كذلك ومن وجهة نظر

عملية، دافع صاحب البيت عددًا كبيرًا من الشابات فلا بد أن تلقى إحداهن  
سحرًا في الحريم في آخر الأمر.

بأي حال، عويت نفسي بأن علاحي ليس قاسيًا كعضد ما اقترحه أنراي،  
ولا سيّما تلك الوصفات المقررة التي لفقها رجالو معبد أوزيريس لذين  
يسمون أنفسهم أطباء ذلك أن موصامي وإن لم تكن لغلة حقًا، فعلى الأقل  
لا تضر هذا ما كنت أعتقد، ويا لحجم حظي الذي كشفته الأقمار، لو علمت  
حبيها عواقب حماقتي، لفصلت أحد مكان قود في الحف على إسداء القرعون  
بصيحة طائفة كهده.

شعرت بالسعادة والإصرار وقتئذ سمعت أن القرعون قد أخذ بصيغتي على  
محمل الحد وأمر أمراءه وحكامه بأن يطوموا طول البلاد من تل لعصارته  
إلى الحبال بحثًا عن ثيران ذات حصى كثيرة العسارة وفي عدراء قد ملائم  
المواصفات التي حددتها، لأن ابنة وأبعتني مصادري في بلاط الملك بأنه قد  
رفض بالعمل مئات المقدمات الطامحات لي لقب أحمل عدراء في البلاد.

ثم عرّني الملك سرعه وغاب في المعبد بين عويل الكهنة وتمایل رئيسهم  
المتدلل. تبعه مباشرة الوزير الأعظم وكل حاشيته، ثم ناب الصاحب المحجل  
للمواطنين الأدنى منزلة هي بحثهم عن أماكن يشاهدون منها تعذيبه الآلام.  
كانت المساحة داخل المعبد محدودة، ولا يُسمح إلا للعظماء والسلا والأثرياء  
بما يكفي لرؤية الكهنة اسصوص بسخور اباحة الداخلية، أما البقية فعليهم  
المشاهدة من بين لبوانات في الباحة الخارجية وبض آمان آلاف عديدة من  
المواطنين فلا يجنون بشأ من أرضا بسماع بتمثيلية مرويّة حتى أنا، المنتج،  
عانت كثير لمشقة في شق حريقى بين الزحام المشوي، ولم أتمكن إلا عندما  
رأى قانويس ضائقتي وأرسل اثنين من رجاله لينقذاني ويقنحا لي همزًا إلى  
الباحات المحصورة للممثلين.

قبل أن يتسنى للحفل البدء، كنا ملزمين بتحمل سلسلة من الخطب  
الطباية، أولاً من الموظفين ووزراء الحكومات، ثم من لوزير الأعظم شمسًا.  
منحتني فاصل لخطب هذا فرصة لأؤكد من أن كل ترتيبات الحفل سليمة،  
ممصت من خيمة إلى خيمة أفحص أزياء ممثلي ومكاحهم وأسكن لبوانات  
توتر المراج ورهاب المسرح التي تهجم في اللحظات الأخيرة

كان تود النائم فرحاً ومصطرباً من احتمال أن لا تُرضي أدائه سعدي  
إنقف، تمكنت من طعائنه بأبه سبرضية من دون شك، ثم أعطيته جرعة من  
الرهرة المبنومة، والتي من شأنها تخفيف الألم الذي يوشك أن يدرى به

عندما وصلت إلى حيمة واسهر، وحدثه بشرب الشيب مع صاحبين به من  
حرم القصر، وبشدد مدعه لبروري القصير بحجر شحذ، كنت قد أعددت  
مكيache ليحمله أينما بعد ما لم يكن إنجازاً سهلاً بالنظر إلى مستوى  
القياحة لعالي السبي بشأن منه وأدركت مدى نحاحي وقتما نظر إليّ شرباً  
بأسنانه المسوذة وعرض عليّ كأساً من العبيذ

- كيف حال ظهرك الآن أيها الهني الحميل؟ فلتتذوق شراب لرجال الهنة  
يعيد إليك حصيتك!

كنت معقناً لودعه، وحافظت على كرامتي بخباره أن سدي إنتف قد  
أبطأ أوامر رئيس الكهنة وأن الفصل الأول سيؤدي بصيغته الأصلية

فرجع سيفه قائلاً: دبق تحدثت إلى سدي إنتف بالفعل تحسس حد  
الصل أيها الخصي، وذا اسوتو من أمه يحظى بقبولك» وعذرتة شامراً  
ببعض لعنين.

وعلى أن فانوس لن يدح المعصاة حتى الفصل الثاني بعد كان في زيه  
الكامل بأعمل وقبض على كتفي، مسترخياً ومبتسماً، «حسناً ب صديقي  
القديم هذه فرصتك، فبعد هذا المساء، ستذيع شهرتك كاتفا معرجاً في  
جميع أصقاع مصر».

قفلت له: «مثلما داعت شهرتك بالعص، إن اسمك على كل لسان (لكنه بينما  
بدد الحديث بالصحك بتواضع غير مكثرت أكمل ..) هل حُضرت خطيتك  
الحثامية ب فانوس؟ أثود قرءتها عليّ الآن؟»

حزت العادة على أن يخنتم لحمل الذي يؤدي دور حورس استئيلية  
مرسالة إلى الفرعون، رسالة هي في طاهرها من الآلهة، لكنها في الحقيقة من  
رعاياه، في الأزمنة العابرة، كانت هذه هي المناسبة الوحيدة في العام حيث  
يتمكّن الشعب، بواسطة الممثلين، من لفت نظر الملك إلى القضايا المهمة  
التي لم يكن بإمكانهم معادته بمصروفها في أي وقت آخر لكن (أن حكم  
سلالة اموت الأخيرة هذه، سقطت هذه العادة، وصارت خطبة الخدم تقريراً  
آخر للفرعون الإلهي



مرّت أيام وأبأ أطيب من ثانوس أن يسمعني خطابيه، لكنه ماطلني في كل مرة بأعداد و هبة حتى صرْتُ أشك في نواياه كل الشك، وألححتُ عليه بعولي إن هذه هي العرصة الأخيرة، فصحك عليّ، وقال: «لقد قررت أن يكون خطابي مفاجئاً لك بقدر ما سيكون مفاجئاً للفرعون، وهكذا يستمتع كلاكما به أكثر» لم يكن ثمة ما يمكنني فعله لإقناعه، إذ إن بمقدوره أحياناً أن يكون أعبد وحرّ شاب همحي التقية على لإصلاح، فنركضه في حتى يسب بقليل، ومصيتُ أبحت عن صحة أكثر أساً.

عمدي الصدمة عندما احسنتُ داخلًا حيمة ملائم لوستريس. فرغم أنني صممت ربيها بنفسي وأرشدتُ إماءاً بدقة إلى طريقة تنفيذ البويرة وأحمر الشفاه والكحل، لم أكن مستعداً بهذا الطيف السماوي الواقف أمامي والحظة، افتنعتُ أن معجزة أخرى قد حدثت وأن الإلهة قد صعدت بالفعل من العالم السفلي بصر محل مولاي، فشبهتُ شهقة عالية وبدأتُ حقبقة بالتعهر على ركبتي في رهبة حراوية عندما موهبت مولاتي وأعطتني من وهي

قالت: «أليس هذا متعجّلاً؟ لا أطيق انقطار رؤية ثانوس في زيّه الكامل، إنني واثقة من أنه لا بدّ يبدو كالإله نفسه». واستدارت ببطء لتمكنني من استبداع ربيها، مرسلة ابتسامة بي من فوق كتفها فهممت: «ببس أشبه بالآلهة منك يا سيدتي»

سألتني بصر يكار بفد: «متى ستبدأ التمثيلية؟ لا يسعني لالتضر أكثر» بصتُ أدني تلقاء قماشة الحيمة وأنصتُ لحضة لصبر الحطانات في القاعة الكبيرة، وأبركتُ أن هذا هو الخطاب الأخير وأن سيدي إنتف سيدي الممثلين ليدروا في أي لحظة.

أمسكتُ بيد لوستريس واعتصرتها، ثم نيهتها: «شكري لوقعة الطويلة ولحظرة الشسخة قبل أن تبدئي خصل الامتدحي».

صفحتُ كتفي مداعبةً، وقالت: «نصرف من هنا أيها لتفاق العجور، سيكون كل شيء مثاليًا وسري».

في تلك اللحظة سمعتُ صوت سيدي إنتف يعلو «إله السماوي الفرعون هاموس، لأسرة المصرية العظيمة، عماء للممكة، العبد، العظيم، البصير، الرحيم...» وبسم نوات الألقاب ولشريفات حرجتُ مسرّف من حمة

لوسفريس وشمعت طريقتي إلى موقعي لافتتاحي خلف العمود المركزي.  
بطرت حول العمود ورأت أن الباحة الداخلية للمعبد مكنسة وأن الفرعون  
وكبيرات زوجاته جالسون في الصف الأول على مقاعد حفيضة من خشب  
الأرز. يرشقون الشراب البارد أو يقصمون أتمر وإسكهة المحففة

كان سيدي إنتف يحاطبهم من مقدمه المنصة المنصوية أسف المذبح،  
ولقي كنت مسرحتا، وكان نديها لأساسي لا يزال صاحبًا عن الجمهور  
سنائر كتابيه، فتعحصتها مرة أخيرة، وإن تأخر الوقت على فعل أي شيء  
إصافي خيالها الآن.

حلف اسنائر رُئيت خشبة المسرح بأشجار النخيل والسنت لقي زرعها  
الساتنة تحت قوحيهي، وكان بُني قد أوقفوا عن عملهم في مقبرة المسك كي  
بنوا حوصًا حجريًا في مؤخر المعبد يمكن تحويل جدول منه إلى المنصة  
ليمثل نهر النيل.

في بحزة الحلبي من الحشنة، شُدت بإحكام من الأرض إلى السقف ملاءات  
كتانية رسم فتادو المدينة الحداثرية عليها مشهد مذهلة، وفي البطلمة الحرثة  
للغروب، وتحت حلق وميص المشاعل في حاملاتها، بدا التأثير واقعيًا حتى  
إنه بأخذ الراثي إلى عزم مختلف في زمان سحيق.

وكانت ثمة مباحج أخرى أعددتها لتسليه الفرعون، من أقفاص الحيوانات  
والطيور والفراشات التي ستطلق لتحكي حق العالم على يد الإله أمور  
رع<sup>1</sup> إلى الشعلات والمشاعل التي عالجنها بمواء كيميائية لتحترق مصدرًا  
السنة لهب قرمرية وخضراء وهجة وأغرقت الخشبة بصوت حفي وسحب  
دحية كالتتي نعم العالم لسعلي حيث تعيش الآلهة.

- فلتمنح الحياة الأبدية باموس ابن رع ابن رع رعاياك المعلمون  
مواطنو صيبة، نتضرع إليك أن تدنو وتوبي هتمامك المقدس لهذه  
المثيلية استواضة لتي تهديها لعحامتك.

احتتم سيدي إنتف خطابا الترحيبي وعاد إلى محله. وبعدها نُفخ في  
قرون الكيش المحبأة، خرجت من حلف العمود وواجهت الجمهور كابوا قد

1) آمون رع، أو أم رع، أو أمرع، إله الشمس والرياح والحسرة وأحد الآلهة الرئيسية في  
العمود (العمود المصرية القديمة، (المترجم)

نكبوا الانزعاج والعلل فوق لبلاتلات الصخرية، وصاروا جبهزين بانكامل  
لبدء اتسالية، فرحبوا بدحولي بهتاف منحوح، وحتى الفرعون انتسم برقت  
رفعت كلنا يدي طالت الصمت، ولم أبدأ بمقدمتي إلا بعد أن ساد صمًا.

«بعضا كنت أتمشي تحت شعاع الشمس، شياً ملوّه حمية الصبا سمعت  
الموسيق المشؤومة بين القصب على ضفة النيل، لم أعرف صوت القيثارة.  
ولم أخف، فأنا في عيون رحولي، ومصوت في عشق ممشوقتي، كان جمال  
الموسيق فائقاً، فعصبت مبتهجا أبحث عن الموسيقي، ولم أعرف أنه الموت،  
وأنه يعرف على قيثارته ليدعوني وحدي»

نحس المصريين مأخوذون بالموت، لذا لمست من فوري وترًا عميقاً في  
باطن جمهوري فتتهدوا وارتعدوا.

«قبض الموت عليّ وحملني بذراعيه العظميتين ناحية آمون رع، إله  
الشمس، ومماهيت مع صوء وحوده الأنص، ومن مساة شاسعة، سمعت  
ممشوقتي تتنحب، لكنني لم أرها، وغابت أيامي كلها كأنها لم تكن».

كانت هذه أول قراءة على لملأ لتثري، وعرفت من فوري تقريباً أنني  
مكنت منهم، إذ كانت وجوههم داهلة ومُتكنة، ولا نسمع صوت واحد في  
المعد

«أحسني الموت في مكان عالٍ رأيت هذه العالم مثل ترس مدور لامع في  
بحر السماوات الأزرق. رأيت حصح لشجر والمخلوقات التي عاشت في جميع  
الزمان، ومثل نهر عظيم، سار الزمان عكسياً أمام عيني، جعبت مدة ألف عام  
أشاهد كفاحها وموتها. شهدت كل البشر يرجعون من الموت والشحوحة  
إلى الطفولة والولادة، وأخذ الزمان يزداد سحفاً شيئاً فشيئاً، حتى عاد إلى  
ولادة أول رجل وأول امرأة، فشاهدتهما في لحظة ولادتهما ومن ثم قتلها  
وأحيزاً. حلا سطح الأرض من العشر، ولم يعد ثمة إلا الآلهة.

لكن النهر ظل يتدفق متجاوزاً زمن الآلهة حتى وصل إسي نون<sup>(1)</sup>، إلى  
عصر الظئمة والهيولى البدئية، ثم لم يعد بمقدور نهر الزمان أن يتدفق أكثر  
من ذلك، لذا عكس حريانه وبدأ الزمان مسيره إلى الأمام كما ألقته في أيدي  
على الأرض وشاهدت ألام لآلهة قتمثل أمامي».

(1) نون، أو نور أول آلهة قديماء المصريين ويكمل بانماء (المترجم).

كان جمهوري كله متعصب في لاهوت محص ألهتنا، لكن لم يسبق لأحد منهم أن سمع امسرحيات اللاهوتية تقدم بهذه الصريغة المبتدعة، فبينما أنجب حسوا صامتين مسخوريين،

«ومن هينولى نون وظلمته، برغ آمون رع الذي حلو بنفسه بنفسه، ثم شامت آمون رع بدلك عضوه التماسلي، ويستمني قابلاً مديّه في الأمواج الهائلة التي خلفت اللطحة القصية التي يعرفها باسم الطريق السنّي<sup>(1)</sup> في السماء العظيم. ومن هذا العبيّ ون حب وثوت<sup>(2)</sup>، لأرض والسماء».

ثم كسر صوت واحد الصمت الواحظ في المعبد «باي- حر<sup>(3)</sup> باي- حزا أمين!»، إذ عجز الكاهن المحور عن تماك نفسه، وأقر بتسختي من قصه الحق، شذهني تغير موقفه حتى كدت أنسى السطر التالي، فبرغم كل شيء، كان أعب نقاسي حتى ساعدها، والآن فزت بقله بماء، وخلق صوتي انصاراً، «ثم اقرب حب وثوت وبدمعها، كما تتحلمح رحن وامرأه، ومن تحانطما المخيف ولد الإلهان أوزيريس وست، والإلهتان إيزيس ونيفتيس<sup>(4)</sup>».

ثم أومات إيماءة عريضة وانزاح الستائر الكفائية رويداً لتكشف عن العالم التخيلي الذي حقيقته لم يُر شيء كهذا في مصر من قبل، وشهو الجمهور دهشة، لمسعبت في خطوات مدروسة، وأخذ الإله أوزيريس مكاني على المنصة، تعزوه الجمهور هوز من عطاء رأسه الطويل الشبيه بالحوحة وذراعيه المطويّتين فوق صدره، ومحصا الراعي والمدة اللتين يحملهما إذ يحفظ كل أمره بتمثيله في صريحها لعاطلي.

عاشت صيحة إحلال من كل حلقوم، وهي الرابع، كان امسكن اندي أعطيته لتود بثير نالقا غريباً في عينيّه، مصعباً عليه حضور سماوياً غريباً جس شبهه بالإله مقبب بمصا الراعي والمدة، رسم أوزيريس علامات باطنية وخطب بصوت رنان، «انظروا النهر أتور<sup>(5)</sup>».

(1) الطريق السنّي أو درب النباة هي المسيرة التي تسلي إليها مجرعتنا الشمسية. (المترجم).

(2) جب إله الأرض في مصر القديمة، وأحد آلهة الثنايوس المقدس، تروج من أحت الإلهة ثوت، إله السماء، وأنجبا أوزيريس وإيزيس ومعب ونفتيس. (المترجم).

(3) باق في الهيروغليفية شخص ممان غده أحدها (حادم)، وحر تعني الإله الصقر حورس ورما بمعد الكاتب أن بقور (با حادم حورس). (المترجم).

(4) نيفتيس إلهة الولادة والمرثى وفقاً للمعتقدات المصرية القديمة. (المترجم).

(5) أتور (Atur, Aitor) من الأسماء التاريخية لهر النيل. (المترجم).

ومرة أخرى، حمل الجمهور ودمدو عندما يعرفوا اسبل، فاسبل بمثل مصر ومركز العالم.

نادى صوت آخر «باق حرا»، وبينما أشاهد من مجبسي المنخفي بين الأعمدة، نُجِلْتُ وشِرِزْتُ عندما أدركتُ أن المبادي هو الفرعون نفسه لقد حظيت مسرحيتي بالرضى الديوي والإلهي، وبث على يقين من أن تسختي ستصير الرسمة من الآن فصاعدًا، لتحل محل الأصبية البائعة من العمر ألف عام، صممتُ لي مكانًا في الطود، وسيعيش اسمي صيله الألهيه.

أشرتُ سهجة ليُفتح الحوض وتبدأ المياه بالتدفق عبر مسرحنا وفي البدايه، لم يستوعب الجمهور، ثم أدركوا أنهم يشهرون حقًا ظهور لنهر العظيم، وأطلقت آلاف الحلافيم صيحة. «باق- حر باق- حرا»

هتف أوزيريس. «شاهدوا المياه تغلوا»، واكتسح الطوفان النيل استجابة لأمره

ثم هتف ثانية «شاهدوا المياه تنعسرا»، وانسحرت عند أمره، «ثم علو ثانية»، كنت قد أعددت دلاء صباغ بضاف إلى الماء عندما نُصب من الحوض في مؤخر المعبد في البداية صباغ أحمر يحاكي فترة انخفاض مسوب المياه، ثم عندما علو ثانية، صباغ أدكن يحاكي بأماته لون مياه الطوفان المرتفع المحملة بالطين.

ثم أمر أوزيريس، «والآن شاهدوا الحشرات والطيور فوق الأرض»، ففتحت لأتفاح في مؤخر المبدصة، وملأت المعبد سحابة من الصيور البرية الصبّاحة والملققة والمدومة، والفراشات اسلونة رائعة الجمال.

كان المشاهدون كالأطفال. يمدون أيديهم، مسخورين ومفتوبين، ليحفظوا الفراشات من الجو ثم يطلقونها ثانية فتطير بين أعمدة المعبد الشاهقة، ثم هبط أحد الطيور لبرية هدهد طويل المنقار له نسق لوني باهر من الأبيض والقرمي والأسود غير هيّاب وحثم على تاج الفرعون

سُرت الحشود وراحت تهتف «إنه فال حيرا»، «مباركة للملك يعيش الملك أبدًا»، وانقسم الفرعون.

كان من رذلي أن ألحقتُ لاحقًا لسعدي بقف نأسي دريت الطير ليُمِرّ المرعون، وصدفتي رعم استحالة ذلك، على سمعة دأئعه فيما يخص الحيوان والطير

على الحشية، راح أوزيريس يحول في اسجدة التي حلقها، وأعد الحو  
للحطة ندراسة التي سخط عليها يست إلى المسرح مطلقاً رغبة تحمّد السم  
في العريق وعسى أنهم يتوقعونها، صدم حضوره الحثيف والشنيع الجمهور  
وصرخت النساء وغطّين أفواههن، واكتفين بالنظر من بين أصابعهن  
المرتجفة

حارست في سخط غيرته «ما هذا الذي فعلته يا أحي؟ أقرى نفسك أعسى  
مني شأن؟ ألسن إلهة أيضاً؟ أنخص نفسك بالخلق كله حتى لا يمكنني أنا  
أحوك، مشاركتك إياه؟»

أحابه أوزيريس بهدوء، وبدا حلاله باثياً وبارداً إذ أضيق اعقار سيطرته  
عليه: «بعد منحه أمونا، آمون رخ لكننا لكه أعطانا كذلك المي في اختيار  
طريقه نصرفنا به، بلخير أو الشر...» لعلت الكلمات التي بعث لإله يابها  
في جميع روياء المعبد كاتب أحسن ما كتبت، وشعف الجمهور بها، لكنني  
سوحيد الذي يعرف ما يوشك أن يحدث، وبينما أقوي بعسي تجهزاً له قسد  
حمن بالمفي وسلطوته

اقرب أوزيريس من نهاية خطابه «هذا هو العالم كما أظهرته، فإن  
شئت مشاركتي، ياه في سلم وحب أخ لأحبه، يا مرحباً بك، كن إن جئت ثائراً  
محرراً، وإن كان الشر والبعضاء قد أمرعا قلبك، فإنني أمرؤ إياك بالرحيل،  
ثم رفع ذراعه اليمنى المتسرولة بكدن لامع شفيف من رداثه ودلّ صفت على  
طريق مغادرة مردوس الأرض،

حذب ست تلكما الكتفين الضخمتين المشعرتين مثل حاموس، وحار  
حتى تصاير انصاق من شعنيه في غمامه عطرتها الأسنان لمتعنة في  
فكبه فأمكنني شمها من حيث أقف، ثم رمح سيفه العريض البروري عالياً  
وهجم على أحبه لم بحر المرائ على هذا قط، وباعت به أوزيريس ثاماً،  
عوقف ودرعه اليمنى لا تزال ممدودة، ثم همس النسر في هبوطه من  
شدة الصربة قصّت اليد عن معصمها بدقة تعلیمی بئلة من سائل الدالية  
المرروعة في شرفتي، وسقطت عند فمي أوزيريس لترود هناك بأصابع  
برممش ارتعاشاً واهياً

كانت لمباحنة ثامة وأسيب حاراً حتى إن أوزيريس لم يتحرك لوهلة  
طويلة، غم خلا بعض لتمايل، ولا بد أن الجمهور قد صدق أنها حيلة  
مسرحية أخرى، وأن اليد الساقطة دُمية، وأمعن في تهدئتهم أن الدماء لم

سبحس من فورهم. كانوا سيمحى أشد الاندماج لكنهم عبر فزعين، إلى أن  
تهادى أوزيريس حلف وقبض على جذع ساعده مطلقاً صرخة مريعة، وهي  
تلك اللحظة تدفق الدم من بين أصابعه ورد على رداه الأبيض، مصحاً إياه  
كأنه سيد مراق وبينما لا يزال ممسكاً لجذع، رح يترنج فوق المنصة وبدأ  
بالصرخ أسد صراخه، الذي خرج حاداً وحاملاً لآه إساناً واصحاً، حو  
الرصاص بين المشاهدين، إذ عرفوا أن ما يشاهدونه ليس رثاء، لكنهم علموا في  
صمت مدعور.

قبل أن يتمكن أوزيريس من بلوغ حافة المنصة، وثب يست حلفه بعاقبه  
المقوستين لفخبطتين، وأمسك بجذع دراعه مستخدماً ياه مقبضاً ليجره عوياً  
إلى منتصف المسرح، حيث أنقاه ناشراً أطرافه فوق سلاط الحجري فسقط  
الناج السري عن رأسه وهبطت صفائر شعره الداكن على كتفيه عندما بمد  
في بركة أحده بالانساع من دمه.

صاح أوزيريس ويست واقف فوقه: «اعفُ عني أحوك»، فصحك يست،  
وكانت ضحكته جواراً ملء حلقه من المتعة الحقيقية. تحول رأسه إلى  
يست، وراح يست يستمتع بوقتة أيما استمتع.

أيقظت لصحكة الوحشية الجمهور من غيبوبته لكن الهم كس مكتملاً،  
ولم يعود مصدقين أنهم يشاهدون مسرحية، بل صار هذا المشهد المفزع  
واقعاً في نظريهم حميقاً وبينما يشهدون مقتل إلههم مصاعد صراح النساء  
وهدير الرجال.

وعووا<sup>(١)</sup> هائلين، داعفُ منه اعفُ عن الإله العظيم أوزيريس!»، لكن أحداً  
لم ينهض من مجلسه أو يهرع إلى المنصة محاولاً منع تمثيل المأساة. د  
كان يعرفون أن صراعات الآلهة وآلامها خارج سلطة البشر الفانيين

مد أوزيريس يده اساقية وتحسس ساقى يست، وبينما لا يزال يصحك،  
تلقف يست محضه وشد ذراعه إلى كاس عولها، متلفحاً يها كما قد  
ينفحص حرار كنف ماعر قبل أن يسره

صاح صوت من الجمهور مثقراً مشهورة اندم: «اقطعها»، وبذل لموتانية.  
ثم صاح آخر: «اقبله!». لطالما أرشني الأثر الذي جعله منظر لدماء  
ولموت البتيف على الرجال مهما كانوا معتدلين، وحتى أنا هيأني هذا

(١) رموز القوم ضجروا وأعطوا (المترجم).

استشهد استرُوع، أصابني بالحُيَّان والدُهر، صحيح، لكنه هُجَّ فتحتهما حماسة  
منمردة.

قطع ست الدراع بتلوِيحة عرصيه من نصله، فسقط أوزيريس تاركًا  
إطراف المرنعش في يده احمرء وحروب النهوض، لكن لا يدير تسبانه،  
فراحت ساقاه تركلان ركلًا مقشَّنًا ورأسه يتقلب يَمَنة ويسرة ولا يرال  
بصرح. حاولت إخبار نفسي على لإشاحة سطرِي، ورغم أن صهرائي سعدت  
وأخبرت مؤخر حلمومي، ظلت أشاهد

قطع ست الدراع قطعًا ثلاثًا من مفصلي الرسغ والمرفق، وألقى القمط،  
وأحدة واحدة، إلى صفوف الجمهور المحتشدة، بينما تبرم في الحو من يمر  
فوقهم، نُقِطت بقطرات ياقوتيه اللون، ورأروا كما تزار السباع في حديقة  
حيوان الفرعون وقت الطعام، ورثعوا أيديهم ليلتقطوا بقايا إلههم المقدسه  
هذه

تابع ست عمه باستمتاع مثفان، فقرم قدمي أوزيريس من عند الكاحلين  
ثم الربلتين والركبتين والفخذين من مفصلي الوركين وكلما ألقى قطعة  
مبها، عطمت لأهماء طابئين المريد.

صوي صرث منهم: «تميمة ست! أعطا بيممة ست!»، وتلقف النقية  
ابصيحة. تقول الأسطورة إن التميمة هي أقوى العوارب السحرية كلها، وإن  
الشخص الذي يحوّزها يسيطر على جميع قوى الظلام في العالم السفلي،  
وهي الحزء الوحيد من أجزاء جسد أوزيريس الأربعة عشر إندي تم تسترته  
إيريس وأخته نفثيس من أقاصي لأرض حيث مرقها ست، وتميمة ست هي  
العصر نفسه إندي حرمي راسفور منه، وإندي بشكل محور القلادة الجميلة  
انتي أهداني، ياها سيدي إنتف هزءًا

وهوي الرعاع ثانية: «أعطيا بيممة ست!»، فخذ ست يده ورفع القلادة  
ابمحضله بالأحمر عن أسفل الجذع معلق الأوصال، وما زالت ضحكته لم  
تتقطع، رتجعت عندما تعرضت داك الصوت معدوم البرحة الذي كثيرًا ما  
سمعتة في جاساب عقبي، وعشت -تعاطفًا- اللامحة الساعة بين ساقبي مرة  
ثانية عندما التمع السيف القصير في كف ست لمشعر الفارق بدماء الضحية  
مالفعل، ورفع العضو المثير للشفقة عاليًا

ناشه لحشد وتوسلوا إليه: «أعطنا إيها! أعطنا قوة التميمة!»، وقد حوهم  
المشهد إلى وحوش كاسرة



تجاهل يست تصرعهم وصاح: «هدية من إله إله» أما يست، رب  
الظلم، أهني هذه التهمة للفرعون الإلهي، مأموس المقدس، وقطر  
هبط لدرج الحجري على قيتك الساقين المقوسين القويتين فوضع العصو  
عند قدمي الفرعون.

وما أدعشي أن امك بحس والتقطه ليحتفظ به، وكان وجهه تحت  
الدورة واصلاء مسحور، كأنه عصور الإله الحقيقي، لا شك أنه في تلك اللحظة  
رأه كذلك، وظل حاملاً إياه في يده في أثناء كل ما تلا

بعد أن لانت هديته القبور أسرع يست عائداً إلى المصصة ليكمل مزيحته،  
وأكثر ما أبحى مفارقتي هو أن دلا المخلوق التعس متور لأطراف ظر حياً  
وصاحي الحواس حي النهاية أدركت أن المقار الذي أعطسه سور لم يلد  
حواسه لا قليلاً ورأيت مصاضة مروعاً في هنيه وهو راق في بحيرة من  
دمه يقلب رأسه ذاب ليمير وذاب اشمال، لجرء الوحيد الذي لا يرال يملك  
تحريكه.

وعن نفسي، انتبلي راحة عارمة عندهم صرب يست بعد ذلك فقطع الرأس  
ورفعه من صفائره اسمكة المحدولة أمام الجمهور لستندوه، وحتى في  
تلك اللحظة، بينما دارت عننا لمخلوق العائس دوراً حاصاً في محجر بهما  
ألقي آخر نظرة على هذا الحام، ثم ركذت ولتمعت، وقذف يست بالرأس إليهم،  
وهكذا انتهى الفصل الأول من التمثيلية في تصفيق حماسي متصاعد هدب  
بهز أعمدة المعبد الجرايقية حتى تنخلع من أساسها



نظف معاوني من بعيد في فترة الاستراحة يقب المديحة الشيعية من  
المسرح، كنت قلقاً تحديداً من أن تدرك مولاتي لوسفريس حقيقة ما حدث  
في الفصل الأول، وأردت لها أن تظن أن كل شيء جرى كما نمرنا عليه، لذا  
رتبت أن تبقى في حبيبتها، وأن يحرس أحد رجال ثانوس مداخلها بصمان  
ذلك وضمان أن لا تتلصص إحدى عذارها الكوشيات على الفصل الأول وتهرع  
إليها لسمعها بما رأث. عرفت أنها لو علمت الحقيقة، فستسمعها اضطرابها  
من أبناء دورها وبينما يستخدم معاوني دلاء ماء من نيل منصت لخلل الأثر  
المزج أسرع إلى خيمة مولاتي لأطمئنها وأرضي بقسي بأن إجرءاتي  
لويديها كانت فعالة

استقبلني بمادة! وأره ب تايته، سمعتُ لصفيق، لقد أحموا مسرحك،  
وإنني سعيدة جدًا لأحلك، غابت تستيق هذا اسجاح أكبر استحقاق (ثم  
ضحكت ضحكة تأمرية)، هذا كأنهم صدقوا أن مقتل أوزيريس حقيقي وأن  
دلاء دماء الثور التي نقتل سود بها هي دماء الإله بحق،

واقفتها قائلاً، «بالفعل يا سيدتي، هذا أنهم حُدِّدوا تصاميمًا بحيلتنا الصغيرة»،  
دعم أني ما زلتُ أشعر بالدوار والتوَعُّك جراء ما عشتُه لقوي

ثم تَعَلُّك مولاتي نوستريس بشيء، وعندما قُذِّتْها إلى المصبصة، بالكاد ألق  
نظرة على اللطحات الرهيبة العالقة على الأحجار أوقفقتها ووقفقتها الافتتاحية،  
وعادتُ صوء المشعل ليدغيها، وعلى أني كنتُ معبداً حمالها، فقد ظل بحق  
حقوقمي ويُجري في عيني دموعاً لادعة

تركنت، محتببه بالستائر لكتيبه، وخرجتُ لأوجه جمهوري، لم يُلاعنني  
تصفيق سخر هذه المرة، وكانوا قرواً قرواً من الفرعون حتى أدنى نخدم  
شأنًا سمع أصف بعثري ارشيق بسُخَّع إيزيس وأصبها ففتيس على موت  
أحيهما أسرى لصوتي.

عندما تمحيثُ وأزيجتُ الستائر كاضفه صورة إيزيس المقجوعة، شهق  
الجمهور شهقة مسموعة إزاء بهائتها، فبعد لرعب والدم في الفصل الأول،  
صار حضورها مُحركًا للمشاعر أكثر

بدأت إيزيس بغناء مرثية الميت، وسرى صوبها عر ردهات المعبد  
المقبصة، ومع تمايل رأسها على إيقاع صوتها، أخذ صوء المشعل ينعكس في  
شعاع منبفع وامض عن انقمر ابروثزي الذي يعتلي غطاء رأسها ذي القربين  
بيما تغني راقبتُ الفرعون باهتمام. لم تفرق عيناها وجهها، وأخذت  
شفهاه بتحركات بصمت استحدثاً مع الكلمات التي يفص من حلقها.

قلبي غرائل حريج

مرقبه مخالف خزمي الأسنة..

راحت ترثي، ورجح بلك وكل حاشيته يتحشرون معها.

لم يبقَ في قبرص العبد حائرة،  
ولم يبقَ عطفٌ في زهرة الصحراء  
روحى صبيح حارٍ  
هجرة إلى الحب.

في الصب الفوق، أحوت واحدة أو اثنين من روجيت بمرحون ششج  
ونتشب لكن لم ياني أحد ملوثة عليهما شيء.

أنظر إلى وجه الموت المصعب منقسمه،  
ومسرور سائعه.  
عسى أن يذكي على من عي سيدي الفالي.

لم يبقَ النكاح حكرًا على روحات تلك من جدران النساء كلهن يبيكين  
ومعظم الرجال كذلك. كانت كلماتها وجمالها أشد مما يمكنهم مقبوتته. ربما  
محالاً أن يظهر إله المشعر معها التي يُظهرها إنسان من. لكن الدموع  
المنطبقة كانت تجمع سرفلي هي العودة البيضاء على حدي الفرعون، ويصم  
محدث إلى مولاتي موهبتوس روح برعش يجفيه اللذين لثقتهم نكاح  
كالبومة هذه الررياً من عر حكمة ضد لا إلكترونية  
محدث نصقيس وعنت نقاشه مع أحنوا. ثم عصت الأحتان من، بعد سمعت  
من أشلاء جثة أوريوس السبثرة.

بالطبع لم أصع الأعضاء الحقيقية المعطوعة من جثة تود ليعطر عليها،  
مقد استعاد محاربي في حلال ناهض تلك الأجره وأعدوها بالمعطين  
مؤجبهات من. كنت محرمًا ومع تكلف حنارة تود من جيبتي، يد يدا ذلك  
أقل ما يمكنني عطه لمحبوس المخلوق النفس من ديري في مقتله. ومصرع  
النظر عن المعطه المفقودة التي لا يزال الفرعون مسكناً إياه بعد، أمدت  
أن تمنح الآلهة استثناء تود ونسج لطيفه بالعبور إلى العالم السفلي، وأنه  
سيقتل لي هناك بعض الشيء، من الحكمة أن يضيء المرء صداقته حينما  
أمكنه لي هذا العالم أم لمي تاليه.

يمثل حسد الإله، حملتُ قبالي المديعة لحائرية يصنعون لي موماء  
رائحة من الكارتوناج<sup>(١)</sup>، تصوّر أوزيريس في شارب مُلكه الكاملة متحنًا  
وصعية الموت بذرّاعين مطويتين فوق صدره، وكُنْتُ قد قَطَعْتُ هذا الصندوق  
إلى ثلاث عشرة قطعة براكب مع كسكعدت الأطفال

وكلما ستعادت الأختان نفسًا من هذه الأقسام غنّا بربعة ثناء على  
أعضاء الإله، عى بديه وقدميه، وعلى أطرافه وجدعه، وأحيرًا على رأسه  
المقدس

هاتان العينان، الشبيهتان بنجمتين في السماوات

لا بدّ أن تلصقا إلى الأبد.

لا سموتُ مُحمّد جميلًا كهذا أبدًا،

ولا اللغائف الجنائرية محتوية هذا الحلال

وعندما جمعت الأضلى أحبرًا حسد أوزيريس كله، باستثناء النجمة  
المفقودة، راحنا تفكّرنا جهازًا في طريقة، عابته إلى الحية.

وكانت هذه فرصتي لأصيب إلى التمثيلية العنصر الجوهري الذي يُكسب  
أي عمل مسرحي إعجاب الذوق العام، إذ ثمة مسحة خليعة فاحضة في  
معظمه، ومن خير الكاتب المسرحي أو الشاعر أن يتذكر ذلك إن أراء أن يقدر  
عابية جمهوره عمله

فأنطقُ ابره نفقتس «لا توجد إلا طرمقه واحدة مصمومة لإعادة سيدنا  
وأحبنا العزيز إلى الحياة على إحدنا ممارسة فعل انتكاث مع جسمه الكسير  
إرجاعه كلّ من جديد وقدح شرارة حياة فيه»

اصطرب الجمهور ومانو إلى الأمام مترقبين هذا الاقتراح، ففيه عناصر  
تجذب حتى أشدهم شفق، بما في ذلك إسحاق العربي وجماع الموتى.

هاستُ الأمرين في إسعاد طريقة لتمثيل هذا الحدث من أسطورة قيامة  
أوزيريس على المسرح، وقد صدمتني مولاتي عندما أعلنت نفسها مستعدة

(١) الكارتوناج، نوع من المواد المستخدمة في أغلفة شوييت والموبيوان والآنسة «جنائرية»  
المصرية القديمة من العرة الانتقالية الأولى إلى العصر الفرعوني (المترجم)

لأناء دورها حتى انهابة، حتى إنها طلعت من ابواقحة ان بصبح، بتكثيرها  
الماجنه تلك، أنها قد تكسب بحصر المعروفه والحبرة العيّمه من معلها تلك.  
لم أعرف يقيناً أكانت تعابثني أم إنها كانت تتفعلها حقاً غير أنني لم امسحها  
الفرصة لتبين أمانتها من عدمها، إذ إن سمعتها وشرع عائلتها ضمن من أن  
يمعاً.

لنا وعند إشارتي، اسدات لسنائر الكثائبة مرة ثانية وغابرت مولاتي  
لوستريس المنصة لحلّ معلها إحدى مغايا لطيفة العليا والتي عادة ما  
كانت تدرس مهنتها بإتقان في قصر لسحب قرب المربأ كنت قد عست هذه  
المومس من بين عدة قابلتهم لأن جسدها لفتني البصيح يشبه جسد مولاتي  
كشر الشبه بالطبع، لم يكن وجهها قادراً على الاقتراب بحماه من وجه  
مولاتي، لكنني لم أعرف وجهه يمكنه ذلك بأي حال.

حالما اتخذت الربة البسيله مكانها، أشعلت المشاعل في مؤخر المسرح  
لتلقي طلها على السنائر، وبدأت تتفرّى بأشدّ الأساليب إثارة، هلل ذكور  
الحضور لمراى ابتعاباتها الظليلة مقسمين بأهم يشاهدون مولاتي  
لوستريس وردت العاصرة على هذا التشجيع بعرض باعر متصاعد كاد  
يحصد من استحسانهم ما حصه مذبح أوزيريس في الفصل الأول.

ثم أن أوار القضية التي أوقفنتني، بوصفي المؤلف، وقفةً مديدة، فأني بي  
اختراع الخصوبة من دور وتدرّ أشدها إليه؟ وقد رأيت أوزيريس لتو يحزم  
من وقده عنوة، اضطررت في النهاية إلى الانكفاء إلى تلك الوسيلة المسرحية  
العالية التي طالما ادرست وجوبها في أعمال أي كاتب مسرحي آخر، وأعي  
تدخل الآلهة وتوهم الحارقة لطبيعة

وببعض أحدث مولاتي لوستريس تردم من الأكفاف، وقعت دابها اسدلة  
الظليلة فوق تمثال أوزيريس المُنحَظ ورسمت سلسله من الإشارات الباطنية.  
ه أحي العريز، بالقوى الاستثنائية والحارقة التي منحني إياها جذا قصون رع،  
أعيد إليّ الأعضاء لرجولية التي مررها بست انقاسي بوحشية عن حسدله.

كنت قد رودت عطاء المومياء بأداة يمكنني رفعها عبر شد حدلة كتابية  
ربعة تمتد على بكرة معلقة في سقف المعبد فوق مضجع أوزيريس مباشرة.  
وعند كلمات يريس، ارتفع انقصب انقشبي، المعلق بلرج الإله، والذي يحاس  
طوب دراغي في جلال مهيب حتى انتصب تصام، وشهق الجمهور إعجاباً

عندما داعته إيزيس، هزرت الحيد لأحبه يتوثأ ويرتعش، فأحب  
الجمهور ذلك، لكنهم أحبوه أكثر عندما اعتلت الإلهة مومياء الإله الممدررة.  
وبالحكم من الحركات اليهودانية لمعينة لنشوتها، ارتفة، فلا يد أن العاهرة  
التي اختربتها لأداء الدور كانت إحدى دعاة منها العظماء بحق، ذلك أن  
الجمهور أقر إقراراً كاملاً بأدائها الممتاز، وحنوها على لاستمرار بالصغير  
والصباح وصراخ التوصيلات الحديثة.

في أوج العرض، أطلقت المشاعن وانعس المعد في الظلام، ثم  
جرى لتبديل مره ثامية في الطلعة وعندما أشعلت المشاعل كانت مولاي  
لوسفريس واقفة في منتصف المنصة حامله رضيع بين درعها كانت  
إحدى إماء المطبخ مثفئة بالحد الكافي لتلد قبر عدة أيام، وقد استعرت  
صغيرها لأحل هذه المتسنة

رفعت مولاتي الرضيع عاليه «هكم اس أوزيريس، إله انعام السفلي،  
 وإيزيس إلهة القمر والسحوم»، فلوى وجهه داهلاً إراء بحر الخرباء أمامه،  
 واستحال أحمر قائماً عندما بكى.

رفعت إيزيس صوتها فوق صوته وهتفت: «حيوا خورس الصعبر، إله  
الريخ والسما، وصفر لسموات!».

كان نصف الجمهور من أتباع خورس، لذا كانت حماسهم لراعهم  
مطلقة، منهصوا في هوشة هائرة وانتهى العصر الثنى بصر آخر لي وخرى  
لإله ارضيع، الذي تئى بعد معاينة لاحقة أن قد وشح قضاطه توسيحاً عجيب.



اقسمت الفصل الأخير بعض آخر من بخصوصي أصف فيه طعولة خورس  
وبلوعه أشده تكلمت عن المهمة المقدسة التي حمته إياها إيزيس، وبهما  
أتكلم، أريدت السناثر بتكشف عن الإلهة واقفة في منتصف المسرح.

كانت إيزيس تستحم في المس رقعة إماتها، وراؤها المبال منتصت  
بجسمها حتى إن بهاء جدها الشاحب يسطع من حلاله، وقد غطيت قعنا  
ثديها المبهمين ببراعم زهور صغيرة وردية اللون

سحل ثانوس من الأكفاف متقمصاً خورس، وميم على المسرح من  
قوره. كان في الدرع المصقول وشموح المحارب نقبض متاني لجمال لإلهة،  
وعد ركزت لائحة شريفاته الحربية الصويلة في حروب اندهر، إلى جانب

إسماؤه الأحرار بإيقاظه الصعدى الملكي، أحياء الشعب مأكمله عليه في هذه  
الحضرة، كن قافوس عزيز الجماهير، وقبل أن يسهه النطق بدؤوا بالتهليل  
له، واستمر التصفيق صويلاً حتى اضطّر الممثلون إلى التثبيت في وفاءتهم  
الافتتاحية

بينما التفت التهليل حول قافوس، انتقيت بضعة وجوه من بين الحضور  
ورحبت أرقب بها علائها. عنس نهبت وأناقب غليظ التأفف تحت لحيتي، من  
دون أن يبدي أي محاولة لإخفاء حقد، وانقسم لهرعون سداقة وأوماً برأسه  
إيماءة خفيفة فأدركت الجالسون حلقه استحسنائه واستنهضت حماسهم. أما  
سبدي إنقف، وليس من شيمه التحليق بعكس لرياح العالجه، فترسم أعذب  
ابتساماته وأوماً برأسه اتفاقاً مع لهرعون، لكن كانت عيده، إذا ما نُظِرَ إليهما  
من موقعي، قتالين.

حمد الصفيق أحراراً وصار بمقدور قافوس بطق سطوره لكن لم يحل  
دك من المشقة، إذ إنه كلما توبع ليحرّ نفساً ابتلعت فورة بهليل أخرى، ولم  
يحل العكور التزم عليهم ثانيه لا عندما بدأت يريص بالعداء.

لا بد لشقاء أبك.

والقدر انرهيب المدكى فوق أسرته.

أن يحيا.

حدثت إيزيس أنها السبل بالشعر وميت ذراعها إليه استحياءاً ومراً

حلت لعبة ميت علينا كلها،

ولا رافع لها ميرك.

اسحت عن عمت البشم.

ومن عجبته وهمجته.

سعره

خثبه عما تجده،

وكيله،

وغلّه إلى مشيئته،  
فتحرر كل الآلهة والبشر،  
من سلطان المروّج إلى الأبد.

استحيت لإلهة وهي مُستمرة في غنائها، تاركةً ابنها لمسهه ومثل  
أطفال مستقرّون أعية أطفال محبوبة، عرف الجمهور بمام المعرفة ما الذي  
ينتظرونه واحذوا، لي أمام متشوقين يهضمون تشوّف.

عندما عاد بست أحياناً يفعز إلى المسرح من أجل المعركة الكارثية، الصراع  
الأزلي بين الخير والشر، بين الجمال والقيح، وبين الاحترام والتدليس، كان  
الجمهور مستعياً له واستقبله بحوفة من الغصاء العفوية والقلبية، سيما  
بطل إليهم واسفر نظره تحدّور ح يبرير بينما تبحر على المنصة وأمسك  
أعضائه بيده ثم دفع بخصره نحبتهم في حركة هازئة وإشارة ساوية حينتهم  
سخطاً.

فدعوا يعوون «اقطله يا حورس» حطم وجهه انقيح ، وأخذ بست  
يخيل أمامهم، مُذكّي سخطهم

ثم هدروا في بوية شمرار

- اقتل قاتل الإله العظيم أوريريس!

- حطم وجهه

- احتثّ أحشائه!

لم تحلف حقيقة أن الحشد يعرف في عمو إدراكه أن هذا واسفر لا بست  
من فعله أيّ تحفيف، وصرخوا،

امطع رأسه!

اقطله اقطله!

أحياناً، تظاهر بست برؤية ابن أخيه للمرة الأولى، وشى بحبته متبحراً،  
مدلياً لسانه من بين أسنانه لمسوّدة، ومربلاً كمحتوه حتى إن حيوطاً قصية  
من اللعاب مُطّلت إلى صدره م كبت لأصدق قط أن واسفر قدر على جعل  
بسه أكثر تقيراً مما حققته الطبيعة بالفعل، لكنه أثبت آسي مخصي

سأل «من هذا الطفل؟»، وتحشأ في وجه حورس.



لم تكن قافوس مجهزةً لذلك، فبراح لا إرادتها، وكانت سعابير اشتزاره صدقة إن شتم أنفاس راسفر ومكتوبات معدته، والحبيد المر لا يزال يخنمر فيها

استمد تاموس موقفه بسلاسة وبنطق سطره البالي؛ دأب خورس، ابن أوزيريس،

فأطلق راسفر ضحكة هزئة محلجلة..

- وما لدي برده، يا ابن له ميت؟

أريد الانتقام بممثل أبي النسر، أريد قاتل أوزيريس

- إن كذاك بحثًا فأنا بست تهار الآلهة الأخط شأنا. أنا بست أكل اللحم، ومُدمر العوالم

اسئل الإلهان سيفيهب وهم أحدهما على الآخر، ليلتقيا في منتصف المنصة رققة صليل پرويز طبار أثاره ضرب النصل أصل كنت قد حرمت، في محاولة مبي لتخفيف احتمالات حدوث إصابة عرصية، استبدال اسيرف الحشيه بالبروتريه، لكن لم يقبل أي من ممثلي بها، وبدخل سبدي إئتف عنده ناشده راسفر، أمرًا أن يُسمح لهما بحص أسحتهما الحربية الحقيقية، فضطرت إلى الرضوخ بهذه السلعة الأعى، وعلى الأكل أثرى ذلك رفعية المشهد عسما صارًا واقعين صرًا لصبر وبصلاهما مشتبكين، يحدق أحدهم إلى وجه الآخر

شكلاً ثانياً استثنائاً، طرقي بقصص معاً وكلّياً مُشددين بذلك على مغرى امعرحية صراع الخير لأزلي في وجه الشر. كان تاموس أشمر ممشوق القامة حميل الطلعة، وبست أسمر بحداحاً قديحاً مقوس السافين وبدا التناقض صريحاً وعميقاً، واستحار مزاج لجمهور تارياً ومخيراً بعنف مثل مرج البطلين

دمع أحدهما الآخر حلما في اللحمة نفسه ثم هجم ثانية بطعنن ويشطلين وينافران ويصدن. كان كلاهما سيّافاً ماهز ومتدرب أحسن التدريب، ومن أفصل أمر د حيوش القرعون كلها دؤم لسيفس والتمص في ضوء الشعلة، فبدى واهيين كشعاع الشمس استعكس من سمح النهر العظيم السي كدوره الريح، وأخذ صوت رفرفتها يعنو كصوت أجنحه الطيور

المسجورة التي تركت محاثمها في أعالي المعبد السحناء، لكنه يطرأ عندما يصعدمان كطيرين المطارق في مصهر النحاس.

ما بدا لارائي معمرة معركة حفيمة، كن في الجمعية رخصة مُصممة بدقة شديدة تمرنا عليها بحد، فصارا يعرفان بالصسط كيف ينبغي إطلاق كل صرية وتوقيت كل مراوغة. كانا رياضيين ممتازين اخطرا في نشاط تدريب عليه صيلة خبثهما الحربية، وجعلاه يبدو عفويا.

منذما طعن بست، رفع حورس دفاعه متأخرا حتى إن السد لمست صدارته فجلا وترك جسدا صغيرا لامعا على معدنهما. ثم عندما أرسل حورس نفسه لي رد سريع، حلق حذو سبعة قريبا من رأس بست حتى خرت لفة من شعره احسن الأشعث عن حممته، كما لو أن شعره حلق جرثها كانت حركات قسميهما رشيقة ومعقدة كحركات راقصي المعبد، وكذا سريعين كصقريين وقرنين كهديين بصطادان.

كان الجمهور مسحورا مثلي، لذا لا بد أن غريزة عشقة ما قد حدرني، أو ربما وكرة من الأبهة حتى، من يعلم؟ عسى أي حال، شيء ما خارج إرادي جعلني أشيح بنظري عن المشهد وألقيه إلى سيدي إنقف حيث يجلس لي اصف الأول.

ومرة ثانية، أكانت غريزة، أم معرفتي العميقة به، ثم بدحر الإله العامي لقانوس ما زرع الفكرة هي ذهني؟ ربما بعض من ثلاثتها، لكنني عرفت بيقين عاجل ومطلق سبب تلك الابتسامة الذئبية على قسما سيدي إنقف ابوسيمة

عرفت لم اختار واسفر لدور بست، ولم لم بدل جهدا لعرن قانوس عن دور حورس، حتى بعد أن اكتشف العلاقة بينه وبين مولاتي بوستريس، وعرفت لم أمر باستخدام سيوف حقيقية، ولماذا يتسم لأن لم تنه المدحة لهذا المساء، بل هو متطلع إلى المرید وقبل أن ينهي هذا الفصل، سيُمنح واسفر موهبه خاصة مرة ثانية.

صرحت، قد انطبعت منقذما، حذار يا قانوس إنه يخاف إنه يعتزم... «ا لكن قصص الجمهور طنى على صيحاتي ولم أخط خطوة ثانية حتى قبض عليّ اثنان من مرابرة واسفر بشصات محكمة وحروبي بعيدا. كانوا قد وصغرو في هذا المكان تحسنا لخطه كهذه، بمعني من تحدير صديقي.

أَسْلَمْتُ تَصْرِيحًا سَرْمًا وَصَامِنًا لَنْ «مُلْأَيْ دِلْقُوهِ دَا حُورِسْ»، وَبَدَلًا مِنْ  
مَقَاوِمَتِهِمَا. دَعَيْتُ بِمَعْنِي حِينَمَا فِي اتِّجَاهِ شِدْهِمَا إِيَّايَ نَفْسَهُ، فَاحْتَلَّ تَوَازِيَهُمَا  
الْحَفْظَةُ، وَتَحَدَّرَتْ تَصَفُّ تَحَدَّرَ مِنْ قَبْضَاتِهِمَا، فَتَدَبَّرَتْ سَوْحَ حَافَةِ لَمْبَصَةِ قَبْرِ  
لَنْ يَسْتَعِيدَا السَّيْطَرَةَ عَلَيَّ.

وَدَعَيْتُ. «أَعِنْ صَوْتِي يَا حُورِسْ!»، ثُمَّ صَرَخْتُ مَلءَ رَتْنِي. «حَذَارِ يَا  
تَانُوسْ! بَرِيدُ قَتْلِكَ»

وَهَذِهِ الْمَرَّةَ حَلَقَ صَوْتِي فَوْقَ صَوْتِ لَعُوعَاءَ، وَسَمِعَنِي تَانُوسُ رَأَيْتُ رَأْسَهُ  
يَرْتَعَشُ وَعِيْدَاهُ تَصْبِيْقَانِ بِحُضِّ الشَّيْءِ، لَكِنْ رَسَقَرُ سَمْعِي مِثْلَهُ، وَاسْتَحْبَبَ  
مِنْ قُوْرِهِ، فَخَرَجَ عَنْ الرُّوْبِسِ الَّذِي تَعَرَّأْتُ عَلَيْهِ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَتَرَجَّحَ أَمَامَ رُوبَعَةِ  
الْتَعْطِيعِ وَالطَّعْنِ الَّتِي كَانَ تَانُوسُ يُرْسِلُهَا قَرِيبَةً مِنْ رَأْسِهِ الْبَهِيمِيِّ، تَقَدَّمَ إِلَى  
الْأَمَامِ، وَرَفَعَ ذِرَاعَ تَانُوسِ حَامِلَةَ السَّيْفِ بِحَرَكَةٍ صَاعِدَةٍ مِنْ سَيْفِهِ

لَوْلَا عُنْصُرُ الْمَفَاجَأَةِ، بَمَا فَتَحَ مِثْلَ الْبُخْرَةِ الَّتِي أُرْسِلُ مِنْ خِلَالِهَا طَعْنَةٌ  
تَدْفَعُهَا تِلْكَ الْكَتْفَيْنِ الْهَائِلَتَيْنِ وَالْحَذْمُ الْجِدَارَ كَانَتْ سُنُّ سَيْفِهِ مَصُوبَةً تَحْتَ  
رُوصَةٍ مِنْ حَافَةِ حُوْذَةِ تَانُوسِ وَإِلَى عَيْنِهِ الْيَمْنَى مُبَاشِرَةً، وَكَانَ لِنَسْفِدِ عَيْنِهِ  
وَبَقْلَقِ حَمَمِهِ حَتَّى السَّحَابِ

لَكِنَّ صَبِيحَةَ تَحْذِيرِي مَدَحَتْ تَانُوسَ لِمِطَّةِ بَعْمَةِ عَامِرِهِ لِمَسْتَحْبَبِ مَبْنَاهَا،  
فَسَمِعَادَ دَفْعَهُ فِي الْحَفْظَةِ الْمُنَاسَةِ تَعَامًا، وَبِمَقْصَصِ سَيْفِهِ تَدَبَّرَ لِمَنْ  
مَحْضَمُ رَأْسِ سَفَرِ بَصْرِهِ مَرْتَجِلُهُ بَلَعَتْ مِنَ الْقُوَّةِ أَنْ حَزَقَتْ رَأْسَ لِسَيْفِ عَرْضِ  
إِصْبَحٍ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ أَرْجَعَ دَقْنَهُ إِلَى الْخَلْفِ وَأَمَالَ رَأْسَهُ كَمَا الْآنَ قَدْ  
فَتَّ عَلَى تَفَادِي الصَّرْبَةِ كَلْبًا، لَكِنَّ الطَّعْنَةَ الَّتِي رِمَا كَانَتْ لِنَسْفِدِ عَيْنِهِ وَتَقْلَعُ  
حَمَمِهِ كَنَطْلَعَةِ مَبْعُفَةٍ، بَاكَاءَ شَقَتْ حَبْنَهُ حَتَّى الْعَطْمِ ثُمَّ تَبَدَّلَتْ فَوْقَ  
كَتِفِهِ.

وَعِنِ الْعُورِ تَدَفَعَتْ صَفْحَةَ دِمَاءٍ مِنْ الْجَرْحِ الطَّفِيفِ وَفَاضَتْ عَلَى وَجْهِ  
تَانُوسِ مَعْمِيَّةً عَيْنَهُ الْيَمْنَى، فَاضْطُرَّ إِلَى التَّقَهُّقْرِ أَمَامَ الْهَجُومِ الَّذِي شَدَّ  
وَأَسْفَرَ عَلَيْهِ، وَتَرَاجَعَ بِأَلْسَا يَرْمِشُ تَحْتَ أَيْدِيهِ وَيَحَاوِلُ مَسْحَهُ بِسِدِّ الْحَرَّةِ.  
بَدَا مِنَ الْمُسْتَحْيِلِ أَنْ يَقْدِرَ عَلَى لِدْفَاعٍ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ حَرَسُ الْقَصْرِ  
مُحْكَمِينَ وَثَامِي، لَأَسْتَلَّتِ الْحَنْتَمُ الْمَرْصِعُ الصَّغِيرُ مِنْ خَزَامِي وَهَرَعَتْ لَعُونَهُ.

تَمَكَّنَ تَانُوسُ، مِنْ دُونِ مُسَاعَدَتِي حَتَّى، مِنَ النُّجَاةِ مِنْ ذَلِكَ الْهَجُومِ  
الْبَحْوِيِّ الْأَوَّلِ، وَرَعِمَ أَنَّهُ جُدِحَ جُرْحَيْنِ آخَرَيْنِ، ثَقُوبَةً عَلَى فَحْذِهِ لِأَيْمَرٍ وَحَرْأٍ  
عَلَى رِجْلِهِ حَامِلَةَ السَّيْفِ، فَقَدْ طُلَّ بِتَمَائِيلٍ وَيَصْدُ وَبِرَوَاجٍ، وَظَلَّ رَأْسُ سَفَرِ

ينقصُ عليه من غير أن يسمح له باستعانة توازنه أو صحة بصره إجمالاً. وفي حلال دقائق، صار راسفَر ملهث وسفر مثل حرير العبابات المصنوع، ويكص ويقرق، وحده المشوّه يلتصق في ضوء الشعلة غير أن سرعة هجومه وضراوته لم تتقلّصاً قط.

وعلى أبي لست سناً عظيماً، لكني دارس لهذا الفن، وقد رانبت راسفَر يتمرّن في حظيرة الأسلحة حتى صرت عارفاً أسنوبه أحسن المعرفة. كن من أنصار هجوم الحماسين، أي الهجوم «كريح الصحراء»، وكانت مدورة ثلاثم فؤله وبنيته الحيوانيتين ملائمة قامة رأفته يتمرّر عليها في ملة مناسبة، وتكهنت الآن من حركة قبعيه أنه يستجمع قواه ليعزّه، فمن شأن هذا المجهود الأخير أن ينهي الأمر كله.

وبينما أكافح في قبضة أسري، صرحت بتانوس ثلثة «استعدّ لخماسير!»، وخلت أن الهدير الذي ملأ المعبد قد جرف تحديري وأغرقه، إذ لم يُد قانوس أي رد فعل، بكنه أخبرني لاحقاً أنه سمعني بالهجر، وأن تحديري الثاني أبعد مرة أخرى في عطب بصره.

تراوح راسفَر نصف حصوة، هي القوصنة «تقليدية الحماسين»، محققاً بذلك الضعف لحضه لئلاّ خصمه يلصقه. نقل وربه بعد ذلك ومدّ جسمه العسري إلى الصدر، ثم استخدم رُحمه وكامس قوة ساقه اليمنى يطبق جسمه كله إلى الهجوم، مثل طائر أكال حبيب بهمّ بالتحليق، عندما غادرت كلتا قدميه الأرض، وجه سرّ يصله إلى حلق قانوس، فكان الأمر حتمياً، إذ لا شيء يمكنه منع ذلك البصل القاتل من التحليق إلى هدفه وإصابته، إلا الدافع التقليدي الوحيد: محمة الإيقاف.

في تمام اللحظة التي صار راسفَر مُلتزماً فيها، بصريته كامل لا ترام، أرسل تانوس نفسه بقوة مكائنة ورشاقة عميقة. ومثل سهم بعدد وربه، حلق مستقيماً ناحية خصمه، فلاماه في الحو. وجمع بصل راسفَر ببصره تاركاً إياه ينزلق عليه حتى المقبض فاصطدم به بشدة وتسفر في مكانه، كانت ضربة إيقاف تُعدّ قتيلاً مثالياً.

ألقيت كتله الرحين أصحابين وسرعينهما على كاهن الحصل الجروزي في قبضه راسفَر، فحجر عن احتماص الصدمة وانقسم من جذبه تاركاً إياه لا يقبض إلا على انصاف المجزور، ثم عاداً مشتبكين صدرًا لصدر ورغم أن سبل قانوس لا يراى سيقاً، كان راسفَر قد دخل تحت دماغه مانعاً إياه

من استحضامه. بينما صارت كلتا يدي قانوس، واسيف لا يزال في قبضته  
السمي، معقودين خلف ظهر راسفر يدفع الرحلان ويحارب.

امصارعه إحدى العود العسكرية التي يُدرَّب عليها كل محارب في الجيش  
المصري راحا يدور على المنصة وأحدهما مغلول إلى الآخر دعناو الأدرع  
الطاحن، وكل منهما يحاول إسقاط خصمه، مزمرًا في عينيهِ، ومعقِّفًا كعبه  
ليعتزّه. ويصاحمان معقمتي حوزبهما، متكافئين حتى الآن بالقوة والعزيمة.  
شعر الجمهور منذ وقت بعيد أن هذا ليس اشتباكًا رافقًا، إنما قتل حتى  
الموت، وتساءلتُ أكان ما شهدوه في ذلك المساء قد أُنجم شهيتهم، لكنه لم  
يفعل، بل ظلوا بهمين، بوموعون طالبي المريد والمريد من الدم.

حرَّر راسفر ذراعَه أخيرًا من قبضة قانوس المصوّقة، وكان لا يزال قابضًا  
على بصل سيفه المكسور، فملعن بالحافة المثلثة ناحية وجهه، مستهدفًا  
عمدًا عينه، وجرح جبهته في محاولة لتوسيعه وإلهايه، فلوى قانوس رأسه  
متفانيًا الصرمة التي أصابت قمة حوزته البرونزية ومثل أصصة<sup>(1)</sup> تهمل  
التفافها حول فريستها، استغلَّ قانوس اللحظة ليصمد قبضته الطالحة حول  
صدر راسفر، كان الجهد الذي طبقه شديدًا حتى إن ملامح راسفر بدأت  
تتورَّم ونحقتن دماء، والهواء يُعتمر منه، وصر يكافح في وجه الاختناق، ثم  
أحد يصعب ضعفًا مرتبًا، وحافظ قانوس على الصعد حتى شد حراج على  
ظهر راسفر إلى درجة الانقواء وتفحَّر الصديد الأصفر في سبل أسر سال  
حتى حزام ثورته

عبر راسفر، وهو يحنق بأفعل إزاء ألم الدُّمل المفقوء وخارب قواه،  
شعر قانوس بدعنه وسندعي احتياطيًا عفيًا من القوة بدل زاوية حركته  
القائية، مرخيًا كتفيه بعض الشيء ليشد خصمه إلى الحيف ويرفعه موقفًا إياه  
على كعبه، واحتلَّ توز راسفر بنحة ديك، هجره قانوس ثانية وأرجعه  
خضوة، وحالف صار في حركة متراجعة، حافظ على رجمه مستمرًا وبينما  
لا يزال مشتبكًا بخصمه، أحد يسويه حلف عبر المنصة باتجاه أحد لأعمده  
الحرية الهائلة، ولحظة، لم يدرك أيًا نيته، ثم رأيناه يُنزل من سيفه إلى  
وصعية أعمية ويصغط النصاب بشدة إلى عمود راسفر لمصري.

(1) الأصل حبة بونة عظيمة. (المترجم).

وفي دفعة واحدة، خبط رأس سيف تانوس بالعمود الصلب، عصره  
امعدن على الجرافيت، ونقش النصل الصدحة التي أوقفت الرجلين الضحمين  
في مكابيهما، وحشرب قوتها النصاب في عمود واسفر المقرري كذب لتقتل  
رجلاً أضعف، وحتى واسفر شأته، فأطلق مع آخر دفعة من أنفاسه الكريهة  
صبيحة ألم، ثم انفتحت دراهه وسقطت لنبضة سيفه المسكور من يده معلقة  
على اسلاط المحوري.

بثث ركبنا واسفر وتدنى سن درعي تانوس، فشده قاموس إلى  
حصره وألقاه حلقاً مدفعة من مصفه السوي، هبط على الأرض هبطة ثقيله  
حتى، نبي سمعت تكسر أكثر من ضلع من أضلاعه مثل أعصار جافة في  
بار مُحبَّم، وارتطمت جمحمته بالبلاط ثم ارتدب عنه مصدرة صوت كصوت  
بطيحة سقط من على وخرج هواء رثييه صافراً من حلقه

أن واسفر مصاضة وبالكاء ظلم عبده قوة تكفي ليرفع يده مستسلم  
لتانوس، لكن تانوس كان مأخوذاً بحمماً المعركة، وملتهماً بهدمر الحماهير،  
حد أنه فقد السيطرة على أعصابه، ووقف فوق واسفر رافع سيفه عالياً،  
قامب على بصابه بكلاً يديه كان منظره مروّع، إذ حوّل الدم السائل من  
حيثته وجهه إلى قناع شيطاني لاصع، ونفخ العرق والدم شعر صدره وبقيها  
ثباته

حار الحشدة داهته اقتل الشرير!.

كانت سن سيف تانوس مُصوّبة إلى منتصف صدر واسفر، وبممت  
أصراف شجاعتي تيهز للطعنة التي ستخورق ذلك لحسد القبيح أردت  
لتانوس أن يفعلها ذلك أنني أكره واسفر أكثر من أيّ منهم، وتعلم لأكفه أن  
لنبي أسباني، فهو ابوحش الذي أخصاني، ونظاماً ثقت لانتقامي.

سكن لا جدوى. كان ينبغي لي أن أعرف عزيزي تانوس خيز من أن أوقع  
منه طعن عدو مستسلم. رأيت ديران احتور تيداً بالسو في عصبه، وهز رأسه  
بعض الشيء، كأنه يستعيد لسيطره على نفسه، ثم، بدلاً من الطعن، أبر  
س سيفه ببطء حتى بحر صدر واسفر محص نحزة، منتشبت السن الحادة  
قطرة دم قانية كالصق بين شعر صدره الخشن ثم استأف تانوس حوار

- وهكذا أخلك إلى مشيتي. وأطردك من لور سوف تقصي الأبيية هائف  
في الظلمات، ولن يكون لك سلطان على اسبيل والطبيب من الرجال  
بل أمسك حُكم اللص والجبان، والمتنمر والمحتال، والكذاب والقتال.

وسارق القبور ومعتصب العهفات، والكفر وحائن العهد. من اليوم فصاعدًا أنت إله أشركه فأتزحل الآن، ولتحمل معك لعبة خورس وأبيه المبعوث أوزيريس.

رفع تانوس رأس سدفة من صخر راسفر وأبقاه حائبًا بارغًا سلاحه عمدًا في حضرة خصمه ليظهر إدراعه واستحقاقه، صلص النصل على البلاط، ووسع تانوس خطاه لي مياها نير معرحة انجارية وضبط على ركبة واحدة ليعرف حفنة ويرشها على وجهه غاسلاً ادم، ثم مرّق شريط كتان من خشبة تنورتها وربط بسرعة اسرح على حنفته لموقف الدرف

تركي جربنا راسفر وفُرعنا إلى المسرح لبعثنا قدومنا لساقص. فأهصه ومشى بيدهما متربعا يلهث وبزهر مثل صعدع كرية، ورأيت أنه مصاب إصابات مأساوية ثم بينما يعوي الجمهور هُرة به وبعضًا له جراه عن المسرح.

راقبت سدي إنتف وكانت تعابيرها مكشوفة لحطتها، رأيت في وجهه تأكيد كل شكوكي: هذه حطته نصب انتامه على تانوس وشعاء غلبه منه، بأن ينحره أم م الشعب كله، ومن ابنته بأن يقتل حبيبها أمام عينيها، فيكون ذلك عقابها على استهانتها برغبة أيها

ببما تُفكر في العقاب الذي لا بدُ ينتظر راسفر كان إحباط سدي إنتف وحيية أمله كافيين ليُشعراني برغب معجرف، وأحسب أنه سيفضل خشوبة تانوس على ما سينزله مولاي به فسدي يبلغ أشد قسوته مع الذين يحدونه. وكان تانوس لا يزال يلهث جراء إرهاب المبرزة، لكن بعد أن انتس إلى مقدمة المنصة، حرّ درية ألقاس عميقة ليهدئ نفسه من أجل القصيدة الخطابية التي سيجزم احفل، وحل بصمت على الحشد عندما واجهه، إذ كان منظره في دمه وعضيه مهيت

ثم رفع كلتا يديه ناحية سقف المعبد وصاح بصوت عارٍ: «أعص صوبي نا أهور رع! وامتحني البلاغة يا أوزيريس..»، وهو الدعاء انتقيدي للخطيب. مرّ الحشد. «أعص صوته! امنحه بلاغة!»، ووجههم لا تزال نشوانه بكل ما شهدوه، لكنه حوى لسرمد من انسلية

كان تانوس ذلك المصنوق البدر: رحل أعمال برح أقوال وأفكار في آن معًا، وأثق بأنه كان على ما يكفي من السحاء بعرّ بأن العديد من تلك الأفكار

زُرعت هي دماغه بيد العبد لمخلص تايتا، عبر أنها زُرعت في أرض خصبه بأي حال.

أما عن الخطاية، فقد كنت مواعظ تانوس لأسرابه في عشيات المعارك شهيرة. بالطبع لم أحضرها كلها، لكنها نُقلت إليَّ حُرُفًا على لسان كرتاس، صديقه وملازمه المخلص، وسحبتُ العديد منها على مجموعة من بهائف الدردى، ذلك أنها تستأهل المحافظة عليها.

كان تانوس ذا شعبية بين الجميع، وقد رآ على استمالة عامة لذاس، كثيرًا ما فكر في أن معظم قدراته الخاصة هذه نبتة من صدقه الشفاف وأخلاقه القويمة، وقد وثق به الرحان وسمعوه طواعية جفنا قادم، حتى إلى الصوت نفسه

وعلى أني لا أرل مُجهذ الأعصاب إشر الصراع الذي شهدناه كلب للثو وهروب قاموس الخرج من العنخ الذي نصبه مولاي إنتف به كتب مقشوقًا سماع لقصيدة الخطابية التي نظمها من دون مساعدتي أو مشورتي ولأقول صدقًا كنت لا أزال ممتعصًا بعض الشيء إزاء رايحه عوبي، وأكثر من متوتر في ما يحصر ما قد يخرج به فسكيسة ولحيث لم يكونا من عزايا تانوس لماررة نط

ثم أشار الفرعون ناعيًا إليه يتكلم عبر مصالبة عصا الرعي وامتذية المراسمين ورجاعهما إلى جانبهما لأور مع إمالة رأسه بلطف، وكان لحشد صمتًا ومركزًا، وجميعهم مُنحني إلى الأمام بنشوق حتى لا يُفعل كلمة واحدة بدأ تانوس كلامه «إن هذا المتكلم أنا، حورس ذو رأس الصقر»، وحلفوا يشحروه

- إنه ذو رأس الصقر حقًا! اسمعوه

«حاج-كا-بتاج» (استخدم تانوس لصيغة القديمة التي شق اسم مصر الحالي منها وكان العارفون أن المعنى الحقيقي هو معبد بتاح قلة قليلة) أكلتك عن هذه الأرض لقديمة انتي مُحجناها منذ عشرة آلاف سنة، هي رمز كان جميع الآلهة فيه شبانًا، أكلتك عن المملكتين اللتين هما في الطبيعة واحد لا تشحزأس.

1) بتاج: هو مائه الربوب المندسة في الأساطير المصرية، وهو المبدود الخالق الذي عاش قبل وجود جميع الأشياء الأخرى وبارأته خلق العالم من خلال التفكير به، ومن هجاء اسمه اليوناني اشق الاسم للعربي بمصر (Egypt)، (المترجم)



أوما لفرعون برأسه، بد كانت هذه المُسلَّمة الاعتيادية، انني وافقت عليها  
كلا السطحتين الدينية والنيوية، والتي لا تعترف بالأفكار في المملكة السفلى،  
ولا حتى نهر بوحوده

«وا كيميت» ( ستخدم تانوس اسماً قديماً آخر بمصر: الأرض السوداء،  
ثيمت بلون طين النيل الذي يجلبه اصقوان اسدي)، أكلتك عن هذه الأرض  
المصنعة والمنقسمة، التي مرَّقتها الحرب الأهلية اعازة مستترفة اثروات،  
انعكست صدمتي على وحوه جميع المنصتين إليه، فقد طلق بما لا يليق  
مطقه، وأردت الإسراع إلى المنصة ونظم فمه لمنعه من الاستمرار، لكنني كنتُ  
ميهوذاً.

«وا تا، ميرى!» (اسم قديم آخر: الأرض الحبيبة. لقد تعلم تانوس التاريخ  
الذي علمته إياه جيداً)، أكلتك عن احترالات اشيوخ ولواهيين، والأميرالات  
الذين يمنعونهم صحتهم وتديبهم من انتزاع المملكة المعروفة من أيدي  
المغتصب، أكلتك عن رجال عتق خربعين يهرون ثرواتهم ويهرقون دماء  
أحسن شأنك كأنها تُهر سيد مُر،

رأيت في اصف الثاني من الجمهور نعت: أسد مصر العظيم، يحمزُ  
عضباً ويهرش بصيق لحيته مرشاً حذفاً، وعيس بعية كبار العادة العسكريين  
من حوله وأحنوا يتحركون باضطراب على مقاعدهم، مجبطين سيوفهم في  
أغمارها، إشارة إلى استنكارهم وببهم كلهم، بينما يشهد تانوس يهرب من  
مح لي سقط في تاليه لم يكن ثمة منسجم إلا مولاي إستف.

«إن أرضنا لحبيبه محاطه بلعيف من الأعداء، ورغم ذلك يعصل أيتاء النبلاء  
قطع أبهيمهم على حمل السيف لحمايتهم»، وعندما قار ذلك، نظر تانوس  
محدّة إلى مينسيت وسوبيك أخوي لومقريس الكبيرين، حيث جلسا حذاء  
أبيهم في لصف الثاني. كان مرسوم الملك لا يعفي من الخدمة العسكرية إلا  
دوي لإعاقات الجسدية التي تجعلهم غير لائقين، وقد ألقوا الكهنة الجراحون  
في معد أوريريس فن إرالة المفصل العلوي من الإبهام بقليل من الألم أو  
خطر الإلتان، ومن ثم يصير محالاً أن تحمل اليد سيفاً أو تشد وتر قوس. بينما  
كاتب الأيائل الصغير تتجح فحورة بتفوهاتها كانوا يقامرون ويعربدون في  
حبات شاصي النهر، إذ لم يروا لإصبع المققودة دلالة حس، بل دلالة قناعة  
وروح حرة.

كُنْتُ سَمِعْتُ أَحْوَا لَوْسْتَرِيَسَ بِحَادِلَانِ، «الحرب هي النحلة التي تلعبها  
الشيوع بحيوت الشباب، والوطنية أسطورة ابتكرها أولئك المحتارون  
المسنون ليحرونا إلى اللعبة للجهنمية فلا يحاربوا كما يشاؤون لسا تريد  
دورًا في حريهم، وبعثًا انصحت بأن مزلة الموحلة المصرية تحمل معها  
واجبات ومسؤوليات، وصرفاني بتعجرف الشباب الجُهلاء.

لكن الآن، تحت نظرة تانوس الثابتة تسلما قلقًا وأحفا يديهما اليسريين  
في طيات ملائسهما، وكان كلاهما أيمس لكهما أقنعا ضاحك التجديد بالعكس  
بملائيهما وواصل من الذهب.

همهم العامة في مؤخر الردهة الكبيرة وأخذوا يحبطون بأقد مهم متعقبن  
مع كلام تانوس فقد كان أبدأهم هم من ملأو ذلك التجفيف في الفراوس  
الحربية، وزحفوا تحت السلاح عبر رمال الصحراء

لكنني رحت أعتصر يدي في أطراف المنصة إحباطًا، تلك أن تانوس  
بحطابه الصغير عادي خمسين من السبلاء لشبان في الجمهور، وهم رجال  
سيرثون العسطن والنفود في المملكة العليا يومًا ما. فاق إعجاب قطيع العامة  
ثقل حصورهم مئة مرة، وصلت أن سوفف تانوس، فقد نسب في دقائق  
قليلة بصرر يكفي ليتزمتنا جميعنا مئة عام، بكنه تابع من دون كتراث

«وا تا ثوتري! (هذا سم قديم أحر كذلك أرض لآلهة). أكلمك عن الجائر  
والسارق الذي يكمن في كل قمة من قمم انقلال وفي كل دغل صار للفلاح  
مصطلاً إلى الحرث وبرسه حواره، ولا بد لمسافر من المصي وسيقه مسلول»

صق العامة ثانية، فقد كانت عارات السبي والذهب التي تشده عصابات  
الصصوص بلا رهيبًا عيهم كلهم، فلا يأمن أحد حلف جدران لقرى الطينية.  
وكان رعماء اللصوص الذين سموا أنفسهم بالصُّردان<sup>(1)</sup> متعجرفين وجريئين  
لا يحترمون قانونًا إلا قانونهم ولا يسلم منهم أحد.

صرب تانوس على الوتر لحساس لدى الشعب ضربه دقيقه، وفجأة  
حركتي هاجس أن هنا كله أعنى بكثير مم يبدو عليه، فقد قامت الثورات  
وأطيح بسلاطات القراضة بتهايلات حماهيرية مثل هذه في الماضي وبوت  
كلمات تانوس لتاليه شكلي.

(1) الصُّرد جنس صردان، طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والعنق يصيد الحشرات،  
وكانها تتلذذ من به، (استرحم

«سما تصرخ القبر تحت سباط حاملي انصراثه مسح السلاء أرداد  
أبتأهم الفجرة بأثم ريوب امشرقى». فقام هدير من مؤخر الزدفة، وحلب  
حماسة هائلة محل مخاوفي. هل خطط لهذا بدقة؟ أكن قانوس أمكر وأهس  
مما يعبته إليه؟

هتفت في قلبي «حق حورس! إن البلاد يانعة بالثورة، ومن خير من  
قانوس لقيادتها؟» ولم أشعر بالخيبة إلا لأنه لم يُسرُ إليّ ويشركني في حصته  
كنت لأحبط ثورة بمهارة وحكمة تصميمي حديقة مائية أو كتابتي مسرحية.  
مددت عنقي لأنظر من فوق رؤوس الحشد متوقعاً أن أرى في اللحظة  
التالية تماماً كراتاس وإخوته الصباط يقتحمون المسرح على رأس عثة  
من مخاربي اسرب، وشعرتُ بشعر ساعدي وففائي ينتصب حماسة وأنا  
أتصورهم يحتضفون انتاح المزدوح عن رأس الفرعون ويضعونه فوق حبهة  
قانوس لملطخة بالدم ويأثها من غبطة كانت لعمري في بضمامي إلى  
هتاف «يعيش الفرعون! يعيش الملك قانوس!».

بينما حامت صور طائفة أمام عيني تابع قانوس كلامه، رأيت نبوة  
عراف اصحراء تتحقق، وحلمت بقانوس، يحس على العرش الأبيض لمصر  
هذه ومولاتي لوستريس بجواره، وأنا أقف خلفهما مُشرقاً في حلة لوزير  
الأعظم للمملكة ابدا لكن لم نحو الآلهة لم يستشيري قبر اشري ع في هذه  
المجازفة المحيقة؟

وأوضح السبب في كلامه التالي. لقد أسأب الظن بعريي قانوس، عريي  
قانوس الصادق والواضح والصيب، عريي قانوس السبل العسكريم المأمور،  
الذي لا يقتقر إلا إلى الخدثة والاختلاس والخداع.

لم تكن مكيدة، بما كان قانوس يقول رأيه بلا خوف أو عثة وحسب.  
وصار العمة ادين كانوا منذ لحظات فقط متمسكين بحدي بكل كلمة تسقم  
عن لسانه، صامتين صمتاً غير متوقع أمام لطرف الحار لذل السدن عندما  
استدار وهاجمهم

«ألمني إلي يا مصر! ما معنى أن يصير المرء من بلاد حيث نحاول  
النائم سحق اعظام، حيث تُسبُ الوطني، ولا يُوفر مُسر لحكمته، حيث يسعى  
الحقراء والحاسدون إلى دك أولي الأخلاق إلى مستواهم الدي؟».

لم يهزل أحد الآن، إذ معروف أولئك في مؤخر القعدة أنفسهم في البصغ.  
ونجح قاموس بلا جهد في عزل كل واحد بينهم، عظيمًا أم صغيرًا، غنيًا أم  
فقيرًا رحتُ ألتحب متسائلًا لم لم يستشري، لكن الإحالة كانت واضحة جدًا:  
لم يستشري لأي كُنت لأعارض ذلك

«أي بضم في مصبح عبده احرار الناس، ويعذون أنفسهم ألدًا لنبلي  
المولد؟ (ثم انفجر ضحكهم)، أينبغي للود سبُ أميه وازدراء الحكمة التي اشتراها  
بالشعر الأشهب واجبهة المتعصبة؟ أينبغي لعاهرة الضغة ارتداء حواتم من  
اللازورد ورفع نفسها فوق الروجة القاضلة؟»

قلت بمرارة في خلدي: «وحق حورس لن يرحم أحدًا بينهم من سوط  
لسانه»، وكما هي لمادة، كان غافلًا ناعفًا عن سلامته اشتمصة في مسماه  
إلى ما يراه السبيل الصحيح المفتوح

لم يكن في المحيد إلا شخص واحد مسحور بما يقوله، إذ ظهرت  
لوستريس بجواربي وأخذت يذراعي.

قال في ما يشبه انتهيد: «أليس رائفًا يا قديقا؟ كل كلمة ينطقها حقيقة.  
إنه اليوم إله شاب حق»

عذرت عن إيجاد أي كلمات أو حراة لأوافقها، وبينما دأبت راسي أسى  
دابع قنوس كلامه بلا موادة.

«أيها الفرعون، أنت أم الشعب، وإنما تداشدت صالحين لحماية والمدد  
ضخ شؤون الدولة والحرب في أيدي الصادقين والأكفاء، أرسل الغشاشين  
والحمقى ليتعنوا في عزباتهم أنه الكهنة الغدارين وحدم الدولة لمربين،  
هذه الصفديات التي تعناش على حسد أرضنا تا ميري»

يعلم حورس أنني أكره الكهنة أكثر من أكثرهم، لكن لا يستلزل إلا أحمق  
أو فائق الشجاعة عصب كل مزعجي الآلهة في مصر على رأسه ذلك أن  
سلطتهم لا بهائية ويخضاءهم لدود، أما عن الموضوعين الحكوميين، فقد فتحت  
دروب نفوذهم ومساعدهم عبر لقرون، وكان سيدي إنقف رئيسهم جميعًا  
بينما ارتجعت شفقة على صديقي العزيز متلك الذهب مضي في إعطائه  
التوجيهات للمرعون عن كيفية إعادة بناء المجتمع المصري بأكمله.

«أنصت لكلام الحكماء أيها الملك، كرم البنان والساح، وكاهن المحارب  
الشجاع والحام المخلص. واجتث قطاع الطرق واللصوص من معاقلهم

الصحراوية، أخط الناس صدوةً وتوجيهًا في حيواتهم، فتربهر مصر ما تاربة  
وثرجع عظيمة»

ثم من تانوس على ركنيه في وسط المنصة وبسط ذراعيه: «أها  
الفرعون، أب أبون، وإنا نعلن حبنا لك. بالمقابل، أرى الآن حبَّ الأب اسمع  
تصرحاتنا، نتوصل إليك».

حتى تلك اللحظة، كنتُ مخدراً بعمق حماقة صديقي، لكنني حينئذٍ،  
مأخراً أكثر مما يحب، سددتُ حصاصي وأشرتُ بأصابع عمال المسرح  
أن يمدلوا السقارة أمام تانوس قبل أن يبعثه إرل المريد من الضرر وبينما  
رفعت طيات العمشة الساعة وأصفته عن أنظار الجمهور، جلسوا في صمت  
ذاهل كأنهم لم يصدقوا ما رأوه وسمعوه في تلك الليلة.

وكان الفرعون نفسه من كسر الظهر، إذ نهض ووجهه منهم خلف المكياج  
الأبيض المتيسر، وسجد الحشد أمامه بينما يحرق بوقار من المعبد وقبل أن  
يهبط سبدي إفتق إحلالاً مثلهم، رأيتُ بعابره، وكانت تعابير منتصرة



راققت تانوس عوداً من المعبد إلى مسكنه فقير الأثاث قرب الميناء  
أدى يرسو فيه سربه ورغم أنني مشيتُ بجواره ويني على نصاب حجري،  
مستعداً لأمروريا عراف صراحتة الهوجاء من قوره، كان غير نادم البتة،  
وفي الحقيقة، بدا غاملاً عن عمار حماقته ومسروراً من نفسه مقرط العزور،  
كنتُ استبتهت مراراً إلى أن الرحن المُعتق حديثاً من توتر قطيع وخطر قائل  
يصير مهوداً ومزمو، وحتى تانوس، المحارب الصلب، لم يكن استثناءً

قال: «لقد آن الأوان لأني يقف شخص ما ويقول ما ينبغي قوله، ألا تواسني  
الرأي ب صديقي القديم؟، رنُ صوته نفيًا وعاليًا على طول الرقاق المعصم،  
كأنما يعترم استدعاء أي مُغتال ينتظر، فأقيتُ موافقتي مكتومة

- لم تتوقع بك مني، أم توقعته؟ صرحني يا تانوس. لقد باغتك، اليس  
كذلك؟

قلت: «لقد باغتنا كلها (بمكنتُ هذه المرة من الموافقة ببعض الحماسة  
المريدة)، حتى الفرعون أحد على حين غرة، ولا عجب لي ذلك».

لقد أنصت يا تايقا، وأعلم أنه تلقى كل ما قلته، أبليت حسناً هذا المساء،  
ألا تظن ذلك؟

عندما حاولت فتح موضوع محوم راسفر المدار عليه وطرح إمكانية أنه  
ربما كان يتوجيه من سيدى إنتف رفض تانوس ذلك رفضاً قاطعاً، وقال:  
«هذا محال يا تايقا، إنك بحلم. كان السند إنتف أمر أصدقاء أبى فكيف عمه  
يصمر لي الشر؟ وأيضاً، أب صهره المستقبلي صحيح؟»

وعلى الرغم من إصباته، أطلق صيحة ضحكة سعيدة أيقظت لنيام في  
الأكواح المعنمة التي عبرها فصرخوا بها: «كُذِّرين - أن تصمت، ونجاهل  
تانوس احتجاجهم

وهنا. ولا لا لا شك في أنك محض لم تكن إلا راسفر بحرج صعبته  
بطريقته الأسرة الخاصة حسناً، سيكون أكثر حصوة في المرة القادمة  
(وألقي ذراعه حول كنفى فعبثي بشدة حتى ألسي)، فقد أمقتني مرتين  
اليوم، فولا تحذيراتك لئال مني راسفر في المرتين كيف تفعل هذه الأشياء  
يا تايقا؟ أقسم إنك عراف متكّم، وسمع سمعة المين الداخلية، وصحتك  
ثابتة.

كيف عساي أحمد عبطه؟ كان مثل صبي صبي كبير صاحب ولم  
يسعي إلا أن أحبه أكثر ثم يكن الوقت مناسباً لإنصاح الحظر الذي وضع  
نفسه وجميع أصدقائه، في معرضه

قلينعم بساعته، وفي الحد أنطق بصوت العقل والحيطه وهكذا، أخذته  
إلى المرل وعطبت الشق في حبهته، وغسلت بهية جرحه ثم دهنتها بحليطي  
الخص من العسل والأعشاب لمدح الغنغريد، وأعطيته بعد ذلك حرقه كثيفة  
من الزهره المعومة وتركت كراتاس الصيب حارساً على رفاده.

عندما بلغت مهجعي بعد منتصف الليل بمدة، وجدت استعداءين  
بنظرائي أحدهما من سيدتي لوهستريس والآخر من راسفر المهروم. لا  
شك فيض كنت لأبني نداءه لو صحت الخيار، لكنني لم أمتحه ذلك أن اثنين  
من مربة راسفر أحذاني جرّاً تقريباً إلى حيث يتمدد على فرش مقعه  
الحرق، يشتم تارة ويئن تارة، وتارة يتنادي يست وكل الآلهه ليشهدوا ألمه  
ومعاناته

حياتي، امتك نفسه بألم على أحد مرفقيه؛ «تأينا الطيب! لن نصدق قدر الألم. إن صدري يلتهب، وأقسم إن عظامي جميعها مسحوفة، ورأسي يؤلمني كأنه مشهود بسبور من الجدة».

لم أبتل كثيرًا من الجهد لأكتب سموح شعفتي، لكنه أمر غريب فيما نحن الأطباء والمعالجون أن قلوبنا لا تطاوعنا في حرمان حتى أبغض الكائنات من مهرانا الطبية إذا ما احتاجت إليها فتهدت استسلامًا، وفككت حقيقتي الجلدية التي تحوي معداتي الطبية، ثم بسطت أدوي ومراهمي.

أفرحني أن وجدت شميم راسفر لنفسه سليمًا تمامًا، هذا بالإضافة إلى الكدمات والجروح لسطحية الكثير، وثلاثة أضلاع مكسورة على الأقل، وكتلة في وفا رأسه بحجم قبضتي تقريبا، فصارت عندي علة مشروعة لكلامي لأزيد مشقته أيا زيادة كان أحد أضلاعه المكسورة في موضع خرج جدًا خارج الصف، وثمة حصر حقيقي في أنه قد ينقب الرئة ويسبب بثنته البربريان ويصح ويحوي بأكثر الأصوات إرساء، عالجت الصلع حتى أعدته إلى مكانه وقمطت صدره بضمادات كتابية متنوعة وفقًا حيذا بالحل لتكتمش عندما تجف.

ثم توجهت إلى الكتلة على قما جمجمته حيث ارتطمت باللاطات البحرية إن لآلهة لسحية في معظم الأحياء عندما وضعت قنديلًا أمام عيني واسفر لم يقبض بؤبؤاه، ولم يخامر ذهني أدنى شك في ما يخص العلاج اللازم، ذلك أن سائلًا دمويًا يتصنع في تلك الجمجمة الكريهة، ومن دون مساعدتي سيموت واسفر قبل غروب الشمس القادم، غير أدنى حديث الإجراء البدهي جانبًا وبكرت ذهني بواجب الجراح تجاه مريضه

لا يوجد على الأرجح إلا ثلاثة جراحين في كل مصر قاندين على ذهب جمجمة بنسبة نحاح حيدة، وعن نفسي ما كنت لأثق كثيرًا بالآخرين، ومرة ثانية، أمرت أبلهي واسفر بإحكام قبضتيهما عليه يلجأ اضطراره، ويتثبته مبطخًا على الفراش ومن خشونة تعاملهم وإهمالهما الواضح لأضلاع سندهما المصالة، حُنت أن فسيهما بسب عامرين بمشاعر لمحة ناحيته.

وثانية، بينما أحالت جوبة لزعيق والعراء الليلة شبيعة وأصغت النهة على أتعابي رسمت شقًا نصف دائري حول الكتلة على جلدة رأسه، ثم سلحت شريحة كبيرة عن العظم. لم يقد حتى هدين ابديريين الصخمين قاندين

على تثليثه، وصار اضطراعه يرش الدم عاليًا إلى سقف الحرفة ويرقشدا كلبه،  
فندوبا مصاصين بالحدرى، وأحضرًا، أمرهم ساحتًا سعيد مصصيه وكاحليه  
بقواثم السرير بأربطة جلديه،

صراح ينتحب «أوه يا قايقا الرقيق العيب، لقد جاوز لأكم حدود التصديقي،  
أعطني قطرة فقط من عصير الزهرة ذاك، أنوس إنيك يا صديقي العزيز».

الآن وقد صار مُحكم الوثاق إلى السرير، صار معقدوري احتمال تكلفة  
مصارحته «إني أهم شعورك حق ابهم يا عزيزي راسهر الطيب، وأن أيضًا  
كنت لأمتن حزين الامتتان لو حصلت على بعض من الزهرة وقتما ستلت  
سكيك علي آخر مرة. سكر وا حسرباه يا رفيقي القديم، لقد بعد محزن  
هعاميري، وإن نجى قافلة شرقية قبل شهر على الأقل» كذبت بحرص، ذلك  
أن قلة قليلة فقط تعرف أنسي أزرع الزهرة المدومة بنفسى ثم مدت يدي،  
عارفًا بأن الأمصل قاسم، وباولت مثقب اعظام.

الرأس لبشري هو اعصو الحسماني الوحيد الذي يُربكنى بصفتي طبيخًا،  
ومرولًا عند أو مر سيدى إنتف، كانت جثث جميع المجرمين المُعصمين تُسم  
إليَّ بالإصافة إلى أن ثانوس كان يحلب بي الكثير من العذبات لممتاره من  
ساحة المعركة، محلةً على نحو ملائم في جدار من الماء المملح، شرحتها  
كلها ودرستها حتى أعرف كل عظمة ومكانها الدقيق في الهيكل العظمي،  
وتعلقت طريق دخول الطعام إلى لقم ومروره عبر المسد، ووجدت ذلك  
العصو لمصيم والمهش، لقلب، مستكنًا بين ارتئين، نُفاحتي هواء، ودرست  
أنهار الجسد التي تفيض عبرها الدماء، ورصدت نوعي الدماء اللذين يقرران  
أهوء الإنسان ومشاعره

فتمة بالطبع ذاك الدم القاسى الفرج الذي إياك سيئه حرج مبصع أو فأس  
جلاد، ينبجس في دفقت منتظمة، وهو دم الأفكار السعيدة والمشاعر النقية،  
دم الحب واسماحة. ثم الدم لأكن الكالح الذي يتدفق من دون حماسة  
سابقه ومرحة الوثأب وهذا دم لعصب والأسى، دم الأفكار الموحشة والهمال  
الحبثة.

كل هذه المسائل درستها، وملأت مئة لفيفة بردي بملاحظاتي. لا أعرف  
رجلًا في العالم أسهب هذا الإسهاب وبالتأكيد لم يقس أحد أولئك السحابين  
في الصدد يتعاويدهم وحجبهم، بل شك أن أحدهم قادر على التعريق بين



الكبد والصورة الشرجية من دون الابتهاال إلى أوزيريس وإبقاء نرد التكهّن  
ودفع أجرة من اذهب مقدّمًا

ممكنى القور بكل نو صبح إسمي لم ألقي رجلًا بفهم الحسم لشري أحسن  
مني قط، ومع ذلك لا يزل الرأس يربكني. أهم بطبيعة الحال أن العيين  
تريان والأنف يشم والفم يتذوّق والأذنين تسمعان، لكن ما غرض تلك العصيدة  
لباهته التي تملأ قعره الجمجمه؟

عجرت عن إدراك ذلك بنفسى ولم يمنحني أحد تفسيرًا مرضيًا قط، إلا أن  
تاثوس اقرب من ذلك أكثر لجميع، فبعد أن أمصنت وإياه أمسية يتدوّق آخر  
غلة الثبيذ لأحمر امعتّق، استيقظ عند الفجر واقترح متأوّمًا: لقد وضع بيت  
هذه أشياء في رؤوسنا انتقامًا من الحسم الشري».

النقت مرة رجلًا مسافرًا مع قافلة جاءت من وراء لهرين التوعمين  
الأسطوريين، دجة والقراب، وأدى رعم أنه درس المعصلة نفسها كان رجلًا  
حكيمًا، وناقشنا الغارًا كثيرة على مدار نصف عام اقترح في مرحلة من  
نقاشنا أن كل المشاعر والأفكار البشرية لا تتبع من القلب، بل من تلك الخثارة  
الهشة معدومة الملامح التي تشكل الدماغ، ولا أذكر هذا الادعاء الساذج إلا  
لأؤكد الرلل القاتل الذي يمكن حتى لرجل ذكي ومبعم أن يقع فيه

لا يمكن لأي شخص يتأمل هذه المصو الهائل، القلب، النابض بحياته  
الخاصة في وسط لجسد، تغديه أنهار عظيمة من الدماء، وتحصيه حواجز  
من العظام، أن يشك في أنه العين التي تنشئ منها كل الأفكار والمشاعر  
ويستخدم القلب ادماء لينشر هذه المشاعر عبر لجسد، أشعرت قبلًا أن  
قلبك يصطرب قبك ويتسرّع أمام موسيقا حميلة أو وجه محبوب أو كلمات  
مرهمة لحطاب مؤثر؟ أشعرت قبلًا بأي شيء يقفر داخل رأسك؟ حتى الحكيم  
المشرقي اضطرّ إلى الإدعان أمام منطقي القاسي

ولا يوجد رجل عقل يمكنه تصديق أن بركة معدومة الدم من الحليب  
المُرّوب هاجعة في حزنها العظيمة يمكنها استحصار سطور قصيده أو  
تصميم هرم، أو تدب بالحب في قلب رجل أو تحمله على شن حرب حتى  
المحتظين بفترقودها ويرموئها وقتل يجهزون جثة لرحلة الطويلة

لكننا نواجه تناقضًا هاء، فإن أروع شيء ما هذه الكتلة الدقيقة، حتى لو  
كان صعط السائل المحصور فوقها، يهلك المريض لا محالة، ويحتج ثقب

الجمجمة من بون إ-عاج الجيب الذي يحوي هذه الخثارة معروفة دقيقه بينيه  
أرأس ومهارة عجيبة تصامًا، وأتمتع بكثا الصغتين.

وبينما أحفر العظم بأداة، يحدثني جؤار راسفر، صرب أتوقف دورياً  
لأنفس شخايا اعظام وبردتها عبر بخ الحن في الجرح، ولم تحسّ لأمة  
اسئل كثيراً من رماه المريض، إنما أبعثت برحة صوته المريحة

وفجأة، ثقب لمنقب البرويري الحمار الجمجمة ثقلاً دقيقاً واندفعت سائره  
عصبة صنعة لكنها قامة مفعن الضغط الساحلي، ثم أعيدتها على الفور دقة  
دم قائم متصعد أصابتي في وجهي، واسترحى راسفر من تحتي فوراً.  
أدركت، إدراكاً تراعقه رجة ندم حفية، أنه سينجو، وبينما أقطب شريحة  
جلية رأسه مكبها مغطياً الفجوة التي كانت لأم الحافية<sup>1</sup> تحقق لي أعماقتها  
خفقا مشؤوماً، تساءلت أكبتُ قد أسديتُ الحنس المشري خدمة عظيمة بحق  
محاظلي على هذا النموذج منه.

عندما دركت راسفر ورأسه مغطى بالصمادات، يشحر ويدن في رثاء ذات  
حتزيري وجدت نفسي منهكاً بالكامل، فقد استهكت إشارات النهار وأمواله  
محروون طاقتي الرحب، لكن لم تُقدر لي اراحة بعد، ذلك أن رسول مولاتي  
لوستريس كان يحوم على شرفة مهمني منتظراً ياي، وانقص عني حالما  
وطئت الدرجة الأولى فلم يمنحني إلا مهنة كافية لأحمل دماء راسفر عني  
وأبدل ملاسي الوسحة.

وبينما أهدى إلى مجدها، بالكاد يمكنني تعديم دم على دم، لاقتني  
سديتي بعينين متوهجتين وقدم تدق متوعدة، وهاجمتني من قورها: «أين كنت  
مخبئاً نفسك أيها السيد تايثا؟ لقد أرسلتُ في طلبك قبل الهزيم<sup>2</sup> الذي،  
وها قد اقتربنا من الفجر كيف تجرؤ على إبقائي منتظرة كل هذا لولت؟  
إنك تنسى مكانك لي بعض الأعنان، وعرف حق المعرفة عقاب العبيد  
الوقحين ..»

كانت هائجة أشدها بعد أن دركتُ أسداءها بتحرر طيلة تلك الساعات،  
وكأن حمالها في ساعة عصبها شادها، وعندما دقت بقبحها بحركتها الساحرة  
تلك، خيل إلي أن قلبي لا بد منصرفٍ نحبه لها.

(1) الأم الجالية غشاء سبك فكون من نسيج ضام كثيف غير منتظم يحيط بالدماغ والذخاع  
الشوكي وهي المنطقة الحرجية من طبقات الغشاء الثلاث المصفاة بالسحب (المترجم)

(2) عريع من اللير، طائفة أو معز تكثر أن يُرعى (المترجم)

ثم انشعرت في وجهي «لا تفلح مكانك مستسماً لي إسي حانقة معوي،  
حتى إن بإمكانني لأمر محدد»، ودقت بقدمها ثالثة، فشعرت بالتعب يسقط  
عن كاهلي مثل حمل ثقل. إن مجرد حضورها قادر على رد الحياة لي.

- مولاتي، يا له من دور رائع لعبته الليلة بدا لي ولكل من شاهدك أن  
إلهة السماوية نفسها تمشي بيننا

- ياك أن تحاول خيلك معي (ودقت بقدمها مره ثالثة، لكن من دون  
فتناع) لن تخلص من الأمر بهذه السهولة ..

- حقاً أقول يا مولاتي، ففي طريق عوبيتي من المعبد عبر الشوارع  
لمكتظ، سمعتُ اسمك على كل لسان. كانوا يقولون إن غناءك أحسن  
ما سمعوه على الإطلاق وسرق قلوبهم كلها.

- لا أصدق ولا حتى كلمة (لكن كن واصلها أنها تعاني استشفة في  
لمحافظة على حنقها) وفي الحقيقة، رأيت أن صوتي كن بغيضاً هذا  
المساء، فقد اصغص عز العلامة مره على الأقل وجرحتُ عن نفوثة  
مرات كثيرة ..

- لا بد لي من معارضتك يا سيدتي، إذ لم يكن صوتك أفضل من ذلك قبلاً  
ويا له من جمال! لقد أثار المعبد بأسره. (مولاتي لوستريس ليست  
فارغة حقاً، لكنها امرأة)

هبت صاحبة: «يا لك من رجل مطيع! كنت مستعدة للأمر بخلك هذه  
المره مستعدة حقاً لكن نعال اقعد بجواري على السرير وأحبرني بكل شيء.  
ما رلت منحمسة حتى إسي لا أحلبي سأمام لأسبوع»، وبينما أحدث بيدي  
مقارنتي إلى المرير كانت تثرثر بسعادة عن قاموس، وعن أنه لا بد قد أسر  
القلوب كلها وقلب الفرعون بأمانه ارائع وحنانه الحسور. وعن حورس  
الرضيع لذي نعوط على ثوبها، وتسالني أكنت أطبها غت جيداً بحق أم قلت  
دك محاملة.

اصطدرتُ إلى إسكانها في آخر الأمر. «مولاتي، لقد كاد الشجر يبرزع وعلينا  
أن نكون مستعدين لتغادر مع حاشية البلاط في صعدة الملك عندما يحبر  
النهر ليعاين معبده الجنائري ومقبرته. عليك أن تحظي ببعض لنوم إن كنت  
تريدين الظهور بأفضل حالاتك في مناسبة ملكية مهمة كهذه،

فاحتجت قائلة: «لست بعساة يا تابتاه، واستمرت في سيرها لسراحي  
 صى كئفي بعد بضع دقائق ونحط في النوم في منتصف كلامها،  
 أزلقت رأسها رويدًا على مسند الرأس الخشبي لمنفوش وعظيتها ببساط  
 من فراء قرد الكولبُس لم يسعني حمر نفسي على المغادرة من قوري، فبقيت  
 محوِّمًا بحوار سريرها، ثم طمعت قيلة رقعة على حدها، لم يفتح عينيها،  
 لكنها همست في وسدي: «أتظن أنني سأحظى بفرصة لأكلم الملك في الغد؟  
 ولا أحد سواه قادر على منع أي من إساءاتانوس،  
 لم أستطع التفكير بإجابة جاهرة لسؤالها، وبينما لا أزال مرتبكًا، غرقت  
 في نوم عميق.



بالكار تمكنت من جر نفسي عن كئيتي عند العجر، فقد بدا لي أنني لم  
 أكد أغمض عيني لأنام حتى آن أوان فتحهم ثانية. ورأيْتُ انعكاسي في المرآة  
 الرومزية مُرهقًا وعسي مُسحَّرين بالأرحواني، فاصتت لمسة مكياج سريعة  
 لأعطي أسوأ ما في هيئتي لمؤسسه؛ جمَلْتُ تجويف عيني بالكحل وملأته  
 الشاحبة بتفريشة إلمد<sup>١</sup>، ثم سرح أثار من القلمار شعري وسررتي النتيجة  
 حتى إنني كنت أشعر بالبهجة على حين أهرع إلى رصيف الورير الأعظم  
 الخاص حيث يرفد الصند الملكي راسيًا.

كنت بين آخر لمضمين إلى الحشد على لرصيف، لكنْ بدا أن أحدًا لم  
 يلاحظ وصولي المتأخر، ولا حتى سيدتي لوستريس التي كانت على متن  
 الصند بالفعل. فرائسها لبعض الوقت

كانت قد دُعيت للانضمام إلى النساء الملكيات، «لا تصم النساء الملكيات  
 روجات الملك فقط بل سراريه الكثيرات وجميع بناته باصبع، كانت الأحيرات  
 سبب معظم نعاسة الفرعون؛ سرب بنات تقراوح أعمارهن بين الدجاءات  
 ولداجات إلى غيرهن من الساعات عمر الزواج، وليس بينهن سبي واحد.  
 كيف يُصنَّ حلوى الفرعون من دون سبيل ذكر يحمله قدمًا؟

شق عليَّ تصديق أن لوستريس مثلي، لم تدم أكثر من مدعه أو اثنين،  
 فقد بدت عتجة ونصرة كإحدى رهور الصحراء في حديثي، وحتى في تلك

(١) الإلمد، عنصر كيميائي من أشباه المعادن كانت تستخدم لملائحة نهيق في الكحل. (المترجم).

الجمهرة الساعه من لجمال الأثوي المنتقاء بأيدي ممثلي الفرعون والعروسة  
إليه من حكمائه في أطراف الإمبراطورية، بررت بوسطريس كمتوثوة في رف  
من اقترات الصحراوية الصنعة اشحبه

بحث عن تايوس، لكن سر به كان راسيا بالمعز في أعلى المجري،  
مستعدا لمراقبة عبور الفرعون وقد أحال انعكاس الشمس لأخذه بالإشراق  
سطح النهر إلى صديحه نصيه متلألئه تحمي الأيصر بم أستطع النظر فيها.  
في تلك اللحظة، سري هدير طويل مستقر، ومد الناس أعناقهم ليشاهدوا  
معبّر لفرعون المعمر من القصر لي لصيد الملك.

كان معتمرا في ذلك الصباح النمس الفرعوني<sup>(1)</sup> الخفيف المصنوع من  
الكتان المُنشَى والمطوي، والمُنْت حول جبهته برباط الصل الفرعوني،  
الصل الهبي المنتصب الذي ينهض من جبهته بعصه رأسه لموسح وعيبه  
العقيديتين المرافقتين، رمز السلطة الحياة والموت التي يجمع بها الفرعون  
على رعاياه لم يحمل لملك عصا الراعي والمذبة، بل الصولجان وحده، وهو  
أقدس الكور بين حواهر العرش بعد التاج المزدوج نفسه، وذاع أن عمره  
بحاوز الألف عام

وعلى الرغم من جميع شارات امّك ومراسمه، لم يستحجم الفرعون أي  
مكياج، وتحت أشعة شمس العجر المباشرة، بلا مكياج يواربي حميخته، ظهر  
ماموس نفسه عابدا، محرد إبه محلي صئيل ناعم به كرش صغير مُدور يتأ  
من فوق دكة تنورنه وملامح منحوتة بحثا متشابكا بخطوط من القلق

عندما مرّ حيث أقف، ظهر عليه أنه تعرفني، ذلك أنه أوما برأسه إيضاء  
طعيفة، منسجت نفسي غورا على البلاط. توقف أداك ثم أشار إلي أن اقترّب،  
فحبوب قدما على يدي وركبتي وفقرب الأرض بجبهتي عند قدميه ثلاث مرات.  
سألني بذاك الصوت الهريش اشكيس «أأست الشاعر لينا؟»

أجبت: «أنا أعبد لينا يا صاحب السلالة أشعة أوقات بسندعي بعض  
القصاعر»، لكنني مخربش متوضّع أيضا».

(1) النمس الفرعوني غطاء محطط للرأس عظمه الملك في مصر القديمة، وكان يغطي التاج  
بالكامل ومؤخر الرأس والعنق. له طيسان كحجرتان ثقيلتان حاف الأذنين وأمام الكتفين، وكان  
يذبح أسيانا مع التاج المزدوج كما في صئيل رسمين الثاني. (المنزعم).

- حسناً، أيتها العبد تابتاً، لقد حريشت حسناً النحلة للمأخضة، ولم يسبق أن  
سلّاني حفلٌ هذه التعلية قطُّ، سأصدر مرسومًا منكياً يعلن خربشاتك  
المتروصة النسخة الرسمية

أعلن ذلك بصوت عالٍ علواً يكفي لتسمعه جميع الحاشية، وحتى سيدي  
إنتف الذي كان بضعه من كثب اسسم سرورًا، فسكّوني عدّه، بريح النكرم  
إليه أكثر مني، بأي حال، لم يكن العرعور قد أنهى كلامه بعد.

- أحبرني أيتها العبد تابتاً، ألسنت أيضاً الجراح الذي وصف لي دواء  
مؤخرًا؟

- أنا العبد الحفير نفسه، الوقح بما يكفي ليمارس بعض لطف يا صاحب  
الحلالة.

ثم أحفص صوته بم يسمع سواي سؤاله: «إسن متى سيمري معول  
دواء؟»

- سيحدث ذلك يا صاحب لحلالة بعد تسعة أشهر من تحقيقك كل  
الشروط التي عديدها لك (وعندما نحلف في علاقة جراح ومريضه،  
شعرت بجرأة لأردف)، أتبعث الحميه لتي أعيدتها لك؟  
بصباح محتجاً وفي عيبيه بريق مهاجبي..

- بحق يهدي إيليس السحيبي! إنتني مصلّي بخصي الثيران حتى إنه من  
العجيب أنني لا أحار إذا ما مر قمليع أبقار أمام بقصر  
كأن في مراج هيء فحريت دعاة صغيرة من دعاهي..

- هل وجد العرعور العجلة التي تترجتها؟

- و، حسرياه أيتها الصنوب ليس الأمر سهلاً كما قد يبدو، فأحمل الأزهار  
يزورها النحل أولاً. لقد شترطت وجوب أن تكون غير ممسوسة البتة،  
أليس كذلك؟

- عدراء وغير ممسوسة وفي ضمن فصلٍ من قمرها الأحمر لأول (ثم  
أصمت سريعا مصعّباً احتبار وصفتي بقدر الإمكان) هل رجدم  
جلائكم من تحقق هذا الوصف؟

تبدلت تعابيرها ثانية، وابتسم متفكرًا بت الابتسامة في غير مكانها  
هوق تلك الملامح الكثيفة، ثم عصم: «سري» «سري» واستنار ليصعد سلّم

الصدر. وعندما صار سيدي إنتفج بعدائي، أومأ لي إيماءة صغيرة بأمرني أن أصطف حفه، فتبعته إلى متن الصدر المكي.

كأب الريح قد نحسب في اليد وصارت مبه اندهر الناكبة ثقيلة ومنحه مثل ريت في برطمن، لا نكرها إلا الجطوط والدوامات فوق صفحتها حيث يحري التيار الخالد عميق وسريحا. حتى نصبت يذبحي أن يتمكن من العبور في هذي لظروف، وإن كان سرب ثانوس مشكل في مشككة غير مشحعة، كما يو أنه متجهز لإتقاده من الخطأ مرة ثانية.

أحدني سيدي إنتفج جانبًا حاسما بلعيا من لسقينة، وهمس «ما راب تحوز القدرة على مهاجأتي في بعض الأحيان يا عزيزي اتقديم (ثم اعصر دراعي) وقتما بدأت أشك بجديّة في ولاتك».

باعتقني دفقه السوداء هذه لأن جلديت سوط راسفر على ظهري ما زالت تلسعني، لكنني صأطأت رأسي لأحجب وجهي واسطرت أن يعطسي بوجهها لأطيعه، الأمر الذي فعله مباشرة.

«ما كنت لأكتب خطبة أنسب لثانوس يتلونها أمام العرعرين لو حاولت عندما قُتل الأتله راسفر فشلًا مُحرّمًا، أسقذت يومي بأسلوبك المعهود، وفي تلك اللحظة اتضح كل شيء، بعد ظن أنني كاتب حماقة ثانوس الجسيم، وأسي ألعنها لصالحه ولا يمكن أنه سمع صيحات تحديري لثانوس في لحظة جلعة امعد، وإلا لكن اعقل من ذلك».

رأيت همسه بهمس: «يسرني أنك مسرور»، وشعرت بارتياح هائل لغيب أي خطر يهدد موقعي النافذ. لم تكن سلامتي م أفكر فيه أبدا، حسنا، ليس كذا، بما كنت أفكر في ثانوس ولوستريس أيضا (د سيحتاجان إلى كل نتفه مساعدة وحماية يمكنني منحهما إياها في الأيام العاصفة التي تنتظرهما كنت ممبأ لأني ما رلت في موقع يفيدهما بعض الإمارة

«لم بكر إلا واحبي» وهكذا حققت أعلى استمادة من هذا المكسب المفاجئ.

أجاسي سيدي إنتفج «وسيقابل ذلك بامتثالي أتذكر قصة الأرض على القباه حلف معبد محوت لتي نأمشاها منذ بعض الوقت؟».

• باطبع يا مولاي.

كلان يعرف أنني أصيب إلى هذه لرقعة منذ عشر سنوات، فهي معبر  
مثالي لكتب ومكان يمكنني لأرواء إليه في شيوخوصي.

إنها لك جلب لي سعد الملكة هي الجلسة لتقديمه لأوقعه.

سُهلّت ودعرتُ إزاء الطريقة الحسيسة التي تملكها بها أحرًا على خيانه  
مُخَيِّلَة ارتكبتها، وفكرتُ لحظه برفض الهبة لكن لحظة فقط، بعدما  
صحوت من الصدمة كنا في عرض النهر مقرب من قم لقناة التي تقربنا عن  
لسهول إلى معبد المروعون صاموس الجبائري العظيم.

بما كنت قد تقصصت هذه ابقاء بأقل قدر من مساعدة المعمارين  
لملكيين، حطمتُ مفردًا تعرييًا لكامل عمليه نقل جسد الفرعون المعقدة من  
مكان وفاته إلى المعبد الجبائري حيث ستحدث عملية التحنيط

افترضتُ أنه سيموت في قصره على جزيرة القمقين الصغيرة البهية،  
ومن ثمَّ سحلب حثه هبوطًا عن اسهر في الصندل الأميري، فصممتُ القناة  
لتنسج للسفينة الضحمة مرقاحة، لذا انزلت فيها الآن بأبائه انزلاق سيف في  
غمده.

شقت القناة المستقيمة كنصل حنجري، ولتي كدح عشرات الآلاف من  
العبيد على مر السنين في بنائها ورصفها بالكتل الحجرية، تربة لسهل  
انصفي الطعالية السوداء ألقي حطوة حتى سقوح التلال لصحراوية الكالحة،  
وحالما أولح لصندل نفسه فيها، قبض مئذ عبد متين على الحبلين الممتدين  
من الجؤجؤ وبدؤوا بجره بسلاسة عبر الاسهر وهم يغتور إحدى أناشيد العمل  
الحرية الشمعة متقدمين في صفين على امتداد ممر الحر، ثم هرع الملاحون  
العمالون في الحقول المجاورة لقناة ليرحبوا بهاء واحتشدوا على انصفه،  
مبادرين بامباركات على امك وملوحين بسعف النخيل على حين يمر بهم  
الصندل العظيم الحبلين.

عذب انزلنا أخيرًا إلى الرصيف الحجري تحت لأسوار الخارجية للمعبد  
مصف المدهي، أوثق العديد الحبلين إلى حديدت لإرساء، وكان تصميمي  
دقيقًا حتى إن البوابه في جانب الصندل ترصعت بدقه مع مدخل بوابه المعبد  
الرئيسية.

وعندما استقرب المركبة الهائلة، نفخ البواقى فوق لجؤجؤ في قرر العرا  
اندي يحمله، فرُفع الباب المبرق لكشف عن عربة مقر الموصى الملكة هي



المدخل وحولها جماعة المُحيطين بأنوبهم العرمزية وحمسون من كهنة  
أوزيريس في صلب حلهم.

ثم بينما بدأ الكهنة بالإشياء كانوا يدحرجون العربة قدماً على محدداتها  
الخشبية إلى متن الصدر، فصعق الفرعون ببديه استحساناً وأسرع ليعاين  
هذه المركبة البشعة

لم أشارك في إنتاج هذا الاحتفال رديء لذوق، بل كنت بأسره صديعة  
الكهنة، وتماموا به لا شيء إلا ليقال إن الرتبة الذهبية المسرفة تسطع تحت  
أشعة الشمس المحرقة سطوعاً يؤدي الأعين تقريباً يقدر ما يؤذيها التصميم  
الفعلي. سيما بدمع الكهنة العربة لحرقاء إسي من الصندل أحمرهم كل هذا  
الثقل الذهبي على اللهاث والتعرق وأمل السفينة العظيمة نفسها بمالة  
مقلقة. كان بمقدور هذه الكمية من الذهب ملء مخازن حبوب المملكة العليا  
جميعها، أو بناء خمسين سرباً من السفن العاقلة وتجهيزها ودمع روثب  
ملواقيهم بغير سنوات هكذا يحاول الحرفي غير اللائق إخفاء شُح إلهامه  
حلف كبير سهر، لو أعطاني مواد كهذه أعمل بها، ربما رأوا بسمة مضللة.

كان مقدراً لهذه الدمامة أن تدس في لحفرة رفقة حنة الفرعون الهامدة،  
ولا يرقى إن كان تصميمها قد أسهم أيما إسهام في حراب المملكة المالي أم لا،  
ما دام الفرعون عرجاً بها.

بناء على اقتراح سيدي إنتف ركب الملك المركبة واتخذ محلته في  
المنصب لمصممة لتحمل ماووبه، ثم ابتسم له من هناك بأسياً كل مهابة  
واحتشامه الملكيين، ففكرت تفكيراً تشوبه غصة شفقة أنه ربما يستمتع  
بأكبر قدر باله من المتعة في حياته الكئيبة، ذلك أن موته هو لذروة التي  
وحه إليها معظم طاقة حياته وانتصره

وفي ما كان اندفاعاً واضحاً، أوما لسيدي إنتف أن ينضم إليه على العربة،  
ثم قلب بصره في المنظر المبهش كأنه سمع عن شخص آخر في الجمع، وبدأ  
أنه وحد من يريده، إذ أحس قلباً وقال شيئاً ما للوزير الأعظم.

ابتسم سيدي إنتف، وميز مولاتي لوسقريس رفقا لتوجيهاته، ثم أمرها  
بإشارة منه أن تأتي إلى العربة. ظهر ارتباكها واصف، وتورب وجهها تحت  
مكيأجها، وهذه ظاهرة بادرة في شخص قلما يخرج عن رزائته، لكنها توازنت  
بسرعة وصعدت من العربة برشاقة بدنية وبرجل طويلة عدة ما تحطف  
الأنظار كلها

سجدت أمام الملك بعد ذلك ونقرت جبهتها بأرض المنصة ثلاث مرات، ثم، أمام جميع الكهنة والماشية كلها، فعل الفرعون بعللة استثنائية؛ مدّ يده فأخذ بيد لوستريس وأنهضها، ثم أجلسها بجواره على المنصة. كان ذلك متجاوزاً كل الأصول ولا سابقة له، ورأيت وررءه مشادلون نظرات اللاهول.

ثم حدث شيء آخر حتى هم لم يدركوه في مهاجم انصبية حيث عشت طفولتي، عاش عبدٌ أصمٌ عجور صادق، وعلمني قراءة كلام الناس من دون سماع صوتهم، بل من حركة شفاههم بينما تشكّل الكلام، وكانت مهاره مفيدة للغاية يمكنني باستخدامها متابعه محادثة في الطرف انقصي من قاعة مردخية، بينما يعرف الموسيقيون ومصنك منة رجل حوسي وبصيح أحدهم بالأحر.

وفي تلك اللحظة، رأيت بعيني الفرعون يقول بصوت خفيض مولاتي لوستريس: وحى في صدى النهار، صورتك سماوية كما كانت صورة إلهة إيزيس تحت ضوء مشعل المعبد.

شعرت بالصدمة مثل لكمة في معدتي، ورحت أويخ نفسي أشد التوبيخ أكنت أعمى؟ أم كنت غيباً وحسب؟ يمكن لأي أحق أن يتوقع بلا رب الاتحاه الذي بمقدور تدخى العشوم أن يوجه للأقدار إليه

لا بد أن نصيحتي الطريفة للملك قد حوّلت انتباهه تحويلاً حتمياً باحياة مولاتي لوستريس، كأن دافعاً خبيثاً ما تحت سطح ذهني عمد إلى وصفها بدعة لتكون أم أول أبنائه، العراء الأجس في البلاد، التي ستؤخذ ضمن أول فصل يتلو إزهر قمرها، إنها في بالضبط. ثم، بالطبع، بتقديمي إليها بطلّة للحمل، عرضها أمام الملك أرق عرص ممكن.

كان ما أدركت معاً أنه موشك أن يحدث حظني بالكامل، بل بدا أنني دبوتّه عمداً، والأسوأ من ذلك هو أنني لم يعد بوسعي فعل شيء حياله لأن، قوقفت تحت أشعة الشمع مدعوراً وندماً حتى إفتني حُرمت من لسرني الكلام والحقن لبعض الوقت.

عندما دهم الكهنة المتعظمون العربة عن الامتن وعبر البوابة، سار الحشد من حولي حفاها، وخُملت معهم بلا حول ولا قوة كأني ورقة شجر يحملها التيار بلا مقاومة وقبل أن أتدبر استعادة حصاقتي، وجدت نفسي داخل الناحية الأمامية للمسد الحداثري عدأت أشق طريفي قدماً مداوفاً الدين

مستقروسي بممكني لأعبرهم وأصل إلى جانب العربة قبل أن تسع المدخل  
الرئيس للمدخل الملكي.

أحد هريق من الكهنة يدمج المركبة الذهبية الثقيلة إلى الأمام، وهريق ثانٍ  
يلتقط المحادل الخشبية من خلفها ويسرع إلى الأمام ليضعها أمامها ثم  
حدث تأخير وجير عذمت وصلت العربة إلى المنطقة غير المرصوفة بعد من  
الساحة، وبعد بفرش للكهنة انقش أمام المحادل بسبيل سور هذه الأرض  
الوعرة، انسلت سريعاً خلف صف الأسود الحجرية المنحوتة العملاقة التي  
تسطر طريق العربات، وأسرعت قاطعاً هذه المساحة الخالية حتى صرت  
بحذاء العربة، وعندما حاول أحد الكهنة سد طريقي ومنعي من الوصول إلى  
جانب المركبة، رمقته بنظرة كانت تتحوّل أحد الأسود الحجرية، وبغضت  
كلمة واحدة بداراً ما تسمع في حدهم المبعد حملته على التحي بحالة  
وثركي أعبر

بلغت بعدئذ لجانب القريب من العربة، ووجدت نفسي تحت لوستريس  
مباشرة، قريباً بما يكفي لأمد يدي وألمس ذراعها، وأسمع كل كلمة تحاطب  
الملك بها. عرفت فوراً أنها استعادت كامل رزانتها التي قلقتها اهتمام الفرعون  
المفاجئ بها، واعترمت أن يصهر بأهوى حلة ممكنة في عيبيه، ثم تذكرت  
بدؤس أن هذا ما حصلت له بالصبط: أن تسفل محباته لتصلح موافقته على  
رواجها من قافوس حتى وقت قريب يسبح الليلة الماضية، كنت قد بينت هذه  
للثرثرة ابنائية، لكن الأمر يحدث الآن، ويبر في قدرتي معه أو تحذيرها من  
للمياه الخطرة التي نوحه دمتها إليها

إن كنت قد أوحيت، في وقت سابق من هذا التاريخ، بأن مولاتي لوستريس  
ملعبة ضائشة لا تحس في رأسها الحمل إلا الهراء الروماني والتمتع التافه  
بمباهج الحياة، فقد قصرت في مساعي باعشرني مؤرخاً لهذه الأحداث  
الاستثنائية، وعلى الرغم من حباثة سها، كانت في بعض الأحيان أنصح من  
عمرها بكثير، ذلك أن بذات المصريات يزهرن مبكراً تحت أشعة شمس النيل،  
وكانت أيضاً بحثة مثارة لها وهي متقد وحاذب مفكر ومتحرر من طبيعتها  
ندست ما في وسعي لرعايته وتمنيتها هير السيرة.

بلغت تحت رعائتي مرحلة تمكنها من معادلة الكهنة في أكثر التعاليم  
الدينية عموضاً، والتصدي لمهامي القصر في مسائل مثل قوانين ملكية  
الأراضي وقانون أدبي معرط التعقيب الذي ينظم استخدام مياه النيل وبالصبح،

كانت قد قرأت وفهمت كل لفيفه في مكتبه القصر، بما فيها عدة مئات ألفها  
 مراوح من الأطروحات الحسنة إلى مقالاتي الدقيقة في ميكانيكات الحرب  
 البحرية، إلى جانب لغائفي لفلكية عن أسماء وطوائع الأجرام السماوية كلها،  
 ومراحلي في الرمسة والحصارة والسنة والبربرة<sup>(1)</sup>. يمكنها حتى مناقشتي  
 في مبادئ الخاصة في هندسة العمارة، ومقارنتها بمبادئ إلهوتوب لمنظم.  
 فكانت مجهزة أحسن تجهيز لنقاش أي موضوع من علم الفلك إلى طبيعة  
 الحرب، ومن السياسة إلى بناء المعابد إلى قدس مياه النيل وسطوحه،  
 وكلها موضوعات تستميل المرعون وليخد، يمكنها السجع والإلغاز وبتداع  
 إشريات لمسلية، ودخيرتها اللعوبة ماسع دحبرتي تقرين، بوحير العمارة؛  
 كانت ماهرة بارعة ذات حس دعابة حاضر وعصاحة لسان وصوت عتس  
 وصعكة عدية شوشة، وصدقاً أقول، لا يوجد رجل أو إله يمكنه مقاومتها ولا  
 سيما عندما تكون قاسرة على أن تصح شخصاً بلا أبناء أملاً بولي عهد.

وجب عليّ تحذيرها، لكن أني لعبد أن يتطفل على مجلس يفوق منزلته بما  
 لا يقاس؟ لذا رحت أتقافز متوتراً بجوار العربة، أصت إلى صوتها هي دروه  
 سحره وقد أعنت نفسها لاستمالة الملك

كانت نصف له الصريقة لتي أعذ فيها معبد الجنازري ليمانل أكثر  
 امظاهر الفلكية تبشيراً بالخير، وهي مظاهر لقمر ودائرة الجروج هي وقت  
 ولادته، وبالطبع كانت تردد المعرفة التي التقطتها مني وحسب ذلك أنني  
 اشخص النني رسم خريطة المعبد ووجهه إلى الأجرام السماوية، لكنها  
 تكلمت بصدق حتى إنني وجدت نفسي أصت بشروحاتها، كلني أسمعها أول  
 مرة.

مرت العربة الخنارية بوبة الباحة اند حلية للمعبد وتدحرجت فوق البهو  
 اميطن بالأعمدة اسطوانة، ثم عبرت لأبواب المقصصة ولعمروسة إلى الخرائ  
 حيث صُغت الألباحي لجنازية التي سنزفني الملك إلى قبره، عند نهاية  
 البهو، انعتحت الأبواب المصبوغة من حشب اسسط والتي نُقشت عليها صور  
 جميع آلهة المجمع، ودخلنا محفظ الحدث حيث ستحفظ جثة المرعون بوباً

ص،

(1) النونية: حرب بيبزار وهو حامل طائر الماري وسرته المرمج

وهذا، في هذا المصلى الحبل، هبط الملك من عربته ومضى لتفحص  
الطاولة الهائلة التي سستلي عليها في مرسوم بحوله إلى موماء، وعلى  
هكس تحيط عامة الشعب، يستعرق التحيط الملكي سبعين يوماً ليتم. كانت  
الطاولة قد نُحِت من قطعه ديوريت<sup>(١)</sup> واحدة طولها ثلاث خطوات وعرضها  
اثنين، وفي اسطح لداكر الأرقش بالحجر، نُحِت بالإزميل تجويف يلائم قفا  
رأس الملك، وأخاديد وفليفتها تصريف الدماء وبقيّة السوائل الجسدية التي  
تخرجها مشارط المصطلي وأدوانهم.

وقف رئيس جماعة المصطلي حوار الطاولة، مستنداً لشرح العمية  
بأسرها للملك، وحالقه الحد سمهور مُصم، إنه يدا الملك مفتوحاً بكل التفاصيل  
المرّوعة، وهي بقطة ماء ظهر عليه أنه موشك أن ينسى وقاره ويتسلى حجر  
الديوريت ليحرب ملاءمته، كما لو أنه زيّ جديدٌ من الكنان قُدمه له خيطه.

بكنه كبح نفسه بجهد واضح، واتصرف بدلاً من ذلك إلى الإنصات لشرح  
الحاونيّ أن الشقّ الأول سيُشق من حلقومه إلى معدته، فتزال حوايا بطنه  
تصاف ثم تُقسم إلى أعصاتها المنفصلة الكبد، والرئتين والمعدة، والأعرج  
أما القلب، سُرت في مكانه بوصفه موقت الشراره الإلهية وكذا تُترك الكليتان  
لعلاقتهم بالماء ومن ثمّ بالبل، مسج الحياة

بعد هذا الدرس الثمور فحص لفرعون بإسهاب الأواني الكابوية  
الأربعة<sup>(٢)</sup> التي ستلقى الحوياء. كانت منتصبه على طاولة جرابيته أخرى  
أصغر حجماً هي متدور اليد، وكانت منحوتة من مرفر شفيف بئر بون  
الحليب، وسادتها مصنوعة في أشكال الآلهة ذوي رؤوس الحيوانات،  
أنوبيس برأس ابن آوى، وسموبيك برأس سماسج، وتحت برأس أبو محل،  
وسُحمت برأس اللوة وهؤلاء الآلهة هم حرم أعصاء الفرعون المقدسة  
حتى يُبعث في الحياة الأبدية.

على الطاولة الجريبية نفسها التي تحمل لأواني لكابوية سجي  
المحظرون أسواتهم والمجموعة الكاملة من القدور والقوارير التي تحوي  
أملاح النظور والأطبية وبقيّة المواد الكيميائية المستخدمة في العملية.  
شُغف اسماء بالمشارط لبروتية التي ستزرع أحشاءه، وعندما أراه المحضر

(١) الديوريت حجر بركاني يصدر بلونه المسوي نقاطاً غامقة ونقاطاً فاتحة. (المترجم).

(٢) الأواني الكابوية: أو حاييه صوتي، هي أواني استخدمها علماء المصريين خلال عملية  
المسح لسحرس وحفظ أحشاء المومي بالأمرة. (المترجم)

المعلقة الطويلة امدنية لتي سُحِشَر في منخريه بتعرف مكومات حمصه،  
تلك الروائب حُسية القوام اتي تأملتها صويلاً وسُئى، شِدَّة لملك وتناول الأداة  
العُشجيرة باحترام مُبجِّل

وبعد أن أشبع امك فضوله على صوره التشريح، جذبت مولاتي  
لويستريس انتباهه إلى النقوش الغائرة الملونة التي تغطي حدران المعبد من  
أرضيته حتى سقفه وبم تكن الزخرفات مكتلة بعد، لكنها مذهشة برغم ذلك  
في تصميمها وسببها، لقد رسمت معظم الرسومات الأصيلة بيدي. وأشرفت  
إشرافاً وثقاً على النقبة التي رسمها فنانون العصر وحطوها على الجدران  
بعضار الفحم، وحالما صارت الخطوط في مكانها، صححتها ومزنتها  
يدويًا، والآن ثمة مجموعة من كبار النُحاتين تنقشها في احجارة ارمية،  
بينما تلوّن من خلفها مجموعة من الرسامين النقوش اسهائبة.

كنتُ قد اخترتُ لهذه التصميم اللون الأزرق بصمغ بدرُحانه؛ أزرُق حناحي  
الدررور، وأزرُق اسماء واسبل تحت أشعة لشمس وأزرُق أوراق الأركيد،  
و لأزرُق البزاق سمك الفرخ العوتقش في شبكة الصيد، لكنني أصعب أيضًا  
الألون لخمراء والصعراء النابضة بالحياة اتي تخيها نحن المصريين جدًا.

دار الفرعون يرافقه من كُتب سبدي إلتفت بصفته حارس المقابر  
الملكية، بورة متمهلة حول الجدران العالية، نفحص فيها أدو التفصيل  
وعلق على معظمها وبطبيعة الحال كان الموضوع الذي احترته بلمدون هو  
سفر الموتى، تلك الخريطة والوصف التفصيلي للطريق اسي ينيخي لروح  
الفرعون أن تتبعه إلى العالم السفلي، ورسوم جميع المحاكم والأخطار  
التي ستواجهها فيه.

ثم توقف برهة طويلة أمام نوحتي للإله تحوت، برأسه لطيري رمقار  
أبو منجب الطويل الموقوف، يضع قلب الفرعون المذروع من حسنه على  
الميران قبالة ريشة المقسقة فإن كان انقب واستاء، ترحح كفته على كفة  
الريشة ويرميه لاله من فوره إلى اوحش دي رأس التمساح المنقطر بالقرب  
لبليهمه. اقبس الملك بصوت خفيض الترنيمة الحارسة المصوص عليها في  
الكتاب ليقي نفسه هذا ابلاء، ثم تابع طريقه إلى بقشي التالي

كانت الظهيرة قد حُلَّت تقريباً عندما أتم الفرعون تفحصه للمعدن الاسي  
وترأس الطريق إلى الباحة الأمامية حيث مدّ طباحو القصر وليمة دحرة في  
الهواء الطلق.

وسلطوا «سماي» التمدي هناك حيث يمكنني محادثتك أكثر في أمور الصوم ،  
ساحل السمك الأعراب مرة ثانية لنقعد مولاي بوستريس بحواره إلى  
المائدة، حتى إنه نقل إحدى كبيرات زوجاته ليصطحب مكاناً لها، وفي حلال  
الوجبة، وجه معظم حديثه إليها، وكانت في أوج رتبها فأسقت الملك وجميع  
من حولها مذنباً وميتةً بذكائها وسحرها

وبالطبع، لا مكان لعبد مثلي إلى المائدة، ولا يمكنني حتى تقريب نفسي  
إلى بطق مولائي لأحذرهما أن تهذي سلوكها في حصره الملك وحدث لي بدلاً  
من ذلك مجلساً على قاعدة أحد الأسود الجرائنية، من حيث يمكنني النظر  
إلى امتداد طاولة لوليمة ومراقبة كل ما يحدث فيها ولم أكن المراقب الوحيد  
فقد قعد سيدي إشتف منكمهاً بعرب الملك، براف كل شيء معيبر لامتئين  
حافظتين، مثل عنكبوت وسيم قاتل في وسط شبكته.

في وقت ما من الوجبة، حوَّمت حداثة صغراء المدقار عالياً موقتنا، وأطلقت  
سحابة أشبه بصيحة ساحرة متهمكة جعلتني أرسم بعجالة الإشارة الواقية من  
العين الشريرة فمن يعرف أي إنه ذلك الذي أحدث هتة الطائر ليليل مساعيد  
البسيطة ويربكها؟

حرت العادة على أن تستريح الحاشية بعد وجبة الطهيده ساعة أو نحوها،  
ولا سيما في هذا الفصل الأشد حرّاً من لعام، لكن انزعجون كان هائجاً حتى  
إنه لم يهمل بذلك.

وأهل فائلاً «سعاين الحرائن لأن» سعى حراس لخربة الأولى حائل  
وقدموا أسلحتهم عندما اقتربت الجماعه الملكية، ثم تأرجحت الأبواب مفتحة  
من الداخل

كنت قد صممت هذه الحزائن السب لا يتكون مجرد مخزن تحوي أكثر  
الجنائزي الهائل الذي أسمى الفرعون سنواته الاثنتي عشرة منذ أن ارتقى  
إلى العرش المزدوج في جصه، بل مشاهل أيضاً يعمل فيها حش صغير من  
الحرفيين والفنيين على الدوام للإصافه إلى ذلك الكر

وكانت لفدة التي دحدها مخزن اسلح المحتوي مجموعه الأسلحة  
واعتاد الحربي، العملي منه واستعائري، التي سيأخذها اسمك معه إلى العالم  
الأخر، وبالاتفاق مع سيدي إشتف، رست أن يكون الحرفيون حائسين إلى  
مقاعدهم حتى يتسنى للملك مشاهدتهم يعملون

وسما عبر الفرعون صف المقاعد متمهلاً، أخذ يطرح أسئلة أريفة وتقنية حتى إن النبلاء ولكهنة الذين وجهها إليهم عجزوا عن منحه أي جواب، وراحوا يضررون حولهم مسعورين بحثاً عن شخص يمكنه لإجابة، واستدعيت بسرعة من مؤجر الحشد ودُقعت عدداً لأواجه تحقيق الملك.

سحهم الفرعون مكتابة عندما تعرّفتني وقال: «آه، أجل، ليس إلا لعدد المتواضع اندي يكتب الحفلات ويداوي لسقم. يبدو لي أن لا أحد هنا يعرف تركيب سلك الإلكترولوم الذي يشدّ حذع القوس الحربي والذي يصنعه هنا الرجل لي».

- أيها الفرعون ارحيم، إن المعدن حليطاً عُشره نحاس وخمسة أعشاره قصه وأربعيتها ذهب والذهب من الصنف الأحمر الذي لا يوجد إلا في مناجم لوبت في الصحراء العربية، فلا معدن غيره يمدح السلك اللينة والمخطط بقسيهه.

وافقك اسلك بامتعاض، «وكيف تجعل الجدائل بهذه الدقة؟ ليست أُنحس من شعرات رأسي».

- مخرج المعدن المصهر من خلال تلويحه يندون خاص صممته بهذا الغرض يا صاحب الجلالة يمكنك مشاهدة العملية في مصهر الذهب لاحقاً إن شاء حلالك.

وهكذا، تمكنت في بقية الحولة من البقاء بموار الملك وتحويل بعض متباهه من لوستريس، لكنني لم أجد رعم ذلك ابرصه المناسبه لأكلها وحدها.

جال الفرعون في مخزن السلاح وعابص مجموعة الأسلحة والدروع الصخمة الموجودة فيه بالفعل كان بعضه ملجأ لأسلافه وخاض معارك شهيرة، أما البقية فصُغت مؤخرًا ولن يشهد حرباً أبداً، لكنها تدعى جميعها، وكل قطعها منها تحفه أعمال صانعيها، فيها خود وصارات برونزية وفضية ونهبية، وسيوف حربية يُنصب عجبة مزينة بأحجار كريمة، وأزياء مراسمية كاملة لقادة نخبة أفواج الملك كلها، وبروع وتروس من حلود أنراس النهر وأقماسيح مربية بؤريدات بحدية كست مجموعة باهرة سحق.

تصعدنا النهر من مخزن سلاح إلى مخزن الأثاث، حيث يكدرح منه جدار بحشب الأرز والسيط والأبنوس الثمين لصناعة الأثاث الجائري برحلة الملك الطويلة لا تنمو إلا ثلة قليلة من الأشجار الكبيرة في وادي النهر، لذا كان



الحشب سبعة شعبة وبدارة، تكاد قيمته تعادل وزنه من الفضة، إذ تُحصر كل  
عضاً منه تقريباً مكاب العراسخ عبر الصحراء، أو تُنقل فوق النهر من أراضي  
العامصة في الشمال، وما هو مقدس هنا يسراف رغم ذلك، كأبه شيء عادي،  
ورائحة لشارة الفضة تعطر الهواء الساحر

بيما يرصع الحرميون رأسيه سرير العرعر بأشكال من لمحار والحشب  
مثنابين اللون، ويرتئ حرون مساب أذرع الكراسي مصقور ذهبية ومساب  
ظهور الكفاحات المصنوعة برؤوس أسود فضية، رءسنا، حتى ردهات العصر  
المسكي في جزيرة لعنين لم تحدثو مهارة كهذه التي ستزين حُجيرة قبر  
العرعر الصحيرية الأنيقة

ثم انتفت من خربة الأثاث إلى قاعة الضخمين، كان النحاتون يسحرون  
ويُشطون رخامًا وحجرًا رمليًا وجرايتًا من مئة تُدرج نوبي مختلف بالإرميل  
والمبرد حتى علق غبار دقيق شاحب في الهواء، وغطى السدرون أفواههم  
وأَنفُسهم بشرائط كمامية استقر عليها الغبار وكُست وجوههم نُدرة بصاء،  
فبيما يحمل أحد مصصهم يسجل من خلف كمامته، سعالًا مستمرًا جافًا يميز  
حرقته كتب قد شُرِّحت فيما مضى حث العديب من النحاتين العُزَّ الذين  
عمرو ثلاثين عامًا وماثوا وهم يمارسون مهنتهم ووجدت رؤسهم قد سحالت  
حجارة هي أجسادهم، لذا حرصت أن أقصي أقل وقت ممكن في مشعل  
البنائين مخافة أن أصاب بالعلة نفسها

وعلى الرغم من ذلك، كانت منتحاتهم المدهشة من تماثيل متقنة بديسة  
ماحياة للآلهة والعرعون مسعة للتأمّن، ورأينا بينها صورًا للعرعون بحجمه  
العظمى جالسًا على عرشه أو يمشي في الخارج، حيًا وميتًا، في هيئته للإلهية  
وفي شكل إنسان فري، ستسطر هذه التماثيل الصربو المعهدة المؤدبة من  
المعبد الجنائري في قعر الوادي إلى سور ابتلال اسوياء التي يُحفر قبره  
انتهائي فيها في هذه اللحظة، وبعد مئة تحمل العربة الذهبية، يجرف موكب  
من مئة عجل أبيض، تاووسه الهائل على طول تلك الصربو المعهدة إلى مثواه  
الأخير،

رقد الناووس الجرايتي، المكتمل جرت فقط، في مركز قاعة البنائين،  
وكان في الأصل صخرة صماء مستديرة من جرايت وردي صوبها خمس  
خطوات وعرضها ثلاث وارتفاعها ثلاث احتجرت من ساحم أسوان، وبُست

عر لدهر في عُدرة صُممت خصوصًا لهذا العرص احساج حرها إلى الشاطئ  
وبحرجتها فوق المحدث الخشبية إلى حيث ترقد الآن إلى خمسمئة عبد  
كن اساور قد بدؤوا بنشر لوح نحس من أعلاه، وعلى هذا اعطاء  
الجرانيتي، شرع ببناء كبير بتشكيل صورة تماثل الصورة الموميائية للعرعون،  
بدرامس معقوبيش ويدش تحلان عصا الراعي والعدية، بينما اشعل فريق  
آخر من البنائين بتمريخ باطن القطعة الجرانيتية لرئيسة لتصير عُنًا يلائم  
مجموعة النعوش الناعلية، فمجموع النعوش، إلى جانب الناورس الخارجي  
الضخم، سبعة يتسع أحدها لثاليه مثل لعبات أحاحي الأطفال. وبالطبع، الرقم  
سبعة من الأرقام السحرية، أما النعش الأعرق فيصبح من الذهب الحالص،  
وشاهدناه لاحقًا يُستخرج بالطرق من كتلة معدنية معدومة الشكل في قاعة  
صائغي لذهب.

كان هذ الناورس المُرْكَب هذا لحس من الحجارة والذهب الذي يؤوي  
جثة الملك المفروغ، ما ستحملة العربى الدهييه العظيمة على طول الطريق  
المعدة إلى الملأ، في رحلة بطئة سيمعرق سبعة أيام لسم، بوقوف فيها كل  
ليلة في أحد الأصرحه لصغيرة التي وُزعت بانتظام على طول الطريق  
ومن الملحقات الأكرة لقاعة تماثيل محروس الأوشيتي<sup>1</sup> في المؤخرة،  
حيث يُنحت الخدم والأتباع الذين سيرافقون الملك لميت على هيئة أقدم  
صغار مُتقنين من النشب يمثلون كل درجات وجماعات المجتمع المصري  
التي ستخدم الملك في الأخرة حتى يتمكن من الحفاظ على منزلته وأسلوب  
حياته في لعالم السفلى.

كان كل من الأوشيتي بنيه خشبية منحوتة نحًا بهيجًا ترتدى ابرى  
الأصلي لمهسها وسجل أدواها الملائمة؛ فمهم المرار هن واليساتنة وصيادر  
الأسماك ولحارون ومحمر الجعة والخادمت والجنود وجامعو الضرائب  
والنساخون والخلاهون، ومئات فوق مئات من لعمال اليدويين المتخصصين  
بتأدية كل المهام الدونية والذهاب باليعة عن الملك إذا ما استدعاه لهُ  
حرون بلعمل في لعالم السفلى

(1) الأوشيتي، أو أوشيتي، هي تماثيل كالمومياءات بها ملامح تشبه صاحب المقبرة كانت توضع  
في المقابر المصرية القديمة، (المرحم).

في مقدمة هذا السند من التماثيل الصنعة، وقف وزير أعظم تشبه  
ملامحه المصغرة ملامح سيدي إنتف شهبًا شديداً، فالتقط الفرعون هذا القزم  
وعاينه من كثب، ثم أداره ليعرأ الوصف على ظهره.

اسمي السيد إنتف، الوزير الأعظم للملكه العليا وصاحب الفرعون الوحيد،  
ومنقي ذهب الثناء ثلاث مرات، وإسي مسعد لأجيب بالنيابة عن الملك

مرر الفرعون الدمية لسيدي إنتف، وسأله راساً انتسامة تحت سطح  
سحبانه الكالحة «أبُنيك الجسمانية عضلات مفقولة إلى هذه السرجة حقاً يا  
سيدي إنتف؟»، فاسمى الوزير الأعظم بحسن لاجدء.

- لقد فشل النحات في إصاقي يا صاحب الجلالة.

آخر حزينة وارها لملك في ذلك اليوم كانت قاعة صائغي لأذهب القز  
الوجه لجحيمي للأفزان بريقاً عريقاً على ملامح الصائعين وهم يعملون  
مطبق التركير على مقاعدهم، وكنت قد دربتهم جيداً، لذا عندما دحنت البطانة  
الملكية انحنوا من لفأنية السحده الثلاثة للفرعون، ثم بهصوا واسأفوا  
عملهم.

ورغم وجوبنا في القاعة الكبيرة، كانت حرارة لهيب الفرن كبريتية حتى  
إنها تكاد تقطع الأرض، وسرعان ما نفعنا يعرف، لكن لحلك كان مقبوضاً  
بالكبر المعروف أمامه إلى درجة ألته عن الجو الحائر، فمضى مباشرة إلى  
المنصة المرفوعة في وسط القاعة حيث يعمل أمهر الصاعة وأكثرهم خبرة  
على النعش الداخلي الذهبي، وقد انتقص ملامح وجهه الفرعون الحي انتفاضاً  
مثالياً بالمعدن ليؤا من شأنه أن يجعل القناع ملأف رأسه المعصوب سام  
العلامة. كان صورة سعوية يعيبن من لسيج والمرو<sup>(١)</sup> لشفاف، والصل  
الذهبي ذو رأس الكوبرا يطوق جبهته. أعتقد حقاً أن من الصاعة لم ينج  
تحفة أحسن منها فم في تاريخ حضارتنا ابالغ ألف عام، كان اندرودة والقمه،  
وربما تستبدع الأحياء انقادمه كلها رومته يوماً ما

حتى بعد أن استبدع الفرعون لقناع الذهبي من كل زواياه، بدا عاجراً  
عن الانتعاد عنه فعصى بقية ليوم على لمصة بجواره، بينما هو خائف

(١) المرو أو الكورثر معدن مألوف حالصه شفاف يوجد في العديد من أنواع الصخور  
(المصرجم)

على مقعد منخفص بسحي صندوق تلو الصندوق من خشب الأرض المحتوي  
حواضر ماسرة عند قيمته وبفهرس مكتوب بها له.

لا يسمى صندوق أن كثر كهذا قد جمع في مكان ورمي واحد من قبل،  
وكتابة قائمة بسيطة بالأعراض لا يوحى أقل إيجاء بثراء وتذوق الكثر كله،  
ورغم ذلك، اسمحوا لي أن أخبركم هي المستهل بأن صناديق خشب الأرض  
كانت تصم بالفعل ستة آلاف وأربعمئة وخمسين قطعة، وكل يوم  
يضاف إليها المزيد بينما يعمل الصاغة بلا كل

فيها حواتم لأصابع قد هي الفرعون كما لأصابع يديه، وفيها تماثم وتعاويد،  
وتماثيل صغيرة ذهبية للألهة ولللهات، ومنها قلائد وأساور ومعداليت  
صدريّة وأحزمة مطعمة بالفضة والذهب والنمور وسائر مخلوقات الأرض والسماء  
والنهر، وتيجان وأكاليل مرصعة باللازورد والجوهرات والعقيق والعقيق  
الأحمر واليشب وجميع الأحجار الكريمة التي يعزّها الإنسان المتحضر

تفوق المهاراة العالية التي صمم كل ذلك وصنّفه على كل ما أنكر  
في الألف عام الماضية. في الغالب ما تدع الأمم أجل أعمالها الفسدة في  
قدهورها فهي سنوات تكوين إمبراطورية ما، يكون هاجمها العزى وجمع  
اشروات وبم يحدث إلا مرة واحدة قبلاً أن خفقت بحبوحه ووُجدت رغبة  
لتطوير العنون، والأهم من ذلك، رجال أثرياء وناقرون يرفعونها.

كان وزن الذهب والفضة التي استُخدمت بالفعل في صناعة العربة  
والقناع الحذاثري وبقية مجموعة أكثر الأسرة هذه يريد على خمسمئة تاخ  
ومن ثمّ يحتاج إلى خمسمئة ربح قوي لسماعه كله وأخبرني حساباني أنه  
يعادل تقريباً ثمن حصبة ما استخرج من هذه المصادر الثمينة في تاريخ  
لمسجل الممتد ألف عام كله. ويتنوى الملك أخذ كل ذلك معه إلى القبر

ومن أبا، العبد الحقير، لأسائل في الثمن الذي ينتوي ملك دفعه مقابل  
الحياة الأبدية؟ يكفيني القور إلى الفرعون، وبينما يجمع هذا الكثر ويعرض  
في الوقت نفسه حرباً ضد المملكة السفسى، عطر مصرنا وحده تقريباً ومن  
يؤن مساعدة في الفاقة.

لا عجب إذن أن اختص قانوس في خطبته سرقت حامعي الضرائب  
بوصفها إحدى أشنع البلايا التي تنزل على الشعب، فبينهم وبين عصابات  
الصوص التي سبب انزف لا يفرصها شيء ولا يوقفها أحد، سُحقوا جميعاً  
منكوبين ومسحوقين تحت الير لمالي الذي لا يحتمل أي ثقله وإن كان

لما أن سحر بأي شكل فعلنا الإغلات من شبكة حامعي الصرائب، لذا عندما أقدم الطن على إقترابنا لتفحيم نفسه، حولنا في اللحظة نفسها إلى مجرمين، وصاروا قلة قليلة منا، عضماً أم صغاراً، أثرياء أم فقراء، تنام يوماً هانئاً في الليل بتدني مستلقي مسهدين نحشى الطريقة الثقيلة لحامعي الصرائب في أي لحظة على الباب.

واه كيف بأن البلاد الحربية والممبهة بحث السير



أعدت سفاً مهاجم باذخة في الحسنة الحائرية على الصفة الغربية للتي، حيث سيقضى اسمك ليلته بالعرب من مرمده الأخير في التلال لسوداء الكلبية، وكانت المدينة الجناثية، مدينة اموتى، رحيب بقبر الكونك نفسها تقريباً، ذلك أنها مأوى كل لمشتغلين بالبناء والعناية بالمعبد الجناثي والمهرة الملكية، وفيها فوج كامل من حبة الحرس لحاية الأماكن المقدسة، والشاصب في الشمال متكالب على الكنوز بقدر ملكها لعريز، بعدما يرداد زعماء اللصوص في الصحراء جرأة وشجاعة كل يوم، وخزائن اسعيد الحائري لغواء موحج لكل نهاب في المملكة، وما وراءهما.

استضاف أيضاً، إلى حطب الحرس، جماعات الجرميين والصناع وكل مشربهم، وكنت مسؤولاً عن سجلات الأهور والمؤونة، لذا عرفت بالضبط عدد الموجودين هناك، بلغ في آخر يوم صرفت فيه الأجور أربعة آلاف وثمانمئة وأحد عشر، وعوقهم أكثر من عشرة آلاف عند مسمر للعمل.

لن أرهق نفسي بعد اشيرن واحراف التي وحب دبحها كل يوم لإطعمهم جميعاً، ولا عرياب السمك انقائمة من النيل، ولا آلاف خوايي البحة التي تخسر يوماً لتروي عطش صيف هذا الجمع بينما يكدهون تحت أعين لرئيس القمطة وسباطهم الماصرة.

كانت المدينة الجناثية مثل باقي المدن وفيها قصر للملك، ولكم أراحي أن ننقلنا إلى القصر بقصاء الليل، فقد كان بهاراً مبهجاً لكن مرة ثانية، لم ألاق إلا قتيلاً من الراحة.

حاولت الوصول إلى مولاتي نوسيريس، لكن بد الأمر كأن مؤامرة حبكت للحيلولة بيني وبينها، فوفقاً لخادمتها اسوداوات الصغيرات، كانت أولاً في بيت الصلاة، ثم تستحم، ثم تستريح ولا يمكن إزعاجها، وأخيراً، بينف لا أرال

منتظرًا في حجرة الانتظار في مهجعها، بلغني امتدعاء من أبيها، ولم يعد  
بوسعي التلکؤ، بل صار لرامًا عني الإسراع إلى سيدي.

حالما دخلت محجع سيدي إنتف، صرف الحضور كلهم، وعندما صرنا  
وحدنا، بئلي وصرّة أخرى فاجأني لطفه وأقلقتني صورته امتحمسه فقلما  
رأسته في مراجع كهذا، ورائعًا ما أذن ذلك بأحداث مُفجعة.

ثم صحت لي قائلاً «كم يُعثر على بوابة السلطة والثروة في أقر الأمكن  
توفعًا (وداعب ودهي)، وهي هذه المرة بين محني أمراه لا ما عزمني القدم،  
لا ثلّ دور البريء، فأنا أعرف تمام لمعرفة أي يد مأكرة كانت بك في كل  
هذا لقد أحسرتي الفرعون أنك اهريته بالأمر بوعده بوريث ذكر لسلالته. بحق  
بستنا السب لداهية عبيها؟ ولم تخبرني بكلمة عن حصتك، بل أعددتها كلها  
على مسؤوليتك الخاصة».

صحت ثانية وبرم حصلة من شعري بين أصابعه «لا بدّ لك تكهنت  
بنتهي طموحي منذ ابداية، رغم أننا لم مناقشه جهازًا قطّ، لنا انصرفنا إلى  
تحقيقه لي بالطبع ينبغي لي معاقبتك على حرأناك (وبرم حصلة شعري  
حتى هُرعت الدموع لي عيني)، لكن كيف أغضب عليك وقد وصعت التاج  
العزدوج في قبضتي؟ (ثم ترك الخصلة بيقلني ثابّة) لقد جئتُ للبر من  
حصرة الملك، وفي عصون يومين هي اختتم المهرجان سيُعلن حطيته يد  
ابنتي بوستريس»

شعرت بإظلام مفاجئ وراء عيتي، ونشككت بدعوة باردة على جلدي.

لقد حرصت على أن يُقام الزواج في اليوم نفسه، بعد المرسوم الحثامية  
للمهرجن مباشرة، فلا يريد أي أحدر قد يحدث فيه ما يمنع الزواج،  
صحيح؟

لم يكن حدوث زفاف صكّي سريع كهذا أمرًا معتادًا، إلا أنه لم يكن حديثً  
فعندما تُحثار العرائس لإتمام وحدة سياسية، أو تقويد عرو أرض جديدة،  
في الحالب ما يُقام حفل الرقاق في يوم تفريره نفسه. وقد تزوج الفرعون  
مأموس الأول، حد مرعوبنا العالي، ابنة زعم إحدى قبائل الحوريين لقي  
عزها في ساحة المعركة الفعلية بأي حال، بينما أوجه الاكتمال المؤسف  
لأسوأ مخاوفي لم تكن هذه السابقات التاريخية مصدر إراحة لي

ولم يند على سبدي إنكف أنه ابتغى إلى كرسى فقد كان ابتغاه متوكلًا على مصالحه القريبية، وادبع كلامه. «فبل أن أوافق رسميًا على الزواج، الحب على الملك بقبل أن يرمعها إلى رتبة راحة أولى ومقابلة الملك إذا ما مسحته أسًا (ثم صعد بيديه في مصر حاصح). أنت تعي بالطبع معنى ذلك، فإذا ما العرعون قبل أن يبع حقيدي من الحكم، أصبر أنا، بوصفي جده وأقرب ذكور الأسرة وصيًا». ثم توقف فجأة وراح يحدق إليّ وكنت أعرفه حق لمعرفة لأنهم بالصسط ما يدور في رأسه لقد ندم مرير الدم على هذه الرعونة، إذ لا ينبغي لأحد أن يسمع هذه لفكرة على الإصلاقي، وهي الحياة بأسمى أشكائها، وكلان يفهم أن العرعون من يعيش طويلًا إذا ما حملت لوستريس ناسته أعرب سبدي إنكف للتو عن بيته قتل الملك، وصار يفكر في لتخلص من الشخص الوحيد الذي سمعها منطوقة، العبد الحقير، ثايلًا ويعي كلانا ذلك بوصوح

مولاي، سستُ لا شاكرًا أن ما حططتُ له قد جرى. عرفت الآن أني عملتُ بمكر لأصع ابتنتكم في طريق الملك، وأنني وصفتها له على أنها أم ابنه المستقبلي واستعملت العفل ليكون تحفة تحذب ابتباهه إليها لكنني عجزتُ عن حمد نفسي على لتكلم إليكم بشؤون مصيري كهذه حتى يخطط لها تخطيطًا لاحقًا لكن لا يزال أمامنا كم كبير من العمل لإجازه قبل أن نعد نعتنا آمين....

وبدأت أرتجس بسلاسة قائمة بكل ما يمكن أن يخفى نبل أن يسعه السيطرة على التاج وصولاً إلى مصر الذهبي، أوضحت به بلباقة أنه لا يزال في حاجة إليّ إن شاء تحقيق عاينه، فرأيتة يستريح بينما يسمع حججي، وعرفتُ أني آمن في المستقبل القريب على الأقل

مضى بعض الوقت قبل أن أتمكن من الإفلات من حصرته بطريقة معقولة ولإسراع إلى تحذير مولائي لوستريس من المارق الشيع الذي وضعها فيه، لكنني قبل أن أبلغ بابها أدركتُ أن تحذيري إليها لن يؤدي غرض إلا تكديرها ودفعها إلى حاجة الحصول أو حتى الانتحار، ولا يمكنني إهدار المزيد من الوقت. كنت أريد منع الأحداث من بلوغ حاتمها المأساوية.

لا يوجد إلا شخص واحد يمكنني اللجوء إليه الآن.

غادرت المدينة لجبائية وانطلقت عبر ممر جر القناة عونا إلى ضفة  
النهر حيث أعلم أن سرب قانوس مُعسكر كان للمر لا يعد إلا ثلاثة أمام عن  
اكتماله، وقد أصاب خلال الأفق العربي المتعرج بهيصيص أصغر بار وألقى  
ظلالا داكنة على السهر قحتها.

وبينما أقطع الطريق مسرعًا، سردت على نفسي قائمة بكل الكوارث  
والفواحش التي قد نحن بي وقانوس ولوستريس في لأم المقلبة، وأحدث  
أمر نفسي كما يستنهض أسد الصحراء أسود البدة شجاعته ياشوكه  
العظمية في نهاية ديله قبل أن يهجم على الصياد، عثني مزاج قاصف قبل  
أن أبلغ ضفة النيل.

وحدثت معسكر قانوس بسهولة، ملاصق لصفة السيل وفم القناة، وكانت  
سفن السرب راسية تحت المعسكر أوقفني لحراس عدد لدخل، ثم قادوني  
إلى حيمة قانوس عندما تعرفوني

كان قانوس يتدور عشاء متأخرًا روفة كراتاس وأربعة آخرين من  
هيميه، فهصر لستقسي مسسمًا وقدم بي كوز الحجة الذي يحمله بيده:  
«إن هذه لمسة مباحته ي صديقي لديم، بينما يجلب لك عيدي كأسًا  
وصحفة اتحد بحواري راحر من جعتي، تبدو حرًا ومضطرب المزاج.»

فاختصر هذه المجملات بالانقضاظر عليه بغضب «فلتحل لعة يست  
عليك أيها الأله الكبر فاقد الشعور! ألا يعي أي بهلكة رمبها مها؟ أنت  
وشدقك امثلوي هذا! ألم تفكر في أمن مولاتي وسلامتها؟»

وفي لحقيقه، لم أقصد أن أقسو عليه كل هذه القسوة لكن حالما بدأت،  
شعرت أنني عاجز عن السيطرة على مشاعري، وخرج كل حوفي وقلقي في  
قبض هدر من الدم، وبم نكي كل ما نهمة به حقيقًا أو منصفًا، لكن إعراسه  
من صدري أراحني.

تعبرت تعابير قانوس ورفع يدا كأنما يحصي نفسه «حنابيك! لقد أحذني  
على حين غرة، فأب أعز وعاجز عن ادعاج عن نفسي أمام هجوم دموي كهذا»  
خرجت لهمة مريحة أمام صباطه، لكن انسامه كانت صامرة، وقصر على  
دراعي موحها إناي إلى انطلمه حارج الحيمه، ثم سامني جرًا تعرييًا وراء  
حدود الفوج إلى لحقوب المفتوحة امضاعة بتور القمر كنت أشبه بصل في  
قبضة بيده المدرية على حمل السيف وش القوس العظم لافات.



وأمرني منحهم، «أخرج ما في حوزك الآن ماذا جرى حتى صرت في  
حالة ردبلة كهذه؟»

كنت لا أزال غاضبًا، لكنّ خوفي طغى على غضبي، وانفجعت بصوتي ثابته،  
«قضيت نصف حياتي أحاول حمايتك من غشائك وقد صدقتُ دروغًا بك ألا  
تفهم شيئًا في الحياة؟ هل صدقت حقًا أنك قد تخرج سالمًا من الصداقة غير  
المفعولة التي ألهيتنا جميعًا فيها الليلة الماضية؟»

أنتكلم عن خطابي في الحفل؟ (بدا حائرًا، وأرخى قبضته الساحقة على  
ذراعي) كيف عساك تقول إنها حماقة؟ ضياطي جميعهم وكل النين  
حدثتهم منذ ذلك الحين مسرورون بما قلته .

أيها الأحق، ألا تدرك أن آراء جميع ضطك وكل أصدقائك لا تساوي  
سعة مصفحة عند مؤخذ الأمور في عين الاعتبار؟ لو أننا بحث أي  
حكم آخر لكنت صيغًا الآن، وحتى عذوؤنا الضعيف المتجذب هذا لا  
يمكنه احتمال تركك تسبح من عواقب تطاولك، مقيمتها أعلى من قيمة  
عرشه ستورجه فائرة عليك دفعها يا قنوس سيد حارب. ويعلم  
خورس أنها ستكون فاتورة باهظة.

فتار في وجهي: «إليك شككم بالألعاز، لقد أسدتُ لملك خدمة عصبة،  
هو صباط بالمتحمقين امتوددين الدين يلقيونه الكذبات التي يظنون أنه يرب  
سمعها. لقد أن الأول يعرف الحقيقة، وأعرف في أعماق قلبي أنه حاسم  
يفكر فيها، سيكون حسنًا لي».

بدأ عصبي يتلاشى أمام إيماءة البسط والمأمن بانصار «بحر،  
«قنوس يا أعز أصدقائي، يا لك من جوي»! لا رجس يمتدّ بحشر لحقيقته المرة  
في حلقومه أبدًا لكن بمعزل عن ملت، لقد أوقعت نفسك بين يدي سيدي إنقف  
مدشرة»

سيدي إنقف؟ (وَمَعْنِ التحدّث إليّ) ماذا بال سيدي إنقف؟ تتكلم معه  
كأنه عدوي، لقد كان الورير لأعظم أعز أصدقاء أبي، وأعلم أن بإمكانني  
لثقه بأنه سيحميني، لقد أقسم لأبي وهو في فراش احتضاره

رأيتهُ، وبصرف النظر عن عريقته المرححة والصداقة التي تجمعنا، قد  
بدأ يغضب عني بحق، وربما لأول مرة في حياته، وكلب أعرف كذلك أن عصبه،  
رغم بلاء استشاطته يُخشى منه.

فهو صفت عصبي أحيرا «أوه يا قانوس! لقد ظلمتُك، ثمة لكثير مما كان ينبغي بي إحبارك به ولم أفعل. لم تكن الحقيقة كما تظن اسنة لكن حُبلي ممسي من إحبارك بأن إنتف ألد أعداء أسك».

- كيف يمكن بهذا أن يكون صحيحاً؟ (وهز رأسه) لقد كانا صديقين، أمر صديقين، وأول ذكرياتي تصوّرهما يضحكان معاً، وقد أخبرني أبي أن بإمكانني انتعاش سيدي إنتف على حسابي.

- لقد آمن ببيانكي الدليل، سيد حاراب، بصدوّ ذلك، وكلفه إصممه هذا ثروته كلها، وفي آخر الأمر حياته التي وصعها بين يدي إنتف.

- لا، لا بد أنك محطئ. كان أبي صحيحة سلسلة من المصائب..

- وكلها بتخطيط من سيدي إنتف. كن يحسد أباك على فضائله وشخصيته، وعلى ثروته وتأثره في الفرعون، أدرك أن سيد حاراب سنعث وريثاً أعظم قبله، وكرهه من أجل كل ذلك.

لا يمكنني تصديقك. لا يمكنني حمل نفسي على تصديقك. (هز قانوس رأسه تكديتاً، وانطماً آخر بصيص غصب عسدي)

- سأشرح لك كل شيء، كما كان ينبغي لي منذ زمن بعيد، وسأعطيك الإنباتات التي تحتاج إليها لكن لا وقف أمامي الآن. عليك أن تثق بي، سيدي إنتف يكرهك كما كره أباه، وأنت ومولاتي لوستريس في حصر وليس حصر حصاره الحدة وحدها وحسب، بل حصر أن يحسر أعدكنا الآخر إلى الأبد.

- لكن كيف يمكن ذلك يا تاليتا؟ (استبد به الارتباك وهزته كلماتي) ظننت أن سيدي إنتف قد وثق علي رواجدا. ألم يكلمه إن؟

- على كلمته. (حت أصبح وقبضت على يده فأفحمتها تحت ظهر علاتي) وهذا كان رده، تحسس الكدمات التي تركها لسوط! لقد جردني لمجرد اقتراحي رواجك ومولاتي لوستريس، إلى هذه الدرجة يكرهك وعائلك.

حدو قانوس ليّ طلسر معقود، لكنني رأيت أنه صدقني أحراً، وهكذا صدر بإمكانني التطرق إلى الموضوع الذي يشغل أفكاري أكثر من خطابه متجاوزاً لحد حتى، أو الثأر لسي أدارة الوزير الأعظم هذه بنجاح طيبة سنوات عديدة

نُصت لي الآن يا صديقي العزيز . وحينئذ نفسك للأنباء الأسوأ حتى  
لساعة (لا توجد طريقة لإحدره إلا بالصراحة التي كان ليحبرني بها)  
بدلاً من أن يوافق سيدي إنتف على زواجكما، تعهد في هذه الليلة بفتح  
يد أنته لآخر، وقُدِّر لها أن تتزوج من الفرعون ماموس مباشرة. وبعد  
أن تحمل بابه الأول، ستصير راحة أولى وعفلة الملك تفر، أن يعلن  
ملك الزواج بنفسه في نهاية مهرجان أوريريس، وأن يقام حفل  
زفاف في العشية نفسها

تأرجح قاموس في وقفته تحت ضوء القمر واستحال وجهه شاحباً شحياً.  
لم يقدر بُنا على الكلام لدرجة طويلة ثم أعرض عني ومشى وحيداً إلى حفل  
المرّة المنتصبة فرحتُ أتبعه، مبعياً إياه تحت ناظري، حتى وجد في آخر  
الأمر مكشّف من الصخر الأسود وجلس عليه بنفس كليل كنفس رجلٍ صاعٍ  
في العس، فمشيتُ إليه برفق وأعدتُ نفسي تحته، وظللت صامتة عمداً حتى  
تنهّد وسألني بهدوء: «هل وافقت لوستريس على الزواج؟».

- بالطبع لا وعلى الأرجح أنها حتى الآن لا تعرف شيئاً عنه لكن أمر في  
بالك ولو مروراً أن اعتراضها به قيمة أمام إرادة أبيها والملك؟ لن يكون  
لها رأي في المسألة.

- ماذا سيفعل بـ صديقي القديم؟

ورغم همي، شعرت بالامتنان به أنه استخدم صيغة الجمع، مشركاً إياي،  
ومؤكداً على صداقتنا، فحدّثته.

- شعة احتمال آخر لا بدّ لنا من مواجهته، وهو أن يعطي الفرعون في  
خطاب إعلان خطبته يد لوستريس نفسه، الأمر بسمنه أو أسوأ  
من ذلك، أن يصدر حكم إعدام، فاملك ينصب لكلام سيدي إنتف،  
وسمعه على ذلك بالتأكد ولديه في الحقيقة سب وجيه فأنت بلا  
شك منقب بإثارة الفتى.

- لا تعيبي الحياة إن لم تكن لوستريس زوجتي، وإن أخدك الملك مني  
مرحباً به أن يبال رأسي هدية زواج

قال ذلك ببساطة من دون تكلف لنا واحتمت صعوبة لي مريب انعض  
زوج بعض الارداء في صوتي

- تنكلم مثل عحور حرمة مثيرة لشفقة تسلم نفسها لأقد ر من دون  
اضطراع أي حب حالص أبدئي هـ الذي في قلبك إن لم تحارب من  
أجلها حتى!

فسألني بهدوء: «كيف تحارب ملكًا وإلها؟ ملكًا أقسمت له بالولاء، وإلها  
معبود، ومعينًا كالشمس؟»

بصفته ملكًا وهو لا يستحق ولاك، وقد أوضحت لك في خطايت أيما  
إصاح إنه عحور ضعيف مرتك قسَم المملكتين وأرب ملاكًا -  
ميري حتى ركتيها

- وبصفته إلها؟

سألني ثانيةً بهدوء، كأنه لا يعيا حقًا بالإجابة، رغم أنني أعرفه رجلًا تقياً  
متديكاً كالعديد من المحاربين العظيم، فحملت لهضي هارثة، «إله؟ في دراعك  
اسلوجه بالسيف ربوبيه أكثر مما في جسده الناعم المضلل كله»

فسألني بكياسة زائفة: «إن ما تقترح؟ ما الذي تريدني أن أفعله؟»

أخذت نفث عميقاً ثم قلت بلا تفكير: «صبطك ورجالك مستعدون لسير  
حلقك حتى بوايات العالم السفلي، والشعب يحبك بشجاعتك وشريك...»

ونعلمتُ، ذلك أن سخاءه بحث صوء لفر لم تشجعني على الاستمرار،  
فظل صامتاً بعشرين حقيقة من خفقات قلبي امتسرع ثم أمرني بلين:  
«أكمل! إن ما تريد قوله»

- سيكون يا ماثوس أسل فرعون شهدته أرضاً تا ميري لأم في ألف  
عام، يمكنك، ومولاتي لوستريس بجوارك. أن نعييا العظمة إلى هذه  
الأرض وهذا الشعب. استدع أسرك، وقد رجالك عبر الصريق المعده  
إلى حيث برقد ذاك الفرعون الحقيق ضعيف من دون حصية، ويمكنك  
بحلول بحر الغد أن تصبح حاكم المملكة العليا، وربما بحلول هذا الوقت  
من اعام لقدم تكون قد هزمت الغاصب وأهدت توحيد المملكتين، (ثم  
وثب وقفاً وواجهته) ماثوس، يا سيد حاراب، إن قدرك وقدر امرأة  
التي نعتُ منظرارك، فاقبض عليهما بندي اسحارب الهويتين هاتين

- هذا المحارب، أحس، (ورفعهم أمام وجهه) اليدين المتان حارينا لأجل  
أرضي الأم وحمك مكنها الشرعي لقد أذيتني يا صديقي القديم فهاتين

يُسْتَبَدُّ بِدِي حَائِنٍ، وَلَا هَذَا الْقَلْبُ قَلْبُ كَافِرٍ قَدْ يَسْعَى إِلَى الْإِطْلَاحَةِ بِإِلَهِ  
وَتَكْمِيرِهِ، وَأَخَذَ مَكَانَهُ فِي مُجْمَعِ الْأَلْهَةِ

ثَانِدْتُ أَيْدِيَّ مَعْرُومًا مِنْ إِحْبَاطِي «سَتَكُونُ لِقُرْعُونِ الْأَعْظَمِ فِي السَّنَوَاتِ  
الْحَمْسِمِئَةِ الْمَاضِيَةِ، وَلَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى إِعْلَانِ رُغْبِيكَ إِنْ كَانَتْ الْفِكْرَةُ  
تَزْعَمُكَ أَعْمَلَهَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ، مِنْ أَجْلِ مَصْرُنَا هَذِهِ، وَمِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ الَّتِي  
يُحِبُّهَا كِلَانَا،

- أَسْتَظِلُّ لُوسْتَرِيْسَ نَحْدَ خَائِنًا مِثْلَمَا أَحْبَبْتُ حَفْدِي وَرَحَلًا وَطَيْبًا لَا  
أَطْنُ لَكَ (وَهَرُ رَأْسِهِ)

مَهَّدْتُ أَقْرَبَ «سَتَحْبُكُ بِصَرْفِ لِنَظَرٍ»، لَكِنَّهُ قَاصِدِي

- لَا يُمْكِنُكَ إِقْنَاعِي إِذَا امْرَأَةٌ مُضْطَّعَةٌ وَشَرِيفَةٌ، وَإِنْ صَرْتُ حَائِنًا وَلَمَّاعًا  
عَسَا أَحْصُرَ احْتِرَامُهَا تَصَدِّقًا، وَمَا يَعَادِرُ دِنَكَ فِي الْأَهْمِيَّةِ، هُوَ أَنَّنِي لَنْ  
أُحْتَرَمَ نَعْمَتِي ثَابِتَةً أَبَدًا، أَوْ أَعُدُّ نَفْسِي جَدِيرًا بِحُبِّهَا الْعَذِيبِ، إِنْ فَعَلْتُ  
مَا تَحْتَلِّي عَلَيَّ، لَا تَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ ثَانِيَةً إِنْ كُنْتُ تَتَمَرَّصُ صِدَاقَتِي، فَلَا  
أُحْقِقُ لِي بِالنَّاحِ الْمَزْدُوجِ، وَلَنْ أَطَاقَ أَنْ أَسْمَحِي بِأَحْوَرِيْسَ، وَأَعْرِضُ  
بِرُوحِكَ عَنِّي إِذَا مَا حَبِثْتُ بِهِمَا الْعَهْدَ

لَعَدْتُ حُتَمَ عَلَى الْمَسْأَلَةِ، كُنْتُ أَهْمِيَّةً جَيِّدًا، ذَاكَ الْأَيْلَهُ الْمُحْضَبُ الْكَبِيرُ، أَسِي  
أَحِبُّ بِكُلِّ قَسِيٍّ، وَأَعْرِفُ أَنَّهُ يَعْنِي مَا يَقُولُ بِالضُّيْطِ، وَأَنَّهُ سَيَتَشَبَّهُ بِهِ مَهْمَا  
كَانَ الْأَمْرُ، فَاسْتَعِثْتُ فِي وَجْهِهِ: «إِنْ مَاذَا سَتَفْعَلُ؟ حَلَّتْ لَعْنَةُ عَلَى قَلْبِكَ  
أَبَعَدَ، لَا شَيْءَ مِمَّا أَقْوَمُ بَيْنَ شَيْءٍ عِنْدَكَ، أَتُرِيدُ مُوَاجَهَةَ هَذَا وَجَدَلًا؟ أَصْرْتُ  
فَجَاءَتْ أَحْكَمُ مِنْ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى مَشُورَتِي؟»

- إِنْنِي مُسْتَعِدٌّ لِلْإِنْصَاتِ بِمَشُورَتِكَ، مَا بَالَتْ عَقْلَانِيَّةً (وَمَدَّ يَدَهُ مَشْدَتِي  
مَقْعَةً إِيَّايَ بِحَوْرِهِ) تَعَالَى يَا قَلِيلًا، وَسَاعِدْنَا أَدَّ وَلُوسْتَرِيْسَ لِي  
حَاضَةً إِلَيْكَ الْآنَ كَمَا لَمْ يَحْبِجْ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، لَا يَهْجُرُنَا، أَيْسًا هِيَ إِسْمَاعُ  
لَطَرِيْقَةِ الْمَاضِيَةِ

تَسَهَّدْتُ وَمَشَاعَرِي تَتَدَبَّرُ وَتَعْمَلُ مِثْلَ حَشِيَّةٍ مِنْ حَطَامِ سَفِينَةٍ عَلِمْتُ فِي  
فَيْضَانِ اسْبِيلٍ: «أَخْشَى أَنْ أَمُرَّ كَهَذَا غَيْرَ مُمَكِّنٍ. يَكُنْ إِنْ لَمْ تَتَشَأْ اخْتِطَافَ الْبَاقِ،  
فِيَاكَ وَالْبَقَاءَ هُنَا عَلَيْكَ أَخَذَ لُوسْتَرِيْسَ بَيْنَ ذُرْعَيْهِ وَجَمَعَهَا بِعِزِّهَا

فَحَدَّقْتُ لِي تَحْتَ شُعَاعِ الْقَمَرِ «أَغَادِرُ مَصْرًا؟ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونِ حَائِنًا إِنْهَا  
دُسَايَ، وَدَسَا لُوسْتَرِيْسَ».

فلمأنته، دلاً ليس هد ما أمكر فيه لمصر فرعون آخر فرعون في  
حاجه إلى محاربيين ورجار شرفاء، وعندك الكثير مما يمكنك تقديمه لملك  
كهدا، فشهرتك في المملكة السفلى صليحة كم هي هدا في الكرنك، صبح  
لواستريس على متن أنماس حورس وأرسل القادس طيراناً إلى الشمال. لا  
ملك سفينة أخرى يمكنها اللحاق بك، وفي عصرون عشرة أيام، بمساعدة هذه  
الريح وهذا التيار، يمكنك أن تقسم نفسك في ملاح فرعون منف<sup>(1)</sup> لأحر.  
ونقسم بالولاء لـ ..

فقطعتني «بحق حورس! بك عارم على جعلني خائفاً. أقريني أن أقسم  
بالولاء للغاصب؟ إن ماذا من الولاء اندي أقسمت به لفرعون الحق ماموس؟  
أليست له قبة عندك؟ أي صنف من الرجار أكون إن أديت القسم نفسه لكل  
ملك أو مارق ألتقيه؟ انقسم ليس شيئاً نئلل أو يُعدّل يا مايعا، بل هو أبدي،  
وقد أديت تسمي لفرعون ماموس،

نئّهته يتجههم، وحتى هو ارتحف هذه المرة: «دك الفرعون الحق هو نفسه  
الذي سيتروج حديبتك، ويأمر تلفّ حيل المشنقة حول عنقك،

- أنت على حق بالطبع، لا ينبغي لنا البقاء في الكرنك، على نبي لن  
أقلب حائناً أو أحدث نفسي المقدس بحمل السلاح على مكّي

عجرت عن إبعاد لهمة السحرية من صوتي؛ إن جسّ دعايتك أعقد مما  
يسعني استيعابه، وكل ما أعرفه هو أنه ينذر بتحويلك كلها إلى حدث لهد  
أحبرني بما لن يفعله، فأعبرني لأن بما ستمعله لتجو بحياتك وتنفذ مولاتي  
لواستريس من هد انفسر انمقيت»

- أجل يا صديقي القديم، لك كل الحق في العضب عليّ، فقد ظهبت عونك  
ونصحتك، وعندما منحتني إياهما من نون قبور أبيت عنهما، لكنني  
ألتمس صبرك، تحمّلني برهة أخرى.

وثب واقفاً وبدأ يحوس كالفهد في معرض وحوش الفرعون، حيثة ودهاناً،  
بمعهم في سرّه بينما يهز رأسه ضاماً قبضته كأه يراجه حصماً، ثم وقف  
أمامي أخيراً

(1) منف. أو من نهر، وإبحيرية مديس. كانت مدينة مصرية والمانيّة القديمة لإنبحج، أو من  
كور مصر القديمة (المترجم)

لستُ مستعدًا لأداء دور الحائز، لكني سأجبر نفسي، بقلب ملؤه  
الأسف، على أداء دور الجبان إن وافقت لوستريس على مرافقتي  
وموافقتها شرط لازم، فأنا مستعد لأن أكون بالهرار سوف أرحبها من  
هذه الأرض التي يحبها كلانا حبًا جمًّا

- إلى أين ستذهبان؟

أعرف أن لوستريس هاجرة عن حجر اسهر، فهو ليس حياتها وحياتي  
وحسب، لكنه إلهتها أيضًا يجب أن نبقى بجوار حصلي النهر وهذا لا  
يترك إلا اتجاهًا واحدًا، مهنوحًا أمامنا (ورفع ذراعه اليمنى، الملتصقة  
بعصلاتها تحت ضوء القمر، مشيرًا إلى الجنوب) سنتبع النيل جنوبًا  
إلى أعماق إفريقية، إلى أرض كوش وما وراءها، ثم نعبث الجنادل إلى  
البراري المبهمة التي لم يربها إنسان متحضر من قبل. وربما هناك، إذا  
سُئلت علينا الأسهة، نتخذ لدا تا. ميرى أخرى.

- من سيرا فكمما؟

- كرتاس بلطبع والمستعد من ضباطي ورجالي لخوض المفامرة.  
سأحاط بهم اللبنة وأحيرهم. ربما أحد خمس سن والرجال اللازمين  
لقياستها، علينا أن نكون جاهزين للمعادرة عند الفجر ألا ترجع إلى  
المدينة الحائرية ونحلب بي لوستريس؟

سألته بصوت خفيض. «وأنا؟ أليس تأخذي معك؟»

- أنت؟ (وضحك سي فالان وقد اتخذ القرار، حلق مزاحه عاليًا كصفر  
يحقق بحاحيه بعد أن أطلقته قبضة صاحبه المنقورة) أمستعد  
حما نترك حديمتك وكنبك وحفلاتك وبثائك المعابد؟ ستكون الطريق  
محفوظة بالمخاطر والحياة شاقة، أتريد بك بصق يا تايثا؟

- لا يمكنني تركك نذهب وحدك من دون بدي الواسعة على كتفك، فأني  
حماقه وخطر قد تفقد مولاتي إليه إن لم أكن حاضرا لأوجهك؟

فأمري مربيا ظهري، «تعال لم أشك قط في أنك ستأتي معنا، وأعرف  
أن لوستريس لن يعارض دوك على أي حال، بكفنا هذرا، أمام عمن لسحره.  
أولا سنحبر كراتاس والبقية بما سوي، ليتخذوا قرارهم، ثم عليك العودة إلى  
المدينة الحائرية لتحلب لوستريس، فيما أحري بجهيزات رحلتك. سأرسل

بربعة من حبرة رحالي معي، لكني أحب أن نضع، فقد حاور الوقت مبدئياً  
الليل وحصة لا بأس بها من الهريج الثالث،

ولأنني أحقق رومانسي سحيق، بينما دهرج عائدين إلى معسكر الفوج  
تحت الصعد والطريق المعقدة تحفست بقدره، ودهشتني المشقة حتى تحدر  
شعوري بالخطر، فكن قانوس من ابتدأ إلى الحركة المشؤومة في ضوء  
العمر أمام وقبض عى دراغي شاداً إيدي إلى أسفل كنه شجرة حروب  
قرميه

همس: «جماعة مسلحة»، ورأيت اجتماع أسنة الرماح البرونزية كانوا  
عصبة كبيرة من الرجال، وخمست أنهم ثلاثون أو أربعون  
منهم متفرقاً «قطاع طرو ريم»، أو مجموعة صغيرة من المملكة السهل،  
وحتى أنا ألقني أسلوب المحتل للرجال المسلمين أماساء، إذ لم يستخدموا  
من حر القناعات بل حازوا يرحفون عبر الحقول المفسوحة، ويتشربون ليطوفوا  
معسكر قانوس على صفة النهر.

«من ههنا» انتقى بعين جندي خبيرة واديه صحناً بهبط حتى يوصم إلى  
النهر وقادسي إليه، فقرباً برولاً وركعت منحنيين حتى يلعبا محيط المعسكر،  
ثم وثب قانوس من الوادي وأيقظ الجند برئبه.

هتف «إلى السلاح! إلي أيها الذرق! تشكلوا حوبي!»

كانت تلك صيحة خشد حرم انتمى ح الأرق، وتلقفها رقباء القرو من  
نورهم، جعلت لحياة في المعسكر حالاً، وقعر لرجال النائمون حول السيران  
واقمين وامنشقو أسلحتهم المنكسرة، بينما مفلقت حيام لصناد مفتحة  
كأن الرجال فيها ما ساموا قط، بل كانوا ينتظرون أمر قانوس متوترين  
ومستعدين، ثم تسابقوا إلى مراكزهم وسيوفهم في أيديهم ورأيت كراتاس  
في المقدمة.

شدهتني رشاقة استحابتهم، رغم معرفتي أنهم كلهم محاربون قدامى  
خاصوا على المعارك وقبل أن تمكن من حر دزينة أسفاس محمسة، كانوا  
قد تشكلوا في كتائبهم بتروس متراكبة ورماح طويلة تنفأ منها مواجهة  
الظلام. ولا يد أن الجماعة الغريبة في الخارج قد أحفلت بقدر ما أجعلت أمام  
هذا العرض المعوار، فزعم أنني ظلت قادراً على تمييز الظلال لمبهمه رجال



عجدين والتماع أسحتهم في الدُجَه، لم يتحصد الهجوم الدموي الذي كان جميعنا بثوقه.

وهي لحظة اكتمال صفوف تشكيلات تانوس، أمرهم بالتقدم، فكثيراً ما ناقشنا ميراث الفعل الهجومي على الدفاع أخذت الأسراب امحتشة تتحرك إلى الأمام، متهينة لتطلق في هجوم كامل عند أمر تانوس، لا شك أنه كان مشهداً مرعباً للرجال الراقعين في الظلام، ذلك أن صوتاً منهم تشوبه مسحة دعر نادانا قائلاً «بحر رجال الفرعون جثا في أمر يخصه أوقفوا هجومكم!».

فأوقف تانوس القسم المهدد: «هي أماكنكم أيها الزرق! (ثم ردّ على الساء) أي فرعون نخدمون، الغاصب الأحمر أم الفرعون الحق؟»

- إنا نخدم الفرعون الحق، ماموس الإلهي، حاكم المملكتين العليا واسمسي، وأنا رسول الملك

فدعاه تانوس «تقدم يا رسول الملك، الراحف في الليل مثل النسر. تقدم وأصبح عما أتيت فيه»

ثم قال لكراتاس همساً: «تجهز للحياة، فرائحتك تملأ الجو، وأصرم النيران تمنحنا الصوت لئلا».

أعطى كرقاس الأمر ورُميت حرم من الأسل الجاف هي بيران الحراسة، وارتفعت السنة الذهب وريد انظلمة، ثم تقسم قائد الجماعة اغربية إلى هذا الوهج الأحمر وصاح: «اسمي نيتز، الأفضل في عشر آلاف، وأنا قائد حرس الفرعون الشخصي أحمل ختم النار والأمر فاعفان قابوس سيد حاراب وحجاز».

فمرجر كراتاس: «بحق حورس! إنه يكذب بوقاحة لست مجرمًا توحد مكررة بالقض عليه. إنه يهينك ويهين العوج. اتركنا عليهم وسأحشر ختم الجاز ذاك بين رجليه»

لججه تانوس. «تمهل! فلنسمع ارفيق، (ثم رفع صوته ثانية) أونا الختم أيها القصد نيتز»

فرفع نيتز تمثيلًا صغيرًا من خرف أررق براق في شكل النار الملكي. كان حتم النار تفويضًا شخصيًا من الملك، ويعمل حامله بهذه القرون وصلاحيته كلها، ولا يمكن لأي امرئ مساهمته أو إعاقته في مسار مهمه ملكيه تحت طائلة الإعدام، ولا يستجيب حامله إلا لأوامر الملك.

أقر تاموس «أنا تاموس، سيد حاراب، وأعترف بحكم البان»

فهمس كراتاس بإلحاح «سيدي، سيدي! لا تذهب إلى الملك، فهذا يعني موتك اسحتتم. بعد تكلمتُ إسي بعية اضباط، كل الفوج حلفك، لا، بل كل الجيش حلفك، أعصا أمرك وستتوجك ملكًا قبل ببلاح الغد»

قال له تاموس بهدوء، لكن صوته حمر تهدينا مؤثرًا أكثر من أي زمجرة أو هدير «إن أذنني صمء أمام هذه الكلمات لكن هذه المرة فقط يا كراتاس من مايدم، فإذا ما نطقت بالحيدة ثانية لأسلمك لعصب الملك سيدي هاتين»

وأعرض عن كراتاس منحها إلي، ثم أحدى جانب بعص الشيء: «لعد مات الأوان يا صديعي العديم، وعبست الآلهة في وجه مغامرتك. إن كان الملك إلها بحق، فسينظر في قلبي ويرى بنفسه أنه لا يصمر شرًا، ثم لمس ذراعي، وكانت هذه الإيماء الخفيفة أهم عندي من أرقاً لعقدت

ثم قال: «اذهب إلى لوستريس وأخبرها بما جرى، وأخبرها لم جرى قل لها إني أحبها، مهما جرى، وسأبقى معي حبها في حياتي هذه وفي خاليتها أخبرها أنني سأنتظرك إني نهايات الأبدية إن بوم الأمر»

ثم أعاد سيعه إلى عمده وتقدم خالي ايدين ليلاتي حامل حنم لجاز وقال ببساطة: «أقف مستعدًا لتنفيذ أمر الملك»

هسهس ارجل من خلفه وتدمروا، وصلصلوا بسبوتهم على تروسهم، لكن تاموس استدار وأسكتهم بإيماءة وتقطية، ثم وسع خطاه لبواحه نيسر، بصوقة حرس الملك، وساروا خبًا على طول حمر ايمانة هوذا إلى لمدينه الحنائرة.

كان المعسكر يعج بالشنان الأشياء الغاضبين وقتف غادرتة وتبعث تاموس وخفره على مسافة حذرة، وعندما بلغت المدينة الحنائرة، مصبت مباشرة إلى مهجع مولاتي لوستريس غشي أن وحدته مهجورًا إلا من ثلاث إماء سوباوات محهزن بصريعتنهن البليدة لمتكاسلة المعهودة آخر ملاس مولاتهن في صندوق من خشب الأرض.

سألتهن: «أين مولاتكن؟»

فصيف زجت كبراهن وأوقههن إصبعها في أنفها أعصتي حوتًا منكزًا: «حيث لا يمكنك بلوعها، أيها الخصي»، وصحكت الأحريلت على برعة إجابتها كن جميعًا بمرن من حظوتي لدى مولاتي لوستريس

قلت «أجيبيني باستقامة وإلا حدثت ظهورك الوقح أينها المومس الصئيلة!».

كنتُ حدثتها قبلاً، لذا لانت ودمدمت، «لقد أخذوها إلى حريم الفرعون، ولا نفوذ لك هناك، فعلى الرغم من افتقارك إلى الخصيتين، لا يسمح لك الحرس بالدخول إلى النساء الملكيات أمداً».

كأنت صفة بالطبع، لكن عليّ المحاولة، عم ذلك، عسديتي هي حاجة إليّ الآن أكثر من أي وقت مضى في حياتها كلها.

وكما خشيت، كان الحرس على بوابة حريم الملك عبيدين، ورغم معرفتهم هويتي، اقتضت أوامرهم ألا يسمح لأحد، ولا حتى أقرب أفراد حشيتة لوستريس، بالدخول إليها.

كلّمني الأمر حاتمًا ذهبيًا، لكن حتى بعد هذا الإسراف، لم أحصل إلا على وعد بأن يحصل أحد الحراس ومالتي إليها، فكتبت لها على قصاصة وردي، محاولة تشجيع صئيلة تافهة لم أحرؤ على إحبارها فيها بما حاو سا، أو التهلكة التي بقى قانوس فيها الآن. لم أستطع ذكره باسمه حتى، لكن كان عليّ طمأنتها رغم ذلك على حبه وأمانه لم تكن لرسالة استمارةً يستحق الثمن الذي اضطررتُ إلى دفعه، وأصعب ما عانيتُهُ هو معرفتي بالحققة أن ذهبي ضاع سدى وأ، رسالتي لم تصل إليها قط. ألا يوجد رجل يمكنك أن تثق به في هذا العالم الغادر؟

لم أرَ قانوس ولا مولائي لوستريس ثانيةً حتى عشية اليوم الأخير من مهرجان أوريزيس



انتهى المهرجان في معبد الإله، وبدأ مرةً ثانيةً أن شحب طيبه العظمى كله محشور في بحاته، ومرصوص بشدة جعلتني بالكاء أنفقس ضعطاً وحرارة. كنت أشعر بانجس، ذلك أنني لم أبل إلا القليل من النوم في لياليتين متتاليتين بسبب القبح والإرهاق وإلى حسب عمو من مصير قانوس، أرسل سدي إفتاف على كاملتي حملاً، ضاعياً بتوكيله إبي بواجب ثمين هو ترتيب حفل زفاف الملك من بنته، وأحبّ عارض رعائي أعني المعارضة وأصاف إلى الثقل أنني فرقتُ من مولائي، وأحملتُ ذلك شق الأنفس. لا أعرف كيف احترتُ هذه

لحملة حتى العلماء كانوا قلقين عليّ، وصرخوا أنهم لم يدروا جمالي عليّ، أو معوياتي منهارة إلى هذا الحد من قبل.

مرتين في خلال الخطاب المطوّل الذي ألقاه العرعرون من عرشه، وجدت نفسي أتميل في وقتي يكاد يغمي عليّ، بيده أحيثت نفسي على النشيد رتب الملك العبارات المبتدلة وأصاف الحقائق التي تسعى من حلالها إلى تمويه الحالة الفعلية للمملكة وبسكين الشعب.

وكالمتوقع تمامًا، لم يذكر مباشرة لعرعون الأحمر في لشمال أو لحرب الأهلية التي أعجمت فيها إلا بمصطلحات فضفاضة مثل «هذه الأوقات العصيبة» أو «لانشقاق والعصيان»، بأي حال، بعد أن تكلم لبعض الوقت، نصح لي فجأة أنه كان يشير إلى كل القضايا التي أثارها قانوس في خطبه، ويحاول إيجاد حلول لها.

صحيح أنه كان يفعل ذلك بأسلوبه الأخرق المتدرب المصهور، لكن مجرد حقيقة أنه انتبه إلى ما عاله قانوس قوّتني وركّزت انتباهي الشارد، فرحت أقسم في الازدحام البشري حتى حصلت على رؤية أفضل للعرش. كان الملك اندك يتكلم عن وقاحة العبيد والسلوك المهين لطبقات المجتمع لأقل شأنًا، وهي مسألة أخرى ذكرها قانوس وابهجني أن سمعتُ حلّ العرعرون، يدّعون قائلًا «من الآن فصاعدًا، يعلو لعلك العبد الأمر بحمسين حلدة للعبد المصهور، من سون الزرع إلى رجان الغطاء يُجيزوا هذه العقوبة».

استمت عندما تذكرت كيف كاد هذا الملك نفسه يهدم الدولة منذ اثنتي عشرة سنة ببيان رسمي معاكس تمامًا لاتجاه هذا البيان، إن كان في حفل تتويجه لا يزال يفكر بمثالية، واعتزم إنهاء مؤسسة العبودية القديمة والموقرة، وإطلاقي سراح كل عبد لي مصر محوّلًا إياه إلى رجل حر.

ولا تزال هذه الحفلة مسجلة عليّ حتى بعد هذا الزمان، فعلى أنبي عبد، أرى أن العبودية والاسترقاق هما المؤسستين اللتين تقوم عليهما مظنة الأمم، إذ لا يمكن بلعاع حكم أنفسهم، ولا ينبغي أن يؤتمن على الحكم إلا الذين ولدوا فيه وتربوا فيه الحرية امتيار، وليس حقًا، والحموع تحتاج شيئًا قويًا، فمن دون التنظيم والتوجيه تصود للفوضوية والحكم المطلق والعبودية والاسترقاق أعمدة لمظام مكنما من التطور إلى شر متحصرين.

كانت رؤية تمرد العبيد أنفسهم إزاء احتمال أن يقيم الحرية بيدهم درسًا تعليميًا، كنت صغيرًا جدًا آنذاك، لكنني دهرت أيضًا أمام احتمال أن أنتقل من

سنتي الدافئة والأمية في مهاجم العلمان لأنقمم نلار الربالة بحثا عن كسره  
الحبر التاليه مع قطيع من العبيب المحررين الآخرين. سيد سيني حير من عيب  
السيد.

يا طبع، أسقطت هذه الحماسة المملكة في البلبلة، وكان الحيش على شفير  
الثورة، ولو أن الفرعون الأحمر في الشمال استغل الفرصة، لربما كُتب التاريخ  
على نحو مختلف، في النهاية، ألقى مرعونا بعجدة قرر الإعتاق لضال وتدهر  
التشيت بعرضه، وه هو لأن بعد عقد وثيق يعلن عقوبات مريدة على وثاحة  
العبيد. كان تصرف مطلقاً من هذا الفرعون العتيد المشوش حتى إسي مظهرت  
بمسح حبهتي لأحبي أول ابتسامة تعضن وجهي في ليومين لأحبرين.

تابع لملك ترتيب العبارات: «سأسمح في المستقبل ممارسه تشويه  
الناب لأجل القمص من الخدمة العسكرية منعاً باتاً، وأي شاب لاثنى يطالب  
باستثناء بموجب هذا الإعلان سيعرض أمام مجلس عدلي قوامه ثلاثة من  
ضباط الحيش يكون بينهم قائد فئة<sup>(1)</sup> على الأقل أو صابط من رتبة عليّة،  
وهذه المرة ارتسمت على شفقي ابتسامة استعسان مترددة، ذلك أنها أول مرة  
يسبر فيها فرعون على الطريق الصحيح كم سيحب قلبي رؤية سويك  
وميسيت يظهران كقهما ناصي لإبهامين أمام جديّ قدسم سنّته حروب  
النهر. أيّ تخاطف رقيق يمكنهما توقعه «وستكون عرمة هذه الجريمة ألف  
حاتم ذهبي» يا لكش بيت لمتفخ ستحم هذه الغرامة دينك العنودين  
الصغيرين في مكثهم، وسيصغر سدي إئتف إلى دمعها بالنسبة عيها.

على الرغم من مخوفي الأخرى فقد بدأت أشعر ببعض البهجة إذ تابع  
الفرعون «من هذا اليوم فصاعداً، ستكون مدرسة ابني لمهنتها في أي  
مكان عام سوى الأماكن التي حصصها انقصة لهد الفرص حريمة تستلزم  
عرامة قدرها عشرة حوانم ذهبة».

هذه المرة، بالكاد قدرتُ على منع نفسي من الضحك بصوت عالٍ، فمس  
حلان لملك. يريد نابوس أن يجعل جميع سكان طيبة طهرانيين وشرفاء  
تساءل كيف سيتلقى البحارة والجنود في خارج أوقاب عملهم هذا التسلل  
في حيواتهم المعائية ثم تطلّ فترة استنصار الفرعون سويلاً، فأني أحس  
بغضب رعونة محاولة تشريع اهواء الرجال الجديدة.

(1) قائد الفئة منصوب في الجيش الروماني في العصور الكلاسيكية بقبيله (المترجم).

وبرغم شكوكي في ما يخص تنابير الملك، وجدت نفسي مأخوذاً بحماسة منهذجة كان واضحاً أن امك قد انتبهت بنفاهٍ جدّاً لكل مسألة طرحها قانوس في خطبته، وبحثُ أتساءل، أسيُتاح الآن هيدري قانوس بالعصيان؟ لكن الفرعون لم يبه كلامه بعد، «لقد جُذِبَ انتباهي إلى أن بعض موظفي الدولة قد استغلوا الثقة والأمانة التي ائتمنتهم عليها، سأسدعي هؤلاء المسؤولين لمعديور جمع الضرائب وإدارة المال العام، ليقدّموا بياناً عن الأموال التي وُصفت في عهدهم، ومن يرى منهم مديناً بالاحتيال والفساد سيُزال حكم الإعدام بأشدّ من غير إبطاء»

هاج الناس وماحوا وسعدوا غير مصدقين، هل سيحارب الملك حقاً تقييد جامعي ضرائبه؟ ثم صاح صوت متعرج في مؤخر القاعة: «الفرعون مطيع! معش الفرعون!»، واعتُقت الصبيحة حتى دوى لمعد بالهتاف

لا بدّ أنه كان صوتاً لم يعتدّ الملك سماعه، ذاك التصفيق لعفوي، ورغم المسافة التي أقف عليها من العرش، عرفت أنه كان مستمتعاً به، إذ أشرقت سحناؤه الجنائزية وبدّ وزن إنتاج المزودج أحف على رأسه كدث واثقاً أن كل هذا سيُدرر بلا شك فرص قانوس بالإفلات من أنشطة الجلال

عندما حب التهلين أخيراً، تابع الملك وهدم كل ما حصّله للتو بطريقته المصيرة: «سيكون وزير الأعمام المؤتمن، السيد إنتف السيل، في موقع المسؤولية الحصرية والمطلقة عن هذا التحقيق في الخدمة المدنية، وجميع صلاحيات البحث والاعتقال، والحياة والموت، آتة إليه»

لم يتأق هذا التعيين إلا أرق أصداً التصفيق، واستغلّته بتمويه محكمة حافته ساحرة، لقد أرسى لشرعون فهذا جائعاً ليحصي لطيفور في دنّ الدجاج، أي لهو سيلهوه سيدي إنتف بين الحزائن المسكية، وأي إعادة توزيع لثروه لأمة سحرري إن مولى مولاي حسب كنور مدحرت جامعي الصرنب السريه وخبّوها!

يتمتع الفرعون بموهبة نادرة في قلب مركب أنبل السواطف والنواب أو سوقه، إلى الصحور عقادته المحمطة بلده، تساءت أي حماقة أخرى سيتدبر احتراحها قبل أن ينهي كلامه في ذلك ليوم، ولم أضطر إلى الانتظار طويلاً.

«إن وجود حالة من الفوضى في المملكة العليا مدعاة قلقٍ بالغ لي منذ بعض الوقت، إذ وضعت حيوات وأملاك المواصين اشرفاء في أشد الخطر، وكنت أجريُ ترتيباتٍ للتعامل مع هذه الحالة الراهنة في وقت مناسب، لكنَّ المسألة طُرحت عديَّ مؤخرًا في غير أوانها وطريقة رعب، حتى إن راحة الفتنة تفوح منها. جرى ذلك تحت إعفاء مهرجان أوزيريس، غير أن تلك الإعفاء لا يشمل الحيدة أو جريمة الكفر، أي مهاجمة شخص الملك وأوصيته، ثم وقف الفرعون وفقَّة ملحوظة.

كان واضحًا أنه يتكلم عن تانوس، وامتدَّت تقديره مرة ثانية ذلك أن فرعون قويًّا لأن يشرح دوافعه للشعب، أو يسعى إلى كسب تأييدهم لتصرفاته، بل كان لينطق بالحكم ببساطة وينهي المسألة.

«إنني أتكلم عن تانوس، سيد حاراب، الذي أسي دور الإله لعظيم حورس في حفل أوزيريس. لقد اعتق بتهمة إثارة الفتن وانقسم مستشاري في ما يخص إنثم هذا الشخص فمنهم من يرغب بأن يال لعقوبة القصوى. (رأيتُ سيدي ينقب، واقفًا تحت العرش، يشيح بوجهه للحظة، وأكد ذلك ما أعرفه بالفعل، أنه كان كبير من يودون رؤية تانوس يُعدم)، ..ومنهم من يشعر أن خُطيت في المهرجان كانت في الحقيقة بوحى من قوى سماوية وأنه لم يكن صوت تانوس سيد حاراب الذي نطق بتلك العصايا، بل صوت الإله حورس الحقيقي وإن كان لاحتمال الأخير هو ما جرى، إنى من أوضح أنه لا ملامة يمكن أن تلقى على الفاني الذي أعمار لإله أن سطو من خلاله».

كان الاستدلال منصفًا، لكنَّ أي فرعون حدير بالقاج المردوج يتناول فيشرحه لهذا الحشد من عامة الجند والبحارة والمرارعين، من لتجار والعمال والعبيد، الذين لا يزال معظمهم يعاصي آثار الإسرط في السعد والعمدة؟ وسما ما زلت أفكر في هذا، اعطى الملك أمرًا لقائد حرسه الذي كان واقفًا تحت العرش وتعرفته على أنه نيتز، الضابط الذي أرسل لاعتقل تانوس. سار نيتز بأمانة وعاء بعد لحظة بقود تانوس من المعتقل في مخبر القاعة.

وثب عليّ عدد من أي صديقي، ثم أد كُت ببهجة وأمل أنه ليس معيذا، ولا أصفاد على كاحليه ورغم أنه لم يحمل أسحة أو شارة رثية، وأنه يرتدي سورة مصد، فقط مشى بخطوه المر ورشقه الأنيقة لمهويين، وبما خلا مشرة الجرح الأحد بالنعامي على جبهته حيث أصابه راسع، كان غير

محدوش لم يُصْرَبْ أو يُعَذَّبْ وشعرِدُ أنْ تفؤلي انتعش، إذ لم يعامل على أنه رَحْمٌ مُدَانٍ

بعد برهة، مُشَفَّتْ كُلُّ آمَالِي أَشْتَاتًا، فقد سجد تانوس أمام العرش، لكنه عندما بهض ثابته، نظر لفرعون إليه بطرة قاسية ويطق بصوت لا يحالطه الرحمة: «تغف أمامي الآن يا تانوس سيد حاراب متهمًا بالعبادة وإثارة الفتن، وأراك مدنيًا مكفًا الجريمتين، أحكم عليك بالإعدام شنفًا، وهي العقوبة التقليدية للخائن»

عندما أحاط نيتز عنق تانوس بالحبل الكتاني ليسمه بيسمة المحكوم بالإعدام ارتفعت أنة من المشاهدين، وثاحت امرأة، وسرعان ما امتلأ المعبد بصيحات التفجع وولوله العذاب. لم يحدث قبلًا أن راح عرصًا كهذا إصدار حكم إعدام، ولا شيء يمكنه إظهار الحب الذي يكنه الشعب لتانوس بصورة أوضح انتحبت معهم، وهزت الدموع من جفني فسالت على خدي وإبهمرت عى صدري مثل شلال.

انقصر الحراس على الحشد واستخدموا أعقاب رماحهم الطويلة في محاولة لإسكاب الذلحين بضربهم، ولكن بلا جدوى، وصحّت من فوق رؤوسهم، «الرحمة أيها لفرعون المُحسن! لرحمة بتانوس النبيه!»

صربي أحد الحرس على جانب رأسي وسقط على الأرض نصف مبهوت لكن ثلثف الجمع صيحتي «الرحمة، تنوس لك يا هاموس الإلهي» وأصاحت استعادة شيء من الانصياع إلى كامل معهود الحراس، لكن ظلت بعض النساء يتشعن

ولم بصمت في آخر الأمر إلا عندما رفع الفرعون صوته ثابته، وبداك لنتمكن جميعًا من سماع نطقه التالي: «لقد شكّا المدان حالة الهوى هي المعسكة، وتشد لعرش أن يعشق عصيات اللصوص الذين يتهبون الأرض، شقيّ لمدان بطلًا وثمة من يقولون إنه محارب حمار، إن كان هذا صديقًا، من فسيكون نفسه أكثر علامة من أي سواه يبعث هذه الإجراءات التي يصاب بها»

صار الناس مرتبكين وصامتين، وببف مسح الدموع عن وجهي بساعدي حذقت لأسمع الكلمة التالية «بالتالي، يؤجل حكم الإعدام لعامين إن كان المدان تحت وحي حورس حتى عندما حصب خطيبه القابضة، إذن فسيساعده الإله هي المهمة التي أحمله إياها».



بات لصمتُ بيعةٍ، وبد أن لا أحد منا يمكنه فهم ما يسمعه، رغم أن الأمل  
والياس ملأ روحي بالدرجة نفسها

تلق إشارة من الملك تقدم أحد وزراء التاج وقدم للفرعون صليبة انتصب  
عليها تمثيل أريق صغير، فحمسه الفرعون عاليًا وأعلن «أصبر بعيد حرب  
ختم اليار الخاص بالفراغة تحت رعاية الخدم، يمكنه بحيد جميع الرجال  
ومواد الحرب التي يذهب ضرورية لمهمته، يمكنه الاستعانة بأي وسيله  
يختارها، ولا يُسمح لأي رجل بمنحه هو رجل الملك لعامين كاملين، ولا يُجيب  
إلا أمر الملك. في نهاية الوقت المحدد، في آخر يوم من مهرجان أوزيريس  
التالي، سيحضر أمام العرش ثانية، مرتدي أنشودة الموت حول عنقه إن  
فشل في مهمته. شدُّ الأنشودة ومذم شقَّ حتى الموت حيث يقف لأر، وإن  
أتمها، أ مع أنا، الفرعون ماموس، لأنشودة عن عنقه بيدي هاتين وأستبدل  
بها سلسلة ذهبية،

لم يقدر أينا على الكلام أو الحركة رغم ذلك، وبينما يرسم الفرعون إشارة  
بعضا لراعي والمذبة ويقول «أكلفك ي تانوس، سيد حاراب، مهمة احتثات  
الخارجين عن القنور وعصبات النصوص التي تروغ هذه الأراضي من  
ممكة مصر العليا ستستعيد النظام و لأمان في غضون عامين، وحنالك لي  
على حساب حياتك» رُحنا بحرق مشدوهين.

اسلح هدير عنيف من الجماهير كصوت أمواج عاصفيه تصرب شاطئاً  
صحرياً ورغم أنهم هسو تهليلاً غافلاً، رحبُ انتحب، ذلك أن المهمة التي  
حدها الفرعون أكبر من أن يحققها أي رجل فني لم تُرفع غصامة الموت عن  
تانوس، وعرفت أنه في حلال عامين من النوم سيموت في البقعة نفسها حيث  
مفك الآن شتاً أشم شامخاً



ووقتٌ وحيدة في وسط الجماهير، مُهملة مثل متشرد ضائع! النهر الذي  
كان إلهتها الراعيه من حسمها، وأمامها بحر من الوجوه.

كان القميص الكتاني الطويل الممتد إلى كاحليها مصبوعاً بعصاره المحار  
حتى صار بلور أقر الأنبة لوناً يعطيها عروساً عدراء، وكان شعرها مُرسلاً،  
يشيخ على كتفيها في مريحة دكنة دعمة شحشعت تحت أشعة الشمس كأنها  
نار مشتعلة. وهو في هذه الجذائل الساصمة، عتمرت الإكليل لعرسي المهنول

من سويقات ربابي الماء الطويلة، الحاملة رهوًا بلون أزرق لارودي سماوي  
رعدة أهدق من الذهب لخالص.

كان وجهها أبيض كدفيق الدرة المطحون حديثًا، وعيناها واسعتان  
وداكنتان حتى إبهما ذكرتا في تذكيرًا يفطر القلوب بالبت الصغيرة التي، في  
السحب الخالية، في العالب ما أيقصتها من بيضة كابوس، وأشعلت سراجًا  
وجلست بجوار منها حتى ترجع إلى اليوم لم أقدر على معادتها هذه  
لمرة، وكابوس اليوم واقع

لم يكن بوسعي لذهاب إليها فالكهنة وحرس لفرعون محطون بها،  
معلمًا فعلوا في كل الأيام الماضية، ولم يسمحوا لي بالاقتراب منها لقد ضاعت  
فتاتي الصغيرة مني. لي لأبد، وعجزت عن حتمال هذه الفكرة.

كان الكهنة قد بنوا ظلة العرس من أسل النهر على الضفة فوق النيل،  
ومولاتي لوستريس تنتظر تحتها ليأتي عرسها وبطالبي بها، وكان أبوها  
واقفًا سحارها، نذهب البناء يتلأأ حول هتفه وابتسامه الصل على شفتيه.

حاء العريس امسكي أحيرًا على إيقاع الطبول العهيب ولحاء الأبواق  
لمصنوعه من قرون الغرلان، وفي أدتي، كان لص الرفاف هذا أحرى صوت  
على وجه الأرض

كان الفرعون معتمرًا اسمس الفرعومي وحاملًا الصولجان، لكنه تحت  
لأنه وشارات المك، لا يزال عجوزًا صنيلاً له كرش بارز ووجه حزين. ولم  
أستطع منع نفسي من التفكير بالعريس الآخر الذي كان من الممكن أن يقف  
تحت الظلة بجوار مولاتي، لو كانت الآلهة أرحم.

رفق وزراء الفرعون وعلية موظفيه إياه مرافقة بصيفة حجبت مولاتي  
عن ناصري، فقد استعصمت من الرفاف رعم حفيقه أني الشخص الذي أحير  
على ترتيب حميع تفاصيله، ولم أر مولاتي بوستريس إلا لمحات في خلال  
لاحتعال.

عسل كاهن أوزيريس الأعلى أيدي وأقدام العروس والعريس مماء مسحوب  
حديثًا من لنيل يرمر إلى لقاء انحاءهما، ثم كسر لملك كسرة من رغيف  
الذرة الشعائري وهذما عروسه الشابة عهدًا لمحب وجه مولاتي عندما وضع  
الكسرة بين شفتيها لم تستطع أن تمصقها أو تلعها، بل وقعت حاملة إياها  
في فمها كأنها حجر

ثم حُجِبَ عني ثانية، ولم أعرف أن الأمر قد قُضِيَ وصار أبعد ما يكون عن سراي فانوس إلى الأبد إلا عندما سمعتُ انسحاق الإبريق لفرع الذي حوى سيد الزواج بعد أن حطمه العريس مصربة من سنفه.

فتح الحشد تحت الظلة صريحا وقاد الفرعون عروسه الأحدث إلى مقدمة المصصة ليقدمها ليدس، فأظهروا حبهام للوسترينس في حوبة من انترُف استمرت حتى طُنَّت أدماي ودار رأسى.

أردتُ القرار من الرحام والذهاب للبحث عن تانوس، إذ لم يحضر الحفل رغم معرفتي أن سراحه قد أُطلق وأنه عاد حزنا، وربما كان الرجل الوحيد في طيبة الذي لم يأت إلى ضعه اسهر ذلك اليوم. كفت أعرف أنه في حاجة ماسة إليّ كما أنا في حاجة إليه، والعزاء البسيط الوحيد الذي قد يجده أيا في هذا اليوم المأساوي هو رفقة الذي، غير أنني عجرت عن إعاد نفسي، كان عليّ أن أرى ما سيحدث حتى اللحظة المفجعة لأخبرة.

تقدم سيدي إلتف أخيرا ليودّع ابنته، وبينما يهبط لصمت على الحشد عابقتها.

ونفت لوسترينس مثل حنة في حصه بدلت دراماها مرتحيتين على حسنها، ووجهها شح كاسوت، أمتها أبوها، لكنه ظل عاضا على يدها يستدير ويواجه الجمهور بعدم الهدية الشعائرية لابنته تقليديا، كانت هذه الهدية إضافة على لصداق الذي ينهب مباشرة إلى لعريس لكن لم يحافظ إلا النبلاء على هذه لعادة، التي صُممت لتمنح العروس دخلا مستقلا

قال: «الآن وقد رحلت من منزلي ومن كلني إلى منزل زوجك، أهديك هدية الفراق، حتى تذكريني دائما على أنني الأب الذي أحبك (هلكرت بمرارة كم أن الكلمات لا تلائم لحالة، ذلك أن مولاي إلتف لم يُعِنَ نفس حية غير نفسه قط بعد أنه تابع بطق النياز العتيق، كأن المشاعر مشاعر)، سليتني أي عطية يا طفلي الحبيبة، هل أرفض لك شيئا في هذا اليوم ليهيج».

كان اعرف لصعق يقتضي أن سبق الأب وابنته على مهابار الهدية سرا غير الاحتمال، وفي هذه لحالة، أخبر سيدي إلتف ابنته صراحة بما يحق لها طلبه وقد منحني شرف مناقشة المعألة محي في اليوم السابق، قبل إعلام لوسترينس بقراره، إذ راح يتفكر «لا أريد أن أسوف، لكن من الساحة الأخرى لا أريد أن أبدى شحيا في عيني الفرعون. سنقش خمسة آلاف حاتم ذهبي وخمسين مباد من الأراضي، لكن نست من أراضي حاسب لنهر، انتبه».

وقرر أخيرًا، سحر مص مبي، أن خمسة آلاف حاتم ذهبي ومئة قدان من خيرة الأراضي المروية هدية مناسبة لرفاق ملكي وبأمر منه، أعدتُ سعد ملكية لأرض وجهزت الذهب من صحن سري يُبعيه سيدي بعيدًا عن طريق جامعي الضرائب

سُوي الأمر، ولم يبقَ إلا أن سحق لوسرريس بالطب أمام هريسها وجميع ضيوف الزفاف، لكنها وقفت شاححة وصامتة ومتطوية وبدت كأنها لا ترى ولا تسمع ما يجري حولها

قال سيدي إنتف: «تكلمي يا طفعتي، ما الذي ترغبين به مبي؟ بدأت لهجة الحب الأبوي في صوت سيدي إنتف تصير مصطنعة، وهز بد ببتة ليوقظها)، هيا، أخبري أباك بما يمكنه فعله يتعم هذا اليوم السعيد».

هزت مولاي كأنها تستيقظ من حلم مُريح، وراحت تنظر حولها والبصوع صحتشة في عينيها تهدد بالانهمار من جففيها لمرتعشين ثم فتحت فمها لتتكلم، لكن ما خرج من حلقها كان صرخة صغيرة صعيمة لطير جريح، فأطبقت شففيها وهزت رأسها سنان معقود

«تكلمي يا طفعتي (كان سيدي إنتف يحاسي مشقة في الحفاظ على سيماء العاطفة لأبوية)، سَم هدية رفاك، وسأمنحك إياها، مهما كن ما ترغبين به، سا العهد الذي اصعرتُ لوسرريس إلى سله حليًا بي، رعم وهو بي بعيد، جدًا منها، لكنها عندما فتحت فمها هذه المرة، دوى طلبها فوق رؤوسنا واصبًا كموسيق القيثارة، ولا يمكن أن يوجد شخص واحد في الحشد لم يسمع كل كلمة منه

أريد هديتي لعهد ماينا!

لكس سيدي إنتف حظرة كأنها أقدمت خبجرا في بطنه، وبخر إليها مشدوفاً، رعمه يفتح ويعلق من دور أن يقلت منه صوت. لا أحد سواي وياه يعرف قيمة الهدية التي طالبت لوسرريس به، وحتى هو، بحرية ثرواته وكنوزه اشئ راكها عبر حياته، لا يطيق دعة كهده.

سعاد توارده سريعًا، وعاد وجهه هادئًا وحميدًا، رعم أن شفتيه مُدت ورقتا

بما لصحوة أكثر مما يحب ما يعني انحريره فعدت واحد ليس هدية  
مناسبة لعروس الفرعون، وهذا البحر ليس من طبيعتي، حبذا لو  
تقبيل هديه قيمة بحق خمسة آلاف حاتم ذهبي و

بطلما كنت باع السخاء معي يا أنت، لكنتي لا أريد إلا تأيتا

انقسم سيدي إنتف ابتسامة بيضاء، بأذن بيضاء، وشعيتن بيصاوين  
وعصب أبيصر، وببما لا يراى يحدو إلى مولاتي لوستويس، أمكني رؤية  
شوارع أمكاره،

كنتُ نمن جميع محتكاته، وبسبب مجرر مواهي الاستثنائية  
الوسعة التي شككت قيمتي الكاملة لديه، بل أكثر من ذلك، لأنني كنت أعرف  
أدى مدركة كل حيط مفتول في بساط شؤونه المعقد، كنت أعرف كل وشر  
وحاسوس في شبكته، كل شعصر رشا وكل شخص رشا أعرف أي الخدمات  
بارزة في كل مجال، وأي الخدمات تنبني تسويتها، وأي الصفات لم تُصف  
بعد.

كنت أعرف جميع أعدائه وإنه بقائمة طويلة، وأعرف من يعزهم أصدقاءه  
وحلفاءه، وهذه القائمة أقصر بكثير كنت أعرف أين تحتل كل شذرة من  
كنز الصبح، وهوية مصرفيه وسماسته ووكلائه وكيف أخفى ملكية قطع  
عظيمة من الأراضي والمخازن والمعادن الثمينة والأحجار الكريمة في متاهة  
قانونية من السندات والمصمبات والارتعاقات، وكلها معلومات تُهج حاسمي  
الصراشب وتدفع الفرعون إلى تعبير رأيه بوريره الأعظم

أشك في أن سيدي يثق قادر على تذكر وتنتج ثروته كلها من دور  
مساعدتي. لا يمكنه تخدم إمراضورته الممتدة، والخدمة والسيطره عليها  
كما يجب من سوي، ذلك أنه أبقى نفسه منعزلاً ومفصلاً عن معظم جوانبها  
المرعجة وقضل أن يرسني لأعطني بهذه التفاصيل التي، إن كنتُ شعب، قد  
بحرّمه

لذا كن السبب أني أعرف ألف سرّ خبيث، وأعرف ألف فعل مُريع،  
احتلاس وابتره، وتشايح وفل دموي، وكلها إن نُجر إليها حملة يمكنها تدمير  
رجل بحبروت لورير الأعظم حتى.

كنت شخصاً لا يُستغنى عنه، ولا يمكنه التخلي عني، عبر أنه لا يمكنه  
رفض حسب لوستويس أمام الفرعون وكامر شعب طيبة.

سيدي إستف رجلٌ شديد العسجد والكرامية، ورأيت فيه سابقاً لهيباً كان  
ليروُح بيت، إله الغصب نفسه، لكنني لم أر قط اغتياظاً كهذا وقد حصرته  
احتته في الراوية

تأدي: «فلتقدم العبد تايقة»، ورأيتُ أنها حيلة ليكسب مهنة، فشقتُ  
طريقي تنافساً بأسرع ما أمكنني إلى أسفل منصة الزفاف حتى أمسحه أقل  
وقت ممكن لتحطيط شيطنته التالية.

وصحنتُ «بني هنا يا مولاي»، فحذق إلى بيتك لعبيدين ابهاتكين، لقد  
قضيتُ وقتاً طويلاً معاً حتى إنه صار قانراً على محدثتي بظظه بوضوح  
محدثته إياي بكلام مملوء طل ممدداً لي في صمت إلى أن سارع قلبي  
وارتمشت أصابعي خوفاً ثم قال أحبراً بصوت لبس كعاد يكون صطوف، «تايقة،  
أنت معي ضد كذت طفلاً وقد صرتُ أعدك أحد أكثر منه عبداً، غير أنك سمعت  
طلك ابنتي، وأنا بطيئتي رجلٌ عادلٌ وكريمٌ. بعد كل هذي العسجد، من غير  
الإنساني أن أترك رغباً عنك، وأعرف أنه من غير العباد أن يكون لعبيد ما  
عول في بيده، لكن طروفك هي اوضع غير هانية احذر يا تايقة، من كنت  
ترعب في البقاء بمنزلك، المنزل الوحيد الذي عرفته في حياتك، لن يطاوعني  
قلبي على إبداء، ولا حتى تلبية بطلب ابنتي»

لم يرقع عيبيه عني تينك لعبيدين الصقراوين «الطبيعتين» ولستُ جباناً،  
لكنني حرص على سلامتي، وأدركتُ أنني أنظر في عيني الموت، وصاع  
صوتي مني.

فسحكتُ بطرتي عنه وحولتها إلى مولاتي لوستريس ورأيتُ فيها من  
الاستعانة والوحشة والدعر ما جعل سلامتي لا تحسب، وعجرتُ عن هجرها  
الآن، داي ثمس وتحت أي تهديد

فناديتُ بأعلى صوتي «أنتي لعبٌ حقير أن يرفض رغبة راحة لفرعور؟  
إسبي مستعداً بتفهد أمر سيدتي الجديدة»، وأملتُ أن صوتي كان ذا مسحة  
رحوليه لا زاعقاً متلباً به هي أسي

ثم أمرتني سيدتي الجديدة «تقدم إليها العبد! واتخذ مكانك حلقى،  
وببم تسلق المنصة اضطربتُ إلى المرور قريباً من سيدي إستف،  
وبالكاء تحركت شعته البيضاءين المتبعين غداً كغم أدني وحدهما  
«الوداع يا عزيزي القديم، إنك رجلٌ ميت»

رتجعتُ كأنَّ صِلًا ساءًا انسلَّ في طريقي وأسرعْتُ لأحدِ مكاني في حاشية  
مولاتي، كأسِي مصدوقُ بحرٍ أسِي سَأحدُ الأمانِ هي كَشَفُها



ضِلْتُ قريبًا من بوسقرس في بقية الاحتفال، وحدثتها شخصيًا على  
ماديه الرفاف، إذ بعيتُ محوِّقًا على مقربة منها أحاول حملها على أكل بعض  
البحوم والطعام الفاخر الممسود أمامها كانت ممثقة وباهتة إلى حد جعلني  
واثقًا أنها لم تأكل شيئًا في اليومين الماضيين، بعد عطبتها وإدانة مدوس.

بحثتُ في النهاية في جعلها تغرب بعض «سبيد المُحعب بالماء» لكنها  
لم تَذُق غيره. رأيتُ الفرعون وظنُّ أنها تغرب بخيه، فبينما يشرب النخب رفع  
كأسه الذهبية وابتسم بها من فوق حافته وهلل ضيوف الرفاف للرجلين  
مبهجة

همستُ لي حالما انصرف انتباه لملك إلى الوزير الأعظم «عالمس إلى  
جانبه الآخر» فأيقظتُ أخشى أنني موشكة أن أتقيا. لا يمكنني البقاء هنا لحظة  
أخرى. أعدتني إلى محذعي أرجون،

كان ذلك صفقة ومضيحة، ولولا أن بإمكانني أداء دور الجراح، لم تمكنتُ  
من السبطرة عليها، لكنني بددتُ أن أرخف على ركني إلى حوزة لملك،  
وأهمس إليه من دون التسبب بأي تعليق غير لائق بين ضيوف الزفاف الذين  
كان معظمهم قد بلغ مبلغ من لشرب في ذلك الوقت

مع تحسُّ معرفتي بالفرعون، وجدتُ أنه رجل رقيق لقوادر، وكان هذا  
أول دليل أعطانيه، إذ أصبحتُ لشرحي ثم صفقُ صدره وحاملتُ الضيوف فأنلأ:  
«ستذهب عروسي الآن إلى محضها لتتجهز للنزول المقبل»، منظروا إليها بشيق  
ونلقوا الإعلان بتعقيب أقدر وتصفيق حجيع.

ساعدتُ مولاتي على الدهوض، لكنها تمكَّنت من الانحناء لملك ومغادرة  
قاعة العادة من دون مساعدة. بقأتُ لاحقًا في غرفة نومها للسند التي شربته  
في طاس حصته لها، ثم خُزَّت على السرير، كان الخبيد كل ما حوته معدتها  
وتأكَّدتُ شكوكي في أنها تُجَوِّع نفسها.

حرج صوتها ضعيفًا، «لا أريدُ العيش من دون تانوس»، لكنني عرفتُها بما  
يكفي لأدرك أن رادتها قوية كما كانت دائمًا

معاريت تعريتها «بن تانوس حيّ، وهو شاب قوي وسيمش خمسين عامًا أخرى، ويحبك ويعد أن ينتظرك حتى يهايه ابرمان، أم الملك فرجل محور، ولا يمكنه العيش إلى الأبد.»

استوت في حليتها على مفروش سريرها المُرّوي وصر صوتها صارمًا وعزمًا: «أنا امرأة تانوس، وإن يتالي رجل آخر، أفصل الموت عن ذلك».

«كلنا يموت في النهاية يا مولاتي، أعرف أنني سأتمكن من مساعدتها إذا ما تمكنت من إلهائها في بضعة الأيام الأولى من هذا الزواج، لكنها تفهمني حينًا

- أعرف ما أنت بصدده، لكنّ كلماتك المحسولة لن تجدي نفعًا سوف أقتل نفسي أمرك بتحضير جرعة من السّم لأشربها

- لست ضليعًا في علم السّم يا مولاتي (كانت محاولة مائسة، لكنها سحفتها بسهولة).

- كثيرة هي الأوقات التي رأيك فيها تعطي السّم لحيوان يُعاني أتذكر كلبك المحور، الذي كان يعاني ألمًا في أذنيه، وغراك الأليف الذي مرّقه هدد؟ لقد أحترتني أن السّم لا يسبب ألمًا، وأنه لا يختلف عن الطود إلى النوم حسنًا، أريد أن أخلد إلى النوم وأن أحنط وأنتقل إلى العالم الآخر لأنسر تانوس هناك.

صطُبرتُ إلى محاولة الدفع بحجة أخرى.

لكن ماذا عني يا مولاتي؟ لم تملكيني إلا اليوم، فكيف يمكنك هجراني؟ ماذا سيصيبني من بونك؟ أشفقني عليّ (رأيتها تقربد، وظننتُ أنني يمكنك منها، لكنها رفعت ذنبها بعدد)

ستكون على خير ما يرام يا قايقا، ستكون دائمًا على خير ما يرام، فسيستردك أبي بكل سرور بعد موثي.

- أرجوك يا صغيرتي (استخدمت دلع الطفولة في محاولة أخيرة لمعالجتها) دعينا نكلم في هذا في الصباح، كل الأشياء تختلف تحت ضوء الشمس.

تعرضتني، «لا شيء سيختلف سأظن مفترقة عن تانوس، وسيريدني ذلك المحور المُحمّد في فراشه بفعل أشياء مقلعة بي».



كان صوتها عاليًا حتى إن بقية أفراد حريم الملك ربما سمعوا كل كلمة، لكن من حسن الحظ أن معظمهم لا يزال في وليمة الزفاف، بيد أنني ارتعشتُ إزاء فكرة أن يُفكّر وصفها لغيرهون إليه

صار صوتها أكثر حدةً وويه مسحة هستيريًا. «أمزج بي جرعة لسم الكي، في هذه اللحظة وأنا أراقبك أمرًا بفعل ذلك أتحرقُ على عصباني!»، كان هذا الأمر صرخةً حتى إن حراس النوبات الخارجية لا بدّ وأنهم سمعوه، ولم أجروا على الجدال أكثر.

حسن يا مولاتي بأمزجه عليّ أن أحلب صندوق أدويتي من عروتي، عندما رجعتُ والصندوق تحت درعي، وحديثها قد مهتت من سريرها وأخذت تدرج عرفتني بعينين متلألئتين في وجه شاحب مُحزن.

بيما أحضر الجرعة من قارورة رحاجيه قرميه حذرتني: «إني أراقبك، إياك وتجربة أيّ من خدعت عليّ الآن» كانت تعرف اللون الذي يُندر بالمحتويات الباقاة

عندما ناولتها الربدية، لم تُد حوقًا، ولم تتوقف إلا لتقبّل وجهي «لقد كنت أد وأحًا محضًا بي، وأشكرك على هذا المعروف الأحسن. أحبك يا تاسا، وسأفتقدك».

رفعت الربدية بكلتا يديها كأسها بحب لا جرعة ممسنة.

وشربت محب تانوس. «تأوس، يا عزيزي، لن بأخذوني منك أبدًا، وسنتقي ثانية في لجاب لقصبي!»، ثم شربت الربدية في جرعة واحدة، وألقته لتتكسر على الأرض وأخيرًا، تنهدت وسقطت حلقًا على السرير

- تعال اقعد بجوري أخاف أن أموت وحيدة.

نظرًا إلى معسها الخاوية، كان مفعول الجرعة سريعًا جدًا ولم نحط إلا بوقت يكفي أن تلتفت إليّ وتهمس «أحمر تانوس ثانية كم أحببته؛ حتى موآت الموت، وما بعد»، ثم أغمضت عينيها ورحلت

رقت ماحدة وشاحبة حتى إنني وللحظة فُرِغتُ حقًا، خفت أنني أسأت تعبير بوه مسحوق الزهره المسومة الذي مدّلت به خلاصة الداتورة<sup>(1)</sup> ولم أطمئن حتى وصعتُ مرآة يد برونزية أمام معصا وأخبرني سطحها الممتلئ بأنها

(1) الداتورة، نباتات شجيرة حاملة سامة أزهارها كثيرة تفهه اللون، ولأزهارها وندورها استعمالات طبية. (المترجم).

تتنفس. غطيتها بهدوء، وحاولت إبعاد نفسي بأنها هي الصباح ستعتسلم  
لحقيقة أنها لا تزال حية، وتسامحني.

في تلك اللحظة، دُقَّ باب الغرفة الخارجية دقَّةَ امرأة وتعرفتُ صوت أتون،  
العاحب لمكي يطلب الدحول، كان حصياً آخر، وعصواً هي أخوية الحصيان  
الخاصة، لذا يمكنني أن أعدّه صديقاً، فأسرعتُ لأستقبله.

قار لي بصوتٍ نثائي عالٍ متناقض حدّاً مع قوامه الضخم، ذلك أنه خُصي  
قبل سن البلوغ، «لقد حثُّ أحد مولاتك لصغيرة إلى متعة المسك يا ديت، أهي  
حاضرة؟».

هبروتُ له. «لقد وَقَعَتْ واقعة صغيرة»، وأحسُّه ليري لوستريس بنفسه  
تفخ خديه المُحمَّرين خوفاً عندما رأى حالها، وصاح: «ماذا عساي أقول  
لفرعون؟ سأأمر مصري لى أبعدها، إن المرأة مسؤوليتك، وعليك التبرير  
لمسك وتحمل عيبته».

ولم يكن وجباً أستمع به، لكن صبق أتون كان حقيقياً، وعندي عى الأقل  
مكاشي اطمنة ليمحني بعض الحماية من توقعات الفرعون الحائبه. وافقتُ  
على مصغر على مراقبته إلى غرفة النوم الملكية، لكنني حرصتُ على وجود  
إحدى إماء الأكبر سنّاً والأكثر موثوقية في غرفة مولاتي اعارحة قبل أن  
أتركها وحدها.

كان الفرعون قد نزع عنه تاجه وباروكته، وكان رأسه أقرع وأبيض كبيضه  
بعامه، أجفلت نفسي أمام المنظر، وتساءلتُ كيف كانت مولاتي لتسحب له  
أشك في أنه كان ليريد رعبها أو معزز رأيها عيه.

بنا على المسك أنه أحفل برأيي كما أجفلتُ لمرأه، وحقق واحدنا إلى الآخر  
لحظة قبل أن أسقط على ركبتي وأسجد أمامه.

ما هذا أيها العبد تايثا؟ لقد أرسلتُ في طلب شخصٍ آد

أيها لفرعون الرحيم، لقد جئتُ بالذباية عن مولاتي لوستريس  
لأستجدي تفهّمك ورأفتك.

ثم شرعتُ في وصف مروع لحالة مولاتي لوستريس وشيئُه بمصطحب  
طسة مبهمة وشروحات يراء منها تبديد الشهوة الملكية ووشف أتون بجواري  
يومي برأسه في توكيد مُشدّد على كل ما قلته.

إنني وثق بأن ذلك ما كان ليؤدي ثقتاً مع عريس أصغر سنّاً وأكثر حيوية، متحفّزٍ يشبُّ للوصول إلى عايته، لكنّ ماموس ثور عمود، ويستحيل عدّ النساء المليحات ابلائي ثمّنن بخدمته في السنوات الثلاثين الماضية أو نحوها لو وقفن في رجليّ واحد لصوّقن مدسة طمعة دلت المئة بواية، وربما أكثر من مرة.

قاطم أتون شرّحي أخيراً: «يا صاحب الحلالة، سأحضر لك، بعد إنك، حليلة أخرى هذه الليلة ربما لحرورية الصغيرة بات التحكم الاستثنائي ب...». فصرفه الملك «لا، لا، ثمّة الكثير من الوقت يدك بعد أن تتعافى اطعنة من وعكته». اتركها الآن أيها الحاجب، ثمة مسألة أوّد ماأشتها مع الطبيب، أعني، مع هذا العبد،

حالما صرنا وحدنا، رفع الملك قميصه مُظهرًا بطنه، «ف سبب هد برأيك أيها الحبيب؟»

عاشت الطمّح ابدي رين جرّشه الثاني، ووجدت أنه، صابة بالقوباء الحلقية الشائعة، فعض النساء المكيات يعتسلن أقل من المُستحب في مداخنا الحار، وكنت قد لاحظت أن الوسادة والحكة المُعدية متلازمان. أرحح أن إحداهن قد نقلت العدوى للملك.

قال: «أمر خيّر؟ يمكنك علاجه أيها الطبيب؟»

يعيدنا الخوف جميعنا أناساً عاديّين وحتى الملك خضع لي كما كان أي مريض آخر ليعمل.

مضيت بعد استئذانه إلى عرفتني لأحضر صندوق أدويتي، وعند عُدّ، نسما أمره بالاسبقاء على السرير الحشوي المطعّم بالعاج ولدهب اسحق أدهن مرهمًا على دائرة الجلد الحمراء المنتهية على بطنه. كان المرهم من مركّبي الحامض، ومن شأنه أن يشفي الطمّح في غضون ثلاثة أيام، وقد صمّنته على ذلك.

قال لي وأن أعص «إنك مسؤول إلى درجة كبيرة عن رواجي من هذه الحلقة التي صارت سيّمتك الجديدة». (ثم سألني) قد يشفي مرهمك الطمّح، لكنّ أسيملحني علاجك لآخر بئاً؟ إن هذه الأوقات لعصيبة، وعليّ إنجاب وليّ عهد قبل أن أكبر عالمًا آخر السلالة في خطر.»

نحن الأطباء مترددون دائمًا في صغار علاجاتنا، لكنّ المحامين والمُجُرمين كذلك أيضًا وببيما أفاضل، متحتي المهرب الذي كنتُ أحدث عنه.

- سم أُمِّد شيئًا يا تايكا أنت صبيب ويمكنني إخبارك بهذا لقد حصل سلاحني معارك طلحه كثيرة، ولم يعد تصبه بتأزًا كما كان في ماضيه، ومُنذ عهد قريب، خدني في أمْسُ حاجتي إليه أليك شيء في صندوقك هذا من شأنه أن يفسّي عتق الزنمة الداوي؟

يسرني أنك ناقشت هذا الأمر معي يا جلاله العرعون، في بعض الأحيان، تعمل الآلهة بطرق غامضة (ورسم كلاتا إشارة دره الشرقيين أن استمر) يجب أن يؤدّي جمعك الأول مع سيدتي العذراء على أكمل وجه، فأني عجز، أي انحراف عن عيشتنا، أي فشل في رفع صوبجن رجولتك لملكي هالت، قد يحط مساعدنا، لنسُ مامنا إلا فرصة واحدة، يجب أن يكون الاتحان لأول ناجحًا، وإن اضطربنا إلى المحاولة ثانية، نضع أنفسنا في خطر أن نحب أنثى أخرى

كانت أساسات هذا التشخيص الطبي واهبةً إلى حد ما، ورغم ذلك، بدا كلاتا متحهمًا، وهو أكثر مني.

ثم رفعتُ سبابتي «لو أننا حاولنا اليوم، و (لم أريد على ذلك، بل تركتُ سبابتي ترتحي ارتحاء إباحيًا وهزئتُ رأسي)، لا، إننا محظوظون لأن الآلهة منحنا فرصة أخرى»

فسألني بقلوب: «ماذا يجب أن يفعل؟».

ظننتُ صامتةً برهةً طويلة، راكمًا في تفكير عميق بحوار سريره، شقّي على أن لا أترك ارتياحي ورضاي يظهران، ففي اليوم الأول من رواج مولاتي، بدأت أشق طريقني بالفعل إلى مكانة ناعذة لدى الملك، ومُسقتُ عذرا مثالنا لأبني بكارثتها سليمه بعض الوقت على الأقل، وقت ربما يكفي لأتمكّن من تحصيرها للصدمة البرحشية لعلها القناسي الأول مع رجل لا تحبه، بل في واقع الأمر تشمئز منه جسديًا، قلت ليعسي إنني، وبإدارة دكيه لموقف، قد أتمكّن من إطالة فترة المهلة هذه إلى أجل غير مسمى.

- بالطبع يا صاحب الجلالة، يمكنني مساعدتك، لكنّ ذلك سيستغرق بعض الوقت، لن يكون بسهولة علاج هذا البطح، (كانت أفكارني

تتعدى، عليّ اعتصار كل فطرة من هذه الإسفجة) علينا اتباع حمية صارمة هذا.

لا مزيد من خصي الثيران، تُوسّل إليك أيها الطبيب.

- أظن أنك أكلت ما يكفي منها، لكننا سنحتاج إلى تدعته دمك وتغطية سوائك انتاسلية من أحل المحولة المصيرية. حليب الماعز، حليب الماعز الدامي مع غسل ثلاث مرات في اليوم، وبالطبع الحركات الخاصة التي سأحضرها لك من قرن لحرثيت وجدر التفاح.

بدا عيه الاتيح

- أمتأكد أنك أن ذلك سيجدي؟

- نعم يفش من قبل قط، لكن ثمة مقياس جوهري آخر.

تلاشي ارتياحه، ومنتوى في حلسته يرنو إليّ قلًا

- ما هو؟

لتعف الكامل. لا بد لنا من برك انقصب الملكي بسريخ ويسترد كمل شدته وقدرته ثانية. عليك هجر الحريم وجميع متعه بعض الوقت

قلت ذلك بنفس الطبيب ابيقيبي الذي لا يمكن إنكاره، ذلك أنها طريقة موثوقة لصمان ألا تُنس مولاتي لوسريش. غير أنني قلقت من ردة فعله كن معقولاً أن تثور ثائره راء فكرة أن يُحرم لذاته الزوجيه، وكان ممكناً أن يجررتي، فأقعد كل الأفصصة التي كسنتها مؤخرًا لكنني اضطررت إلى المجازفة لمصلحة مولاتي. عليّ حبسيتها ما دام يمكنني ذلك.

فأحائي رد فعل الملك، دثر حى ببساطه على مسند الرأس وابتسم في اشراج ثم سألني مسهجًا بعض الشيء: «كم من الوقت؟»، وداهمني إدراك مبعث أن قبوسي حامت كأسباب ارباج وقد بذلت، أنا الذي سيري دائمًا ممارسة الحب مع امرأة جميلة حلما معجز مستحين الإدراك، وهذا هذلا لأنهم أن الفرعون مسرور بتحريره من واجب كن ممتد داب يوم، وجبا صار جراء كثرة تأديته مُرهف.

لا بد أن ه لا يقل عن ثلاثئة زوجة ومحظية كانت في الحرم أناك، وبعض أولئك النسوة الأسبويات سيئات السمعة بسبب شهياتهن النهمه

حاولت البعاطف مع الجهد البشري لا بدَّ منطلعه انصرف مثل إله سلة معد ليلة،  
وعامًا بعد عام، ولم يروِّعني التصوُّر كم بدا أن واقعهُ قد أنهك المن  
قلب. «تسعين يومًا».

قرُّد متفكرًا «تسعين يومًا؟ تسعة أسابيع مصرية في كل منها عشرة  
أسم؟».

قلتُ محرم: «على الأقل».

فأما برأسه من غير صغينة وغير الموضوع بلا جد لـ  
حسنٌ جدُّ. أحبرني حاجبي أيها الطبيب أنك إلى جانب مهاراتك  
الطبية، وحد من أبرر ثلاثة منجمين في مصرنا هذه، أصحيح هذا؟  
عصبتُ في سبب تلطيف صديقي الحاحب الدماء، ودرغم جميع محارلاتي،  
هجرتُ عن التفكير في الهوية المحتملة لاثني الآخرين لكنني أملتُ رأسي  
بتواضع.

- إنه يُطارِدني عني يا صاحب الجلالة، بيد أنني ربما أحوز بعض المعرفة  
بالأجرام السماوية

فأمرني وقد جلس متشوقًا: «كشف لي طالعِي»  
سألته متعجبًا «الآن؟».

- الآن! لم لا؟ قيادة على أوامرك. لا يوجد شيء آخر حربي في قلبي في  
هذه اللحظة (كانت ابتسامته المعاجزة تلك محببة، وبصرف النظر عما  
يدويه تحاه تونوس ومولاتي، رأيت نفسي تميل إليه)

- عليَّ جلب بعض لثاظلي من مكتبة القصر

- أمما النيل بصره، احبب أيًا كان ما تحتاج إليه

كان وقت ولادة الملك وناريحها موثقًا فوثيقًا بقيقًا وعسبي في اللغات  
جميع ترصُّدات حركات الأجرام السماوية بحسب حيل من لعلكير قلبي.  
وببما يشاهد الملك في توق شديد، كشفتُ بطالع الملكي أول مرة، وقبل أن  
أبيع منصف الكشف رأيت شخصية الرجل، مثلما حدثتها، تؤيدها نجومه  
أتم التأسد كاز النجم الأحمر العصم السَّار. الذي يعرفه بأنه عين بيت.  
مهيمنا على قدره، وهو نجم الصراع والارتياح، والاضطراب والحرب والحزن  
والشقاء، وفي النهاية الموت العنيف.

لكن كيف يمكنني أن أخبره بهذه الأشياء؟

ارتجفتُ وصعْتُ موجزًا مستورًا بعض الشيء عن حقائق موثقة جيدًا هي حياته، ونكثتها ببعض التفاصيل الأقل شهرة التي جمعتها من حواريي، والحايب لملكي أحدهم ثم أعقبت ذلك بالطمأنات «سعيدة حواري حواري» الصحة وطول الحياة التي يرغب أي زبون بسماها.

دُشش الملك «إنك تتمتع بكل المهارات التي حملتني سمعتك على توقعها»

- أشكرك يا صاحب الحلالة، يسرني أني تمكنت من خدمتك. (بدأت بجمع عائلتي ومعدات كتابتي استعدادًا للاستئذان بالانصراف كان الوقت قد نأحر حدًا، وسمعتُ بالفعل من الطلما وراء حراس القصر أول صيحه ليك)

- مهلك يا قايًا لم أدن لك بالانصراف لم تحبني بما أود معرفته حقًا؛ هل سأحب لينا؟ وهل سمعو سلاتي؟

- بكل اسف أيها الفرعون. إن السجوم لا تتبأ بهذه المسائل. لا يمكنها إلا منحنا الاتجاه العام لقدرك، والاتجاه النهائي الذي سفتحده حياتك من دون إصاح تفاصيل كهده..

فقاطعتي قائلاً: «ه. سي، بكر ثمة وسائل أخرى لاستنباط المستقب، أليس كذلك؟» خروني المنحى الذي تقودنا أسئلته إليه، وحاولتُ نطح لطريق عليه. بكة كان هارمًا.

- أنت تثير اهتمامي يا قايًا. لقد تحرمتُ منك، وعرفتُ أنك خير في مظاهرات أهون روح.

أصابني اسم. كيف عرف بهذا؟ ثلة قليلة فقط تعرف بموهبتي اساطنية هذه، وأردتُ أن يبقى الأمر على هدي الحار. بيد أني عحرتُ عن إنكار صراحة، فظللْتُ صامتًا

بان. «لقد رأيتُ المصاهات محفية في ثعر صندوق أدويتك». أراحني أني لم أحاول إنكار موهبتي فينكشف كدي، فهررتُ كتمي استسلاً، ذلك أني عرمتُ ما هو مقل.

ثم أمرني «أعمل المظاهرات من أجلي، وأخبرني إن كنتُ مأثحب وريًا وإن كانت ستستمر سلاتي أم لا».

كشفت لطالعي شيء. ذلك أنه لا يتطلب إلا معرفة بتشكيكة اسجوم وخصوصها، ومع بعض الصبر، ينتج عن العملية الصحيحة تدبؤ دقيق دقة مُرضية، أما لكهانة استخدام مناهات أمون رع فشيء آخر تمامًا، تلك أنها تتطلب دعمًا من قوة الحياة، امتنعًا لشيء ما في أعماق العراف يتركه مهدودًا ومُنهكًا

وفي تلك الأيام، كنت مستعدًا لبدل قصاري جهدي بتجنب ممارسة هذه العروسة. صمخ أنه لا يزال ممكناً في مناسبات مدورة إصاعي بإعمال المناهات، لكنني أظن أياماً بعد ذلك مستنزفاً روحياً وبدنياً. تعرف مولاتي بوستريس بقدرتي الغريبة هذه، وتعرف أيضاً الأثر الذي سحله عليّ، لذا سعتني، لمصلحتي، من ممارستها، إلا من أحلها بين الحين والآخر.

لكن لا يمكن لحبد رفض أمر ملك، تنهدت ومددت يدي فتناولت الكيس الحلي الذي يحوي المناهات من قعر صندوقي، ثم نصبت الكبس حذراً وحضرت مزيجاً من الأعشاب اللازمة بفتح عيني الروح، لتمكينها من رؤية المستقبل. شربت الجرعة بعد ذلك، ثم انطرت حتى أصابني اشعور المروع المؤلف للطفو من حسدي، وبينما أضح ابكس الحلي الذي يضم المناهات شعرت أنني داهل وبعيد عن الواقع

تتألف مناهات أمون رع من عشرة أقراص عاجية، عشرة هو الرقم الباصي للقدرة الأعلى، وكل قرص منها يمثل وجهاً من وجوه الوجود البشري، منذ الولادة إلى الموت والآخرة. كنت قد نقشْتُ بيدي هاتين الرموز على سطح كل من المناهات، وكانت كل منها تحفة صغيرة، ومن خلال استعمالها المستمر وانفخ عليها عبر السنين، وهبتها جزءاً من قوة حياي الخاصة

دلفتها من الكيس ورحت أداعبها، مركزاً كل قدراتي عليها، وسرعان ما بدأت أشعر أنها دامت كلحم حي تحت لمستي، وبينما تتدفق طاقتي مني إلى الأفر من العجبة عشتُ شعور الاستنراف المؤلف. بينما رتنت المناهات ووجهها إلى الأسفل في كدمتين ودعوت الفرعون ليحمل كل واحدة على حدة ثم يمررها بين أصابعه مركزاً كل اهتمامه عليها ظل يردد في ابوقت نفسه أسئلته جهازاً «هل سأنجب ابناً؟ هل سستمر سلاني؟»

استرخيت بالكس وشعرت روحي لأسمح لأرواح ليلومد بالدحول بدأ بعم صوته باحترافي، وأحد يزداد عمقاً مع كل تكرار، مثل قذائف مقلع تصرب النقطة بعسها.



بدأت أتعاید بعض الشيء في مجلسي، كما يرقص الصلُّ تحت تأثير  
مرمار حاوي الأفاعي أدنى الدواء تأثيره الكامل، وشعرتُ أن حسدي معدوم  
الوزن وأني أطفو في الهواء، ثم تكلمتُ كأني أنطق من مساهة بعيسة ورجح  
صوتي صده في رأسي على نحو غريب، كما لو كنت حاسب في عار تحت  
سطح الأرض.

أمرتُ الملت أن ينح على كل من الكدستين ويقسمها إلى نصفين، ثم  
يضع نصفًا جانبًا ويستبقى الآخر جعلته يعيد تقسيم كل كدسة ويجمع ما  
يدقر حتى لم يبق معه إلا اثنتان من المتهافت التي تشبه العملات المعدنية  
يخرج عليها مرة أخيرة، ثم يدفعها بعصمائي، وضع كلاً منها في إحدى يدي،  
أمسكتها بإحكام وصمغتها على صدري، وبينما يمتص قوة المتهافتات أمكنني  
أشعور نفسي يخفق تحت قبضتي لمضمومتين

أغمضتُ عيني، فرأيتُ أشكالاً تبدأ ينسروح من الظلمة، وهلات أصوات  
عربية أدنى لم يكن لها أي شكل أو ترابط منطقي، بل بد كل شيء مشوشًا،  
أصابني الدوار وعُشيت حواسي، وشعرتُ بنفسي أرباء خفة حتى بدتُ أعم  
في الفضاء، ثم سمعتُ لنفسي بأن أحمل إلى أعلى كأنني ورقة من عشب  
جاف غلقت في زويدة من الروابح الرصيه التي تروى في صيف الصحراء.

صدرت الأصوات في رأسي أوضح، وترسخت الصور العاتمة.  
«أسمع بكاء طفل رضيع»، خرج صوتي مشوشًا، كل حكي قد مُرّق عند  
الولادة

«أهو صبي؟» بيض سؤال لفرعون في رأسي. فأحسسته أكثر مما سمعته.  
ثم بدأت رؤيتي تثبت تدريجيًا، ونظرتُ في نفق طويل من لطلحه إلى  
ضوء في آخره. صارت المتهافتان الحاجبتان في يدي ساختين كحمرتين من  
مرقد وأحرقنا راحتي.

رأيتُ في هالة الضوء في آخر النفق طفلاً يرقد في بركة دموية من أمواه  
ولادته، وأصله مشيمته البدينه لا تزال ملتفة فوق بطنه، منعقت، «أرى طفلاً»،  
وسأل الفرعون من خارج الظلمة المحيطة، «أهو صبي؟»

انتحب الصبي وركل الهواء بكلاً سقيه، ورأيتُ بارداً من بين فحديه  
الممتلئين إصبع لحم شاحب تنوحه قلنسوه من حشد محدد.

أُذِنَهُ: «صبي»، وشعرتُ بحطّافٍ مفاجئٍ تحاد بهم عقلي هذا. كأنه من لحم ودم حقًا. مددتُ قلبي إليه، لكن الصورة تلاحد، وتضاءل بكاء الولاة حتى ضاع في الصلح.  
«الصلالة؟ ماذا عنها؟ هل ستستمر؟»

بلعني صوت الملك، لكنه بعددٍ ضاع في شتاز الأصوات الأخرى التي ملأت رأسي. أبواق المعركة، وصرخ رجال في صراع مميت، وطنين المروتر على السروتر، ثم رأيتُ السماء من فوقني مسوَّدةً بفعل أسراب لسهام المارة في الأعلى.

صرختُ ليكون صوتي مسموعًا فوق أصوات لصراع التي ملأت رأسي  
- حرب! أرى معركة هائلة ستغير شكل لعالم  
- هل سيجو بعلي؟

كان صوت الملك مسموِّدًا، لكنني لم أوله اهتمامًا، ذلك أن هديرَ مهولًا يعصف بأذني، مثل صوب رياح الحماسير، أو جيش من مياه النيل في الحنادل العظيمة، ثم رأيتُ غيمة صفراء غريبة محبت أفق رؤيتي، تحرقها ومضات ضوء عرفتُ أنها انعكاسات أشعة الشمس عن أسطح الحرب.  
«ماذا عن ملاتي؟»

نشئت صوتُ المزعون ذهبي، وتلاشت الرؤيا ثم ساد صمتٌ في رأسي ورأيتُ شجرة قائمة على صفة النهر، كانت شجرة سنط كبيرة كاملة الأوراق، وأغصانها مثقلة بصُوف الثمار، وعلى أغصانها يجثم باز، لبار اسكي، غير أنه بذل شكله وبوته وأب أراقبه، فتحوى إلى نايح مصر المزدوج الأحمر والأبيض والبردي واللوس احصاين باسمكتين مجدولين، ثم، وأمام عيني، ارتفعت مياه النيل وهبطت وارتفعت وهبطت ثانية رأيتُ الماء يفيض خمس مرات إجمالًا.

وبينما م ربت أحرق معسبن مُستعرتين، عثمت حشرات طائفة السماء فوق الشجرة بختة، وهبطت عمامة كثيفة من الجراد على الشجرة، فقصصها بالكامل. عندما عادت إلى ارتفاعها كانت الشجرة نبات عارية من آخر آثار الحضرة، ولم تنق ورقة واحدة على الأغصان البنية اليابسة. ثم انقلبت الشجرة الميتة وسقطت سقطة ثقيلة على الأرض فهشمت السقطة حذوها وانكسر

الناج إلى قسامين، وتحولت أسكربان إلى غبار طيره اريح لم يبق شيء إلا  
الريح وثراب الصحراء الذي تدمعه،

سألني الفرعون بالحداح، «ما الذي فراه؟»، لكن كل شيء تلاشي ووجدتُ  
نفسي من حديد خالفاً على أرضية مخدح الملك. كنتُ ألثتُ بأنفاس منقطعة  
كأسي ركضتُ مسافة بعيدة، وأحرق احرق العالج عسي ثم انهمر على حسدي  
في جداول بقعت كدن تنورتني وشكلت بركة على اسلاط من تحتي، وكنتُ  
أرتجف بحمى حرقة وابتابني شعور العثيان والثقل المألوف في عم معدني  
الذي أعرف أنه سيرافقني لأيام قادمة.

كان الفرعون يصدق إليّ وأدركتُ أي سطر مُعهد ومخيف أريته ياه، ثم  
همس، «ماذا رأيت؟ هل سيستمر نسلي؟»

لم يكن بوسعي إخباره بحقيقته رؤيتي، لذا احترعتُ أخرى لأصيه: «رأيتُ  
غابة كلها شمر عظيم يبلغ أفق حلمي ولا حصر لعددتها، وفوق كل شجرة  
تاج، تاج الملكتين الأحمر والأصفر»

تنهد الفرعون وعطى عينيه بيديه لسهة وحلستا صامتتين هو لي الإراحة  
التي أعصته إياها كذبتني، وأنا في إشفاتي عليه كدبتُ في آخر الأمر رحمة به،  
فهمنت «الغابة التي رأيتها كانت عتزل، سيبلعون حدود الزمان، وسيعتمر  
كل منهم تاج مصر».

كشفت عيني، وكانت رؤية امسائه وعبطته أمراً مثيراً للشفقة «شكراً  
يا تليقا. يمكنني رؤية أن التكهن قد أرمق هواك، لك أن تذهب وتمتدح الآي،  
والحاشية ستبحر إلى قصري على جزيرة إلعتين في الغد. وسأحصص  
قادساً لعمد ومولاتك عبوراً آمناً. احرسها بحياتك، إنها الإناء الذي يحمل بدور  
خلودي».

كنت ضعيفاً جداً أبي اضطرت إلى الاستعانة بحافة اسرير حتى أنهض  
ثم تهادتُ إلى الباب واتكأت على عضادته، غير أنني لم أضعف إلى درجة  
تمنعني من لتفكير بواحي بحاه مولاتي، فذكرته «لما مسأله ملأه الرواج  
سيتصر الشعب عرصها، وسمعتك وسعده مولاتي في خطر»

سألني، «وماذا تقترح يا تايقا؟»

صار يعتمد عني بهذه السرعة، فأحبرته بما ينبغي فعله، فأوماً برأسه  
وقال، «اعتن بذلك»

طويْتُ بأخاة لملاءة التي تُعطى لسرير الملكي كانت من أهدى صنوف الكتان أيضاً كطحارير<sup>(١)</sup> الصنف العالية، ويوشدها حيط حرير مَدَر تجلبه قوافل التصارة لَمَامًا من لشرق بينما أُعَدَر مَصَدَع لملك صِلَتْ لملاءة المطوية معي، وشققت طريقي عبر القصر الذي لا يرل معنما إلى الحريم. وحدثُ مولاي بائمة كامرأة مينة، وكنت أعرف أنها بعد كمية الزهرة المدومة التي أعطتها لها سَنَعام النهر بطوله وربما بن تغيق حتى المساء طسْتُ مَحَوار سريرها قليلاً وشعرتُ أني مُبْهَك ومُفَنَّم، فقد استهلكت المتاهات رُوحِي، ولا تزال لصور اني آثارها تتقن علي شعرتُ شعوراً مؤكداً أن الرصيع الذي رأيته كان رصيع مولاتي، لكن آنذاك كيف يمكن تفسير بقية رؤيتي؟ بدا أن لأحجية لا حدَّ بها، وبحبْتُ الفكرة جانب ذلك أن أمامي عمر ينبغي إيجره

قرِفَصْتُ مَحَوار سرير لوستريس، وهرشتُ لملاءة الموشاة على الأرض كان نصل حنجري حاداً، بما يكفي يخلق شعر ساعدي، وبتقيتُ أحد أنهار السم البرقاء تحت الحلد العام في دمل رَسْفي، وبخرته بس خنجري تاركاً السم القاتم البطيء يقطر على الملاءة، وعندما رصيتُ عن امتلاء البقعه، ربطتُ رصعي بشريط كتان لأوفع الدريف، ثم صررتُ الملاءة لملطحة.

كانت الأمة لا تزال حاضرة في الغرفة الخارجية، فأمرتها بأن تنام لوستريس دون إزعاج، وبمعرفة أني ستلقى عناية حية، رصيتُ بتركها وتسألُ لسلام إلى أعلى السور الخارجي لبحريم.

كان النحر لا يرل في طور ابتلاعه، لكن حشداً فضولياً من المسنات والمنسكعين قد حشدوا بالقفل تحت الأسوار، وبطر جميعهم إلى الأعلى مترقبين عندما ظهرتُ

هدمتُ عرضاً شرتُ فيه الملاءة قبل أن أسبلها على متاريس السور الخارجي، كان لبقعه ادم في وسط الخلفية البيضاء بياض النجوم شكل وردة، وشاعت بين الحشد الثائرة أمام شارة عذرية مولاتي وفحوة عريسها انصبت في مؤخر الحشد ثامة لُطول من المحيطين بها، كان رأس صاحبيها مغطى بماع صومعي محصط، ولم أتعرف إلا عندما نرعه عنه وأصهر

(١) طحارير: جمع طحور: سحب خفيف متفرق. (المترجم)

وجهه ورأسه المكسو شعرًا ملونًا بذهب الأحمر، مصرحت: «قائوس، حب  
أن أكلحك».

رفع نظره إلى فوق السور وكانت عيناه ممتلئتين ألمًا تمنيت أن لا أراه  
ثانية أبدًا. لقد نمرت البقعة التي على الملاءة حبه كب قد عرقت مصاضة  
الحب الصائغ مثله وأتذكر جميع تفاصيله حتى بعد كل السنين الطوال لكن  
جرح قلب قائوس حديث ولا يزال يترب، مُفردًا ألف أمض من أي أدنى أصابه  
في ساحات القتال

إنه في حاجة إلى مساعدتي الآن، إن أراد لنجاة مما أصابه.

- قائوس! نظرنى

ألقى النعاع على رأسه معطيًا وجهه، وأعرض عني، وراح يقبض مبتعدًا،  
متداعيًا مثل سكير

صرخت في أثره: «قائوس! ارجع! يجب أن نتكلم» لكنه لم يلتفت، بل  
حدث خطاه.

وبينما مضت عن السور وعدوت خارجًا من البوابة الرئيسية، كان قد  
احتفى في مئامة الأرقعة والأكواخ الطبيعية لمدينة اند حلية.



يحدث عن قائوس لنصف الصبيحة، كن مهجده كان مهجورًا وبم يره  
أحد في أي من نواديه معتادة

اصطُررت أخيرًا إلى الانصراف عن البحث، والعودة إلى مهجع العلماء،  
عالم السحرة الملكي يعتمد للإبحار جنوبًا، ولا يزال عليّ جمع ممتلكاتي  
وتوصيبيها لأكون ومولاتي جاهزين لمغامرة، لذا نحيب قهزًا شعور الكآبة  
الذي أصابته به لثمات ولمحة قائوس وشرعت بحرم مقاعي ومفارقة  
الديار الوحيدة التي عرفت في حياتي.

بدا على حيواناتي الشعور بأن شيئًا مشؤومًا يحدث، إذ راحت تهر  
وترقق وتعوي، كل منها يحاول جذب انتباهي بطريقته الخاصة. تقافرت  
الطيور البرية ورفرفت على الشرفة المرصوفة في الخارج، بينما في لركن  
الأقرب إلى سريري، سقط صقري لحرار الحبيبان ألحقتهما ثم أنهما  
الريشات لامتدته على ظهريهما وصاحبا في من مجتميهما، وتزاحمت لعطاط

والكلاب والجمال الأليف حول ساقى، محاولة الاحتكاك بي ومعونة جهودي في حرم أمتعتني

انتهت في غيظ إلى إبريق حلب الماعز المُحمّض بحوار سريري. كان أحد مشروياتي المفضلة، وحرص العلمان على أن يخل معلوفاً بائناً ولأن حيواناتي تستلذ بالحليب البخار مثلي، أحدث الإبريق إلى الشرفة لأشتتها وملأت صاهبها الفخارية، فتراصت على الصندل تتداح وتتناثر، ثم تركتها لأرجع إلى مهمتي. وأغلقت ابطلات المصنوعة من حُصر الأسل لأيقبها في الخارج.

عجيب كمُ الأمتعة لتي بإمكان حتى أعبد جمعها في حياته. كانت الصناديق والصرر قد تراكت عاتٍ مسدةً إلى أحد لحدران قبل أن أنهى أخيراً، وبحول هذا الوقت، صار مزاجي المكتئب والمُضنى عالياً تقرباً، لكنني ما رلتُ بقطاً بما مكّني لأبرك نصمت، إذ وقعتُ بعص الهوت في منتصف غرفتي أنصتُ مصطرباً، وكان الصوت الوحيد المسموع جلجلة الأكراس لبروزية الصغيرة هي قيود أنثى الصعر حيث تجلس في الركن القصي تراقبني بحطرة الكواسر لمركرة الحقودة تلك، أما الذكر، وهو أصغر حجماً منها، لكنه أوسم، فكان بائناً على مجتمه في الركن الآخر، وعلسوة الصفارة<sup>(1)</sup> لجلابية اللينة تعطي عينيه لم يُصدر أيُّ من بقية حيواناتي صوتاً لم تَمُؤ أيُّ من نقط أو تهس على الكلاب، ولم تفرق الطيور البرية أو تنفدو، ولم يرمجر أيُّ من حرنبي أو يتشقلب على رقيقه في لعنهم الحصب

ذهبتُ إلى ظلات الأسل أرفعها، فاندفعت أشعه اشمس إلى الخرم وأعمتني لوهلة ثم استعدتُ بصري وصرختُ مدعوراً إذ رأيتُ كل لحيوانات والطيور متناثرة على اشرفة وفي لحديقة

كانت راقدة في وصعيت الموت السائنة، كلٌ حيث سقط، فهرعتُ إليها أبادي المقربة مسى بأسمائها، وركعتُ أحمل أحدها بين براعي وأحتص جسده المرتحي الدافئ بحثاً عن علامات الحياة ثم يحل أنها بصيصاً منها. مع أنثى تفحصتها جميعها كانت الطيور صغيرة وخفيفة هي يدي، ولم يُنبه الصوت ريشها الحديع.

(1) الصفارة: الصندل الصغير (المترجم)

حُبْلُ إِيٍّ أُنْ قَلْبِي اسْتَقَرَّ بِالْعَمَلِ لَا يَدُ سَيَنْفَجِرُ الْآنَ بِثَقْلِ حُزْنِي وَحَدَثِهِ،  
فَرَكْعُهُ عَلَى الشَّرْقَةِ أَتَحَبُّ وَعَائِلَتِي مُتَدَثِّرَةٌ حَوْلِي.

مضى بعض الوقت قبل أن أتمكن من حمل نفسي على التفكير بنفسب هذه الفاجعة، ثم وقعت ومصيتُ إلى أحد العاهل لحالة الفاجعة على اسلاط. كانت قد لحسته حتى فرغ، لكنني شغفته لأحاول إدراك طبيعة السم الذي دُسَّ من أجلي غير أن راحة الحليب المحمَّص أخفت جميع لروائح الأخرى، وكل ما عرفته هو أنه كان حاضراً وقد تَلَا.

تعبت عن وضع الإبريق بحوار سريري، لكن لا يهم يد من حصلت الإناء لي إذ إنني أعرف يبقين مطلق من أعطى الأمر بذلك، فقد قال لي سيدي إنَّك: «لوداع يا عزيزي القدم بك رجل مُتَّ»، ولم يسطر طويلاً حتى حول كلماته أبعالاً.

كان العصب الذي استبَّ بي ضرباً من صروب العنَّ وواقمته حالتي المضطربة ومراحي القاتم، فوحدت نفسي أرتحف بفعل شخص لم أعرفه قبلاً، ثم استللت حنكري الصغير من حرامي وقبل أن أهي ما الذي أفعله، مصيتُ أهبط برج الشرفة مسرعاً واصل المسلوب في يدي. كنتُ أعرف أن إنَّك يزور في هذا الوقت حد ثقه الملائكة لم يقد بوسعي احتمال التفكير به على أنه سيدي إنَّك، فقد بدتُ دكري كل إهانة صديها عليّ، وكل عذاب وإدلال، لامعة وواضحة في ذهني، وكنتُ ذاهباً لأقلله، لأطعنه مئة طعنة في قلبه الوحشي الصبيث.

كنتُ على مرأى من عوامة الحداثق الماشئة عندما سمعتُ راحة عقلي، فتمة نصف دريحه من احراس على الجوابه، وأكثر منهم حلفها، ومن أبلغ مبلغ طعنة من الوزير الأعظم قبل أن يقطعوني إرباً أحبرثُ قسماً لمعجلتين على التوقف والاستداره ثم أزلقت المنصر في عمده الحديد المرصع، وسيطرت على أنقاسي، مشيتُ بعد ذلك على مهل عائداً إلى شروتي ولممتُ الجثث المشجية بحيواناتي

كنتُ حططتُ لزراعة صف من اشجار الدلب على حاشية حدسني، وقد حُبِرَتِ الحمر التي سنيلقاه بالعسل، لكنَّ الأشجار لن تذرع الآن وقد اقتربتُ من مغادرة الكرنك وستفيد الحفر أن تكون قبوراً لمخلوقاتي الحبيبة. بلغ الوقت منتصف لظهيرة قبل أن أسهي من اقبر الأخضر، لكنَّ سحطي لم يهن،

وإن لم يكن بوسعى محمدي انتقامي الكامل معه، فممكنى على الأقل صبح  
مصري تجربة لحظة عنه.

كان لإبريق بجوار سريرى لا يزال محتويًا بعض الحليب المحمض، حملته  
بين يدي، وحاولت التفكير بطريقة تمكننى من إيصاله إلى مطابخ الورير  
الأعظم سيكون سقناه من الكأس نفسها ملانمة أيما ملانمة. رغم معرفتى في  
صميم قلبى أن العكرة عقيمة والسيد إنقف أملك بكثير من أن يزال منه يهده  
السهولة، وقد أعنته بنفسى على انتكار انطام الذي يستخدمه ليؤمن نفسه  
من السم ولاختيال وإضافة إلى ذلك، سيكون محمديًا حراسًا حصًا الآن.  
عليّ أن أصبر، لكنّ الصبر مستحيل، بيد أنني وإن لم يكن بمقدورى قتله بعد،  
يمكننى قصفه دفعة أقل بوصفها غريبون لما أعترزم أن يحدث.

اسللت من أحد الأبواب الجانبية لمهاجع الصبية إلى الشارع وأنا لا أزال  
حاملًا الإبريق لقائل، ولم أصطر إلى الاسعاد حتى وجدت حائلًا محاطًا بقطع  
من الصخرى، وبينما أنتظر، جرد لضروع الصنمعة لإحداها من الحليب الدسم  
مائلًا الإبريق حتى شفته، أي كان من حضر لشم فقد استخدم ما يكفي لقتل  
نصف سكان الكركك وعرفت أن ما ظل في الإبريق أكثر من كافٍ لعائتي.

كان أحد حراس الورير الأعظم يتسكع في باب عرفة واسفر وأنت لي  
وصح السيد إنقف واسفر تحت الحماية أنه لا يزال هيمًا لديه، وأن حسرة  
ملارمى الشخصى ستعبطه إن لم تضيقه جديد.

تعرفتني الحارس ولوح بي أن أدخل إلى عرفة امريض التي تشبه رائحتها  
رائحة البرية كان واسفر رقد، في سريرته القدر، معرفًا معرفه، يمكنى  
عرفت من توي أن حراحتي نجحت، ذلك أنه فتح عينيه وسبني بوهن لا بد أنه  
كان على يقين لا ريب فيه من تحاقبه لآتي حتى لم يعد في حاجة إلى تملقي.  
دمدم في وجهي «أين كنت أيها الصنم معدوم الحصى ؟ (مقويًا عربمتي  
ومحررًا إياي من بقايا أي شفقة شعرتها ناحيته)، إني في ألم مبرح منذ  
حطرت حميمي، أي صنف من لأصاء أنت ماء.

أعقب ذلك المزيد من الصنف نفسه، ما تظهرت بتجاهله، بينما أفك  
الضمادة الوسحة عن محيط رأسه كال اهتمامي أكاديمي صرفًا في معابنتي  
الحرم الصغير الذي تركه المثقف في حلة رأسه، إذ إياها عملية أخرى مُقدت  
بفقدًا مثاليًا، وشعرتُ ببعض الأسف المهني أنها ستصبح هدرًا.



أعطني شيئاً يحفف الألم أيها لخصي!

حاول راسفر إمساكي من صدر علالتني، لكنني كنت أسرع منه وفراجت  
عن متناوله

أثرت جبة إذ حضضت بضع بلورات من لأفلاح عبر لصارة من قارورة  
وحاجية في زبدية ثم زدتها حليلاً من إبريق

بينما أضع الزبدية قريبة من يده قلت له: «إذا ما صار الألم أشد من  
المصمله فهذا سيخففه». حتى في هذه المرحلة، محزت من حمل نفسي على  
إعطائه، ياها ماشه

رفع نفسه على أحد مرفعيه ومد يده إلى الزبدية ليكرعها، وقبل أن تمسها  
أصابعه، دفعها بقدمي بعيداً عن متناوله. ضمت في تلك اللحظة أنها مجرد  
رغبة بإطالة الانتظار، وشعرت بالتشقي إزاء شقائه عندما التحب قائلاً: «أبها  
الطب تايقا، أعطني الحرة دعني أشرب». إن الألم في رأسي يكاد نحسي»

- هلنكم قليلاً أولاً أبها الصبر راسفر أسمعت أن اسيدة فوستربس قد

طبتني هدية فراقها من السيد إنتف؟

فكشّر بي رغم ألمه.

أحمق أنت إن تظن أنه سيتركك تذهب. إنك ميت

الكلمات بعسا التي استخدمها السيد إنتف. (سألته بصف) من سنحد  
علي يا راسفر؟ أستيكي علي عندما أرحل؟ (عأخذ يفقهه، ثم توقف  
وألقي نظرة إلى الزبدية).

- بطريقتي الخاصة، لطالما كنت مؤلفاً بك بعض الشيء. والآن أعطني الزبدية

فسألته: «كم كنت مؤلفاً بي عندما حصيتني؟» ورفع نظره إليّ

- لا يمكن أنك ما رلت تكن لصغيرة بسبب ذلك، فقد مضى وقت طويل  
عنه، وأيضاً، لا يمكنني عصيان أوامر السيد إنتف. تعش يا تايقا،  
وأعطني الزبدية.

- كنت تصعل وأنت تترني لم صحتك؟ أكنت مستمتعاً إلى هذه الدرجة؟

هرّ كتهبه ثم جعل رام لألم اندي أفرلته به الحركة.

أب رجل فكه، أضحت دأف، يربك يا صديمي العديم، هل لك تسامحني  
وأعطني لزبدية.

وكزفتها، سحيفته بقدمي، فمدَّ يده وقبض عليها، بحركات لا تزال غير متسمة وبينما يرفعها إلى فمه بشرته اندلقت بصع قطرات من فوق خافتها، لم أدرك ما كنتُ موشگًا أن أفعله حتى وثب وضرب الزبدية من يده، فحبطت بالأرض من دون أن تنكسر، وتخرجت إلى الركن مطرطشة الطاب على الحبار.

جذعت إلى راسفر وحدثني إليّ، وأفرعتني عبائي وضعفي لو أن رجلاً استحق الموت بعذاب السم ثبلاً، فهو هذا الرجل. لكنني آنذاك رأيتُ ثانية جثث حيواناتي الملنوية المستعرة على اشرفة، وجرمتُ لم عجزتُ عن ترك راسفر يشرب، فالشيطان وحده قادر على ارتكاب فعلة كهده، وإنني أحترم نفسي أكثر بكثير من لاجدار إلى حفرة المسمم.

رأيتُ الفهم يبرغ في عيني وراسفر الداميتس، وهمس «سم، كانت الزبدية مصممة،

لقد أرسل إليّ من طرف السيد إمتف.

لا أعرف لم أخبرته بهذا، ربما كنتُ أحاول عذر نفسي عن الشناعة التي كدتُ ارتكبتها ولا أعرف لم كنتُ أتصرف بهذه الغرابة، لم أشر المناهات كانت لا تزال مستعدة بي. بيعة استدرت مدحها إلى الباب ترسعت بعض اشياء.

فبدأ راسفر بالصمك من حلفي بصوت حفيص في البدايه ثم أعلى حتى مدت لصحكات الراعدة القوية تهرّ الجدران، وجار «إلك أحرق أيها الحصي كان ينبغي لك فعلها كان ينبغي لك قتلي، ذلك أنني على يقين الآن من أنني سأقتلك، مقدر يقيني من وجود حرم بين ربي»

ومثلما توقع، كانت مولاتي بوسقريس لا تزال قائمة عسما رجعتُ إلى غرمتها، فعدت أسفل سريرها منتويًا انتظارها حتى تقيق وحدها، غير أن جهود ليوم واللثة الماصين انقاسية كانت أكثر مما يمكنني احتماله، لتراحيث وعططت في النوم، ملتقًا على نفسي مثل جرو ثوق البلاء.



ألفقت تحت لامعداء، إذ ضرب شيء ما حاب رأسي صرّة قوية حتى إنني بهستُ وإقف قبل أن أصحو تمامًا، وأصابتي الصريرة التالية على كتفي لاسعة بإي كالنبور.

صرحت بي مولائي. «لقد خدعتني لم تتركني أموت». وصرخت بالمروحة ثانية، كانت مروحتها سلاحاً مرعاً، مقبضها مصنوع من خيرراي يضعف طول ذراعي، والعرف في أعلاها يصم ريش نعام مصنوع من الفضة الصلبة من جعن الحصد أنها كانت لا تراه مريحة من نأثر الدواء والنوم الرائد، ما جعل تصويبها قائماً، فخطست تحت صربتها، وبارت بفعل عزم دورانها لتنهز على سريرها ثابتة

ثم أتت المروحة وانصهرت بالبكاء «أردت أن أموت بم لم تتركني أموت؟» مر بعض الوقت قبل أن أتمكن من الاقتراب منها ولم أجد ذراعي حول كتفي لأواسيها، سألتني: «هل المتك يا قايغا؟ لم أضربك بلأ قطعاً» صانها تهنته حزبه: «كانت محاولتك الأولى جيدة جداً، وهي الحقيقة إنك ماهرة في الصرب حتى أنني لا أظنك في حاجة إلى امرئ عليه أكثر» (وبذلك حاب رأسي بطريقة مسرحية، فندمت من وراء دموعها) أيها المعسكين بلينا، أنني أعاملك معاملة سنة حذاً بالقصر، لكنك تستحقها لقد خدعتني. أردت الموت وعصيتني.

رأيت أن الوقت قد حان لتغيير الموضوع. «مولائي، أحسن أروح الأنبياء لك، لكن عليك أن تعديني بأن لا تحبني حذاً نه، ولا حتى خاسماتك منذ أن تعلمت الكلام، لم نستطع الصمود أمام سر، لكن أي امرأه بصمد؟ بكفها الوعد بسر حتى يتشنت انتباهها، وقد أجدي ذلك دفعا ثانية.

حتى وفؤدها مفطور، وحظر الانتحار بتدسي فوقها، تنشقت نموعها الأخيرة وأمرتي: «أحبرني»

كنت قد جمعت مؤخرًا محروباً مقبولا من الأسرار أنتقي منه ونوقمت لحظة لاتر حيارني ما كنت لأخبرها بتسميم حيواناتي بالطبع، ولا بلمحي باموس، ذلك أنني أحاج إلى شيء يبهجها لا شيء يمعن في إغمامها.

- ذهبت النارحة إلى حفرة يوم القرعوي وكلمته لنصف الليل.

ارتفعت الدموع إلى سطح عينيها ثانية

- آه يا قايغا، أكرمه إنه عوز قدح لا أريد أن أصطر إلى

لم أريد المزيد من تلك الحالة لمرحبة، ففي لحظات متفتحة ثانية، لدا عاجتها قائلاً: «لقد أعطب المتاهات من أجله»، وحظيت بكامل انتباهها من

فوزاً، فسيدتي بومثريس مفترية تماماً بقدراتي التنبؤية، ولولا الأذى الذي أصي  
بحمه المباهات على صحي، لحسسي أعمالها كل يوم.

صارت مشدودة: «أخبرني! ماذا رأيت؟». لم تُعد في رأسها فكرة انتحار،  
وكل حزنها صار متعباً. كنت لا تزال صغيرة وبريقة حتى إنني شعرت  
بالحزي إذ، تحايكي رغم أنه لمصلحتها

لقد راودتني أعجب الرؤى يا مولاتي. لم أزل صوراً بهذا السوء قط،  
وبصيرة بهذا العمق

- أخبرني! ولتعلم أنني ساموت بشوقاً إن لم تخبرني فوزاً!

عليك الإسماع على لسرية أولاً، يجب أن لا تعرف أي نفس أخرى بما  
رأيت، فهذه شؤون دوة ولها عواقب وحيمة

- أقسم أقسم

- لا يمكنك الاستغفاف بهذه القصص.

تكلم يا مايعا، إنك تعاكسي الآن أمرك بأن تحبرني في هذه الملاحظ أو،  
أو، (و اضطربت بحثاً عن تهديد تضغط عني به) أو سأخبرك ثانية

- جيد جداً أنصني لرؤياي- رأيت شجرة كبيرة على ضفة النيل، وفوق  
قمة الشجرة يجلس تاج مصر.

- الفرعون! للشجرة هي الملك (فهمت من فورها وأومأت برأسي) أكمل  
يا قايقة، أخبرني ببيقيتها.

- رأيت النيل يعلو ويهبط خمس مرات.

خمس سنوات، مرور خمس سنوات! (وصفقت بيديها تحمّساً، كم تحب  
حر أحاجي أحلامي)

- ثم المهمل الحراد الشجرة، وطاحت واستحالت عياراً.

حدقت إنني، عاجزة عن نطق الكلمات، لذا تكلمت بالتيابه عنها

- في غضون خمس سنوات سيموت الفرعون، وتصيرين امرأة حرة. حرة  
من استعباد أمك. حرة في الذهاب إلى تانوس، من دون رجل يملكك،  
إن كنت تكذب عني، فكذلك أكثر وحشية من أن أحتمله. أرجوك أخبرني  
إن ما قلت حقيقة.

- إنه حقيقة يا سيدتي، لكن ثمة امر يد رأت رصيفاً صديقاً ابداً، وشعرتُ  
بحبي يندفع إلى الطهر، وعرفتُ أنك أمة

من الأب؟ من كان أمر طعني؟ أوه يا قايقا، أحبرني أرجوك

في الحطم، عرفت بيقين قاطع أن الأب قانوس (كان هذا أول بحراف  
عن الحقيقة سمحت لنفسني به، لكن مرة ثانية يعرسي اعتقادي أنه  
لي مصلحتها).

ظلت صامنة وقفا طويلاً، لكن أشرق وجهها بوهج داخلي كان كل المكافأة  
التي يمكنني طلبها أبداً، ثم همنفتُ حيرة.

يمكنني الانتظار خمس سنوات، فقد كنتُ مستعدة لانتظاره إلى الأبد.  
سيكون صعباً، لكن يمكنني انتظار قانوس خمس سنوات كنت على  
صواب في عدم تركي موت يا قايقا، فمؤني هامة في وجه الأنبة.

ساندي ارياحي، وشعرتُ باطمئنان أسّي سأمكن من توجيهها بأمان  
في حلال كل ما يحبته المستقبل.



عند فجر اليوم التالي، أبحر الأسبطل الملكي جنوباً إلى الكرنك ومثلما  
وعد ابناك، كانت مولاتي لوستريس وكل حاشيتها على متن أحد القوارص  
الصغيرة المربعة من صرب الصوب.

جلست مع مولاتي على السراق تحت الظلة التي بصبها القبطان خصوصاً  
لها على سطح الكوئل، ورحنا بنظر خلفنا إلى مياي المدينة المبيضة بالجبس  
المتلالئة تحت انخبوط البرتقالية لمحمرّة الأوبى للشمس الأحدة بالصعود

كانت تذكر قانوس بقلق مثلم فعلت مرات كثيرة منذ أمعرا

- لا يمكنني التفكير في مكان ذهب إليه. هل صحت عنه في كل مكان؟  
- في كل مكان قضيت نصف الصبيحة أطول المدينة وأحواس السس  
بقد أحبي، لكنني تركت رسالتك مع كراماس، وثمي أن كراماس  
سيوصلها إليه

- خمس سنوات من دونه أستمز أبداً؟



مرت رحلة صعود السهر مرورًا سائرًا بالحد الكافي في أيام طويلة متروية مصيماها جالسين على ظهر الكوئل نتحاث أنا ومولاتي نائشنا كل تفصيل من تفاصيل طروعا لمتخيرة بعمق دلع، ورسا كل ما قد سوقعه وبأمل حسونه في المستقبل.

شرحت لها كل تعقيدات حياة ابلاط وثقاليدما ونظامها، ورسمت لها سلاسل السطوة والنفوذ الخفية، وحدثت لها جميع الذين في مصلحتنا أن نصددقهم والذين يؤمن بصلهم، وشرحت لها لعضايا الراضة، وموقف الفرعون من كل منها، ثم انصرفت إلى مناقشة شعور المواطين وحالتهم المراجعة معها

أدين بمعظم هذه المعرفة لصديقي أتون، الحاجب لملكي، إذ بدأ أن كل سمعية هبطت مجرى النور في السنوات الاثنتي عشرة الماضية من جزيرة إلفنتين إلى الكرنك حملت لي رسالة منه تدعج بهذه التفاصيل الحذابة، وحملت بالمقابل دلالة ذهبية على امتناتي بصديقي

كتب مصصف على أن نصير قريبًا في مركز البلاط وقيار لسلطة. ثم أدرب مولاتي طيلة مدى اسبين لأرى السلاح الذي وضعه في ترسانتها يصدأ من قلة الاستعمال، بعد كان حاصل مؤهلاتها ومواهبها الجديدة هائلًا بالفعل، وظللت أضيف إليه بصير كل يوم رغم ذلك. كانت صاحبة ذهن عظيم لا يكل، وحالما ساعدتها في طرح المزاج لأسود الذي هدد بتدميره، عادت كعهدي بها، مستعينة لتلقي إرشادي واستغللت كل فرصة وسعني اقتناصها لأشعل طموحها وترققها إلى تولى الدور الذي خططته لها.

سرعان ما وجدت أن أذبح الطرق بتطويع اهتمامها وتعاونها هي اقتراح أن كل هد يصب في خير قانوس ومصلحته في آخر الأمر، فأشرت إليها: وإن ملكي مودًا في البلاط تزيد قدرتك على حمايته، بعد سئمه الملك مهمة يعترب إنجارها من المستحيل، وقانوس في حاجه. إينا لينجح، وإن فشل، فأنت الوحيدة القادرة على إنقاذه من الحكم الذي حكمه الملك عليه

- ماذا يمكننا أن نفعل لمساعدته على أبناء مهمته؟ (حظيت بالنبها كله

فور دكري قانوس)، أحرصني بصدق، أيمن لأي رجل سحق الصردلي؟

أبست عملية صعبة جدًا، حتى على رجل قانوس؟

أظنقت عصابات الأشرار التي رؤعت المملكة العليا على نفسها اسم الصردان، تيمًا بالصرد لشرس، وصرد اسبل طائر أصغر من الحمامة،

مخلوق صغير وسيم له صدر وعنق أبيضان وظهر ورأس أسودان، مذهب  
أعشار الطيور لأخرى ويعتمد عرضاً شبيهاً من جثث صحبائه المذبذبة  
بتعيقها على أشواك شجرة السط. اسمه بالعامية الطائر السفاح

استخدمه الأشرار في البداية على أنه اسم مشفر لإخفاء هويتهم وسر  
وجودهم، لكن منذ أن صاروا جبابرة وشجعان حذاً، اعتمدوه عباءة وغالباً ما  
استخدموا ريشة الطائر السفاح السوداء والنصاء شعاراً لهم.

كانوا في أول الأمر متركبون الريشة على باب منزل سرهوه أو على جنة  
أحد صحبائهم، لكنهم في هذه الأيام صاروا أشدوس ومنظمين حتى إنهم قد  
يرسلون أحبائهم ريشة إلى ضحية مطلوبة تحديداً، وهذا في معظم الحالات كل  
ما يلزم لحمل الضحية على دفع أكثر من نصف ما يملكه في العالم ذلك أنه  
أفضل من أن يُسلَب كلُّه ويُؤخذ روحانه وبدنه ويُعصن، ويُلقى وأسدؤه في  
حطام منزلهم لمحترق فوق ذلك

كررت مولاتي «أترى أنه من الممكن لقانوس، حتى مع منطه ختم اباز، إنعام  
مهمة المثل؟ لقد سمعتُ أن جميع عصابات الصردان في المملكة العليا تأتمر بأمر  
رجل واحد، رجل يسمونه آخ-ست، أي أحر سب. أهد، صحيح يا تايلا؟»

فكرت قليلاً قبل أن أجيبها لا يمكنني إخبارها بما بكل ما أعرفه عن  
الصردان ذلك أنني لو أخبرتها، فسأضطر إلى الكشف عن طريقة وصول  
هذه المعرفة إلى جعبتي، وهي هذه المرحلة لن يكون ذلك حيراً لها، ولا  
لعمامي، ربما يحين وقت هذا الإفصاح لاحقاً.

فوافقتها بحذر «سمعتُ بهذه الشائعة أيضاً، يبدو لي أن قانوس لو وجد  
هذا الرجل، آخ-ست، وبطش به، فسيظهر الصردان، غير أن قانوس ليس في  
مصلحة إلى مساعدة أي أحد سوى، يمكنه منحه إياها».

نظرت إليّ نظرة مأكرة، وسألت بإسحاق «كيف يمكنك مساعدته؟ وماذا  
تعرف عن هذا الأمر؟»

كانت لئاحة، يصعب حذاعها، وشعرتُ من فوراً أنني أخفى شيئاً عنها  
فاضطرت إلى التراجع عن حق احتياح والعب على وتر حبها لقانوس  
وثقت به،

- من أجل قانوس، لا تريدني في السؤال الآن أنأذني لي بفعل ما يمكنني  
بمساعده على إتمام المهمة التي أوكله المزعون بها وحسب

أحل، بالصبح لا ندُّ لنا من فعل كل ما في قلوبنا أحترمي الآن كيف  
يمكنني المساعدة

- سأظل معك في بلاط جزيرة إلفنتين لتسعين يومًا، لكن بعدئذ عيلة  
مسي الإلن بالذهاب إليه...

مقطعتي

لا لا إن كنت قادرًا على مساعدة قايوس عليك اذهاب فورًا.

كررتُ بعناد: «تسعون يومًا» وهي مدة لمهلة التي كسبتها لها، ورغم  
تمرقي بين طغلي الحريين هدين، يصل الترامي لأول لمولاي  
كنت أعرف أنني لن أقدر على تركها وحده في البلاط من دون صديق  
أو مرشد، وكنت أعرف أيضًا أنني يجب أن أكون معها عندما يدرس الملك في  
طبها في الليل أخيرًا

قلت: «لا يمكنني تركك بعد، لكن لا تنفسي. لقد تركتُ، سادة لادوس مع  
كواتاس سيكوبن في «نظارتي»، وقد شربت لكواتاس كل ما يجب إتمامه  
فيس عودي إلى الكرنك، ما كنت لأحضرها بالمرتب، وقلة من يمكنهم مصابها في  
في البلادة و لماريه عندما أعتزم ذلك.

لم يُبحر الأسطى إلا في النهار، فلا مهارات الأميرال نصبت اسلاحية  
ولا راحة الملك وحاشيته يمكنها محاربة لعبور الليلي، لذا كنا نرسو كل  
ليلة، متبرِّز عاية من مئات الحيمات على صفة النهر ودمًا ما احتار الحدم  
لملكيون أعذب البقاع للنخيم، في الغالب في أية من شحرات التحيل أو في  
جرر من بك سائر قريب من معبد أو قرية يمكننا استجلاب الإصابات منها

كان البلاط كله لا يزال في مزاج احتفالي، وعموم كل مخيم معاملة  
لنزهة، مقام الرقص والعردة في صوم ليران، فيما تتأمر البصاة وتندارل  
في الظلام وأُشئت تحالفات كثيرة سياسية وشهوانية في ثديا تلك الليالي  
لمعيشة المعطرة بعبير الفكهة من الأرضي المروية على طول النهر وهواء  
لصحراء الأشد لدغا الهب من أراض أحد.

استعلت كل لحظة أفصل استغلال لمصلحتي ومصلحة مولاتي، وهي  
جدي اسيدات الملكيات الكر بالطبع، لكن ثمة بالفعل عدة مئات منهن،  
ولا تزال زوجه حديثه العهد جدًا، قد يُعبر بعد نظر السيد إنقلب مكانتها



المستقيمة، لكن شريطة أن يحمل مابن القرعون، وهذا في يدي في الوقت  
الواهن

كان القرعون يطلبني كل عشية تقرباً، بعد أن ينزل إلى الشاطئ، طاهرًا  
لمتاحة علاج قوبائه، لكن في الحقيقة لمراجعة تحضيرات إسباج وبني عهد  
للناج المزوج وبينما يراقب باهتمام، حضرت مشروبي لمقوي الفحولة  
والذكورة من قرن القريش المسحور، وحذر اللعاج، الذين مزجتهم بحليب  
الماعز الدافئ والعسل، وبعد أن شربه، عاينت القضيب الملكي وفرحت  
لمولاتي عندما وجدته لا يحور الطول ولا الحجم اللذين توقعتهما امرأة من  
إله وذهبت إلى أن مولاتي، حتى في عذريته، ستمكن من التماشي مع أعباءه  
المتواضعة من دون مشقة مريضة بطبيعة الحال، كنت معترفاً فعل كل ما في  
طاقتي بتمادي تلك اللحظة المروعة، لكن إن هزئت عن درتها، فإني عزم  
على تسهيل عبورها إلى امرأة.

بعد أن وجدت الملك بليماً وإن كان عادياً في حرته الأسفل أوصيته  
بكفاءة من دقيق الدرة معروفاً بريت الرسور والعسل تطبق على المقصيب  
المسكي ليلاً قبل النوم، ثم انصرفنا إلى مداواة القوباء، يتهج الملك أشد  
الانتهاج أن مرهمي عالج مشكلته في غضون الأيام الثلاثة التي وعدته به،  
ومعرت سمعي الطبية التي كانت محترمة بالفعل تنح لي ملك بياتجاري  
أمام مجلس ودرته وهي حلال أيام صرت تحت طلب هائل في لبلاط. ثم  
عندما ذاع أنني ستُعالجاً وحسب بن مديم استشارة الملك بنفسه أمضاء  
هانت شعبيتي أي حدود.

كل مساء كانت ترور خيمتنا سلسلة من الرسل حاملي الهدايا الثمينة  
لمولاتي من السيدة ولانة أو لسيد فلان يتوسلون إليها أن تسمح لي بزيارتهم  
من أجل استشارة، ولم تلب إلا لأن يريد بحسن معرفتنا بهم، وعندما أدخل  
خيمة سيد نبيل ومتنهد، وبينما يرمع تنويرته ويلفها حول حصره لأنحص  
بواسيره، يصير الإطراء عسى مولاتي وجذب نظر مريضني إلى فضائلها العديدة  
مخالفة بسيرة.

سرعين ما اكتشفت سددت الحريم الأخريات أسى ومولاتي لوسقريس  
نعني ثنائيات جميلة مفا وأن بإمكاننا تأليف أشد الأحاجي إثارة وقص أكثر  
التقصير تسلية كتنا مطويين عند جميع أهل البلاط، ولا سيما بين أطفال

الحريم، ومتعني ذلك منعة خاصة، فإن وُجد شيء أحبه أكثر من الحريمات، فهو لأفعال الصغار.

وعاجلاً، وصل حير زيادة شعبيتنا إلى الفرعون، وهو المسؤول عنها في المقام الأول، وحفر ذلك اهتمامه بمولاتي، هـد إني لم يكن شديدٌ معاً مكفي بالعمل. في صدامات عديدة عند الإبحار، كانت مولاتي تُستدعى إلى متن الصندل الملكي يتمضي النهار بصحبة الملك، وفي معظم الأمسيات، كانت تتعشى بدعوة ملكية على مائدته، وحصته هي والجماعة المحتصة مظارفتها الطسعة وبهاتها الطفوسي، ولا شك أنني كنت حاضراً بحذر على الدوام وعندما لم يرع الملك في طلبها ليلاً لإجبارها على تلك لأهوال الشبيبة العائمة التي رسمتها في معيبتها، بدأت تلبن مشاعرها تحاه

كان الفرعون ماموس، تحت مطهره الكالج، رجلاً طيباً وخلوقاً. سرعان ما أدركت مولاتي لوستريس هذا، ومثلي، بدأ تُحجب به بعض الشيء، وفل أن بلغ حريرة القفطين، صارت تعمله كما يحسن عما مُقرئاً متحلس ملا تكلف على ركنه يتحكي له بصة، أو تلعب معه لعبة رمي العصي على ظهر الصندل الملكي، وكلامهما يتورّد وجهه إجهاداً ويضحك مثل الأطفال. أسر لي أتوني أنه لم ير الملك على هذا القدر من الجدة قط

رأت لحاشية كل هذا ولاحطته وسرعان ما تعرّفتها على أنها مقضلة الملك، وصارت حيامة تستقبل رواراً آخرين في الأمسيات، أوتك الذين لديهم طلب يريدون أن تحب مولاتي انتباه الفرعون إليه، وكانت الهبات التي عرضوها أنهم من المعذمة لخدماني حتى.

كانت مولاتي قد رفضت هدية أبيها من أجر عبد واحد، لذا بدأت رحلتها إلى الشرق طهرانة، معتمدة على مدخراتي المتوضعة، لكنها قدس بهانة الرحلة لم تجمع ثروة وعبرة وحسب، بل قائمة طويلة أيضاً من الخدمات التي يدين بها أصدقائهما الجدد الأثرياء والمتنفذون. وحافظت على سجل دقيق لكل هذه الأصول.

لست متعجرفٌ جدّاً انطاهر بأن مولاتي لوستريس ما كانت لتحمّل هذا الاعتراف من نون مساعدي، فلا مدّ أن يجعلها حمالها وذكائهم، وصبيعتها العذبة الداهية معضلة تحت أي ظروف، إنما أقترح فقط أنني تمكنت من جعل ذلك أسرع قليلاً وأضمن قليلاً

جلب نجاحنا معه بعض لمثالب، كالعادة، ثمة هيرة أولئك لذين شعروا أنهم أريحوا عن حظوتهم لدى الفرعون، وثمة أيضًا مسألة اهتمام «فرعون الشهواني المتسامي مولاتي، الذي استفحل بسبب مترة العفة التي فرضتها عليه.

وددت مساءً في حيمته بعد أن أعطيته مسجوق من الحرثيت، أسرًا إلي إن علاج هذا يا تايता، ناجعٌ أشد ما يكون حقًا لم أشعر بهذه الرجولة مذ كنت شائنا، قبل تنويجي وتألهمي بكثير عندما أفلت هذا الصباح كان القصص مصلنا مصلًا مفرحًا حتى إني أرسلت في طلب أكون ليشاهده متأثر بشدة وتعني أن يحضر مولتك من دون تأخير».

خوفتني هذه لأتباء بكل معنى الكلمة، فاكنتيت أفسى تعابيري وهزرت رأسي ثم امتصصت لهواء من بين أسناني وسأسأب لأبدي متهاجاني: «إني ممن لستاد رأيت في عدم الموافقة على اقتراح أكون يا صاحب الحلالة، إذ كان ممكنًا لذلك أن ينهض كل جهودنا، إن كنت تريد أن، فلا بد لك من اساع حميتي بخالص الدقة»

أثار ذلك في دراك عجالة مرور الوقت، وقرب انتهاء أيام المهلة استعجن مدأت نهية مولاتي الليلة التي سرعان ما سيصير الفرعون عليها.

علي أولًا تجهيز عقبها، وشرعت بذلك بالإشارة إلى أن الأمر محتوم، وأنه إن كانت بمعنى أن يعيش أكثر من الملك ويذهب في المهية إلى قانوس ستضطر إسن إلى الإذهان لمشينة الملك، وهي فتاة متعفة دائم.

تهددت «فستضطر إسن إلى أن تشرح لي ما إني يتوقعه مني بالضبط ب ديق، ولم أكن أقض دليل في هذا المجال، فحبرتي الشخصية خبرة عابرة. لكنني سكنت من إيصاح الأساسيات ومن جعلها تبدو عادية جدًا حتى لا أخوفها بعير مبرر.

«هل سيؤلمني؟» أرادت أن تعرف، وقد عاملت بحساسيتها

إن الملك رحس عيب، ولديه حمة مع العسات الصغيرات، وأثق بأنه سيعاملت برقة، سأحضر بك مرهقًا من شأنه تسهيل الأمور كثيرًا اذهب به كل يوم قبل النوم، وسيفتح المدحج. فكري في قرارك أن قانوس سيمر من البوابة نفسها يومًا ما، وأنت تفعلين هذا بترجي به لا يسواه.

حاربتُ أن أظل الطيب اللامبالي وأن لا أشعر بسعة شهوانية بي ما  
على فعله لمسعدتها، ولتسامحني الآلهة، لكنني فُشلْتُ في قرارِي، إذ كانت  
أعضاؤها الأنثوية مثالية حتى إنها تَبْرُ أجمل الزهور التي زرعتها في حديقتي  
على الإطلاق، ولم تحمل وريدة صحراء أوراقاً أبدعَ قطُّ عندما دهنت المرحم  
عليها، طرحت مداها العذب العاص، وكان ملمسه رقيقاً وأبعد من أي بلسم  
يمكنني اختراعه.

بيما تورّدت وجنتاها وصار صوتها مبحوحاً همست: «حتى هذه اللحظة،  
كنت أحسب أن هذا الحرء مني ما له إلا عية واحدة، ما سبب أنني، عندما نفعل  
ذلك، أتوق توقاً لا يحتمل إلى تانوس؟»

كانت تثق بي ثقةً مطلقة، ولا تفهم هذه الأحاسيس عبر المألوفة إلا  
قليلاً، حتى بقي أحدثُ إلى بوصف جميع أخلاقياتي بصفتي طليئاً لأستمر  
بإعلاج المدة المطلوبة فقط، غير أنني لم أتم إلا متقطع النوم في تلك الليلة،  
تطاردي أحلام المَحَار.



مع نقذ مدا في الإبحار إلى أعماق الجنوب، ضاقت أحزمة لأراضي الخضراء،  
على حاسي الدهر، وبدأت الصحراء تحضر نفسها تلقاءنا في بعض الأماكن،  
داسن حروب الجرائيت لأسود لمهماء السهول المخصوصة بأقدامها  
واحتشدت قريبة حد أنها تدنت فوق مياه النيل المحتفزة.

كان أوحش هذه الخرافق النهرية معروفاً باسم بوابات حاجبي حيث تُخفق  
أمناء لتصير جبلة جامحة وعنيدة على حير تتلاطم عابرة الثغرة في الجروف  
الغاية

عبرنا بوابات حاجبي، ووصلنا أخيراً إلى إلفنتين، كبرى مجموعة عظيمة  
من الحزر المرافعة على عبق المل، حيث يعصر التلال المنة تدفقه وتجبره  
على عبور الحواقي

كان لإلفنتين شكل قرش هائل ملاحق سرب الحزر الأصغر إلى الحواقي  
والصحاري المتخصصة على جانبي النهر متميزة في اللون والشخصية  
ففي الضفة العربية، تمتد الكثبان لصحروية برتقالية محمومة ووحشية  
مثل البدو الذين كانوا البشر الوحيدة للقادرين على الحياة بينها، والصحراء  
العربية إلى الشرق قائمة ورماذية كاسدة، مرشعة باللال السوداء المنرفضة

كالحُلم في سراب القيط لم تشترك هذه الصحارى إلا في شيء واحد فقط، وهو أن كليهما مائلة لمدحال.

وأي تناقض مبهج كائنه جزيرة إلفنتين، المغروسة مثل جوهرة برية خضراء في تاج انهر القضي. سُميت بهذا الاسم بسبب الجلايد الحرايبية الرمادية الناعمة امتكئة على طول شاطئها مثل قطيع من الحسيت<sup>(1)</sup>، وأيضًا من حقيقة أن تحاره اعاج المسحوب من أراضي كوش الغربية وراء الجناد قد تركزت لألف عام في هذا المكان.

ابسط قصر الفرعون على معظم الجزيرة، وألح المهرجون إلى أنه قد اختار بناءه هنا في أقصى جنوب مملكته ليكون في أبعد نقطة ممكنة عن المدعي الأحمر في الشمال.

أما حُر الماء العريض المحيط بالجزيرة إياها من هجوم العدو لكن طافت بقية المدينة على كفتي لصفتين الرئيستين، بعد طعمة، شكل غرب إلفنتين وشرقها مما أكثر مدن المملكة العليا وأكثرها سكانًا، فكانت مناسًا جديرًا لمذبح عاصمة لمدعي الأحمر في المملكة السفلى.

وكما لا يرى في أي مكان آخر في مصر كلها كانت إلفنتين مغطاة بالأشجار التي حب اسهر بتورها على طهر ألف فيض سنوي وصربت جذورها في التربة الطعابية الحصبة التي نُفِثَتْ بنفسها عبر المياه لمواصلة في زيارتي الأخيرة إلى إلفنتين، وفتحنا أرسلني سدي إلفنتين لأنفسنا مناسب مياه النهر بصفته حارس المياه، قضيت شهرًا عدة على الجزيرة وبمساعدة كثير الساندة، فُهرستُ أسماء جميع النباتات في حدائق لقصر وتورايجها الطبيعية، بما تمكنت من ذكرها لمولائي فيها شجرات تين دم يرب مثلها في أي مكان آخر بمصر، ذلك أن ثمارها لا تنمو على الأعصار، بل على الصرع الرئيس. وجدورها متشابهة ومتلوية كأصلا تزاوج، وفيها شجرات دم التين التي سكك لهاؤها عندما يُجرح نعلًا أحمر فائتًا، وفيها دلب كوشي ومئة صنف آخر شرت مطلة حصراء ورفة على الجزيرة الصغيرة الحميلة.

نبي القصر لملكي على الجرائيت لصلب اسي بهج تحت التربة المصنة وبشكل مكل الجزيرة العظمي كثيرًا ما عجب أن كرس كل ملوكه، اسطر

(1) الحسيت النحاس من ذوات الجلد السميك كالقن والخرق (المرجم)

الطويل من مراعاة حصعين أسرة الذي يعتد لأكثر من ألف سنة مضت، معظم حياته وكثره لبناء قبور نسيحة وأزلية من الجرانيت والرخام، بينهم قنعو أن يعيشوا حيواتهم في قصور جدرانها من صير وأسقفها من قش، فقد كان هذا القصر، بالمقاربة مع المعبد الجنائزي الفاحر الذي كنت أسه للمرعون هاموس في لكرونك، بناءً متواصلاً حدًا، وأهانت بذرة الخطوط المستقيمة والتسابق كلاً من عريتي الرياضي ولعماري هي.

أصر أن هذه المعصنة مترامية الأطراف من جدران وأسقف الطين الأحمر المائله برواق عريبه حملت سحرًا فلاحياً، ومع ذلك حكني جلدي لأخرج مسطرتي وخيوط الشاقول.

حانف نزلنا إلى الشاطئ ووجدنا المسكن الذي خُصص لنا ظهرت جاذبية الفنيقيين بصورة أوضح أنزلنا بطبيعة الحال في الحريم لمسور على لحافة الشمالية للحريرة لكن أكد حجم منزلنا وأثاثه مكانها المميّزة، وليس عند الملك وحسب، بل عند صاحبه كذلك، فثقون هو من أجرى التخصيص ومثل الآخرين، ثبت أنه أعزل أمام سحر مولاتي الطبيعي، وصار أحد أوقح معجبيها وضع تحت إمرتنا دزيئة عرب مباحه ومهوّاة لها فنائره ومطبخها احصين، وفي السور الرئيس، قاد باب جانبي مباشرة إلى مرسى حجري على ضفة النهر شتريت في ذلك اليوم الأول نفسه رورقاً مسطح القاع يمكن استحمامه لصيد السمك وطيور الماء، وأبقيته راساً في المرسى.

أما عن بقية منزلنا، فمهما يُحتمل أنه كان مريحاً، لم تكن إلا مولاتي راهيبين، وشرعت من فوراً في بحسنه وتعميله وبمعاونة صديقي القديم كبير المساتنة، حططت حديقتنا الشحصيه الخاصة في الفناء وزرعناها، ثم أقمّت مجلساً سمعه من قش لتحصن تحته في حر النهار، وأبقى صغري احريث مربوطتين إلى مجثميهما هناك.

نصبت على المرسى شابوفا يرفع دقاً مائياً مستمراً من النهر وجهته عبر مواسير خزوية إلى حقيقتنا المائية براسقها وأحواض أسماكها، وما ملوب عن الأحواض يُصرف إلى مجرى صبق، مشئت هذا المجرى عبر جدار مخدع مولاتي، مروراً براوية محجوبة من اعرفة ليخرج من الجانب انقضي، ومن هناك يرحع إلى تدار النيل الرئيس ثم نحتت مقعداً من خشب الأرز المعطر جعلت في سُدته فتحة، ووصعته فوق المجرى، فيأخذ تيار الماء الذي لا يتوقف معه أي شيء يسقط من قاعدة المقعد. فرحت مولاتي بهذا الانتكار

وتصمت حاشية على المقعد وقتًا أطول بكثير مما يلزم حقًا لإكمال المهمة التي صمم لأجلها أصلًا.

كان جدران مسكن مجرد طير أحمر، عصمما مجموعة من الرسوم الحداثية، إذ رسمت المخططات وبقتها إلى العدر ثم لُوئت مولاتي وهائها التصميم. كانت انتصاميم مشاهد من ميثولوجيا الآلهة، رقيقة منظر أسطورية مأهولة بحيوانات وأطيور لعجية وبالطبع، استخدمت مولاتي لوستريس نموذجًا لصورة إيزيس لكن أتمه عجب في أن صورة خورس كانت محورية في كل اللوحات، أو أنه صُوِّر بإصرار من مولاتي يشعر أحمر ذهبي ويبدو مأثومًا ألفًا منهلة؟

أحدث هذه الرسوم صجة في جميع أجزاء الحريم، وتناوبت الروحات الملكيات على ريارتنا يشربن الشراب ويرين اللوحات أطلقنا صرعة جديدة، وألح عني لأقدم المشرفة في تجديد معظم اشعق الحصة في الحريم، مقابل آخر مناسب بالصبح. وبهذه العملية، كسبنا العديد من الأصدقاء الجدد بين العبيات الملكيات وأضفنا إصابة كبيرة إلى حزيتنا المالية.

سمع الملك سريعًا بالتزيينات وجاء شخصيًا ليعاينها، فأحدثه مولاتي في حولة في غرفتها. لاحظ الفرعور مقعدها المضي اسجديد الذي كانت مولاتي محورة به حتى إنها عندما طلب منها تسان طريقة عمله لئت طلبه من دون تردد، وحثمت عليه تفهقه وأرسلت سفقًا رنانًا إلى المجري.

كانت لا تزال بريئة حد أنها لا تدرك الأثر الذي يولعه هذا العرض في نفس زوجها، وعرفت من مَحْيَاه أن أي محاربة قد أجريها لأوجه أكثر من الأيام التسعين الموعودة يُرجح أن تكون شاقة

بعد الحولة، بيوم خمس الفرعور تحت سقف المجلس وشرب كأسًا من السبد صحك من قلبه بصوت عالٍ على بعض نودر مولاتي، واستدار أخيرًا إليَّ «عليك أن تبني بي حديقة مائية ومجلسًا كهذه بالضبط يا تايئا، إلا أنها أكبر بكثير، ويصف شعل بها، يمكنك أن تصنع لي معهدًا مائيًا كذلك،

عندما صار جاهزًا للمصاهرة أخيرًا، أمرني بالمشي معه بعض الطريق وحدها، ظاهرًا لمناقشة الحديقة المائية الجديدة، لكنني أعقل من تصديقك، وما إن عابرها الحريم حتى بدأ يُلح عليَّ.

حلمتُ البارحة بمولانا، وعندما أفتتُ، وجدتُ أن مني قد اندلق على الأعصية لم يحدث لي هذا منذ كنتُ صغيراً. لقد بدأتُ ثعلبُك هذه تحفل أفكارِي دائماً وصحياً، ولا شك عندي أنني قادر على إيجاب صبي منها، وأنت لا يجب أن تؤجل أكثر. ما رأيك أيها الصبي، ألسنُ مستعداً للمحاولة؟

- أتصحبك أشد الصبح أن تلتزم بالأيام التسعين يا صاحب الجلالة، لإجراء المحاولة قبل ذلك حماقة (وبعت رغبة الملك بالحماقة أمر خطر لكنني مستقفل لاحتوائها) من الطائش أكثر الطيش إفساد جميع مرصدا في النجاح من أجل مدة قصيره جداً من الزمن، (رحمتكم كمني في النهاية، وتركته ومظهره أكلج من أي وقت مضى).

عندما رحلتُ إلى الحريم، حدثتُ مولاتي من بوابة الملك، وهيأتها صيلاً لتقبل المحتوم حتى إنها لم تظهر صيفاً زائداً، فقد باتت مطول هذا الوقت مدعية تعافاً بدورها بصفتها مفضلة الملك، وسهل عليها تحمله بسبب وعدى بأن أسرها هنا على جزيرة الفنتين له أجل مُسمى ولاكون منصفاً، لا يمكن في الحقيقة أن يوصف مقامها على الحرية بأنه أسر، قصر المصريين أكثر الشعوب حصراً على وجه الأرض، وقد سمعتُ عن شعوب أخرى، كالخوريين والكوشيين، اللذين مثلاً، يعامل بساءها وبسببها بعبادة القسوة والشدة.

سجل البنيون الحريم سمياً حقيقياً معيش النساء فيه حيوانهن بأكلها من دون أن يلحقن ذكراً حياً إلا المصنوع، والأطفال. يُقال حتى إن دكور الكلاب والقطط مصنوعة من مرور البوبات، فهو سهم التملكي عيب إلى هذه أسرحه، والخوريون أسوأ من ذلك. فلا يحبسون نساءهم ويجبرونهم على تعطيه أجسادهم من الكحل إلى ادسخ وحسب، بل يُجبرونهم أيضاً على التحرك مُلثماً، حتى داخل حدود الحريم وهكذا لا يحط أعين على وجه امرأة، لا عيني زوجها

أما قبائل كوش ابتدائية وأسراً الجميع، ذلك أنهم حالما تبلغ نساؤهم، يختنونه بأشد الأساليب وحشية، إذ يقصرون البظر وشفري السهل الداخليين لانتزاع مركز المتعة الجنسية حتى لا يُغريهن أن يرغفن عن أزواجهن

قد يبدو هذا شاذاً إلى درجة تتحدى لتصديق، لكنني رأيتُ نتائج هذه العملية لوحشية بأم عيني، فثلاث من إماء مولاي لم تقص عليهن لمخاسون إلا بعد أن طعن وحضر لسكاكير آبنهن عندما عديت الفتيات الماهرة



المفضلة بالتدب التي تركت لديهم، قرأت نفسي، وأهيت غراشري بصفتي  
معالجاً إهانة عميقة إر، هذا التشويه لنحبه الآلهة للحسد البشري، وكان  
ما لاحظته أن هذا الختان لا يحقق عاقبة، بد بدو أنه يحرم الصحة من أكثر  
العرائك الأنثوية بدعاء وسركها بارده ومقصدة وقاسية، فتصير وحش معدوم  
الجنس.

بيد أنه نحن لمصريين نحترم نساءنا، وإن لم نعاملهن معاملة الأكفاء،  
فإننا نعاملهن بمعاملة عني لأقل، فلا يجوز لزوج ضرب زوجته من دون  
الرجوع إلى لقاضي، ويقتضي واجبه القانوني أن يكسبها ويطلعها ويعيها  
بما يتمشى مع منزلته في المجتمع ولا تُحس روجة من روجات الفرعون،  
أو من روجات أحد النبلاء، في لحريم، بل يحق لها، إن كان معها مرافقه  
ملائمة من حاشيتها، أن تمشي خارجاً في شوارع المدينة أو الريف، ولا تُجبر  
عني إحصاء معاتنها، بل يمكنها، بحكم الحوصلة الزائدة وهواها الخاص، أن  
تجلس إلى مائدة عشاء زوجها بوجه مكشوف وفسر عار، وتسلمي أصحابه  
المكور بالصدقة والعداء.

بحق لها أن تمتلك بملكية خاصة عبيداً وأرضاً وثروة منفصلة عن أملاك  
زوجها، رغم أن ما تحمله من أطفال ينمون إليه وحده يحق لها صيد  
الأسماك، وتطير الصقور، بل حتى ممارسة الرمية، عني أنها ممنوعة من  
الجهود الذكورية كالمصارعة والصايه. ثم يخص النشاطات المحظورة  
عليها، حظراً عادلاً في الحقيقة، كممارسة الحمامة والعمرة، لكن الزوجة  
السيئة شحص متفد، ولها حقوق قانونية وجاه، وبطبيعة الحال ليست كمثل  
المحظيات أو زوجات عامة الرجال، اللاتي يتمتعن بما يتمتع به العجل أو  
الصار من حقوق.

وهكذا كنت ومولاتي أحراراً بالتجور في الخارج لاستكشاف المدينتين  
النومتين على كل من ضفتي النيل والريف المحيط وسرعان ما صدرت  
سدي لوستريس محبوبه في شوارع الفقيرين، وصار العامة يجتمعون  
حولها استجداءً لمباركتها وكرمها، ويهللون لبهاثها وجمالها، مثلما كانوا  
يفعلون في بلدنا طيبة، كانت تأمرني بأن أحمل عني ادوام كيساً كبيراً من  
الكعك والحلويات لتحشو بها حصى كل صعلوك يقابله بيدو لها في حاجة إلى  
التعدي، وبدا أنا حشماً ذهباً صمط مرعبل راعق راقص من الأطفال.

دائمًا ما بدت السعادة على مولاتي إذا جلست في باب كوخ فقير مع ربته،  
أو تحت شجرة في حق علاج مزارع، تنصتُ لكرهم وشكاويهم ونصحتها  
إلى العرعور في أول فرصة سانحة، وهي اغالب ما كان يبتسم ابتسامه  
رحيمة ويوافق على طريقة الإصلاح التي تقترحها وهكذا ولبس سمعتها على  
أنها بصيرة العامة كنت عندما تمر حتى في اتساع وأبواب أرباع المدينة  
مترك حفيها أسسامات وصحكات،

وهي أيام أخرى، كنا مصطاد السمك مغا من رورق الصغير في معبر  
البحيرات التي يصقها فيضار البحر، أو مصب قحاحا للبط البري، كنت  
قد صعدت قوسًا خاصه لمولاتي تناسب قوتها، بالطبع ليست بذات القوس  
العظيمة لأننا لتي صممنا لثلبوس لكننا ملائم لصيد طيور الماء الذي  
نتشدد، ومولاتي لوصتريس قناسة أحسن من معظم الرحان الذين راقبتهم  
عند نيرانا لرمية، سدر حدًا أن يعلق سهمًا لا يصطربني إلى العطس هو  
الرورق والسباحة لجلب جثة البطة أو الإبرة،

متى ما خرج الملك بيمارس الصيد بالبار، كانت مولاتي تُدعى بالحضور،  
ويصحب عازي أطراف أحواض البردي كنت أمشي خلفها بصقري الخزين على  
ذراعي، وحالما يعلو مالك حزين نحقق أنحنه لثقل من بركة محتجة بين  
لقصب تأخذ أحد صقري وتقبل رأسه العفلنس ثم نهمس به مطر سريعًا  
ودقيقًا يا حمسياء ثم نمرع قلنسوه الصقيرة لنكشف عنه المقترب من  
الصقراوين، وتطبق القتل الصغير المدهش عاليًا.

كنا نراعي مسحورين الصقر يحلق هاليًا فوق الطريدة، ثم يكسر ديك  
الجناحين المنجليين وينقض بسرعة تجعن الريح تغني فوق ريشه الأرقش،  
وكن هول التصادم يصلنا من مسافة مثلي خطوة، فتلتطم مسحة من الريش  
الأزرق السمت أزرق السماء لأكني، ثم تتبدد مدد الدخان في نسيم اسهر،  
إذ يثب الصقر على طريقته بمحالب معقوفة لينزل دكا الأرض بها تنصرح  
مولاتي انتصارًا وتركض بسرعة صبي لتجلب لطير، وتجود عليه بالثناء  
وقدللّه، ثم تصعنه رأس لمالك الحزين المقطوع

أحب كل مخلوقات الماء والأرض ولجو، ونكن لها مولاتي الشعور نفسه،  
وطالما تساءلت لم إني يتأثر كلانا برياضات لمصودة هذه؟ حرت في ذلك  
ولم أحد جوابًا ربي الحواب بسااسة أن ارحل، والمرأة كذلك، أعتى مهترسات  
لأحسن، ونشعر بهاية إلى الصقر، بجماله وسرعته، فقد صحت الإلهة للصقر

المالك الحريين والإثورة طرائد مستحقة له وبالطريقة نفسها مُدح الإنسان  
الهيمنة على جميع محسرات الأرض. لا يمكننا إنكار هذه الغرائز التي وبهنا  
إياها لآلهة

كنت قد سمحتُ مولائي بمر فني وتأنوس إلى هارت المطاردة وصيد  
السماك منذ سن مبكرة، عندما نمت القوة واصطفة اللازمتين لتطل معنا ذلك  
أن سيدي إنتفى كان موافقاً على خروجي إلى الصيد مع تأنوس الشاب، ربما  
ليستر كراميته لحصمه، سيد حاراب

قبل ذلك بمنوات، كنت استنويتُ أنا وتأنوس على عذرا ل مهجور لصيد  
سمك كنتشعناه على حافة المستنقع تحب الكركنة وجعلناه كوخ صيدنا  
الحاص لم تفصل بين لعررا ل وحدود الصحراء الحقيقية إلا مسافة وجبرة،  
لدا كان أمامنا من هذه القاعدة المربعة حصار الصيد من البصرة أو صيد  
الطيور نرية أو صفارة تلك الطائر النبل، الحداري العملاق، في الصحراء  
المفتوحة

في البداية استاء تأنوس من تطفل هذه البثت الحرقاء ذات السنوات  
التسع، لأخيلة مسطحة لصدر كالصبيان، على عالمنا انخاص لكنه سرعان  
ما اعتاد حضورها بن حتى رأى أنه من المريح وجود شخص ينقد مهمته  
ويؤدي الأعمال الصغيرة أمثلة في المحيم.

ومكدا، شيداً فشيداً، التتطبت لوستريس معرفة العالم الخارجي وحكمته  
حتى باقت تعرف كل سمكة وطيور باسمها الصحيح، وتطووع لحيرون أو  
فوس الصيد بعهارة مناسبة. وفي آخر الأمر صار تأنوس فحوراً بها كأنه هو  
الذي دعاها للاضغاص إليها في المعام الأول

كانت معنا في تلال الصحر لأسود فوق ودي النهر يوم صار تأنوس  
قاتل العاشية. كان الأسدُ ليثاً هجوراً مُندباً به لبدة سوداء تموج في الريح مثل  
حقل من السرة عندما يمشي وصوت كرع السماوات، بينما أطلق زمرة كلاب  
صيدي عليه وتبعناها كانت تنبح على الليث صعوداً من لحظيرة المجاورة  
للثيب حيث قتل آخر عحوله، ثم حاصرته عند رأس شعب صخري فركز علينا  
حالما صعدنا ونحى الكلاب دهجومه من بينهم

وبسيف بركض فاحبتنا بنحر ودرار، وقعت مولائي بفرم ثانت حيف كتق  
تأنوس اليسرى بخطوة واحدة شقعا، وتوسها الصغيرة الضعيفة موبورة عن  
أحرها باسطع، كان تأنوس قاتل الوحش إد أرس من لغوس العظيمة لانانا

سهنًا صافراً إلى حلقه الفاجر، لكن رأى كلاب شحاعة لسيدة لوستربس  
تظهر مكاس مدامها

اظنه مرجحاً أن فانوس في تلك اليوم أدرك حقيقة مشاعره تجاهها،  
بينما في ذهن مولاتي، ظل الصيد والمطاردة مرتبطين إلى الأبد بصورة حبسها  
وبكرام، وصارت مدرك الحس صيادته شرهة، وتعلمت من فانوس ومن أن  
تحتزم الطريدة وتحبها، لا أن تنقض كاهلها بلذنب عندما تمارس حقوقها التي  
صحتها إياها الآلهة على مخلوقات الأرض الأخرى، أن تنتفع بها بحسن المتاع،  
وسنهنكها صناعاً، وبطاردها رياضة

لعب مهموم على الوحوش، لكن لرجال وأعضاء جميعهم في لوقت  
نفسه ماشية الفرعون ولا يمكن لأحدهم مخالفته في اليوم التسعين تعاقب  
أرسن أمك أتون يحضر مولاتي



لأجر صداقتك ومشاعره الشخصية لمولاتي، اعطاني أتون إنذار مبكرًا،  
فلتمكنت من إجراء تحضيراتي الأخيرة قبل وصوله بوقت كافٍ

مررت مولاتي للمرة الأخيرة على ما يجب أن تقوله بالصمت للملك وكيف  
تتصرف معه، ثم ذهبتُ بها لمرهم الذي أذخرته لهذه المناسبة، ثم يكر مرافقًا  
وحسب، بن حوى أيضًا خلاصة عشبة أستخدمها على المرضى بنسكين آلام  
الأسنان وغيرهم من الآلام الطبيعية، تلك أنها تلمتج بخاصية تحفيز الأعشبة  
المفاداة الحساسة في الجسم

ظننت شحاعة حتى لحظة ظهور أتون في باب مقدمها، ثم هجرتها  
شحاعتها وانتقلت إلى دموع طمحه من حفيظتها: «لا يمكنني لذهاب وحدي،  
إسني خائفة تعال معي أرحوك يا تايثا»، كانت شاحبة تحت مكباحها اسني  
كسوبها إياه بحس شديد، وسيطرت عليها بوبة ارتعاش حتى اصططكت  
أستنها البيضاء الصغيرة اصطكاكًا ناعمًا

- تضمنين أن هذا غير ممكن يا مولاتي، وقد أرسل الفرعون في طلبه،  
وهذه المرة لا يمكنني مصعدتك

وآنذاك مد أتون يد العون لها، فاقترح بصوته الأعجف «ربما يمكن لتايثا  
الانتظار في استراحة عرمة يوم الملك، معي، عبر عم كل شيء هو الضبيب

الملك وقد تُطلب خدماته، وقعت مولاتي على رؤوس أصحابها لتقبل حذره  
البدن

ومست له: «إبك حبيب حذاً يا أتون»، فاحمرّت وجنتاه

بينما منع أتون عبر مائة الممرات إلى حناج الملك أحكمت سيدني  
لوسكريس قبضتها على يدي، واعتصرتها بشدة في الاستراحة، ثم تركتها  
ونحست إلى باب مخدعه، وهناك توقفت قبلاً وبطرت إليّ حلقها لم تبدأ أجمع  
أو أصغر أو أمش من هذا من قبل، وبطر قلبي، لكنني انقسمت لها لأشبعها،  
فالتفت عني وعبرت الستائر، وسمعت دمهمة صوب الملك عندما ركب بها  
وردّها الرقيق.

أجلسي أتون على مقعد إلى طاولة خفيفة، ثم فتح لوح السود<sup>(1)</sup> سيد  
من دور أن يطلع بكلمة فاعنت بلا انتباه، ورحد أحرك احجارة المستديرة  
المصقوبة بين الطامسات المحفورة في اللوح الخشبي مار أتون بثلاث لعبات  
سريعة على التوالي، وكان من شديد اسدرة أن يغلبى قبلاً، لكنني مشتت  
بفعل الأصوات التي أسعها من الغرفة خلفي، رغم أن انخفاضها يمنعني من  
فهم الكلمات لفعلية.

ثم سمعت بوصوح تام مولاتي تقول، كم درمتها بانصط. «أرحوك يا  
صاحب لعلالة، يرفق بي أتومل إبك، لا تؤدني»، وكانت المباشدة مؤثرة  
حتى إن أتون سعل بلبس وبف في كفه، بعدما كان جُرم ما يمكنني فعله هو منع  
نفسه من أن أشب واقفاً واهرع عبر المتارة لأشدها بعيداً.

سأه الصمت لبعض الوقت هناك، ثم عله صبيحة ناشجه واحدة شفت  
روحي، وعاد لصمت.

جلست وأتون رابصين على لوح البو، ولم بُعد بمصنع اللعب. لا أعرف  
كم طال انتظارنا، لكن لا مد أن الوقت كان قد بلغ بهزيع لأحير من اللبس  
عندما سمعت أخيراً صوت رجل يحوز بشفر من حلف السدرة، فطر أتون  
إليّ وأوماً رأسه، ثم نهض متثاقلاً

وقبب أن يصل إلى الستائر تناعدت وخرجت مولاتي من معها فعاتت  
مباشرة إلى حيث أجلس وهمست «حدي إلى المنزل يا قديق»

(1) سود لعبة ذهنية رائعة في دول شرق إفريقيا وهي من عائلة البطة. (المترجم).

ومن دون تفكير، حملتها بين ذراعي، فلفّت ذراعها حول عنقي وأرحت  
رأسها على كفي، مثلما كانت تعمل في طفولتها. حمل أتون سراج الزيت  
ليصبيء طريق عودتنا إلى الحريم وتركنا عبد رب مخدع مولاتي ثم مدّتها  
على السرير، وبينما يغلبها الانعاس عاينتها، قرأيتُ بعض الدم، محض لطفة  
على لبك الفخديز الحريريين، لكن النرف نفسه توقف.

سألتها برفق: «أتشعرون بأي ألم يا صغيرتي؟»، فتحت عينيها وهزت  
رأسها.

ثم ابتسمت بي ابتسامة مفاجئة للغاية، وغفمت. دلاً أعرف ميم كل الهرج  
والمرج، في النهاية، لم يكن أمراً بكثير من اسبحدم الكرسي الماني. ولم  
مطلّ أكثر من ذلك أيضاً، وانطوت في كرة على نفسها وعطت في النوم من  
دون أن تصدر صوتاً آخر.

كدت أنتحب ارتياحاً. لقد ساعدتها جميع تحضيراتي والأعشاب المهدئة  
التي طبقتها على اختيار البيلة من دون صرر لا لحسبها ولا لروحها العذبة.



خرجنا في الصباح إلى الصغارة كأن شيئاً مشؤوماً لم يحدث، ولم تذكر  
مولاتي الموضوع إلا مرة في خلال النهار، إذ سألتني بتفكر عندما نذر هذا على  
صفة البهر: «أسيكون لأمر مشامها مع تانوس بي رأك يا قانفا؟»

فطعأنتها: «لا ما مولاي، فأنت وتانوس بحان بعضكما بعضاً، وسيكون  
الأمر مختلفاً ستعيشين أروع لحظة في حياتك كلها».

فهمست: «أجل، أعرف في صميم قلبي أن هذا ما يجب أن يكون»، ونظر  
كلانا لا شعورياً إلى الشمال على امتداد السبل، ناحية الكرنك البعيدة وراء  
الأفق.

رغم أنني أعرف خبر المعرفة أين يكس واحمي نجاه تانوس، كادت  
الحيدة على الجزيرة عديئة، وكنت مستمتعا بالصخب الحصري لمولاتي حتى  
إنني أحلت مفادتي بحجة أنها لا تزال في حاجة إليّ. وفي الحقيقة، مع أن  
المرهون ظل يرسل في طلبها ليلة بعد ليلة تمّنت مولاتي بمسحة صلاة  
ولسانة ووهبت عريضة النجاة بأقصى سمعتها، فتعنت على جناح أسرعه  
إرضاء الملك لكن في الوقت نفسه لبقاء صحيحة وغير متأثرة عاطفياً بالأمر

لم يكن في حاحي مثل قافوس في حاحي، وفي الواقع، كانت هي من بدأ  
بالنق علي لأذركها على المهتقين وأمبط النهر شبيه

طلب أمان حتى رجعا إلى القصر د ب مساء بعد نهار صويل في لحقل  
رفقة الملك، وحرصت أن مولاتي استحمت ومُدت وجبة عشائها أمامها قبل أن  
أمضي إلى مسكني.

عندما دخلت عرقتي، ملأ شدي العاصم الناصحة والرمان الهواء، إذ  
وضعت في وسط أرضية لعمرة سلة كبيرة مغلقة عرفت أنها ملأني بهكوتي  
المفضلين هاتين، ولم تفحنني رؤيتها هناك، فلا يوم يمر من دون أن تُرسل  
هدايا لي ولمولاتي من أحد ينفعي خدماتنا.

تساعت من كان هذه العرة، وامتلا فمي لعانا عندما أترعت صفحه أخرى من  
اشدي مسخري، ذلك أني لم أكل منذ ابظهرة، وعندما رعب الغطاء المجدول  
ومدت يدي إلى أحمر الرمات وأصبحها، سقطت الفاكهة وتدحرجت على  
الأرض، ثم سمعت صوت حيح حاد اطرحت بعده كرة سوداء عظيمة من  
اللفائف المتلوية والحراشف الالامعة من السلة واندفع عني ساقلي.

وثبت لي خلف، لكن بسرعة غير كافية، فقد أصاب فك الثعبان لمفتوح  
كعب صندلي بقوة كادت تفقدني توازي، وثقت عيمة سُم من اسدين  
المعمومين مع لسان النعي لعل جلد كاحلي، لكنني تدبرت بوثة أخرى  
أن أجنب الضربة الثانية التي أعقب الأولى مباشرة، ورميت نفسي على  
الجدار في المركز القصي من الخرفة.

واحت لصل وواحيي عبر عرض العرة، كان نصف حسده ملتقا على  
نفسه لكن الجراء الأمامي منه منتصب بارتفاع كتي، وعنته متوسع ليظهر  
اشرط البيصاء واسواء العريضة التي ترخرعه، ومثل زنبقة سوداء مربعة  
تتميل عى عبقها، راح يراقسي بينك العيين الحريريتين الماعين، وأدركت  
أنه يقف بيني وبين الباب الوحيد للحره

صحيح أن بعض الصلال تُربي حيوانات أليعه، ويُسمح بها بالتجول في  
امرل كأنه متزلها، وتلجم الجردان ولقنوس التي تكتسح ابداء، وتُشرب  
الحليب من إريق وتصير أليفة كهزة لكن ثمة شعاب أخرى من هذا النوع  
تُدرّب بوسائل التعذيب والتوبيخ بتصير أدوات قاتلة هي يد القتل. وم  
يساورني اشك هي ما يحصر الصنف الذي أقف أمامه الآن.

أحدث أمشي جانباً على الحذر ، محاولاً الالتفات من حوله لوصول إلى  
بر الأمان، دهجم عليّ، وكانت فجوة فكية بين أصغر سقيم شاحب ومخالق  
لسم تسبب من رأسي تبيه بينما أقفز مبتعداً عنه وأنكمش على نفسي لي  
ركني ثانية صرحتُ ذعراً لا إرادياً لكنه استعد تواريه سريعاً بعد الصدمة  
وارفع ميصناً بي وبين اسباب، كنت أعرف أن حووصلاته السُميّة مشحونة  
بسم يكفي لقتل منه رجل قوي وببعض أرائيه، حلّ نصفه الأسفل تدريجياً  
وبدا بالانسلال على الأرض ناحيتي ورأسه الحائق مرتفع وعينيه الساطعتين  
الصغيرتين العظيقتين معلقتين عليّ

رايت مرة إحدى هذه الأنواع تسحر طيراً حتى إنه لم يُبد أي محاولة  
هروب من سدوها المتعرج، بل رقد أمامها بمظهر استسلام حليّ، شلت  
بالطريقة نفسها، فسما يزلق الموت ناحيتي وحدثت بقمبي عاجزاً عن الحركة  
أو الصرح

ثم رأيت فعاء حركة وراء الصلّ المتعابر، إذ ظهرت مولاتي لوستريس  
في الباب وقد استدعتها صرختي لمدعورة الأولى، فعثرت على صوتي ثابتة،  
وصرختُ بها: وحذار! لا تقتربي أكثر!

لم تولّ تحذيري اهتماماً، بل استوعبت المشهد بسمحة واحدة، ولو أنها  
فأحرت أو ترددت لحظة، للدغني الثعبان لدغة ثالثة وأخيرة كانت مولاتي  
جالسة إلى عشائها عندما سمعت صيحي، وهي الآن واقعة سطيحة نصف  
مأكولة لي يد وسكنى عصية في لأخرى، وتفاعلت بعريزة صياحة حاطفة.

كان تدبوس قد علمها ترك أسلوب لرشق الأحرار ثنائى المفاصل الطبيعي  
عند الأذى، فقدعت البطيحة التي تحصلها بقوة ودقة راهي رماح مُدرب،  
وأصابت الصلّ في قلب عنقه المنبسط، وبالحظة عابرة طوّحته الضربة على  
الأرض المبلطة ومثلما يُرخى وتر القوس لحربي، ربرف الثعبان ميصناً  
وأدار رأسه لأرؤّع ناحية مولاتي ثم أسرع إليها عبر العرقة في محوم مباشر  
تحررت من الغيبوبة في آخر الأمر، وطلقت قُدماً لأساعدها لكنني كنتُ  
أبطاً مما يجب، فقد تأرجح الثعبان إلى الأمام مرتكز على بطنه، وجوّب عليها  
باسطاً فكيه عن آخرهما حتى رُش السم من بنيه المنتصبين رذاذاً بهتاً  
نقياً قفرت مولاتي لسلف سرعة عزال ورشاقتها أمام بقضاصة مهد صياد،  
وأخمت الصلّ مدعة، وبالحظة، ألغاه لأرحم مصدّد عند قدميها، مثبسطاً على  
كامل طوبه الرُقّ المحرشف.



لا أعرف ما الذي تُلْعَبُها لكنها لم تعتقر إني الشجاعة قطُّ وقبل أن يتمكّن  
الصلُّ من النهوض، تفرّت إني الأمام ثانية وحطّت بتيناك لقدمين الصغيرتين  
الدليفتين المصعدتين على قما رأسه، مثبتة إياه على البلاط بكامل ورنها

لعلها تأملت أن تُهَشَّم همود الأفعى لفقري، لكنها كانت شحابة رسغها  
ولسانة سوط راسفر، ورغم أن رأسها مثيب، خفقت ببقية جسمها رافعة إياه  
ثم أبوينه وبدأت تلفه عى ساقها، لو كانت امرأة أفس وعياً وحساسة مكانها  
لربما حاولت لفر من ذلك العناق الكريه، وبو فعلت مولاني ذلك لماتت، ذلك  
أن ندعة الموت ستتلو سحطة تحرُّ رأس لصل مباشرة

بدلاً من ذلك، أبقت كلتا قدميها معروستين بحرم على الثمان المستوي،  
وفردت ذرعها بتقوير، ثم صرحت «ساعدني يا قايتا»

كنتُ هي منتصف طريق صر الغرفة بالفعل، ففحصت بطولي كله  
وأفحمت يدي في لفائف جسد الثعبان المتلاطمة حول ساقها رحت أنلمس  
ظوبه المتعرج حتى وصلت إلى حيث يصوب قبل العنق، وقبضت عليه مُحكمًا  
قبضتي بأصابع حثشكة.

صرحت: «قبضت عليه» (وكاد رعبني واشمئزازي من هذا الكثر البارد  
المحرشف الذي يعاني في قبضتي يشوشني) قبضت عليه ابتعدني عنّا قفي  
بعيناه.

فهرت مولاني إلى الحلف مطعمة إياي، وبهضت وأقفاً متشبهاً بالكائر بقوة  
مسعورة، محاولاً إبقاء فكيه الفاعرين بعيدين عن وجهي. ررف بدله للحلف  
وجرح محيط كتفي وهي، وبينما أشبث برأسه هدد بخاقي، وبقبضته هذه  
صار له بقود عني، وكانت قوته مرعية. وجدت نفسي عاصراً عن بشيته، رغم  
أن كلتا يسي محكمه أشد عى حلقه، وأخذ يحرق رأسه بالقوة تدريحيًا، شأنًا  
إياه بعناد من بين أصابعي وأدرك أنه سينقض عى وجهي المكشوب نور  
تحرره من قبضتي.

صرحت: «لا يمكنني تثبيته»، لنفسي أكثر منه لسندي لوستريس وكنتُ  
حاملًا إياه على طول ذراعي، بينما ينص موجات لقوة وبه أخذ يشد بهسه  
باحية وجهي والاقتراب أكثر من عيني في كل لحظة. وينقص ويضيق لهاته  
حول حلقني دافعاً رأسه لينسل من بين أصابعي

ورغم انبساط برأجي من شدة قبضي عليه، اقترب الصمد من وجهي حتى إنني رأيت الناس يرتعشون في سقف فكة المفتوح عن حره، فاصل قابر على ربيع نسيه أو تصبحهما كما يشاء، ودياه برنس عظميتان بيضاوان، تتفجر من رأسيهما سحب سُم بهتة كنت أعرف أن قطرة واحدة من ذلك السم لو دحلت عيني فستعميتني، وقد يدفعني ألمها لحارو إلى حافة لصون.

لويتُ عنق الأفعى بعيداً عن وجهي حتى تمرغ رشاش سُمها في الجوف، وصرحت ثانية في يأس: «ناد أحد العبيد بمساعدتي!»

وتكلم مولاتي قريبة من خلعي، عسى الطاولة تثب رأسه على الطاولة، وفَرَعْتُ، فقد ظننت أنها أبدعت أمري وركضت تستجدي لعون، لكنها كانت حواري ورأيت أنها لا تزال تهرب بسكين الطاولة العسيرة.

ترنحتُ وسقطت على ركبتي جوار الطاولة المنخفضة وأب أحسن الأفعى معي، وبجهد جهيد، تدبرُ إزول رأسها ووضعها على حافة الطاولة وثبتيته ضالك، فصارت روح فرم لمولاتي نعل سكينها عنه، وصرخت قاعدة عنق لصن، وراء رأسه القبيح.

شعرت الأفعى بالجرح الأول وصاعمت كفاحها، فأرسلت لغة حلف لغة من اللحم المطاطي تتقبض حول رأسي، وراح دفق هواء مساسة كادت تصمما تتطاير من ثغريها، ليخرج الصعب الشنيع برشات السم المندفقة من نابيها

كان النصل الصغير حاداً، واشتق اللحم المجروش من تحته، فابجس لدم الثعابين الرلي القاتر من فوق أصابعي، لكن لنصل وصل إلى العظام وعمود الفقري ورحلت مولاتي بشر العظام بكمن قوتها، وقد عصن الجهد وجهها، رشح دم لصن أصابعي وشعرت برأسه يزلق من بينيها، ثم تحرر الثعبان، لكن في الوقت نفسه، عثرت السكين على المفصل بين الفقرات واتسنت عبرها قاذفة لعمود الفقري

انقطع رأس النصل إثر سكرات موته وارتخي حتى صار يتدلى ممقاً محيط من الجلد، ورغم أنه مفصول تقريباً عن جسده، ظل نابه يرتعشان ويقتصران سُمًا وأرق لمسة تكفي لإدخاله جلدي وحت أشد جسده بأصابع مسمورة دامية وندرت أعبراً لكه من حول خلقي، ثم رميته على الأرض.

وسمعا مراحع كلاما إلى الباب تأسعت الإثني بطونها الشعة، مراحت  
تدغدغ وتكثف في تعاريج كروية حرسه تنزلق إحداها فوق الأخرى،  
سألت، عاجزا عن دفع بصري عن «مكرات موت الجثة»: «هل تأديت يا  
سيدتي؟ أدخل شيء من السم في عيبك أو على جسدك؟»  
فهمست: «أنا بخير، وأنت يا تايثا؟»

حوّثني بقعة صوبها بما يكفي لأنسى كربى، ونظرت إلى وجهها كان رد  
فعلها على الخطر قد استبد بها وبدأت بالارتعاف، وكانت صباها لحصر وس  
الداكنتين أكبر من أن تتدرب مع ذلك الوجه الأبيض الرجائي، واضطرت  
إلى إسعاد طريقة لأحررها من قبضة الصدمة الحليدية  
وولت بحفاة: «حسد، هذا سندر أمر عشاء ابعد كم أحب قطعة شوية من  
الصل المشوى».

لحظة، نظرت إلى بدهشه، ثم أطلقت ضحكة هستيرية موبنة وبعضها  
بعضا بعض بيأس فضحك حتى اسكبت الدموع على خنودنا.



ما كنت لأتصور طباخا عليه، لذا حضرت اصل نفسي سلخته وأخرجت  
أحشاء وحشوته بالنوم وأعشاب أخرى، وحفنة من دهن الحصن من إلية كشر  
صعير، ثم لفته في كرة أحطتها بأوراق الصوز وعصيت الحرمة كلها بمعاء  
سميك من الطين الرطب، وأشعث نارا حامية فوق قطعة الطين، كنت قد  
أبقيتها متأججة طيبة النهار.

شقت في ذلك المساء كرة ابيض المشوية وملأ عير اللحم الأبيض  
الحصن بميا باللعب. ثمة أشخاص أكلوا من عائدتي يقولون إنهم لم يذوقوا  
طعاما ألذ من الذي أحضره قط ومن أب لأناقض أصدقائي؟

قدمت الشرائح القشرية لمولاتي مع مبيذ بحودة خمس فخلات عثر عليه  
أثون صنفه في مخازن العرعور، أصرت مولاتي أن أحسن معها في انشاء  
تحت انطلة وأشاركها الطعام، وانفقنا على أنه حير من ديل التصاح، أو حتى  
من لحم أجود سمكه سرخ في النبل.

ولم نتناول مسألة هويه مرسل هدية سلة افاكهة إنني إلا بعد أن أكلنا حتى  
شبعنا وأرسلنا بقية الطعام إلى إمائنا.

حاولت أن لا أخوف مولاتي، وحوّلت الأمر إلى مرحلة. «لا بد أنه شخص لا يحب عنائي»، لكنها لم تتشكك بسهولة.

لا تؤدي دور المهرج معي يا قايّتا، فهذا اتحاد موهبتك فيه شحيحة. أظنك تعلم هويته وأظن أنني أعلم كدبك.

صدقني إليها غير وثق من كيبعية التعامل مع ما أظنه موشك، لطالما حميتها، حتى من الحقيقة. وتساءلت ما عمق رؤيتها للحقيقة ما بداخلي. قات بحسمة لم تترك ردًا أو إنكارًا يمكنني تقديمه لها. «لقد كان أبي أحك لي عنه ما قايّتا أحسبني بكل ما ينبغي لي معرفته عنه لكنك لم تجرؤ على إخباري به من قبل».

شق الأمر عليّ في البداية إن بن عمر من التكتّم لا يمكن التغلب عليه في لحظة، ولا يراى إدراك أنني لم أجد تحت مير السيد إتقف بالكامل أمرًا صعبًا. كانت هيمنته عليّ جسديًا وروحيًا منذ طفولتي عميقة عمق كرهى الدائم له، وهي تدخلني صنف مُلج من هؤلاء الضالّ صغّب عليّ أن أذمّه طناً بحرية حاولت محاولة وإميه بتصليلها بإخبارها لسطوط العريضة فقط لمشاطات أيتها العريّة، لكنها قاطعتني باستياء.

بريك لا تستعيني أعرف عن أبي أكثر مما حلمت به قطّ، وقد أن بي أن أعرف بقيته أمرك أمر، مباشرة، أحسبني بكل شيء.

قاصصها، وكان ما في حجري كثيرًا حتى إن النذر مع منتصف السماء قبل أن أنتهي، وجلسنا في صمت وقتًا طويلًا بعد ذلك لم أموت شيئًا ولم أحاول إنكار دوري في أي جزء منه أو تبريره.

هست أخيرًا: «لا عيب في أنه يريد موبك، فما يعرفه يكفي لتدميره. (صمتت مدة إضافية، ثم تابعت) بن أبي وحش، فكيف يمكن أن أختلف عنه أي اختلاف؟ لم، وأنا ابنته، لا تتسكني غرائر شاذة مثله أيضًا؟».

- عينا أن بشكر جميع الآلهة على ذلك. لكن يا مولاتي، ألا تحظريني أيضًا لما فعلته؟

صدّدت يدها ولصت يدي «لقد نسيْتُ أنني عرفتك طيلة حياتي، منذ يوم توحيّت أمي وهي قلبي. أعرف حقيقةك وأعرف أن كل ما فعلته فعلته مُجبرًا، وأسأمت عليه من طلب حاضره».

ثم نهضت و فعة و راحت تمشي مشياً خلف حوبة بركة الزمبق قبل أن ترجع إلى حيث أجلس.

- إن قاتوس في حصر مروّع مصدره أبي، ولم أسرك حجمه حتى هذا المساء. يجب أن يحذر حتى يتمكن من حماية نفسه. عليك الذهاب إليه الآن يا قايق، من دون أن تتأخر يوماً آخر.

فهممتُ أقول: «مولاتي...» لكنها قاطعتني بغطاطه

- لا يا تايكا لن أنصت لأي عذر آخر من أعدائك المراءوغ. ستعادر إلى الكرنك في الغد



لذا قبل إشراقه شمس الصباح التالي، خرجتُ إلى صيد السمك، وحيثما في الزورق لكسي حرصتُ أن ترمي درسة من العبد، الحراس على الأقل أعانوا الجزيرة.

في منزل البحيرة، فتحت كيف جدياً كنتُ خبات فيه قطعاً صابقتني. كان حيواناً محوّر ثقبه الجرب وكلتا أذنيه متقرحة تقرّخاً أليفاً. وقد أمصبتُ بعض الوقت ألوي نفسي لأرسله من شقائه. أطمعته قطعة من اللحم السبي دمستُ فيها خلاصة الباتورة، ثم حملته في حجري أمسده بينما يأكل، وخرحري راضياً وحسماً أفضل بلا ألم إلى عالم السنين، ذبحته.

رأشتُ الدم على الزورق، وألقيت جثة القط حيث أعرف أن النمامسيح سيخلص منها سريعاً، ثم دمعتُ الزورق إلى السار البطيء ناركاً حراسي وحبالي وبقية عدتي على متنه، ورحلت أحوض بين أحوض ابوسى إلى اليابسة.

كما قد اتفقنا أن تنتظر مولاتي هبوط الليل حتى تدق ناقوس الخطر، فلا يعثرون على الزورق الملتصق بالدم حتى ظهر الغد، ثم يستنتجون أن تمسأخاً أكلمي أو أن عصبة من الصردان متلثني.

حالما صرّبتُ على الشاطئ، هيرتُ ملايسي بعجالة وبسبب زياً جديته معي. اخترتُ أن أنحل شخصية كاص من كهنة أوزيريس، فكثيراً ما كنتُ أفقد مشيتهم المتكلفة وسلوكهم المفرور لمولاتي، ولم تتطلب عملية التحول إلا دروكة ولحسة مكياج والري الصحيح ولأن الكهنة هي تنقل دائم يصعدون

النهر ويهبطونه، ومسافرون من بعد إلى آخر مسؤولون الصدمات، أو بالأحرى يطالبون به، على امتداد طريقهم، فلن أستثير إلا قليل لاهتمام، وربما يساعد تنكُّري على ردع عتداء من لصردان، ذلك أنهم، ولإيمانهم بالأساطير، في العالب ما يعزفون عن التصادم برجال الدين.

نُرت حول لبحيرة ودخلت بلدة إلفنتين اعربيه من الحي الفقير، وعند أحوض السفن، اقتربتُ من قنطان عبّارة بحمّل شحنة من النرّة في أكياس حديدية وحرار رمت بحاريه، وما بعد المناسب من العطرسية، طابقت بعبور مجاني إلى الكرك باسم الإله، فهُرّ كتفيه وبصق على سطح العبّارة، لكنه سمح لي بالركوب، فالجميع مدعن لانسزارات لأحوية. قد يرسون الكهنة، لكنهم يحافون بعورهم أيضًا، الروحي منه والدنيوي، ويقول لبعض إن الكهانة تتمتع بسطوة تكاد تخصّصي سطوة الفرعون نفسه

كان القمر بدرًا وقنطان لعبّارة ملّاح أشد بأسًا من الأميرال نميت، فلم يرس في الفلّات، وبوحد السيم وفيضان النيل الكامن من خلفه، عدونا عبورًا معتازًا ولمفقا في اليوم الخامس حنية النهر بدرى الكركنت جاثمة أمامنا اضطرب معدني عندما نزلت إلى الشاطئ، فهذه بلدتي، وكل منسوّ ومتشوّ فيها يعرفني خير المعرفة وإن تعرف عليّ أحد، فسيسمع لسد إنتف بذلك قبل أن أسع بوابات المدينة. لكن تنكُّري أجدي، وببما أسرع بطريقة عارمة وكهنوتية إلى منزل تافوس قرب قاعدة لسرب لرمّت لأرقّة الخلفية

وحدث منه الأمامي مضوئًا، ودخلتُ كالم لي الحق بذلك، وأغلقتُه بإحكام من حفي كانت الحرف قليلة الأثاث قعرًا، وعندما منشئها، لم أجد شيئًا من شأنه مسحي إشارة إلى مكانه بدا واضحًا أن تافوس قد عذر منذ وقت صويل، ربما منذ غادرت ومولاي الكركك، فقد حثّر الحليب في الإبريق حواري النائدة وجف كالجين الصلب، وغطى الحف الأريق كسرة من حيز الدرة تُرك على صحن بحواره.

بحسب ما أمكنتي رؤيته، فلا شيء، بقص، وحتى القوس لانات لا تزال معفة على حمّالته فوق سريريه، أمر استندني أن يتركها تافوس، مطالما كانت أشبه بامتداد جسمه خبأتها هي خجيرة سرية تحب منامته، خجيرة كنت نبيتها له عندما انتقل إلى هنا المسكر ولرغبي بنفدي الجول في

المدينة في وصح البهار بقيت في بيت قانوس لبقية تلك الظهيرة وشملت  
معسي بتنظيف الخبار وانقاراة المتراكمة.

استلبت عدد هبوط الليل وذهبت إلى ضفة النهر، ورأيت من قوري أن  
أنفاس حورس راسية في مرساه، ومن لواضح أنها حاضت معارك منذ  
آخر مرة رأيته فيها، وكانت أضراس حرب، ذلك أن حوحوها مهشم، الألواح  
الحشبية في وسطها مخروقة ومفحمة

لاحظت بعض الشجر التملكي أن قانوس قد أجرى على يدها التعديلات  
التي صممها، ربما انقرض الصمغ المدف من حوحوها، قور سطح الماء  
بقليل، ومن رثائه حاله حمئت أنه بعد إعدامات عنيفة في صفوف أساطيل  
المدعي الأحمر.

غير أني لم أر قانوس ولا كراتاس عسى متنها رأيت ضابطاً صغيراً  
تعرفته يتولى بوابة الحراسة، بكسي بذت فكرة بحثه، واسطقت سلا من تلك  
أجوب أكواح البحارة حول أحواض السفن.

لأت حقيقة أني استقبلت في الحانات الرخيصة والمواخير كأنني أحد  
روادها على أحلايت كهنة أوزيريس وطهارتهم أيما دلالة وفي إحدى  
الحانات الأربع قدر، بعرفت قوام كراتاس البديع كان يشرب ويعب بالرد  
مع مجموعة من إخوته الضباط، فلم أقرب منه، بل رحت أرافه صر المعرفة  
المكتظة، وفي هذه الأثناء، صدمت زحف سلسلة من طيور امتحه من كلا  
المسير الدين كانوا ينفصون تسعيراتهم بالترويج سعياً إلى غرائي  
لخروج إلى الرقاق لمتهم واحتبا مفتهم المعروضة بمهارة ولم يردع  
ياقتي الكهوتية ذات الحزبات للرجاجية الزرقاء أياً منهم البيت.

عندما ودع كراتاس رفقه وداع جازاً أحيراً وشق طريقه إلى الرقاق،  
تبعته فامته الصوبلة بأرجاج.

زحجر في سرراء عندما أسرع إلى حوارته «ما الذي تريده مني الآن  
يا محبوب الآلهة؟ أمو رجبى أم شيء مشتبهى آخر؟» فقد أحد الكثير من  
الكهنة بصرعة الشؤود المعاصرة هذه

قلت له «سأخذ الذهب، قلتيك منه أكثر من لأخر يا كراتاس»، فجمد  
في مكانه وراح يحدق لي بريبة، ولم تكن ملامحه استجابة الوسيمة محمرة  
ومرتبكة إلا قليلاً بعض الحمر.

صاح. وكيف تعرف اسمي؟»، وقبض على كتفي حارًا إيدي إلى مدخل بيت  
 مُصاء، وراح يفحص وجهي. ثم تنشأ أخيرًا الباروكة عن رأسي هادرًا: «بحق  
 الواسير بين إيتي بيت! هذا أنت يا قاييتا!». فقلد له. وسأكون ممثلًا رامتعب عن لصراخ باسمي أمام العالم كله،  
 وسحب إلى السحرة من نوره.

تعال سدهب إلى مسكني

وحالما صرنا وحدا صب كوبين من الحبة، فسألته: «ألم تمل كهاتك  
 منها؟».

ابتسم لي ابتسامة عريضة، وقال: «لن يعرف الإجابة إلا هي انصاح ليس  
 الآن يا قاييتا! لا معاملتي بحرم أكثر مما يحب إننا نمر على أسطون العاصي  
 الأحمر مد ثلاثة أسابيع لكن بحق حابي العذبة، إن قرن الجؤجؤ ادي  
 صمغته يفعل العجائب لقد مررتنا مشربين قادسًا من قوابسه تقريث ونصعبا  
 رؤوس بضع مئات من أوعاده ورعم أنه عمل يُلهب لعصش، لم تعبر شعتي  
 فطرة من أي شيء أقوى من الماء في كل بك الوقت فلا نسنكتر علي جرعة  
 جعة الآن، واشرب معي!».

رفع كوبه بعد ذلك وكبث عطشانًا أيضًا فحينه بدوري، لكن حالما  
 وصعت كوبي، سألته، «أبن قاموس؟»

فصحا فورًا، وقال: «لقد اختفى قاموس»، ورحب أحرق إليه

- حنفي؟ مانا نعني بأنه اختفى؟ ألم يقد الفارة عبر النهر؟

هز كراتاس رأسه

- لا لقد ذهب تلاشي أمرت رحالي بطواف كل شارع وكل منزل في  
 طيبة، ولم نعثر علي ما يدل عليه. وأمول لك يا مأيما إنني وبق، قلق  
 بحق

- متى رأيته آخر مرة؟

- بعد العرس الملكي ببومين، بعد أن تزوجت السيدة لوهستريس من  
 الملك، في عشية اليوم الذي سحرت منه مع الأسطبل الملكي إلى  
 الهنتين. حاولت إبحار بعض الصواب إلى رأسه السميك، لكنه لم  
 يبعث



- ماذا قال؟

- سمعتي قيادة أنفاس حورس والسرب بأكمله.

« لا يمكنه فعل ذلك بكل تأكيد، صحيح؟ »

- بلى، يمكنه. لقد استخدم سلطه حتم الباز الذي منحه إياه الفرعون.

أومأت برأسها.

- ثم ماذا؟ ماذا فعل؟

لقد أخبرتك للتو، احتفى.

بينما أحس التفكير بالأمر « ارتشفت من كوب البيرة، وهي هذه الأثناء، ذهب كراتاس إلى النامية وبال غيرها، فترشط بوله بصحب في الشارع وسمعت عذرا يصيح به: «نقبة أين ترمش أيها الحذير انظر»

اتحنى كراتاس من الدفدة وعرض عليه بمرح أن يصدع له جمجمته، فاضمضت تلميحات ارجل بسرعة، ثم عاد يقهقه حراء هذا الانصهر الصغير، وسألته: «كيف كان مرح نانوس عندما تركك؟»

عاد حاد ثانية «أنتم مراج شهدته في حياتي وأبشعها، سب الألهة والمرعون. حتى إنه سب العبيدة لوستريس وبعثها بالمومس الملكية،

جعلت عند سماع ذلك، مع أنني عرفت أن هذا لدي يتكلم بس قاموس الذي أعرفه، إنما صوت الحب اليأس لمستحيل.

- قال إن بربكان لفرعون تنعبد تهديده بشقه بنهمة إثارة الفتن وإياه سيرحب بهذا لامعتاق كان في ضائقة مريعة ولم يكن ثمة شيء يمكنني فعله أو قوله لأعريه

- أمذا كل شيء؟ لم يلح لي، بما يتوهم؟

هر كراتاس رأسه وأعاد ملء كوبه

فسألته: «وما مصير ختم الباز؟»

- تركه معي. قال إنه لن يحتاج إليه، وهو بأمان على متن أنفاس حورس

- وماذا عن بقية الترتيبات التي ناقشتها معك؟ هل فعلت ما طلبته منك؟

نظر إلى كأسه والدب ملء وجهه وتمتم «بدأت بإجراء الترتيبات، لكن مع رحيل تانوس، بدا أن لا حدودي منها إضافة إلى أنني اشغلت أسفل لهر مدناك الحين».

هذا ليس من شيمك يا كراتاس أن تكون غير جدير بالثقة إلى هذه الدرجة (كنتُ وحدتُ أر الحبلان الجارح أنجع من الغصب في التعامل مع كراتاس) كتب سبدي بوستريس معتمدة عليك قالت لي إنها تنق بك أتم ثق، إن كراتاس مثار عظيم للقوة هذا ما قاله بالحرف.

وأمكنني رؤية ذلك بنجح ثانية، فكراتاس أحد معلمي مولاي العبورين أيضًا، وحتى تلميحة باستبائها كفيله بالتأثير فيه.

- اللعة عليك يا تيدي، نجسني أيذو أحقق ضعيف الإجابة... (ظلمتُ صامتًا، لكن يمكن للصم أن يكون أكثر إزعاجًا من الكلمات) ما الذي تريد السيدة بوستريس مني فعله بحق حورس؟

قالت له: «لا شيء أكثر مما طلبتُ منك فعنه قبل أن أغار إلى الفنتين»، بسط الطاولة بكوبه.

أنا حندي، لا يمكنني برك واحشائي وأخذ نصف اسرب في مغامرة مخبولة ما كان الأمر محققًا عندما كان حتم ليار بيد تانوس.

فقلت له بليين فإنه بيديك الآن.

فحدق إليّ: «لا يمكنني استئجاره من دون تانوس»

أنت ملازمه، وتانوس أمضك حتم الدار لستخدمه، ويعرف ما يحب عليك فعله به، فاعطه. سأعثر على تانوس وأعيده، لكن عليك أن تكون جاهر بحلول ذلك الوقت. ثمة شغل فطيم وبموي أممنا، وتانوس في حاجة إليك لا تخذله مرة ثانية

فاحمر وجهه غصبا إزاء لتغيير ووعدني: «سأحملك تقو لاجع عن كلماتك

هذه»

- وهذه أقهر مائدة يمكنك بحصيرها لي.

أحب الرجال الشجعان لشراء بيسهل جدًا ابتلاع بهم.



لم أكن على يقين من طريقة إيفائي بوعدني باستور على فدوس، لكنني تركتُ كراتاس ليبدد انعماسه في المهدات بالثوم وخرجتُ إلى لقرية ثانية لأجرب. ثوب مرة أخرى على جميع نواديه وسأله كل من يُحتمل أنه قد رآه كنتُ مبرك الحقيقة المرة بالمعرفة انني أحوصها بمداغة بحرابي حول

تأنوس، أو لرداءة تنكُري إنا ما قابلت شخصاً يعرفني جيداً، لكن عليّ إيجابه طلبت على حالي طيلة الليل، حتى طردت الحاديات الربيثة وأموأخبر على امتداد اشطلى آخر رباتها السكارى وأطلقأت مصاسحها

عندما برغ الفجر فوق النهر، وقشت مُتعباً مغطور القلب على صفة اسيل، وحاولتُ لتفكير في أكر ثمة احيال قد أغفلته، ثم جعلني صوتُ صُباح أرفع نظري إلى أعلى، فرأيتُ قوسي سرباً هائماً من الإوز المصري بدت حدوده واضحة أمام التدرجات الذهبية الباهتة والبحاسية للسماء الشرقية، وأحييت في ذاكرتي من فورها تلك الأيام السعيدة انني قصاها ثلاثند، تأنوس وسيدتي لوسقريس وأنا، في صيد لطيور البرية في المستنقعات.

فشتنتُ نفسي وأيها لأحمق هذا هو لجواب بالطبع

بحلول هذا الوقت، كانت حارات اسوق قد عجت بحشد صاحب هذاهج، فطبيعة أكثر المدن لزدهجاً في العالم، وليس فيها رجل عاطل ينحوس الرجاج ويصيفون الذهب والفضة، يسجور الكتار ويشكّلون القدور التاجر يتجر ويساوم، واسماعي ينافو والكاهن يرّم والسي سخي إنها مدسة شائخة وصارحة ويسي أحبا

بيما يعرض البحار والمرارعون بصاعدهم أمام ربات اسبوت وحُباب الأسر الثرية شققت طريقي عبر الارحام وجمعحة المُراح والمساومة، وماحت من السوق رائحة كريهة باعثة على الغثيان من التوبل والفاكهه والذصار وبحوم الأسماك وبعضها يبتعد كثيراً عن الطزاجة. وحارت اساشبة وثغب المعرة وأضاف أزيابها إلى ما أسهم به البشر من عاطف يدلّف عبر المجاري المفتوحة إلى اسيل، الأم، المعجور

فكرتُ في شراء حمر، فأمامي مشية طويلة في آخر فصول العام، ورأيتُ عروضاً على بعض البهائم المقيمة، لكنني امتنعتُ في آخر الأمر عن هذا الإصراف، وبعد لأسباب قنصادة وحسب، بل لمعرفةني أنني حالماً أصبر في الرف المفضوح سيحسب حيران ثمين كهذا أسده انصردان من دون أنني شكه. وقد يتجاوزون هواجسهم الدينية لأجل هذه الغنيمة فاشتريت بدلاً من ذلك بضع حبات من التمر ورعيف حيز، وكيساً جلدياً لأحمل هذه المؤونة وقثينة ماء قرعثة ثم انطلقت عبر الشوارع الضيقة إلى البوابة الرئيسة لمدينة.

لم أكن قد بلغت البوابات عندما اندلعت فوضى في الشارع أمامي وحاءت جماعة من حرس القصر ناحيتي، مستخدمة هراوتها لفتح صريق بين حشود

السوق، ومن خفيها، حملت نصف برصة من العبد موبخاً باهرجاً ذا ستائر  
في سير وثيد، كتب محاصراً بالحذر المطبوعة بالطين لأحد الأنبياء ورغم  
أننى تعرفت اليهودج وقائد الحرس، فلم أتمكن من تفدي المواجهة

استولى الذعر عليّ، ربما أسجو من تفحص عابر من راسفر، لكنني واثق  
بأن سيدي إنقف سيعرفني مباشرة رغم تنكري. نظرت بحائبي فرأيت أمة  
عجوراً لها بهدان يشبهان جرتي ريت ريتون صخعتين وظهر كهرس الدهر  
فرحت أتلوي حبيب حتى حباتي حسمتها، ثم أمرت باروكي على عيني  
وأخذت أشرق النضر من خلفها

وعلى الرغم من محارفي، شعرت بوحرة انفجار مهني لأن راسفر عاد  
واقفاً على قدميه بعد جراحتي بفترة قصيرة. كان يقود قوة لحرس باتجاه  
مصري، لكنني لم أنتبه إلا عندما حاداني إلى أن أحد جانبي وجهه قد انهار،  
فبدأ كنما ضج تمثال شمعي لعلامحه الكريهة ثم وُضع قريباً من لهب  
مكشوف في الغالب ما تكون هذه الحالة نتيجة حتى لأمر عمليات بق  
الرأس. أما المصف الآخر من وجهه فاكنتى بتجهمه المعهود، إن كان راسفر  
شديداً من قبل، فينفي له الآن أن يحمل الأطفال على انكاء ولكبار على رسم  
الإشارة الواهية من العين الشريرة عندما ينظرون إليه

مراً قريباً من حيث أقف وتبعه اليهودج، وامحت عبر شئ بين الستائر  
اموشاة السيد إنقف يتمدد بأداه على وسائل من لحيرير النقي المستورد من  
الشرق، والتي لا بد أن كلاً منها كلفت خمسة حوام ذهنية على الأقل.

كانت وحناءه صلوقتين حديثاً وشعره مسرّحاً في حيقاب منرُسمة.  
وفوق تسريحته، حُمل قمع من شمع اسحل المُعطر ليدوب في الحر ويعطر  
على فروة رأسه برولاً إلى عنقه فيبرد بشرته وينعشها واستوت يده، أصابعها  
مصلبة لكثرة العواقم المرصعة، بتراج على عهد نبي داعمه لعلام صغير  
جميل لا بد أنه إضافة حديثة بمجموعته، ذلك أبني لم أتعرفه

باعتدي قوة كرميني عندما نظرت إلى سيدي العظيم، وعاد ما عانيت من  
جرح وإدلالات لا تُحصى على يديه مُسرّعاً ليلوعي، وثفاقت شدتها بعد  
شاعته لأحدث، فيرساله الصل إليّ عرض حياة مولاتي للحطر وإن كن  
بإمكاني مسامحته على كل شيء آخر، عن أسامعه على هذا أبداً.

بدأ بإدارة وجهه نحسي، لكن قبل أن يلاقى أعسناء، عطشت حلق امرأة  
الحبل الواقعة أمامي. حمل اليهودج بعيداً في الزقاق الصيق، وبينما أهدق إليه،  
وحدث نفسي أرتعش مثلما ارتعشت بعد صراعي مع اصل تماثا  
همست «يا حوروس الإلهي، اسمع دعواي هذه، ولا تعطيني استراحة حتى  
يصوت ويرحل إلى مولاه يست»، وشممت طريقي قدماً إلى بوابة المدينة



كان الفيضان في أوجه، والأراضي على امتداد النهر في عناق خصب مع  
البليل ومثلما تفعل في كل موسم منذ بدأ الزمان، أحدث تصعب على حقولنا  
طبعة عنية أخرى من لطمي معدوم ترحم إلى انحصارها، تسطح هذه  
المعصب البراقة من جديد بتدرج الأخضر لخاص بمصر هذه، ويُنْبَب  
الطمي الحبي وأشعة اشمس ثلاثة محاصل نُحصَد قبل أن يهمر الليل على  
ضعف ثابته ليسلم مكافأته.

سُجِيت حدود الحقول المغمورة بجدران سدّية تتحكم بالفيضان وتؤدي  
دور طرق سير كذلك، ثبتت أحد هذه لهماشي باتجاه الشرق حتى بلغت  
الأرض الصعرية على امتداد لتلال السفينة، ثم انعطفت جنوباً وصرت في  
أناء مشبي، أتوقف بين حين وآخر لأقلب صحرة إلى جانب الطريق، حتى  
وحدث ما أحدث عنه ثم تابعت بعزم أشد.

واضبت على النظر بعين الحذر إلى الأرض الموعدة الخربة، ذلك أنها بيئة  
توهج مكتمل ممتازاً بمصابة من الصردان، وكنت أعبر أحد الشعب الممتدة  
على لمر وقتف ثوديت من مسافة قريبة. «أع لي يا حبيب الابهة»  
كانت أعصابي مشدودة حتى، نسي أطلقت صرخة مدعورة ووثت في  
الحوقل أن ننسى لي منع نفسي.

ثم رأيتُ فسى راعياً يجلس على حافة الشعب فوقني بمأماً.

بم برد عمره على عشر سنوات لكنه بدأ بعمر الحظنة الأولى لرحل. كنت  
أعرف أن الصردان يستخدمون هؤلاء الأطفال كشافعين وحُرَس، وظهر على  
هذا العفريت الصغير القذر أنه مثالي لهد الدور كان شعره مليئاً بالوساخة،  
ولأنك حلد معزى ربيء الدبابة حتى، نسي شممته من حيث أنف، وعيناه  
براقتيين وشهنتين كهربي عراب يمر بهما عني مثمناً لباسي وأملعتي

سألني «إلى أين تنحى وما شاك أمها الأب الصب؟»، وفتح بشفة طويلة  
مفردة هي مرمارة العصبي يمكن أن تكون إشارة لشخص ما يختبئ في مكان  
أعلى من جانب التلة.

حجبت إلى بضع لحظات أخرى ليستقر نبض قلبي العنيف، وكان صوتي  
مقتطع النفس بعض الشيء، عندما قلت له: «إنك قليل الحياء يا نني، فما شاك  
من أن وإلى أين أذهب؟».

متغير سلوكه معي من غيرة دأسي أتصور خوف أيها الكاهن اللطيف.  
لأما يحسم مُعبر على الإغماء نفسه، ليس في كنسك الكبير ذاك كسرة خبر  
لي؟».

بدو لي أن تعبيتك جيدة. (وأعرضت عنه، لكنه هبط الجرف وراح  
بترافض بجوارري ويلجُ علي).

- دعني أرى ما في كيسك أيها الأب الفاضل أنوس إليك الصدقة يا سيدي  
الحليم

حسنٌ جدٌ، أيها البلصجي الصغير

أخرجتُ من الكيس الذي جلبته ثمرةً ناصجة، فقد يده ليتناولها، لكن  
قبل أن تمسها أصابعه، ضممت يدي، وعندما فتحها ذبابة كانت التمرة قد  
استحالت عقرياً أرحوانياً ثم رفعت الحشرة السامة ديلها مهددة قووس رأسها،  
فصرخ للصبي وهز عاتداً إلى الحرف.

توقف في الأعلى مده تكفي أن يعوي عيٌّ «أنت لست كاهناً، بر أحد جان  
ابصحراء» إنك شيطان، لا إنسان»، ورسم الإشارة اوقوفه من العين لشريعة  
بجنون ويصق على الأرض ثم هرع صاعداً التلة.

كتبُ ف قبضت على لعربي تحب صحرة معضجة في طريقي منذ بعض  
لوقت، وبالطبع وزعت لإبرة من طرف ذيله قبل أن ألقه في كيسي تحهراً  
لاحتمالية كهذه. كان العدد المحور الذي علمني قراءة اشفاه قد أراعي بصح  
حيل أخرى، وإحداها الشحنة<sup>(1)</sup>.

توقفت عند كتف لثة التالية لأنظر خلفي، مرأيتُ الفتى لراعي على الممة  
اسمايه من هوتي، لكنه لم يكن وحيداً، بل معه رجلان وقفوا في جماعة

(1) الشحنة: يظهر خبر الواقع واقعاً متحركة السرعة، وهي ميزو البحر، ويُعبر عنها في عربيا  
بالعاب صفة، (المبرجيم)

ينظرون إليّ، وكان الصبي يومي إيماءً عفيفاً، وحالماً رأوا أنني انتهيت إليهم،  
احتفى لثلاثة في خط الأفق، وشككت أنهم سيرعبون في تعامل آخر مع  
كاهن عفريت.

لم أكن قد تقدمت كثيراً عندما ريت حركة على الطريق أمامي، توقفت في  
مكاني وظللت عبي من شمس الزوال المرغلة، وأرحبي أن يفتت جماعة  
صغيرة تبدو نظيفة قادمة باتجاهي تحركت قدماً بحذر لآلاقيها، وعندما  
اقترب بعضها من بعض، وثب قلبي في صدري لضبي أنني تعرفت قانوس  
بينهم كان يسوق حملاً صغيراً مقدافاً محملاً بأعاء ثقيلة، وفوق لحرمة  
الضحمة على ظهره جلست امرأة وطلال، لكنه تابع حبه بشحاعة ورأت  
أن المرأة نفسها محملاً بأعاء ثقيلة إن انتفحت بصدورها الحامر أمامها، وأن  
الطمر المتزين خلفها يبت على شع البلوع

كنت موشكاً أن أبادي قانوس وأسرع للقائه، وقتما أركت أنني محطج  
وأن لرجل غريب ضللي قوامه الطويل الأكتف، وصريقة تحركه الرشيق،  
وكثة شعره الأشقر الذهبي المشرقة أحد يرقصي برصة وقد اسدل سدعه، ثم  
أبعد احمرار عن الطريق ووسط نفسه بيني وبين الحمل الثمين الذي يحمله.

مئت دور الكاهن الذي أنقمضه، «بركات الآهة عليك أيها الصديق الطيب»،  
فحز وأبقى من سيده موجهة إلى بطي. لا أحد يتق بغريب في مصر هذه،

قلت، «إنك تحاطر بحياة عائلتك على هذه الطريق يا صديقي كان ينبغي  
لن أن تطب حماية قامة نثمة مشلحون في القلال» كنت قلقاً عليه حقاً،  
وبدت المرأة لصيفة وحرقاً بينما أوشكت الطفلة أن تنكي إرء تحديري

فأمرني الرجل «مصر في طريقك أيها الكاهن واحتفظ بصيحتك لمن  
تقدرها».

وهمست المرأة، «إنك سيد عاض ولطيف بعد ان تحارب البقالة أسبوعاً في  
قيد، ولم يعد بوسعت الانتظار، أمني تعيش في الأقصر وستساعد في ولادة  
طفلي».

هزمت زوجها «صه يا امرأة! لا تريد أي تعامل مع عرباء، وإن كانوا  
يرتدون أبواب الكهانة»

فترددت، محاولاً التفكير في ما إن كان ثمة شيء يمكنني خدمتهم به  
كاست الست شت صغيراً حملاً بعين سحسبن داكسبن، وقد لمست قلبي

بكل معنى الكلمة لكن الزوج حث الحمار في تلك اللحظة بعبيرني وراقبتهم  
يرحلون بهرة كتفين عاجرة

قلت لنفسي «لا يمكنك لنأثم على بني الإنسان كلهم، ولا يمكنك فرص  
النصيحة على من يرفضها»، ومضيتُ شغلاً من دون النظر حسي ثانية.

بلغ الوقت آخر الظهيرة قبل أن أحصى نظري لى النتوء الصخري  
المفروز في المستنقع الأخضر، وحتى من هذا الموقع لمعير، كن مُحالاً  
معبر المرزاق ذلك أنه محقي في عمق أحواض البردي، وسقفه مصنوع  
من حدوده، ما جعل تمويهه مثابياً، ركضتُ هابطاً الطريق، أفض من صحرة  
إلى صحرة، حتى وصلت إلى حافة الماء، ففي هذا البعد عن المجري الرئيس  
ليس، لم يكن الفيضان ذا شأن

وجدت قارباً متاعاً مربوطاً بالرصيف، كان نصف معمور و صطُرت  
إلى اعتراف الماء منه قبل أن أسلمه إلى المياه ثم رحتُ أدوح بأعصا بحدر  
في القدة عبر أحواض البردي كان العرزال ينتصد على أرض يافسة في  
حَزْر السيل، لكن ثمة مياه لأن يكفي لإغراق رجل تحت السيقان الحشيدة التي  
يقف عليها.

رأيتُ هارباً هارباً في هيئة أحسن من قريبي مربوطاً إلى أحد سيقان  
العرزال، فأرسيب قاريبي بجواره، وتسلقتُ السلم المتقلقل لأسترق النظر  
داخل كوخ صيد الفسيم كان مثاقفاً من غرفة واحدة، وأشعة الشمس بدوق  
عبر النعوب في السقف القشبي، لكن لا بهم، إذ إن الأمطار لا تهطل في مصر  
العليا على الإطلاق.

لم نمرْ على الكوخ كركية كهذه منذ يوم اكتشافته وتأنوس' الملابس  
والأسلحة وقذور الطبخة ممتلئة في أرحائه مثل مخلقات ساحة معركة،  
وبتعبه الحمر أقوى من رائحة الطعام البائت والأجساد الوسحة.

كانت تلك الأجساد الوسحة راقدة على فرش القدر بعنه من ابوساخه  
في أركان القصي فعبيرُ الأرض المعروشة بانفضالات بحدر شهيد لأبحث عن  
أثار الحياة فيها، ولني تلك اللحمة، بقرت المرأة وانقلنت، كانت شدة حسدها  
العاري ممتلئ وهاتن شهدين ماضيين كبيرين وعطاء شعري مجتد ممتوج  
أسفل بطنها لكن وجهها، حث في هجوعه، صدم وعامّي. لم يساورني أي  
شك في أن تأنوس قد وحدها على الصفة.



بطالمة عرفته متتوقفاً، ولم يكن سيكيزاً قط. ويمن هذا الكاش وحرار الحمر  
العارعة المتراكمة على كل الحدران إلا دلالة على المصيص الذي أوصل إليه،  
رحب أنظر إليه وهو باثم، وبالكاد عرفته ذلك أن وجهه مَبْعَم ومتورم بفعل  
الشرب، ومكسو لحية شعناء بد، وأصحا أنه لم يحس منذ رأيته آخر مرة أمام  
أسوار الحريم.

أماقت المرأة هي تلك اللحضة، وثبتت عينيها عني، وهي حركة فصصية  
واحدة وثبتت عن المراش وميت يدها إلى اسبحر المعد المملو على البدار  
سوارى، مسترث السلاح بعيد، هل أن تصر إليه وهددتها بسنة العارية،  
ثم أمرتها بهدوء: «ارحلي» قبل أن أحشر في بطيك شيئاً حتى أثبت لم  
تشرى به من قبل».

لمست ملابسها وليستها بحالة، بينما تحدى إلى تحديقة سامة صيلة ذلك.  
ثم قالت حالما أنمت لمسها: «سم يدمع لي معد».

أنا و تو بأنك خدمت نفسك نفسك خدمة سحية. (وأومات لها بالحدجر  
بحية الباب).

- لقد وعدني بخمسة خواتم ذهبية (غُيِّرَ لهجتها، وبدأت تتنحب) وعمل  
جداً لديه في الأيام العشرين الأخيرة وربما أكثر. فعلت كل شيء من  
اجله، طبخت واعتبيت بمنزله، وخدمته ونظفت فيأه في ثالته، يجب  
أن ألقى أجري لئلا أرحل حتى تدفع لي

قصت على حصة من شعرها الأسود الطويل ودلنّها إلى الدب،  
وساعبتها، وما دلت أسوقها من شعرها، على ركوب القارب الأكثر تساعياً،  
وحالما دفعت نفسها بالعصا إلى حرج متداولي أطلقت علي من اسثنائم  
سيلاً أفرع المالك الحزين وطيور الماء في أحواض المصب من حوله.

عندما رجعت إلى حيث يرصد بانوس، لم يكن قد تحرك، انتحست جزار  
حصره، ووجدت معطمها حاوياً، لكن بيدها اثنتين أو ثلاثة لا تزال ملأى،  
تساءلت عن كيفية جمعه مخروباً بهذا الحجم من المصور، وخمئت أنه على  
الأرجح أرسل المرأة إلى الكرنك تتعثر على مراكيبي يشحنها إليه، كان عبده ما  
يكفي لإكمال فرقة حرس التمساح الأزرق بكمها لموسم كامل ولا عجب  
أنه في حال كهده

جلست بحور فراشه لمعصر الوقت، نارگًا إشفقي عليه بحري مصراه  
الطبيعي لقد حاول تدمير نفسه أهمهم ذلك، ولا احتقره بسببه، وحبه لمولاتي  
كبير حتى به لم يرغب بمتابعة العيش دونه.

بالطبع كنتُ عصبًا عليه أيضًا لظلمه نفسه بهذه الطريقة، وللاستسلام  
لحماقة والانغماس في المذات لكنني حتى في حالته المحزنة المخضلة  
بالمشروب هذه، ظللت قادرًا على إبعاد الكثير مع هو سبيل وحذاب فيه، وهي  
النهاية، لم يكن حامل الذنب الوحيد، فقد حاولت مولاتي شرب السم للسبب  
نفسه ابدى حاول لأجله تدمير نفسه وقد فهمتُ ذلك وبمحنتها، فكيف أعامل  
تافوس بأقل من ذلك؟ تنهدتُ حسرةً على هذين الشابين الذين كنا حُرَّ ماله  
قيمة حفيظة هي حياتي، ثم وقفتُ وبدأت العمل.

وقفتُ في السبابة فوق تافوس لمعصر الوقت، أعزَّ غصبي حتى سمعتُ  
أن أقسو عليه حقًا ثم أمسكته من كعبيه وجرفته على أرضية الكوخ أفاق  
نصف استفاقة من دموله وسبَّ سبًا ضعيف، لكنني لم أعز احتجاجاته أي  
استداه وقلبيته من الباب، سقط في المستنقع رأسًا وأثر رذاذًا هائلًا في غرقه  
سحته. سطرته حتى خرج يتخبط مترنحًا على سطح الماء، ولا يزال نصف  
صاح.

صعدتُ سواره، وأمسكتُ حفة مردوجة من شعره ورجعتُ رأسه سمت  
الماء ثانية، وكأني بصعب في البداية وهدرتُ على قنبيته في الأسفل بسهولة،  
ثم تولت غريزة بقائه الطبيعيه زمام القيادة وارتفع بكل قوته القديمة، فرفعتُ  
كُلِّي فوق سطح الماء وألقيت جانبًا مثل عُصيين في عاصفة

خرج تافوس بجأر في محاولته سحب انفس، ويضرب جرافًا خصمه غير  
امرئي، وكانت واحدة من هذه الضربات كفيلة بتدويج فرس نهر فتراجعت  
بمحالة ورجت أرقبه من بعد

سما سعلُ وسمتن ونملن به وشمره يقصر في عنقه ترنح إلى السم  
بدا واضحًا أنه ابتلع الكثير من الماء وامنص الكثير معه إلى رنتيه، وشعرتُ  
بوخزة خوف، ربما كن علاحي أشد مما يجب، كنتُ موشكًا أن أعينه ونتما  
فتح فمه على اتساعه وتنفجر منه مريج كرية من مياه المستنقع واسبيد  
الأسود وصعقتني كميته

ظل متعلقًا بالسلم، يهث ويغرغر ليتنقط أفساسه، فسبحتُ إلى جدي  
سيفر الكوخ وتنظرتُه حتى استغرق ثانية قبل أن أفور به وأصد كل

الاحتصار الذي تمكنت من حشده في صوتي. «ستشعر مولاتي لوستريس  
ببالغ الحزن إن رأتك الآن».

ونظر حوله بعينين مئاليتين ثم رُكِرَ عليّ أخيراً «البعنة عليك يا تايثا!  
أكنت أنت من حاول إعرافي؟ أيها الأحق، كان ممكناً أن أفتلك».

- في حالك الراهنة لا يمكنك برال ضررٍ، لا بحرة من الحديد يا لث من  
صنطِرٍ مؤسّرٍ مقرف (ثم تسقت السلم إلى الكوخ وتركته في الماء،  
يهز رأسه ويهيم به ربيس نفسه، وشرعتُ أربب القوصى والقدرة)  
مر بعض الوقت حتى تبعمي على العسم وجس مستحيًا في المدخل،  
شعاعته وباعثٌ عملي، حتى صطُر في آخر الأمر إلى كسر الصمت

كيف حالك يا صديقي القديم؟ لقد اشغعت إليت

- وقد اشتاق إليك آخرون أيضًا أولهم كراتاس السرب يخوض معارك  
أسفل البهر منذ مدة وكانوا ليستفيدون من سيف إصدي وسيدتي  
لوستريس كدك، إنها تتكلم عنك كل يوم وتحفظ عهد حبها نعيًا  
وصدق أنساعل ما سيكون رأيها في تلك السعي التي طردتها من  
سريرك؟

فأرُ وأمسك رأسه بيديه «أوه يا تايثا، لا تنطلي اسم مولاتك. إن تكبري  
بفعلها الذي لا يُحتمل».

فاقترحتُ بعصب: «افتح إلى حرة أخرى من السبد ومعرُغ في قنارتك  
ورثاء دنتك».

لقد عسرناها إلى الأبد، فما الذي تريد مني فعلة؟

- أريدك أن تتحلى بالإيمان والصبر، مثلما فعلت هي

فنظر إليّ نظرة تُرقق القلب «حك لي عنها يا تايثا كيف حالها؟ فما زالت  
تفكر بي؟».

فبصرتُ بأشمرار «يؤسفني أن أقول إن ما تفكر به سوك قليل، وإنها في  
استعداد دائم لليوم ندي تجتمعان فيه ثانية».

- لن يحدث هذا أبدًا لقد خسرتها مدى الحدة ولا أريد مناعة العيش

واقفته سريعا «هذا جيد! إذن لن أهدر المزيد من لوقت هدا، وسأحبر  
مولاتي إنك لم ترد سماع رسالتها» (ثم دفعته من طريقي وهبطت السلم  
ملقيا نفسي في القارب)

- انتظر يا ثايتا! رجع!

- لأجل ماذا؟ أنت تريد الموت، قامض في سبيل ذلك، وسأرس المحدثين  
لمحسروا الحثة لاحقا

فاسم انفسامة محرقة: «حسنا، إسبي أتحامق، لقد أربك المشروب عقلي،  
ارحم أرحوك، وأبلغني رسالة لوسقريس»

تسعتُ السدم عاندا بعد أن أظهرت تعودي وتبعني إلى لكوج لا يترج  
إلا غليلا

- تهرني مولاتي بأن أخبرك أن حبها لك لم يتأثر بشيء، مما فرض عليها،  
وابها لا تزال امرأتك وستبقى امرأتك دائما

فغمغم: «حق حورس، لقد أخجلتني»

- لا. إن حبك من صنع يدك.

نترع سيفه من عمده الملى فوق السرير القدر وشق صف جرار العمر  
امستندة إلى الحنار البعيد وكلما امشقت حادها اسكب شيدده وراح يقطر  
من بين أصلاص الأرضية

ورجع لي سهت، قهرث به: «اضر إلى حالك! لقد أطلقت عنان نفسك  
حتى صرت ليبا وصيق النفس ككاهن عجور.»

كهاك يا ثايتا! لقد قلت قولك، لا ترد في الاستهراء بي وإلا ثدمت

رأيت أنه يغضب مثلما انتويت، وأن إهاناتي صلبته نصاييا ممتازا

كانت مولاتي لتريدك أن تنبري بلتحدي الذي وصعك الفرعور بصدد،  
حتى تظل حيا ورجلا شريفا وحديرا في غضون خمس سنوات، وقم  
تصير حرة لتحيء إليك

استوليتُ على كامل انتباهه

- خمس سنوات؟ ماذا تقول يا ثايتا؟ أنمة أحلُ لمعاناتنا حقا؟

قلب له ببساطة. «لقد أعملتُ الصلوات للفرعون، وسيموت في غضون  
خمس سنوات من الآن، راح يحدق إلي مصدوم، ورأيتُ مئة شعور مختلف

يطارد بعضها بعضًا فوق ملامحه، إذ إن قراءته سهولة قراءه هذه اللقطة  
التي أكتب عليها

همس أخيرًا «المناجات».

كن في تميم الزمان شكًا يردري تعامى مع امتنات، لكن تغير ذلك  
وصار أقوى إيمانًا بقدراتي من مولاتي حتى، فقد شهد رؤي تتحقق مرات  
بمعنه عددها من لقاء على شكه

سألته «أيمكنك استطار محبوبتك هذه المرة؟ مولاني تلتهم إنها قاهرة  
على انتصارك الأبدية كلها أيمكنك لاستطار مصع سنوات قصيره لأجلها؟»

هل وجدت بانتظاري؟

مكررت «الأبدية كلها».

وخلت أنه حوش أن يبيكي، ولا يمكنني مواجعة تلك، لا يمكنني رؤية رحى  
كتانوس دافع العيدين، لذا أردعت بحجابه «ألا تود سماع الرؤيا التي أرني  
إياها المناجات؟»

فسم دموعه ووافقني بتألف «بلى بلى»، وبدأنا نتكلم. تكلمنا حتى  
هبط الليل، ثم جلسنا في لظلمة وبكلمنا قليلًا بعد.

أخبرته بما أحررت سديني لوسلريس، جميع التفاصيل التي أخفيها عن  
كليهما غير السنين. وعندما وصتُ لي تفاصيل إفلان أبيه نيماكي سيد  
حاراب وتدميره على يد عدوه لسري، بلغ عصب قانوس حدًا من الغضب  
أحرى آخر أشر العريضة من رأسه ويحاول بزور الفجر على المستنقعات،  
عادت عزيته تمية وثابتة.

ثم وثب واقفًا وتقلد عمده سيفه قائلاً «فلنشرع بمشروعك هذا، ذلك أنه  
يبدو الطريق الصحيح والملائمة» ورغم رؤيتي أن من الحكمة لاسرحة  
لبعض الوقت وتركه يند في الكمال من آثار السيف لم يرص مطلقًا وأصر،  
«سرحم إلى الكونك حلاً، إن كراتاس ينتظر، وشهوة الانتقام لذكرى أبي  
ورؤية حبي العنب تأسه سحر كالمار في دمي»



حالما غادرتا المستنقع، تقدمني تانوس على الطريق الصحريّة، وتبعته  
هروية، وما إن ارتفعت الشمس فوق الأفق حتى تفجّر الحرق من ظهره وسال

إلى أن يقع دكة تمورته كأن حسده يتصهر من النيب القديم النتن، ورعم  
سماعي إليه يلهث لهاثاً شديداً، لم يسترح أو يُخفف سرعته قط، بل تابع  
انطلاقه إلى حرّ لصمراء المتصاعد من دون توقف.

حتى كسحتُ جماحه بصيحه، ووقفنا كتفّ إلى كتف نحسّق إلى الأمام،  
كانت الطيور قد جذبت انتباهي، وتبدّنتُ خفق أجنحتها من مسافة بعيدة  
قال تانوس بصوت ماحر أحش، «سور لديها شيء محبب من الصخور»،  
واستل سيفه ومضيا قدماً بحدن.

وجدنا ارجل أولاً وأبعدنا النشور عنه قطارت في روية مضطربة من  
الأجنحة، هرمت أنه الزوج الذي التقيته على الطريق في اليوم الماضي من  
كثرة شعره الأشقر، إذ لم يبق من وجهه شيء، فقد سُحِبَ عني ظهره ونهشت  
الطيور لحمه حتى بيعت عظم جمجمته، ودعيت عييه، فصار المحجران  
الخاويان يحدقن إلى السماء ابرثقة، ورائت شفثاه فايتمم بأسنان دامية،  
كأنما يتبسم إراء دعاة رحوبنا المصير التافهة على هذه الأرض، فلبه تانوس  
عني بطنه، ورأينا فوراً جراح الطعنة التي قتلته، ولتي تلقت أصلاعه بريئة  
سها.

عقب تانوس، «يأ كان من فعل هذا، فقد حر من على نجاح مهمته»، كان  
قلبه قاسياً أمام الصوت كما لا يقسو إلا جندي محنك.

تابعتُ المشي إلى الصخور، وارتفعت سحابة سوداء طمان من الدباب عن  
جثة الروجة، لم أهتم قط من أين يأتي الدباب، وكيف يتجسد بهذه اسرعه  
من قيط الصحراء اللالاح الجاف. بيث خميتُ أن لروجة قد أجهضت كابو  
مشعلين بها، ولا ند أنهم تركوها حية بعد أن تمتعوا بها، بعد حملت وليدها،  
بين ذراعها بأخر قطرات قوتها وماتت هكذا، مكومة إلى جانب صحرة،  
محمي ولدها الجهنم من السور.

تعممتُ أكثر في لأص احربية، وفادني الدباب ذبية إلى حيث جرّ قطاع  
الصرق البيت الصغيرة، وكانوا عني الأقل قد استحصروا الرحمة الكافية  
لشقر عنقها بعد أن انتهوا منها بدلاً من أن تركوها تنزف سطاء حتى للموت  
حطت إحدى السبابات على شفتي، فهششتها ورحتُ أنتحب، وجاءني  
تانوس في انتحالي

سألني: «أتعربهم؟»، فأومأت برأسي وتحدثت لأحيب «التفيتهم في الطريق لبارحة. حاولت أن أحذر. (ثم صمت قليلاً، إذ شُف على المتابعة، وأخذت نفساً عميقاً)، كان معهم حمار لا يذأ به مع الصردان لأن، فأوماً تانوس، وكان وجهه حريماً عندما أعرض عني واقتفى الأثر سريعاً بي الصحور

ثم نادى: «من هدا» واتطرق راكضاً، منحها إلى الصحر \* الصحرمة. فصحت من حصة: «تانوس! إن كراتاس ينتظر..» لكنه لم يُعربني أدنى اهتمام ولم يترك لي خياراً إلا اللحاق به أوبركته ثابته وقتما وقد آثار الحمار على رقعة سيئة من الأرض واصطُرَّ إلى اقتفاء لأثر من جديد. قلتُ ملحاً: «إنني أرثي لتلك لعائلة أكثر منك حنى، لكن هذه حماقة. كراتاس سيطربنا، ولا وقت لدينا سهره.»

فما صعب من دون أن سطر ناحيبي: «كم كان عمر لطفلة؟ هل تريد على تسع سنوات؟ لذي الوقت نائماً لأرى العداة تأحد محرها» كان وجهه بارئاً وحاقدًا، وظهر واضحاً أنه استعار طبعه لسابق، وأنا أعقل من متابعه اجدال. كانت صورة اليب الصغير لا تزال ثابتة وواضحة في ذهني، فاضممت إليه والتفطنا الأثر ثانية، وبعد أن بدأت نتعاون، صرنا نتقدم بسرعة أكثر.

كثت وتانوس قد تعقبت غراًلاً ومهبة، وحتى أساء، بهذه الطريقة، وصار كلاباً صليماً في هد الفر المسور رحناً بعمل فريقاً، يركض كلٌ منا على أحد جانبي الآثار التي تركتها طريدتنا مشيراً إلى الآخر بكل إعطافة أو تخيير فيها وعاجلاً جداً، وصلب طريدتنا إلى مسار وعمر يقود شرقاً من البهر ثم يسمه عميقاً في الصحر، وسارت فيه، ما بسط مهمة إدراكها شديد التبسيط. بلغت فترة الطهيرة تقريباً، وكانت قناني مائفا قد فرعت وقتما رأيناهم في البعد أممنا! خمسة رجال، الحمار، ويدا واصحاً أدهم لم يثوقوا أن يتنعمهم احد إلى عمق الصحراء وهي معقلهم، لذا تحركوا بإهمال، ولم ينكدوا عناء إخلاء الأثر من حلقهم حتى.

بينما نللقط أنقاسنا شدني تانوس منزلاً إياي في ظل صخرة، ثم بعدم: «سنلت في دائرة وسنقهم اريد رؤية وجوههم»

مفز وقادني في النفاذ واسع إلى أحد جانبي المسار، واجتزنا عصاة لصردان، لكن بعيداً عن مرمى بصرهم بمسافة جيدة، ثم عدنا إلى المسار

من أمامهم. كان تانفوس عبر حندي حنيره بالأراضي، وبصب الكمين مدقة بالعه.

سمعهم قادمين من مسافة بعيدة سمعنا ديدية خواهر لحمار وعذراء أصروهم، وبينما ينظرونهم، حظيت بالفرصة الأولى لأدرس حكمة قرارتي في اللحاق به من دور نقاش وعندما بدت لنا حصاة الصردان أحيرًا فتدعت أنني تسرعت كثيرًا إن كانوا ثلة من البطجية لهم أكثر هيئة سفاحة حطب عتيدي عليها قبلاً، وست مسلحًا إلا بحنجري المرصع الصغير

قبل مكعبنا بمسافة قصيرة، توقف البدوي الصوي السليحي شحأة، وكس واضحًا أنه قائمهم، وأمر أحد الرجال بلحاقه لإنراا قربه الماء عن الحمار، عشب أولًا ثم مررها للآخرين وبينما أشهدهم يجرعون الشراب الثمين اغلق حلقي

همس تانفوس وبحر حائمان بين الصحور «حق حورس، انظر إلى بقع دم النساء على أثوابهم. يا ليت لاناقا معي الآن، لكنت أرسلت سهمًا إلى بطنه فأهرقت لء منها كما تُهرق الجعة من حابية» (ثم وضع يدا على دراعتي) لا تتحرك حتى أتحرك، أسمعني؟ انتبه، لا أريد أي فعال بصولية منك الآن»، فأومأت بقوة ولم أشعر بأدنى دزعة إلى الاحتجاج على هذه التحذيرات العقلانية للغاية

أكمل الصردان طريقهم مباشرة إلى حيث ستطر، وكبدوا حميقًا مدحجين بالسلاح. مشى البدوي في مقدمتهم، رسيمه مُربط بين لوحتي كتفه، جاهرًا للاستعمال وقد ألقى فلسفة عباءته الصوفية على راسه لتحميه من أشعة الشمس الصرية. شعوت رؤيته الحسنة ولم بالأخطأ عندما مر قريبًا من أمامنا

تبعه اثنان آخران من كتب أحدهما يقود الحمار، ومشى الاثنان الأخيران الهويني وراء النهممة، منشغلين في شجار كسلان على قطعة جواهر ذهبية أحداها من لفتيلة كمت أسلحتهم جميعها معقدة، باستثناء رماح الطعن القصيرة برونزية السنان التي حملها الزوج الأخير

تركهم تانفوس يمشون جميعًا، ثم وقف دهوء وتحرك من خلف الرجلين الأخيرين هي اربتل، بدأ بحرك حركة عادية، مثلما يفعل الحمار، لكن في الحقيقة لم يمش إلا نفس قبل أن يضرب بعيقه عنق الرجل الماشي في الميمنة.



ورغم أنني كنتُ مهتماً على مساندته أقصى المساندة، لم نرحم نوابي  
الطيبة بطريقة ما إلى أمدان، وبقيت جائف وراء صخرتي المظلمة. بررتُ  
لنفسي بفكرة أنني على الأرجح ما كنتُ لأفعل إلا بإعاقته إذا ما نعتته من قرب  
لم أر قنوساً بقتل رجلاً من قبل، وأدهلني براعه رقم معرفتي أنها  
مهنته وأنه قد حظي، على مر السنين، بكل الفرص الممكنة لشحن هذه  
المهارات المخيفة عندما ضرب فقر رأس الصحبة عن كتفيه كما يقفر  
يزيب<sup>(1)</sup> صحراوي من جحره، ومشي اليدين مقطوع الرأس خطوة أخرى قبل  
أن تنهار الساقان من قبحته. وعندما بلغ الصرية آخر قوس حركتها، عكسها  
ثانوس بسلاسة، وصرب بحركة راجعة المُشْلَح التالي، فقطع العنق الآخر  
بالقوة نفسها، وبينما انقب الرأس ثم سقط تراحت الجثة إلى الأمام والدم  
ينفجر عاليًا في الجو.

نبهت طراشة السماء والهدّان الثقيلان لرأسين المقصوعين على  
الأرض الصخرية لصردان الثلاثة الآخرين، فاستدروا حول أنفسهم في دمع،  
وحدقوا للحظة في إنكار داهن إلى المنبحة المفاجئة في صفوفهم. ثم استلوا  
سبوحهم وصرحوا صرخة عاصفة هجموا بعدها على ثانوس جماعةً، وبدلاً  
من التراجع أمامهم، انقص ثانوس عليهم بصروة وهزق شملهم وتحركت  
ليواجه الرجل الذي أبعدته عن رفيقيه شقّت صعنته حركاً سطحاً داميًا على  
حائب صدره، فصرخ الرجل صرخة حادة وسقط حلقاً، لكن قبل أن يتمكن  
ثانوس من الإجهار عيه، هاجمه الاثنان الآخران من حفه، فاضطُرَّ إلى  
الاستدارة سواحيهم، وبسما نجد هجومهم صلصل الدروز على الدروز.  
أبغاهم بعيدين بسنّ سيفه، راح يشتب مع واحد أولاً ثم مع الآخر، حتى  
استرد الرجل أجريح جرحاً حقيقاً طاقته وجاءه من خلفه

فصعق به: «وراعك!» واستدار لي اللحظة العناسة بماًما ليستقبل  
الصعنة بصله، وهجم الآخران عليه هوداً، فاضطُرَّ إلى التراجع كي يحمي  
نفسه من جميع الجوانب. كالت مهارته في لمباررة مشهداً يحطف الأنفاس،  
وكان محصه سريعاً سرعة يمد معها أنه أقدم حاداً متوهجاً من الدروز حول  
نفسه تحققت ضربات الحصوم عليه بلا جدوى

(1) اليزب، أو الأرب الإفريقي، جنس من الفواض دائم القفر يعيش في شرق إفريقيا وجنوبها،  
(المرحم)

ثم أدركتُ أن قاموس قد بدأ يتعب، إذ راح العرق يقدّم من جسده في الحر وتلّوب ملامحه إجهادًا، لقد تنصّب أسابيع النهي والعريضة الصويلة أحربها مما كان عبءه ذات مرة من قوة وحلّة لا تُحدّن.

تقهقر أمام الهجمة لتالية التي قادها البدويّ لعلّحتني عليه حتى رصّ ظهره على أحد الحلاميذ على جانب المصار المقابل لحيث أجنم عجزًا، ولما مطّت لصخرة ظهره، صار المهاجمون الثلاثة مضطرين إلى مهاجمته من الأمام، لكن ذلك لم يكن ستراحة حقيقية، بهجومهم شديد اليأس، وأخذوا يبيحون، بقيادة البدويّ مثل رمرة من الكلاب البرية بينما يحاولونه، ثم تعتد ذراع قاموس اليسرى وسوّت حرّكتها

كان الرمح الذي حمّاه أول رجل قطع قاموس رأسه قد سقط في منتصف الطريق. وأدركتُ أن لا بدّ لي من فعل شيء ما حالًا إن كنتُ لا أريد رؤية قاموس يُقطع أمام عينيّ، وبجهد هائل، جمعتُ شتات شجاعتي المنصقلة، ورحقت من مخبئي، وكان لصردان قد نسيوني في لجة لهفّتهم إلى القتل، فوصلتُ إلى حيث يقبع الرمح من دون أن يلاحظني أيّهم، ومتشقّقه، وعندما صار لورن المتين للسلاح في يدي، فاصت شجاعتي المفهودة كلها عودًا إلىّ. كان البدويّ الأخطر بين حصوم قاموس الثلاثة، وكان الأقرب إليّ كذلك، سيرًا ظهره ناحيتي، وكلّ انتباهه متركّز على المبارزة الظالمة، فسوّيت الرمح ومحتّ عليه.

الكلّي هي النقطة الأضعف في الظهر البشري، وبمعرفتي بعلم التشريح، يمكنني توجيه طعنتي بدقه، دحرّس الرمح على بُعد إصبع من أحد جانبي العمود الفقري، وحقنّ جسمه كله، ففتّح سده اعريض جرحًا فاغزًا، وسفّذ الكلّية اليسرى بدقة حرّج. تحشب البدويّ وجع مثل تماثيل المعبد، ردّ شلّته طعنتي من فورها، ثم، وببعض أيرم القصير بوحشية في لحمه كما علمني قاموس، فرمّا كلّيته فرمًا سفّذ السيف من يده وابهار مطلقًا مسعة مُروّعة شتّت رفقه ومثًا كعبًا ليدس قاموس فرصته.

أصابني طعنة قاموس التالية أحدهما في منتصف صدره، ورغم إرهافه، كانت بالقوة الكافية لتعبر حمدا الرجل بسلاسة وتقرّر ليسى لعلطحة بالدم شمرًا من بين بواحي كعبه، وقبل أن يتمكن من سحب بضله من العداق اللصيق لحجم الحي وقتل الصرد الأخير استثار الناجي وفرّ راكضًا.

ركض ثانوس بضع خطوات خلفه، ثم لهث قائلاً: «لقد أنهكت، الحاقه يا فايفاء، لا تسمح لذلك لواءي انعتان بالمرار».

قله قليله من ارحال يمكنها أن تسبقني في العدو، وثانوس هو الوحيد الذي أعرفه منهم، لكن يسغي له أن يكون في قمة لياقته بيسبقني. بينما دُشْتُ ظهر البدوي مشغلاً إياه أمرهم الرمح لأخرجه من يده، ثم مصبتُ حلق الصرد الأخير.

أدركته قبل أن يتعد ملتي خطوة، وكنْتُ أركض بضعة حتى إبه لم يسمعني أصل إليه. شغقت بحدة الرمح ونز عرقوبه، فوقع خاشراً أطرافه وطار السيف من يده. بينما برصد على ظهره يركل ويسمي، رحْتُ أترافض حوله. وأحسسه برأس رمحي مسترخياً إياه إلى وضعية مناسبة لطعنة قاتلة كيصة.

سألته: «بأي من المرأتين استمتع أكثر؟ (وطعنته في فحده)، أكانت الأم، مبطها الكبير، أم الست الصغيرة؟ هل كانت صبيقة بالحد المناسب لك أيها الوصيح؟».

فصرخ: «اعفُ عني أرجوت، لم أفعل شيئاً. البقية هم من فعلوا. لا تقتلني!» فقلاب. «ثمة دماء يابسة على مقدمة تنورال (وطعنت بطله طعنة غير عميقة، وسألته) (أكان صراخ الطعنة عالياً كصراخك الآن؟».

وعندما التفت على نفسه في كرة ليحمي بصره طعنته في سببته، وعثرتُ بصرية حظ على العجوة بين فمراه، بدشُلُ نضب اسغلي قوَّاء، وابتعدتُ عنه.

قلت: «حيد جداً، لقد طست مني أن لا أفنالك، ولن أفع، قد لك خير لا تستحلفه» ثم استلرتُ ومشيت عائداً إلى ثانوس. حرَّ الصرد المنعد نفسه لمسافة قصيرة ورشي. وساماه المشلوتتان تزلزلن حله مثل صيَّاد يحر روجين من الشيابيط الميتة، ثم صار انجهد فوق صدقته فبهار في كومة أنانة، ورغم أن الوقت قد حاور الطهيرة، فما يزال في اشمس حرُّ كاي لقتله قبل المصيب.

نظر ثانوس إليَّ بفضول عندما عدتُ إليه: «ثمة عرق وحشي فيك ثم أشتبه في وجود من فيرا (وهو رأسه متحجياً)، لا تفش في إدهالي أبكاً».

ثم شدَّ قرعة لواء عن ظهر الحمار وقدمها لي، سكتني هزئت رأسي: «اشرب أولاً أنت تحتاج إليه أكثر مني».

فراح يشرب، وضافت عيشه نشوة، ثم شهق: «وحق أنفاس إيزيس العذبة  
إنه محق أذا رخنو كامرأة عجوز حتى حصة المبارزة لصبيته تلك كانت  
تذهبي (ثم نظر حوله إلى الحدث المعثرة، وانقسم رضى) «سكن على العموم،  
ليست سادة سنة لعهمة الفرعون».

عازسته: «هل كانت أفعس السايات (وعند قوس حاجبه أرفعت...) كان  
يبيحي لنا إبعاء واحد على الأقل حيًا ليقودنا إلى عرش الصربان، وحتى ذلك...  
(وأشرت بحية الرجل المقتصر ابراقد بين اصخور) تجاوز سوء حاله أن  
يفيد بأي شيء». كان الحطأ خطئي، فقد سمحت لقصبي بأن يملكني لن  
يرتكب الحطأ نفسه ثانية.

سغا منتصف الطريق عوفًا إلى حيث تركنا حدث العائلة القسنة لنر أن  
تعبد طليعي الحقيقية إندت نفسها، وبدأت أدم مر الدم على حسوة هؤادي  
ومعاملتي الوحشية لمنتفح المقدس.

قلت لثانوس: «كان إنسان مثلنا برعم كل شيء»، وشخر سنهزاء  
- لقد كان حيوانًا وأويًا مسعورًا، وقد أطيبت بلاء حسدًا، ورثيته أكثر مما  
يجب بكثير. انسه، وأحبرني بدلًا من ذلك، لم عينا العودة والنظر إلى  
الرجاس اميتين بدلًا من التوجه مباشرة إلى معسكر كراتاس؟  
قمت: «أحتاج إلى جسد الزوج»، ولم أفر شيئًا آخر حتى وقفنا فوق الحثة  
المشوهة كانت انقباب المؤسفة تقعص في لحر بالفعل، وبم تنثر السور إلا  
قليلاً من اللحم على اعظام.

قلت لثانوس: «نظر إلى شعره، من غيره ممن نعرهم له كثة كهده؟»،  
بنا حائرًا للعطة. ثم انقسم ومرر أصابعه في حليقات شعره الكثيفة، بأمرته:  
«ساعدني بتحميله على الحمار، يمكن لكراتاس أخذه إلى الكرنك ليحنطه  
الخانوتيون، وسيقم له جنازة لائقة وقبرًا محرقًا ينقش اسمك على جدران  
ثم، بحلول معيب الغد ستعرف طيبة كلها أن ثانوس، سيد حاراب قد هلك  
في الصحراء، وأكلت السور نصف جثته».

بد، عليه اتفق، «إن سمعت لوستقريس بذلك»

سأرسل إليها برسالة تحذير إن النفع الذي سيرجع علينا به تصديق  
العالم أنك مت يفوق بكثير أي خطر يأتي من تحويف مولاني.

كان كراتاس مُعسكرًا في أول واحة على طريق القوافل إلى البحر الأحمر، ما بعد مسير أقل من يوم عن الكرنك، وقد اصطحب معه من رجال حرس التمساح الأزرق، كلهم مُختار بعناية، مثلما أمرته. وصلت وتأنوس إلى المعسكر في منتصف الليل، وكان سفرنا شاقًا بلقد حافة الإنهاك، فسقطنا على قراشينا بجوار دار المعسكر وبمنا حتى انهر.

ومع إضاءة الفجر، كان تأنوس مسيقظ يخالد رجاله، ومدت غططهم لعوبته حليّة، فعاقبه الصباط وعزل له الرجال، وامتسموا اقتدارًا عسما حيًا كلاً منهم بدسمه.

على العطور، وحّه تأنوس كراتاس بأحد البجّة المتعصبة عونًا إلى الكريت ليدفنها ويحرص أن تكون أنباء وفاته ثرثرة تعم طبية، وأعطيت كراتاس رسالة إلى مولاتي بوسقريس، يجد رسولًا موثوقًا بحملها أعلى انهر إلى إلفنتين.

التقى كراتاس حامية من عشر رجال، وتحهروا للانطلاق مع الحمار وحمله كربة امرثمة، عونًا، صاحبة البيل وطبية.

وصاح تأنوس من حلقه عذم خرجت الجماعة بهرون من «معسكر» حاول أن تتركنا على الطريق إلى البحر. لم تستطع، فستحدثنا معسكرين في واحة جبل بقارة، سينتظرك هناك، وتذكر أن تجلب قوسي لاساقا معك عندما ترجع!



لم يكد كراتاس يتيب عن الأنظار وراء الطلعة الأولى على الطريق الغربي حتى شكّل تأنوس صفوف بقية الفوج وقادت في الاتجاه المعاكس على طريق القوافل باتجاه البحر.

كان طريق القوافل من صفبي نهر لعل إلى شواطئ البحر الأحمر طويلاً وشاقاً، وعادة ما يسعرق قافلة ثقيلة صعبة القيادة عشرين يومًا ليُكمل الرحلة، لكننا اجتدنا المسافة في أربعة أيام نتيجة دفع تأنوس إيد في سلسلة من المسيرات الحثيثة. عند الانطلاق، كنت وإياه على الأعلي الوحيدين اللذين ليسا في حالة جسدية ممتازة في الجماعة، غير أنث وبينما بلغ حبر نقارة كان تأنوس قد أحرق الدهور ابرادة في حسده وتعزى آخر ما فيه من سموم السيد، وعدد محيلاً وصلنا.

أما عن نفسي، فكانت أول مرة أشرك فيها في مسير حثيث مع جماعة الحرس، وهي بضعة الأيام الأولى، علنيّ جميع صفوف العذاب من عطر وآلام عضلية، وأقدام متقرحة وإنهاك، ولقي لا بد أن كان<sup>(1)</sup> الميت تُضطر إلى معاناتها في طريقها إلى العالم السفلي بكن كبرياتي لم تسمح لي بالتخلف عن الركب، بصرف النظر عن حقيقة أن الحلف في هذا المشهد البري المتوحش يعني الموت المحقق، ومما فاجأني وسرني أنني، وبعد بضعة الأيام الأولى، وجدت الحمّاض على مكاني في صفوف المحاربين المهزولين يزداد سهولة على سهولة.

عبرنا في طريقنا بقامطين كبيرتين تتحركان ناحية لئيل، وكانت ميقان حميرها متقوسة نصب أحمالها الثقيلة من البضائع التجارية، وقوات الحراسة المدججة بالسلاح تريد كثيرًا على عدم انحراف وخدمهم الذين شكلوا بعية الحماية، إذ لا تأمن أي ماملة نهبي اصردان إلا إن كانت بحماية قوة كهذه من المرتزقة أو إن كان التجار متجهزين لدفع الإتاوة لمعجزة التي يطلبونها ليسمحوا لهم بالمرور بحرية

عندما التقينا أولئك العرباء، رفع قانوس شاله على رأسه ليسر وجهه ويحفي كثة شعره الأشقر، ذلك أنه شمسية مميره إلى درجة تمنعه من المحارقة بأن يتعرّفه أحد ويدّفع في الكرنك أنه لا يزال حيًا، ولم نردّ استحيات أو بسبب الأسئلة التي طرحها علينا أولئك المسافرين، بل عبرناهم في صمت متحفّظ من دون أن ننظر في اتجاههم حتى.

وقتما كنا لا نراهم بعيدين مسير يوم عن بعد حل، تركنا طريق القوافل الرئيس وانحرفنا جنوبًا، لتتبع مسارًا عتيقًا مهجورًا دسني عليه بدوي صحر اوي صادفته منذ بصع السنوات نكمن آثار جبل مقارة على هذا الطريق القديم إلى البحر، وبما يرور البشر في هذه الأيام، إلا البدو وعصابات الصحراء إن كان بإمكانهم تسميتهم بشرًا

عندما وصلنا إلى الأبار، كنتُ بلغت من النحول واللياقة لبدنية أفضل ما بلغت في حياتي، لكنني تحسّرتُ على غياب المرأة لاقتناعي أن هذه الطائفة والقوة الجديديتين اللتين شعريهما سحلي لا بد أن عكست على ملامحي وردنا حمالي من غير شك، وكنتُ لأرحب بفرصة لأستدعه بنفسي، لكن لم

(1) آس المصري القدماء من الروح للبشرية تتكوّن من خمسة أجزاء: رن وبيا وكا وشيوت وبيد. كما هي جوهر النساء ما يفرق بين الحي والميت وتعدّ الجسد عند الوفاة (المترجم)

يظهر بقص في احريين يستدعونه عوضاً عني، إذ ألقيت حواري تار الممسك  
هي الأمسيات بضررت شهوانية كثيرة نحيتي، وتلقيتُ عدداً لا بأس به من  
العروض المحتسنة من رفقائي، فحسني قوة مقاتلة نحوية كالحرس كانت  
ملونة بالعادة الجنسية المرحضة الحديدية التي احترقت ممتعها.

كنتُ أبقي حنجري بجوري هي اللين، وعندما تقبُتُ أول رثر غير مدعو  
لغراشي سته، سددت صرخاته الكثير من القروح بين الآخرين، وبعد ذلك،  
رحمتُ من أي كياسه أخرى غير مرحب بها

حتى بعد أن بعنا الأبر، لم يسمح لنا قانوس إلا باستراحة وجيزة،  
وبيما ينتظر كراتاس، أبقي رحاه يثمرين بالسلاح ويتناحسون في لرمية  
والمصارعة والعدو. سررتني رؤية أن كراتاس قد احتار هؤلاء الرجال بصرامة  
ومق تعليمتي، فلم يكرهم واحداً بهيمي ضخم وفي ما حلا قانوس بعسه،  
كانوا جميعاً رجالاً جفاة صغار الحجم ملائمين تماماً للدور الذي خصصه  
لهم

وصل كراتاس بعدد بيومين فقط، وبحسب عودته إلى الكرنك ولوقت  
المستغرق في أداء المهمات التي أوكله قانوس بها، فلا بد أنه سافر أسرع  
من حتى.

حيه قانوس: «ما الذي أخرك؟» أقبلت حارية راغبة في الطريق؟  
قيما بتعاقبان أجهه كراتاس. دكت حاملاً عبيث ثقبين على كاهلي؛  
قوس، وختم البار. ويسرني لتخلص من كليهما، ثم سُمه سلاح و لتُمثّل  
مستسماً، ومسروور كما يسر دائك لعودته إلى صحة قانوس

أحد قانوس لانا من فوره إلى الصمراء، فذهبت معه أساعده على اقتفاء  
أثر لصيع من انخلان، وبينما كن مشهده وهو يدحرج أكثر من درينة من  
هذه الكائنات الصغيرة لرشيقة بعدد لها نفسه من لأسهم فتسابق وتتقافر  
تباع، مشهداً استثنائياً في تلك الليلة. وفي أثناء تمعنا بالكند العرلان وشرائح  
لحمها المشوي، ناقشنا المرحلة التالية من خطتي.

في الصباح، تركب الحرس بقيادة كراتاس، وابتصقتُ وقانوس وحننا إلى  
الساحل، كانت غرية صيد الأسماك الصغيرة التي يسدها بعد سفر نصف  
يوم فقط، وعلوب عند المهيبة. خر طلعة لنطل من اللال على البحر المتلائين

المعسوط بحبها، ومن هذا الارتفاع رأينا موصوح الحدود الداكنة للشعاب  
المرجانية تحت المياه الفيروزية.

حالما سحطنا القرية، لدى تاتوس رئيس العمال، وبدت أهمية تاتوس  
وسطوته واضحتين من مشيته، إذ جاء العصور راكضًا وخرَّ ساجدًا عندما أراه  
حتم البار كأن الفرعون نفسه واقف أمامه، ثم دق رأسه بالأرض بقوة خوِّفتني  
أن يتسبب لنفسه بإصابة خطيرة. عندما أنهضته على قدميه، قادتنا إلى أفخم  
برل في القرية، بحشديه الخاصة القادرة، وأخرج عائلته كثيرة الأفراد لمصح  
مجالاً لنا.

بعد أن تناولنا رنديه من حساء السمك الذي قدمه لنا مصيفنا وشربنا كوبًا  
من نبيذ النخيل اللذيذ، برئت أنا وتاتوس إلى الشاطئ ذي الزمر، الأبيض الناهر  
وصلنا عرق الصخراء، وفبارها في المياه اندفئة للنخيرة الشاطئة المسورة  
بسد متعرج من المرجان ولعمتة مواربة للصفة. ومن خلفنا ثقيت الجبال  
الحشنة الخالية من أوهى مسحة نباتية حصراء سماء لصخراء الرققاء المتألمة

كان لبحر واحمال والسماء كيايات مساعمة لي مسطومية من العظمة التي  
تُهت الحواس، لكن ليس أمامي إلا قليل من الوقت لأقتر ذلك كله، فأستول  
الصيد في طريق عودته، خمسة مراكب صغيرة متداعية، أشرعتها من سعف  
النخيل المقتول، تمرُّ عبر المعبر في الشعاب المرجانية، وحمولة كل منها  
عظيمة حتى إنها بدت في خطر الانقلاب قبل أن تبلغ لشاطئ

إتني مشخوف بكل بعم الطليحة التي تمُّ الألهه بها علينا، بدا عانيتُ  
بشغف الصيد عندما ألقي على لشاطئ، وسألت الصيادين عن كل من الأنواع  
العنة المختلفة شكَّلت كومة لأسماء كثرًا أبرأما من ألوان قوس الغرج، وتسميتُ  
بو أن معي لفائفي وعلب طلائي لأسجلها كلها

كانت هذه لاستراحة قصيرة جدًا، فحالما أنزل الصيد، ركبتُ أحد المراكب  
لصغيرة التي أشتتها مهنتها، وبينما نخرج من المعبر بين الشعاب نوحنا  
تاتوس الواقف على لشاحي، إذ ن عليه البقاء هنا رشا أرفع رفعة الممدات  
لتي تحتاج إليها من أجل الجزء القادم من خطتي ومرة ثانية، لم أشأ أن  
يعرف وجهتي. وصيفته الآن منع أي من الصيادين أو عائلاتهم من التسلل إلى  
لصحراء ولقاء الصردين سرًا، ليحبُّ من وجود سيّد ذهبي الرأس يحصل حتم  
لباز في القرية.



أسلم المركب الصعير حوَّحوه لأول دفعة بحر قوية، وعكس قنط الدفة اتحده ليصعد شمالاً، يمشي موارباً بذك الساحل القائم البغيض لم تكن أمامه إلا مسافة قصيرة نقطعها، وتبين هبوط اللين، وجه قائد لديه الحوَّحو إلى الأبدية الحجرية المتكئة في مبداء سفاجا على الخط الساحلي لبعيد



لألف عام مضت، كانت سفاجا لمرءى الوسيط لكل التجارة القادمة إلى الممكة العليا من الشرق، وحتى في وقتي في حوَّحو مركب الصنيتين، تمكنت من تبين أشكال المراكب الأكبر حجمًا على الأفق الشمالي تغدق وقروح بين سفاجا والمراقع لمريبه على الساحل الشرقي للبحر الصيق.

كن الظلام قد حلَّ عندما نزلتُ إلى شاطئ سفاجا، وبدأ أن أحنأ لم يلاحظ وصولي كنتُ أعرف وجهي بالصيبد، ذلك أنني عتدتُ زياره المرءى مستظام في تصاتي أعمال اسيد إنقف اشئنة، وفي هذه الساعة، تكون الشوارع شبه مقفلة، لكن احانات مكتظه، مصيبتُ بسرعته إلى منزل التاجر تيامات، وبيامات رحل ثريٌّ مسرعه هو الأكبر في بلدة القديمة وجدتُ عنًا مسك واقفًا بين الباب وبني

أمرته- «قل لسيدك إن الجراح الكركي الذي أمقد ساقه هاء، وخرج تيامات بنفسه يجرُّج ليستقبلني تفجأ عندما رأى تحكيري الكهوتي، لكنه تحلى بحسن الإدراك الكافي بئلا يعلق عليه، ولا يذكر اسمي أمام العبد، ثم شدني إلى حديقته المسورة، وحالما صرد وحدثنا قال متعجبًا: «أهدا أنت حق يا قايقا؟ بعد سمعتُ أنك قنلت على أبدي الصردان في القنئين»

كن رجلًا ضخمًا في متوسط العمر، له وجه منبسط المعى وعقل أرب حمل إنني في هويج بعد عصر السوات إذ وحدته جمعة من المسافرين إلى جانب الطريق وقد تُرد على أنه ميتٌ بعد أن نهب الصردان ناملته، فمطلَّته، وسهرتُ حتى إنقاد ساقه لي كانت مصدبة بالفنثرويد بالفعل وقتما رأيتها، إلا أنه يمشي أعرج بنية حياته.

هههه قاتلاً، «بسي معتبط لرؤية أن أبناء موثك سائقة لأوبها، وصفق مبدية ليحب عبيده لي كوبًا من الشراب البارد وصحنًا من التين وتمرًا معسولًا.

وبعد دور مُخترم من المحادثة المؤدبة، سأل بهدوء: «هل من شيء يمكنني خدمتك به؟ إنني مدين لك بحياتي، وما عليك إلا السؤال، منزلي منزلك وكل ما أملكه لك»

قلد له. «إنني هنا في مهمة تخص الملك»، وأخرجتُ ختم الباز من تحت غلاليتي

فتجهم وجهه. «أعترف بختم الفرعون لكن لم يكن ضرورياً أن تريسي إياه، اطلب مني ما تشاء. لا يمكنني رفض طلبك».

«سمع لكل ما عهدي من كلام من دون أن يطلق بكلمة أخرى، وعندما انتهيت، أرسل في طلب حاجبه وألقى عليه أوامره أمامي، وقد أن يرسل الرجل استدار إلي وقال «هل نسيت شيئاً؟ أتريد شيئاً آخر أياً ما كان؟».

إن سحائك لا حدود له، لكن ثمة شيء واحد آخر؛ لقد شتقتُ إلى عدة كتابتي

فعاد إلى الحاجب وقال: «أحرص على وجود نقال وريش وعليه حذر في إحدى الصُور».

طلبنا يتكلم بعد أن عدد الحاجب حتى أيقضى نصف الليل، يقف ثيامات في مركز أكثر الطرق التجارية بشمالاً في المملكة العليا وقد سمع كل شائعة ووشوشة من أقصى مرامي الإمبراطورية، ومن وراء البحر، فعرفت في بضع الساعات هذه في حديقته أكثر مما كنتُ لأعرفه في شهر بقصر لاهنتين.

سألته: «أما رلت تدفع القديه للصردان حتى يسمحوا لعضائك بالمرور؟»، وهو كذبه استسلاماً

- بعد ما فعلوه بساقي، أي خيار أمامي؟ في كل موسم تزداد مطالبهم قساحه. علي أن أرفع ربع قبضة بصنعتي لهم حالما يغادر القافلة سفاجا، ويصف أرباحي عندما تباع البضائع في طبيه. قريباً سيُفقدوننا كلياً، وينمو العشب على طرق القوافل، وتدوى التجارة في المملكة وتموت.

- وكيف تدفع هذه الدفعات؟ من يقرر المبلغ ومن يجمعها؟  
- لهم جواسيسهم هذا في المرأة يراقبون كل حمولة تُرسل ويعرفون ما يحمله كل قافلة عندما يغادر سفاجا، وقبل أن يطلع المعبر الحربي حتى يلاقيها أحد زعماء اللصوص ويطلب لقديه التي قدروها.

وكن الوقت قد تجاوز منتصف الليل بكثير وقتما نادى ثيامات عبداً  
ليضيء الطريق إلى الغرفة التي حصصها لي  
ثم بيده هانقني يقول «سترحل قبل أن أتيق في القدر إلى النقاء يا  
صديق الحبيب لم يُسد بيدي كاملاً بعد، اطلبي مرة أخرى، متى ما كنت  
هي حاسة».

أعطاني العبد نفسه عمل لقعر، وفدسي إلى الواجهة البحرية في الخلفة.  
كنت سفينته تجارية فحرة من أسطول ثيامات راسيه في الشعب، ورفع  
قبطانها المرساة حالم صعدت متنها

تسلينا في منتصف لصباح عبر الممر بين المرجان وأبرلنا المرساة أمام  
قرية الصيد الصغيرة حيث وقف ثانوس ليستقبلني.



في حلال غيابي، تمكن ثانوس من جمع ستة حمير عواماء، وحاض  
بحارة سفينة ثيامات في الماء إلى الشاطئ حاملين الصُور التي جلبناها من  
سفاجا فحملوها على هذه الكائنات اسائسة، بركتُ وثانوس قطار المركب  
التجاري بواصر صارمة أن ينتظر عودتنا، ثم بيده نقود سلسلة الحمير براً  
إلى ابار جبل فقارة عما

بدأ رضخاً أن رجال كراتاس قد احصوا بحر ودباب الرمل والممل على  
مضض، إذ منحونا ترحيباً لا يلائم العبرة التي غلبناها، فأمر ثانوس كراتاس  
أن يصفقهم، وبينما راقبتني صفوف المحاربين أفكُ أول صرة جلبها على  
طابور لحمير وعلى الفور تقريباً، استحال اهتمامهم تسليقة خفيفة عندما  
أحرحتُ رأي أمة واستحالت هذه السلسلة بدورها صديناً من التحمسات  
والجدالات عندما أثمرت الصرر تسعة وسبعين زيْ أنثويّ إضافياً.

ساعدني كراتاس واثنان من صباطه على وصح واحد من هذه الأزياء على  
الرمل أمام كل من رجال الحرم، ثم أمرهم ثانوس، «تعروا! واليسوا الثوب  
الذي أمامكم»، فانطلق مدير حنجاج وبهجة مرتدة، ولم يبدؤوا بطاعته إلا  
عندما مر كراتاس وضباطه على الصفوف بنظرات حازمة مصصعة لتعزيز  
الأمر

على عكس ثسانب اللاتي غلباً ما يتركن صدورهن مكشوفة وسيفاتهن  
حرة عارية، تنس نساء أشور بدورات مكس الأرض وأكاماً يغطي أندهن

حتى الارساع والأسباب تتعلق بحدثشام عي غير محله، يسترن وجوههم حتى  
متدما يمشين لى الخارج على أن هذه لقبوب ربما فرصها عسهن العبره  
التملكيه لرجالهن، لكن من ناحية أخرى، عثمة فرق شاسع بين أرض مصر  
المشمسة وهذا المناخ القاتم حيث يسقط لماء من السماء ويستحيل صلباً  
وأبيض على فمم الجبال، فتُشعر الريح لحم الإنسان وعظمه كالموت

وما ين تجاور الرجال الصمه الأولى برؤيه بعضهم بعضاً بهذه النحه  
الأخسبة، دخلوا في روح اللحظة، وسرعان ما صار أصدما ثمانون امه محصه  
سقامر ويسبحر بابسورات الطويلة التي سلح كواشهم وتعرض إحداهن  
عجيزة الأخرى بينما يلقي نضراب عرام مبالغ فيها إلى تانوس وضباطه.

لم يعد بإمكان الضباط الحفاظ على رص دنهم وربما بسبب حالتني  
المعززة، طالما وجدت منظر الرجال امرتدين ثياب النساء صفراً تنعيراً  
مُبهما، لكن من الغريب أن قة من الرجال الآخرين نشاركني مشاعر نفوري،  
ولا يتطلب الأمر إلا أن ينشج أرعر مُشعر ما بسورة ليهصد سمهوره إلى حالة  
من الخلاعة.

في لجه هذه الجلبة، هبات نفسي على أنني أصدرب أن لا يختار كراتاس  
إلا أصغر رجال السرب وأنحلهم، عبيد أنظر إبيهم، تيقنت أنهم سيتمكنون  
من إكمال الحديعة. لا يحتاجون إلا إلى بعض التدريب على المشية الأنثوية.



في الصباح التالي، مرت قاملتنا انغريبة بقرية اصيد الصغيرة وشقت  
طريقها إلى اشاطير، حيث ينتظروا المركب التجاري. شكل كراتاس وثمانية  
من ضباطه الحامية، ذلك أن العياب التام للمرافقة المسلحة في شحنة بضاعة  
كهده سيثير الشبهات بالتأكد، وتسعة رجال مسلحين مرغنون الزي المرقش  
سمر تزقه بكهون لكسر حدة ذلك، لكنهم بن يردعوا غارة كبيرة من الصردان.

سار تانوس في مقدمه القافلة، مرتدياً أرواب الأعياء وغطاء رأس مطرر  
يعتمره النحار الأثرياء من انبلاد وراء نهر لفرت كانت بحينه قد طالت  
وكثفت، وحُصتُها له في الحُلِيقات لأنيفة التي يفصلها الأشوريون لكثير من  
هؤلاء الآسيويين، ولا سيما أهل المناطق الجبلية في اشمار البعيه كانت لهم  
سعاء تانوس نفسها ونور شرته، لذا صدق مظهره الدور الذي احترته به

بعضه من كثب وقد نعلستُ على مغوري من لسر لمغاس الأثوية، هارتدنت  
الفتورة الصوية والخمار، وتزيت بالحواهر المهرجة التي تتربس بها الروجات  
الاشوريات، كنتُ عازمًا على أن لا يتعرفني أحد عندما أرجع إلى سهاجا.

شط دور البحر الذي أصاب معظم الإماء وما يريد على بعض الضبط  
الرحلة، تلك أنهم معانسون الإبحار في مياه النهر العظيم الهادئة، وفي وقت  
من الأوقات، سطر العديد منهم السور بقسم أصحنته لألهة البحر حتى مالت  
السفينة ميلًا واضحًا

أراحب حميخًا أن ترب إلى شاطئ سهاجا، حيث أثرا حماسًا كثيرًا،  
لكن أن القذبات الاشوريات مشهور ب بمهارتهم على أرائك الحب، وقيل إن  
معظمهم بجيد جيلًا بمعدورها أن تعيد مومياء عمرها ألف عام إلى الحياة  
بدا مديهيًا لأولئك الذين يراقبوننا ترب إلى الشاطئ أن إماء وراء حُرهم  
صور للخص الأنثوي بلا شك، وما كان تاجر أسبوي حصيف لينقل بضائعه  
كل هذه المسافة وبهذه التكاليف إن لم يكن واثقًا من تحصيل سعر جيد في  
سوق الخاصة على النيل.

اقرب أحد سمار سهاجا من تانوس على القور، عرض عليه شراء سرب  
الجنات كله في الحال، وإعفاءه من الرحلة الشاقة عبر الصحراء معهم، فلوح  
تانوس بيده صعدًا إياه وأرسل قهقهة هازئة

ألح عليه التاجر «هر حنرك أحد من أخضر الرحلة التي تنتوي خوضها؟  
ستحبر قبل أن قيلخ النيل على دفع مديته مرور آمن تُعني معظم أرياحك».

- ومن سيحبرني على الدفع؟ لن أدفع إلا ما أسير به
- ثمة أساس بحرسوز الطريق، وحتى إن دفعت ما يطلبون، لا يُحزم  
أن يتركوك ثمر سامًا، ولا سيما رفقة بضائع مصرية كهذه التي معك.  
إن النصور لعاطنة طريق النيل بدينة من التعدي على جثث التجار  
العبيدين حتى إنها بالكاد تطير يعني الآن بفائدة مناسبة.

محي حرس مسجون (وأشار تانوس إلى كراتاس وهرفته الصغيرة)  
وسيكونون أنداؤًا لأي لصوص قد يقابلهم. (قصصك جمهور لعينين  
إلى احراز ضحكة مكتومة ووكز بعضهم بعضًا إراء قبجحه).

وهو التاجر كنفه ، حسن جدًا ما صديهي لمسور سُمعت في رحلتي  
التاليه إلى الصحراء عن هيكلك العظمي إلى جانب الطريق، وسأتعرفك من  
لحيتك الحمراء المعروفة هذه.

بُرّ تيامات بوعده لنا، وجعل أربعين حملاً في انتظاره. كان عشرون  
منها محملين بقرب الماء الملأى، والمقبة عليها مرارح سمعنا انصرار والحزم  
التي أنزلناها إلى نشاط من السفينة التجارية

كنت حريصاً على أن يقضي أقل وقت ممكن في امراقاً، تحت كل هذه  
العين المتطفلة، إذا لا يحتاج كشف حسن الإمام الحقيقي إلا هفوة واحدة  
من إحداهن، فتقص جهود استعجلهن كراتاس لمرافقته عبر الشوارع  
اصيفه مبقياً المتفرجين على بعض المسافة، وحريصاً على أن تبقى إماء  
حُمرهن في مكانها وأعينهن منكسة وألا يرب إحداهن بصوت دكوري حلف  
على التليقات البديئة التي تلاحقنا، حتى صرد في الريف المفتوح وراء  
البلدة.

نصبت المخيم في تلك الليلة ولا نزال على مرأى من سفاجا ورغم أنني  
لم أتوقع هجوماً قبل أن يتجاوز أول معبر حبي، كنت متيقناً أن جواسيس  
الصردان يراقبونا بالفعل.

سبب لا يزال لنهار مصيئاً، حرصت على أن تقتصر في مأوى تصرفات  
النساء، فيبقى وجوههن وأجسادهن مستورة، ويجلس عندما يذهبن إلى  
الوادي القريب ليلين مطالب الطبيعة القرفصاء بطريقة محتشمة، لا يرهش  
ماء من بظاظاة واقفات.

ولم يأمر تانوس بفتح الحرم التي تحملها الحمير وتوزيع الأسحة التي  
تحتويها على الإماء إلا بعد هبوط الظلام، فسام كل منهم وقوسه وسيفه محبباً  
تحت مُنَرَّسه

عين تانوس حارساً مصدعين حول المخيم، وبعد أن تحققت منهم  
وتأكدنا أن جميعهم في موقع حدد واتناه نام، سالت وتانوس مبعدين،  
وعدنا تحت جبح الليل إلى مرأى سفاجا ثم قدته عبر الشوارع لمعتمة إلى  
منزل تيامات، وكان لتاجر يرتقب وصولنا فسط بنا مائدة ليرحب بنا،  
واستشفيت أنه كان متحمساً للإماء تانوس

حيًا مائلاً «إن شهرتك تسبقك يا سيد حاراب لقد عرفت أباك. كن رجلاً حقيقياً ورغم أنني سمعتُ إشاعات كثيرة تقول إنك متُّ في الصحراء منذ أقل من أسبوع، وإن حدثك في هذه اللحظة مسجاة عند الحاثوثيين على سفة السل الغربية، مخصع للأنام الأربع الطقسية لعملية الحصيد، مُرحب بك في مرلي المتواضع».

وبعنا بمنعنا بالولاية التي قدمها بناءً بأمه قافوس باستفاضة عن كل ما يعرفه فيما يخص لصردان، وأجابه قياهاات بطلاقه وصراحه.

نظر تايوس إلى أحياراً وأوماً برأسه، ثم استدّر إلى قياهاات وقال: «بعد كنت صديقاً سخياً لنا ولم تكن رغم ذلك صديقين بالكامل معك. والضرورة سبب ذلك، لأن من بالغ الأهمية أن لا يحضّر أحد غايقنا الحقيقية في هذا المسعى أحررت الآن أن هدفي سحق لصردان وتسليم قادتهم لقضاء الفرعون وسخطه».

انقسم قياهاات ومُسّد بحيقه «لم يفاحني هذا كثير، فقد سمعتُ بأهمية التي وضعها الفرعون على عاتقك في مهرجان أوريموس ولم يترك ذلك، مُضافاً إلى اهتمامك الجلى بتلك للعصاات انصافاً، إلا قليل الشك في حظي. لا يمكنني القول إلا إنني سأقدم الأصاحي للآلهة قريباً بجاحك».

سأحتاج إلى مساعدة ثانية لأصبح.

ما عليك إلا احلّط.

أتظن أن لصردان بانوا هارفين بأمر قاهلتند؟

سفاحا كلها تتكلم عنكم فحمونك هي ائمن حموة وصلت في هذا الموسم، إن تبلغ قيمه ثمانين أمه جميلة ألف حاتم ذهبي على الأقل لكل واحدة مهن في الكرتك. (ثم قهقه وهز رأسه إثر الدعابة) يُثق أن لصردان يعفون بأمركم بالفعل، وقد رأيت على الأقل ثلاثة من حواسيسهم في الحشد عند اسياحل يراقبونكم. توقع أن يقابلوكم ويقدموا مطالبهم قبل أن تصلوا إلى المعبر الأول حتى

عندما نهضنا لسنادن في المغادرة، مشى معي حتى باب: «الفرعي الآبهة جميعها مسعاكم ليس الفرعون وحسب. بل كل نفس حية في المملكة بأسرها ستكون مدينه لكم إن تمكنكم من القضاء على هذه المصيبة الفظيعة التي تهدد بدمار حضارتنا، وإعانتنا جميعاً إلى الهمجية،

عندما انطلق ارتل في الصباح التالي، كان الجو لا يزال مظلماً ومدرّ،  
بيما تقدم تانوس -ولانثاتا مُدلاةً على كتفه الفاقلة، أتبعهُ، بكل بهائي  
وحمالي النسائي، من كُتب.

من طعننا، كانت الحمير مجبومة في طابور واحد، تتحرك أبقاً لا بل في  
منتصف لعمر المتهاك والإماء في رتل تُدني على حاسي طابور الحمير،  
كانت أسلحتهن محبأة في البرادع على ظهور الحيوانات، فلا يحتاج أي من  
الرجال إلا إلى مد يده بصير على بصاب سيفه.

قسم كراتاس مرافقه إلى ثلاث جماعات كل منها من ستة رجال، يقودها  
أستيس ورمزم وهو، كان أستيس ورمزم محاربين شهيرين وأكثر من  
مستحقين قيادة فرقي خاصة بهما لكن كليهما رفض في مناسبات عديدة  
الترقية ليبقى مع تانوس. هذا هو صدف الولاء الذي ألهبه تانوس في جميع  
من خدموا تحت إمرته ثم يسعى إلا التفكير مرة أخرى في العظمة التي كان  
يبلغها لو صار قرعونا

وراحت المرافقه تسير متراخية على طول الصدور، بادرة كل الجهد  
الممكن لتخلي عن مشيتها العسكرية قد يبدو بلحواسين لدبر يرافقيها  
من التلال بلا شك أنها حاصرة لا شيء إلا مع أي من لإماء من الهرب، بيما  
عناصرها في الحقيقة مشغول كل الانشغال طجم بواعثهم على الاندفاع في  
مشية عسكرية وصياح لازمه، حتى أعاني الفرقة لصاخبة

سمعتُ برمزم يعترض على أحدهم. «هيه! أنت يا كيرنيت! لا تحط هذه  
لخطوات الصويلة يا رجل، وهرهر مؤحرتك، لندينة تلك بعض شيء، حاول  
أن تكون حذاباً»

فردُّ عليه كيوتيب: «أعصي قلة أنها البقية وسأفعل أي شيء تقوله»  
كانت الحرارة تتصاعد، وبدأ السراب يجعل الصخور تترقص، فاستدار  
تانوس لي. «هريئاً سأعبر استراحتنا الأولى كأس واحدة من الماء بكل...»  
فقاصعهُ، «قد وصل أصدقاؤك يا زوجي الصالح، انظر أمامك!»

عاد تانوس سخره، وميض هربياً على مقبض قوسه العظيم الممدى على  
جانبه «ويا لهم من صحب راقين أيضاً!»

في تلك اللحظة، كان طابورنا يتعرج بين التلال لسفحية الأولى أسفل  
صعيد الصحراء، ومن كلتا السحيتين، كنا مسؤولين بالحواشيب المتصهرة بالتلال



الصحرة وقف ثلاثة رجال في الطريق أمامنا، قائلهم شخصية طويلة  
مكورة، متسربل باللبس الصوفي لدى بلبعه المسافر في الصحراء، لكن  
رأسه مكشوف وله بشرة شديدة السمرة نحريتها سوب الجدرى، وأنف يشبه  
منقار نسر وكانت عينه اليمنى هلامًا أغيش بسبب نودة العمى التي تحفر  
عميقًا في مقلة صحنائها.

قلتُ برفق حتى لا سمعني احد إلا تانوس: «أعرف هذا السافل الأعور  
اسمه شوفتي، وهو أسوأ رعاء البصردان سمعة، خدرة، ولأمد وحش لطيف  
بالمفاربة به»

لم يُبد تانوس أي إشارة على أنه سمعني، بل رفع يده اليمنى ليظهر أنها  
لا تحمل سلاحًا، ونادى باستهاج «فتكن أيامك جميعها معصرةً بالبسمين  
أيها المسافر الكريم وعسى أن تستفك زوجة محنة هي باب بيتك عندما  
نتهي رحلتك أخيرًا».

فردُّ عليه شوفتي: «عسى أن نضل فُرَّتْ منك ملأى وأن تهوى السمات  
البرية جبهتك في عبورك الرمال الظامئة» وابتسم، فكانت ابتسامة أعنف من  
رمحة نمر، ولعلت عينه لوحيدة لمعاب مروعًا

«نك لمفضال يا سيدي النيد، أو، لو أدعوك لى وليمة وإلى ضيافة  
محيي، لكن أرجو أن تسامحي، فأمامنا طريق طويل ولا بدُّ لك من  
العدى»

تقدم شوفتي ليقطع الصريق «امحني بعضًا من وقتك دعُ ب صديقي  
الأشوري البوق، هدي شيء ستحتاج إليه إن كنت راعيًا بلوغ لئيل رفقة ناسكك  
بأمن»، وحمل بيده غرض صغيرًا.

فلحَّب تانوس فائلًا: «آه، تميمة! أتراك سحرًا؟ أي ضرب من التمايم هـ  
الذي تقدمه لي؟»

- ريشة. ريشة صُرد (ولا يزال مبهتسمًا)

فابتسم تانوس، كأنما يجامل طفلًا «حسُّرُ حذاً إس، أعطني هذه الريشة  
ولن أؤحرت أكثر».

هدية مقابل هدية، عندك أن يعطيني شيئًا بالمقابل. أعطني عشرين من  
صاك، ثم، عندما ترحح من مصر، أقابلك في الطريق ندية لتعطيني  
نصف أرباحك من مبيع لستين البقيت.

نقل تانوس ساخرًا ومقل ريشة واحدة؟ مدو هذه صفقة بائسة من  
باحيتي،

هذه ليست ريشة عاديه، بها ريشة صُرِد، هل أنت جاهز حدّ أنك لم  
تسمع بانطائر من قبل؟

مشى تانوس تاحيته ويده اليمنى ممدودة وقار: «أرني هذه الريشة  
لسمرية»، ونقدم شوفتي للاقبه، وفي الوقت نفسه، تمشى كراتاس وريمم  
وأستيس بصورة فضويه، كأنما ليعاينوا الريشه

وبدلاً من أن يأخذ الهدية من يده، قبض تانوس محاة على معصم شوفتي  
وبرمه رفقاً إياه بين لوحى كتفه سقط شوفتي على ركبته مصلّف صيحة  
لعر وثمة تانوس سهوة، وفي اللحظة نفسها، مدح كراتاس وحاله  
بما غتوا المشّحين الآخرين مثلم بوعت رعيمهم وأسقطوا الأسلحة من أيديهم،  
وحروهما إلى حيث يقف تانوس

صاح تانوس «أخيّل إليكم أيها لطيور الضئيلة أى تخيفوا كآريك  
لآشوري مهنداتكم؟ على ما ماقع لريش الأنين، لقد سمعتُ يا صردن،  
سمعتُ أنهم سرب من العراج الضئيلة لمقفقة الحياة، والذي يثير صخبًا  
أكثر من سرب من الحصفير (ولوى دراع شوفتي بعنف أشد، حتى صرخ  
للص ألمًا وادّصح) بلى سمعتُ بالصربان، بكر أسمعتُ فكآريك المرّوع؟»،  
«أوما كراتاس، مجردوا لصردان الثلاثة بسرعه وكفاءة من ثيابهم وثبتوهم  
بأطراف منشورة على الأرض الصخرية

قال له تانوس، «أريدك أن تذكر اسمي، وتصير بعيدًا كصُرِد صغير صالح  
وقتم تسمعه في المرة القادمة»، وأوما لكراتاس ثانية شئى كراتاس بحلّد  
لعيد من أصابعه، وكان من صنف أداة راسقر الشهيرة نفسها، متحوّث من  
جلد نرس نهر مملح، ثم مد تانوس يده بطلبه، فسلمه كراتاس إياه على  
مضض.

نقل له تانوس «لا تحزن أيها العباس، سأتركك بحظى مدورك لاحقًا،  
بكر كآريك الآشوري يغرب لعرقة الأولى من القمر دائماً».

ضرب تانوس الهواء بالسوط حينه ودهانيّ، وصفر كجذحيّ إوذة في  
طيرانها، فنلوى شوفتي حيث مُدّد وبف رأسه يهسّ في وجه تانوس. «إنك  
مخبول أيها آشور الآشوري! ألا تذكر أسي زعم من رعماء مشره الصربان؟

إيات أن تفعل هذا سي..» كان قهره ومحيرته العاريين مرقطين سوب  
الجسري.

رفع فانوس السوط عاليًا، ثم أنزله بصرية وصح صيها طور درمه كله  
وكامل وريه، فرسم كدمة أرحمانية نحن سسنتي على ظهر شوقتي وكان  
الألم مبرجًا حتى إن حسد اللص تشنج بكامله وخرج لهوء صائرًا من رثتيه  
فلم يستطع الصراح ثم رفع فانوس ابجد وأبصر بإتقان كدمة أخرى  
محررة وارت لأولى تمامًا وكادت تمسها غير أنها لم تفعل وهذه المرة،  
ملأ شوقتي رثتيه وأطلق دوائرًا أصحل، مثل جاموس وقع في وجرة. نجاه  
فانوس سازه وحواره اسحاق، وسع عمله مثابرًا ينزل عليه الصربات كما  
يسبح سحادة.

عندما انتهى أخيرًا، كانت على ساقى ضحيته وردويه وظهره شبكة من  
الحسرات القاسية، لكن لم تتراكم أي صرية على أخرى، وظل الجند سبيًا  
دون أن ينقطر منه قطرة دم، غير أن شوقتي لم يعد يتلوى أو يصرخ، بل  
رقد وجهه محشورًا في التراب وأساسه تحرحر في حلقه، وكل رنة من  
رمراته تلجج بفحة غبار، لم يحاول الجلوس عندما تركه ومزم وكراقاس، ولم  
يتحرك حتى.

رمى فانوس السوط لكراتاس. «التالي لك أيها النحاس فلندري أي نقش  
جميل يمكنك وشمه على ظهره»

صنعت صربات كراتاس قوة، لكنها افتقرت إلى البراعة التي أظهرها  
فانوس، وسرعان ما صار ظهر اللص يررب كحرة سد معيوبة، ورجحت  
فصيرت ادم تهطل على التراب وتتدحرج لتصير كرات طينية صغيرة.

رصي كراتاس أخيرًا، وسال منه بعض العرق، فمرر السوط لأستيس  
وأشار إلى الصعبة الأخيرة: «منح ذاك شيئًا يذكره بالقزام الآداب كذلك»

كانت لمسة أستيس أحلف من كراتاس حتى، وعندما انتهى، بدأ ظهر  
الصل الأخير كحاصرة من لحم بقري طارج قطعها حرار مخبول.

أشار فانوس للقافلة بأن تتقدم ناحية الممر بين حناي الصخر الأحمر،  
وتلتفتا قليلًا بحوار ابرحال العرة الثلاثة.

تحرك شوقتي أخيرًا ورفع رأسه، مخاطبه فانوس بتهديد: «وهكذا لا  
صديقي، أسألك بالمغادرة تذكر وجهي، وأمشي بحذر عندما تراه ثانية (ثم

انقطع ريشه الصُّرود الساقطة وعجزها في عصاه رأسه)، أشكرك على هيبك،  
وعسى أن تحتضن ليلتك كلها أدراج السيوف المليحات، ولحسن قلبه وشفقته  
على غرار إشارة الوداع الآشورية، وتبعته على لطريق حطب القافلة المخادرة  
نظرت خلفي قبل أن يهبط الطلعة التالية، ورأيت الصرور لثلاثة وفين،  
سعد واحد منهم الأمر لمظل مستقيماً، وتبعته رغم المسافة المتعير على وجه  
شوقتي، كان خلاصه الكراهية لمقطرة.

قلت لكراقراس وبرابرتة: «حسنًا، لقد حرصت على أن ينقُص عليا كل  
صرير على هذا الجانب من النيل في اللحظة التي سنخطو فيها أول خطوة  
وراء المعبر، وما كنتُ لأسعدهم أكثر لو وعدتهم بحمولة سقيفة من الحبة  
والبسات الحميلات



نظرنا من قمة الممر وراينا إلى رقة البحر الهادئة مرة أخيرة، ثم هبطنا  
إلى البرية الصحريه والرمليه لقائفة ابحاثه بيند وبين النيل.

وبينما نتحرك قُدماً، هاجمنا احز مجوم عدو لدود. بدا أنه يدخل من  
أفواهنا ومخرب عندما نلهث أنفاسنا، ويمتص الرطوبة من أجسادنا مثل  
لص، فحرق حوبنا وشققه حتى انفتحت شفها كحبات تين أدبها  
النَّصج. وكان الصمر بحسب ساحتنا كأنه خرج من دور صابغ القصور،  
فسمع أقدامنا وقرحها محترقاً العدل الجلدية لصبادلنا، واستحالت علينا  
متابعة المسير في أشد ساعات النهار حرًا واستلقينا في الظل الواهي للخيام  
الكتانية التي منحنا إياها تيامات ورحبنا بهت ككلاب الصيد بعد المطاردة

تابعنا طريقنا بعد أن غاصت الشمس في أفق الصخر المتعرج، وكانت  
الصحراء من حولنا مشعونة بفطر مبيد مجهول كنت حتى معنويات حرس  
النمساخ لأزرق العالية شق لطايور الطويل البطيء طريقه مثل أعمود  
مشوه عبر المنكشقات لصحريه اسوداء والكتبان لعباء غيرة الأسود فوق  
الطريق القديم الذي عبره من قبلنا مسافرون آخرون لا حصر لهم

عندما أرحى الليل سدوه أحياناً أشرق اسماء بسناء النجوم وأمار  
الصحراء نور ساطع جعلني أعرف من مكاني على رأس القافلة وشكل  
كراقراس في سلها، رغم أن مثني خطوه تفصلنا سرب عند نصف الليل قبل  
أن يعطي تانوس الأمر بالاستراحة، ثم أيقطنا قبل الفجر ووسونا حتى أذاب

سراب الحر المنكشفات الصخرية من حويد وجعر لأفق يطفو ويسو مسدوداً  
من قار سائل

لم ير أي أثر آخر من آثار لصاة، باستثناء مره سخت علب قبها رمره من  
هروء الرياح الصغراء من جروف هضبه جرداء في صرورما من تحتها، وجوئت  
فسور في السماء لورقاء الحارة على علو جعلها لا تبدو إلا هباءً يدور في  
دوثر بطيئة ومدروسة موقنا.

عندما استرحنا في منتصف النهار، راحت الروابع تدور حول نفسها  
وتمائل مرشاقة الحوريات ارقصة في اسهون، ونذا كأس الماء الذي كان  
حصتي يستحيل بقاءاً في فمي.

تدمر كراتاس غضب: «أين هم حق صفى بيت المتعرق؟ أمل أن  
تستجمع هذه الطيور الصغيرة شجاعها قريباً وترجم إلى مجتمها»

ورغم أن جصيف محاربون قداماء أشداء ومعتادون أصنك والمشفقة، كانت  
الأعصاب والأمرجة ترداء إرهاباً

بدأ الرفاق المقربون والأصدقاء القدامى يرمح أحدهم في وجه الآخر بلا  
سحب، ويتشاحرون على حصة الماء.

قلت بتانوس: «إن شوقتي لكلب عخور مأكّر سجمع قوائه وينتظر أن  
مأتي إليه بدلاً من الإسراع إلى بقائه. قصده أن يتركنا نهل أعمس بالرحه،  
وبصير - لإعيائنا - مستهترين، قبل أن يخرب ضريقه»

في اليوم الخامس عرفنا أننا نقرب من واحة جلالة عندما رأيت أن  
الجروف لقدمة أمامنا مثقبة كهوف المذابر القديمة منذ قرون مضت،  
كانت الواحة تعيل مدينة مزدهرة، لكن ربر لا زلزل الهصب وأتلف لأبر.  
ورغم أن الأكابر حُفرت إلى أعماق أسحق للوصول إلى المياه المنكفة وبلغت  
السلام الأرضية مكاناً حيث يظل سصح الماء في الظن دائماً، ماتت لمدينة،  
وابتصت الحيران معدومة الأسقف مُهملة في الصمت وشمنت اعطاءات  
بعضها في الأحواش التي عارل فيها التمار، لأثريه نساءهم ذات مرة.

كان هما الأول تعنة مزب ماننا، شوهُ الجدى في البئر السحيق أصوات  
الرجاء الذين يسحبون لماء من قعره، وبينما أنهمكوا في ذلك بهيب  
وتانوس في جولة سريعة على المدينة البباب كانت مكاناً موحشاً وكثيباً،  
في وسطه المعبد المنصفصع لإله خلالة الراعي، وقد انحسف سقفه وإنهارت

جبراته في بعض الأماكن. لم يكن له إلا مدخل واحد عبر البوابة لمتفنتة في طرفه العربي.

نبت عمم تانوس يدرعه، وبقيسه بعين الحُدَيْثِ من أجل الذُحُصين ونصب الكمين «هذا سيفي باغرمس أيما إيفاء» (وعندما سألته عن نواياه، بنسب ومن رأسه) «ترك هذا الجزء لي يا صديقي القديم القتل حرفتي».

وبينما يقف في منتصف المعبد، لاحظ آثار مجموعة من قردة الرَبَّاح على التراب تحت أقدامه، فذلت تانوس عليها وقالت له «لا بد أنها تأتي لتشرب من الأنار».

عندما جلسا في تلك المساء حول النيران الصغيرة المدخنة بروث اصغير المجفف في المعبد العتيق، سمعت قردة الرَبَّاح ثانية، إذ رحت فحولها المسنة توعوج تحدياً في لئال المحيطة بالمدينة الجباب، وبوت أصواتها جيئة وذهاباً على طول الحروف، فأومأت لتانوس من فوق الدرع «لقد وصل صديقت شوفني أحياناً، كشأوت في التلال فوجدنا ير افيوتنا الآن، وهم من خوف الفردة».

رجع تانوس قائلاً، «أمل أن تكون محق، فأوغادي على وشك انمرد، وهم يعرفون أن الأمر كله فكرتك، بدأ إن كنت مخطئاً، فقد أصطر إلى نسبهم رأسك أو تُترك لأسترضيهم»، ومضى ليكمل أستيس عند انذر المجاورة

نغشى مزاج جديد بسرعة في المخيم عندما أدركوا أن الصو قريب فتلأشت النقطيات، بعدما انسم بعض الرجال لبعض في صوء النار محسرون حلقة نصال سيوفهم لمخبات تحت القُرش النحاسين عليها. عبر أنهم كانوا محارين حذرين وظلوا على سيرة حياة لفيلة العادة حتى لا ينهوا مراقبتهم في اللال المعنمة فوقنا، وأحياناً، صار جميعاً محروماً على مراهه، وحبب النار، يكن سم مد أحد، وسمعهم يسعلون ويسلمون باضطراب في العيمة من حولي، طالب الساعات المسيدة وراقب من خلال السقف أبرج النجوم المعيمة تدور في مهء مهيب فوق رأسي، يكن لم يأت الهجوم.

وقب العجر بقليل، جال تانوس جولته الأخيرة على الحراس ثم وفي طريق عودته إلى مكانه بجوار رماد نيران الليلة الماصبة اسرد، توقف معور مراهي للحظة وهمس، «أنت وأصدقائك قردة الرَبَّاح يستحق بعضكم بعضاً. كلكم يسبح على الظلال».

«احتججت؟» الصريان هنا، يمكنني شمهم، التلال تعج بهم».

نحز من قائلًا «كل ما يمكنه شمله هو الوعد بالظهور» كان يعلم كم أبغض اقتراح أني بهم، وبدلاً من الرد على هذه الدعابة الغرّة، خرجت إلى الظلمة لأريح نفسي وراء أقرب كومة من الحصى

وعندما فرقت هناك، فغوغ ربح ثانية، وكشّرت الصيحة الحادة الملعونة لصمت الاستثنائي لأحر مروع الليل وأحلكها أدركت رأسي في ذلك الاسحاه وسمعت صوت المعدن يربطم بالصخر واهناً ومعبداً كأن يدًا مفعلة أسقطت متجراً هناك على الحافة، أو أن ترسًا مستهتراً لدعس بروداً جرابيتياً على حين يهرع رجل مسلح ليتخذ موقعه قبل أن يندركه الفجر

ابتسمت راضياً عن نفسي، إذ لا توجد إلا قلة من المسرات في حياتي نضاهي جعل ثانوس يعترف بحطاً كاملاً، وفي طريق عوبيتي إلى قراشي، همست للرجال الذين أعمرهم «تجهزوا، إهم صاه»، وسمعت تحذيري ينتقل من ثم ساهد إلى آخر

بدأت لنجوم تتلاشى من فوقي ورهف الفجر غلب ناعداً سؤة ملحق قصداً من المها، ثم سمعت صفاه حارساً عند حدار المعبد العربي يصفر مرسلًا تعريضة سلسلة تحاكي صيحه طائر أسود، إلا أنها جميعاً تعلم حقيقتها، وضجت على لقور حركة في المحيم أوقفتها همسات كراتاس وضياطه الحبيصة والملحة «اثبتوا أبها الزرنا تذكروا أوامركم، إلى مواقعكم»، وبم يترجح رجل عن قراشه.

من بون أن أبهض، وشالي يحجب وجهي، أدركت وجهي ببطء وبضرب إلى أعلى الحروف التي ارتفعت فوق أسوار المعبد بدأت ظلال اللال الجرابيتية الأشبه بأسمان انقرش بسدل بأشد الحث، وبصرت أرضاً حتى أتيفن مما أرى، ثم أدركت رأسي على مهل في باثرة كاملة، ورأيت الأمر نفسه حيثما نظرت، كان خط السماء حولنا موشياً بالأشكال القائمة والمهددة لرجار مسحين، وشكلوا حولنا سياجاً غير منقطع لا يأمل قارئ اخترقه

عرب حينها لم أجد شوقي تأره هذا التأجيل، فجمع جيش كهذا من النصوص يستغرق وقتاً لا يد أنهم ألف أو تريد وإن لم يكن إحصاء عديدهم ممكن في الضوء الشحيح كانوا يفرقوا عدداً بسنة عشرة إلى واحد على الأقل، وشعرت بمعويتي تكوي، والاحتمالات تبعة حتى لجماعة من الزرق، وقف لصردان ثاسين ثبات الصخور من حولهم وحوافني هذا الدليل على انصبطهم، كنتُ توقعُ أن يتبعقروا علينا في جمهرة عشوائيه، لكن سوكهم

كان سلوك محاربين مدربين، وبدأ ثامهم أكثر بهديداً وبرهناً من أي صاحب  
همجي وتلويح بالأسلحة.

ومع اشتداد الضوء، صار بإمكاننا تبيينهم بوضوح أكثر ومضت خيوط  
الشمس الأولى منعكسة عن برونز قروصهم ونصال سيوفهم المملوءة،  
وأطلقت نبأاً من الضوء في أعيننا كان جميعهم مُدثراً، محيطاً رأسه بوشاح  
من صوب أسود لا يظهر منه إلا أعينهم في الشقوق، عيون حافده كعيون  
اقروش الرقء الكاسرة التي تروّع مياه البحار التي تركناها خلفنا.

صل الصمت حتى ضمنتُ أن أعصابي قد تتمرق وينهجر سبي بصعط  
الدم داخله ثم رن صوتٌ فجأةً محطفاً الصمت ومرحفاً صداه على امتداد  
الجروف. «كأاريك! هل أدت مستيقظ؟»

تعرفتُ شوقي التي اذك على الرغم من الوشاح الذي يُقنعه كان واقفاً  
في منتصف الحدّ العربي للحرف، التي يمر لطريق عبره، وباسي ثابته  
«كأاريك! لقد أن الأون تندفع ما تدين لي به، لكن السحر ارتفع، أريد كل شيء»  
الآن كل شيء! (وأماط اللثم حتى انكشف ملامحه المجردة) أريد كل شيء  
تملكه، بما في ذلك رأسك الأحمر المتحرف،

تهض ثانوس عن فراشه وألقى جانباً ساط حد القدم الخاص به، ثم رن  
عليه: «إذن قمك المحييء وأحذه»، وأسلّ سيفه

رفع شوقي ذراعه اليمنى، وبالألت عنه العماء مثل عملة فضة، ثم  
أنزل ذراعه فجأةً

عند إشارته داعت صبيحة من صفوف الرجال التي تعطر المرتفع، ورفعوا  
أسحتهم وهزوها ناحية سماء الفجر الصفراء لشاحبة، ثم لَوَّح لهم شوقي  
أن تقدموا وتقدموا رانلاً من الحروف إلى وادي جلاله الضيق.

أمروا ثانوس إلى منتصف باحة المعبد حيث نصب لسكان القدماء  
مدبجاً ححرناً مرنقفاً لإلههم يمس، إله الموسيقى والنمارة القمر، ثم بينما  
ركض كراتاس وصبطه لينصموا إليه، ربضتُ والإماء على فرشنا وعطينا  
رفؤسنا ورحنا نواول نعوا.

وثب ثانوس معتلياً المدبح، وهبط على ركبة واحدة يثني القوس العظيمة  
لاناتا احتاج إلى كامل قوته حتى يوترها، لكن عندما وقف منتصف من جديد،  
قرأاً في نقاش سك الإلكتروم المصبي كأنه كان حي، ثم مد يده من فوق



كنفه وسحب سهاً من الكدانة على ظهره وواجه السواة الرئيسة التي لا تحُد  
لحشد الصردان من الدحول معه.

تحت المذبح، كان كراتاس قد صف رجاله في صف واحد، فأوتروا  
أشواهم كذلك وواجهوا مدخل الساحة شكّلوا جماعة صغيرة صفراً نعتاً  
حول المذبح، وبينما أراهم شعرتُ بكثرة تبعو في حبي، كانوا شجعان  
وعير هيبين، وكتبُ موشكاً أن أليف سونيئة في تكريمهم، قُربتُ تلك إثر  
اندفاعة مفاجئة، لكن قبل أن أتمكن من طم أسطر الأول، اندفع رأس غوغاء  
المشطحين يعوي عبر البوابة البحرية.

كان الدرج المنحدر إلى السطح لا يتسع إلا لخمسة رجال جنباً إلى جنب،  
والمسافة إلى حيث يقف قانوس على المذبح أقل من أربعين خطوة شدُ  
قانوس سهمه الأول وأطلقه مصقاً وقتل داك سهم وحده ثلاثة رجال أولهم  
مُجرم طويل يرتدي ثوباً قصيرة، وبه جدائل شعر طويلة زلحة مساية على  
ظهره أصابه السهم في وسط صدره العري ومزّ من خلال جذعه كأنه يمرّ  
في دريئة مصصصة من ورقة بردي.

بعد أن رُفقت دماء الرجل الأول، أصاب السهم الرجل من خبفه في حلقه،  
ورغم أن قوّته بدأت تتدد، اخترق عنقه وخرج من الجانب الآخر، لكنه لم  
يتمكن من المرور بالكأس، د عقلت الريشات في آخر جذعه بلحمه، لم حين  
دمن السن البرونزي الشانك نفسه في عيني رجل ثالث كان يرحمه من كتب.  
قُبّت الصردان معاً بالسهم، مترنح وتحيطا في منتصف البوابة، وسداً بذلك  
الطريق على أولئك الذين يحاولون بدورهما إلى الساحة، وأحمر، اقتلع من  
السهم من جمجمة لرجل اثنان، والمقلة محوزقة عليه، فانهار لصردان  
الصريعان وأصبحت حشد من اللصوص الصرحين من فوقهم في الساحة  
عابلتهم لجماعة الصغيرة حول المذبح برشعة سهام تلو الرشعة، فأحدوا  
بصرعونهم حتى كادت جثثهم تحجب المدخل، وصار انقادمو من حلف  
مجرير على الذراع فوق ثلاث أقتلى وامحروحين

لم يحلّ ذلك كثيراً، مضطت المحارمين انقاسين من الخلف كان شديداً  
جداً وأعدادهم عارمة. ومثل انغار مصداً أرصي عجر عن إيقاف فيضان النيل  
المرتفع، اقتحموا المدخل، وتدفقت حمرة متينة من المقاتلين إلى الساحة  
مضوّت الجماعة الصنيلة حول مذبح الإله يس.

كان اميدان محققاً أكثر مما ينبغي للأقواس، فألقاها تانوس ورجاله جانباً واستلوا سيوفهم، ثم أطلق تانوس صيحته للمعركة «سلّحني يا خوريس»، وببعض تلقفها الرجال من حوله يشرعون بالعمل دوى البرومز على البرودر عندما حاول الصردان الانقصاص عليهم، لكنهم شكّلوا حلقة حول المسيح وحوّهم فيها إلى الخدرج، هصاروا من حيثما هجموا لافتهم السنان ومسيعة احرس الفتّاكة. لم يكن الصردان باقصي شحاعة، بل صفطوا في صفوف متراصة حول المديح وصاروا كلما حُرع أحدهم هز آخر في مكانه.

أيت شوفني في ابوابه، كان ممسكاً عن الاشنيك، لكنه يسبّ رجاله وبأمرهم بخوض حومته بصيحات حيق مروعة وعينه العمياء نلت في محصرها بسماحتهم «جليه الي الأشوري حياً أريد قتله بأداة وسماع صراخه».

تحاول النصوص النساء المبكمشات على أفسهن فوق فرشهن برؤوس مغطاة يولول ويصرخن دعراً ولوّلت مع أشجعهم لكن صراوة الاشتباك في منتصف الساحة ألفتني، فقد صاروا يحلون تلك الوقت أكثر من ألف رجل محتشٍ في المساحة الضيقة، ورُكّلت وبكرتني صنادل القبيلة امقاتلة وخنقني الثراب حتى تدبرت الزحف بعيداً إلى ركن احائط

راع أحد المشلحين عن القتال وانحنى فوقي فتزع الشار عن وجهي وحسّني إلى عيني لحظة ثم قال لاهناً «يا لأم إيزيس! انت حميلة»

كان شبيهاً قسماً بفحوت بين أسنانه ويدب على أحد حديه، وحرخت أنفاسه ثثة كبابوعة صرير صحي عندما نفث شهوته في وجهي ثم توعدني قائلاً «سظري حتى يسهي عمسا هذا، فأصحك تذاك شيئاً يحبك برعقين متعة»، ثم نوى وجهي شداً إياه وقبّلني.

أمرقني غريزتي الطبيعية بالابتعاد عنه، لكنني قاومتها وردت قبليته أذا قبال في سون الحب، اكتسبت مهاراتي في مهاجم لعمان عبد السيد بقتف، وغبلاتي قاذرة على تحويل الرجال إلى ماء.

قبّلته بكل براعتي، مشلّته قبليتي وإذا هو كذلك، اسقالت خنجري من غمده تحت ورتتي وحشرت رأسه في انحواه بين صبعيه الخامس والسادس، ولما صرح كتم صوب صراخه بشفتي، وبينما حضنته خضناً محبباً أبرم البصل في قلبه حتى ارتحى فوقي تماماً، وتركته يسحب على حاسه

قُلْتُ نظري من حربي بسرعة، ورأيتُ أن محبة مجموعة الحرس الصغيرة  
المحيطة بالماضي قد تفاقمت وتخلب صفعهم الوحيد فجوات، فقد سقط رجال  
وخرج امست، ويمنى نقل سيمه إلى يسراه تدلّت يدها بارقة على حبه  
تهافت علي الارتياح إذ رأيتُ أن تانوس لا يزال يكمن صحتة، لا يزال  
يصحك سمعة بربرية على حين جهد سعه، غير أنني صمته قد نأحر أكثر  
مما يجب في إطلاق سطره، إذ احتشدت عصبة الحرس بكاملها في الساحة  
وداحب توعوج مثل كلاب صيد اجتمعت على فهد يعتلي شجرة، ولا بد أن  
تذبحه وجماعته الصغيرة الهامة في غصون دقائق

وبينا أراقب، قتل تانوس واحدًا آخر بطعنة مباشرة في حلقه، ثم سحب  
البصل محرره من اللحم الملتصق به وبراح ألقى بعد ذلك رأسه خلفًا وأطلق  
جؤارًا رُحمت الجدران المتفتتة من حوسا صدره «إلي أيها لردق»

وفي التو واللحظة، وثبت لإماء المكشحات كلون وألقين جانبًا أنوابهن  
المجرجرة خلفهن. كانت سيوفهم مسولة بالفعل، ونقضوا على مؤجرة قبيبة  
الاصوص، فهاجؤوهم مفاحاة تامة وطاغية، ورأيتهم يقتلون مئة أو تزيد قبل  
أن يدرك الصمايا ما هم بصدده ويحشرون بقتلهم، غير أنهم عندما استداروا  
ليقبلوا هذا الهجوم الجديد، ولوا ظهورهم لتانوس وجماعته الصغيرة

لعد أحسنوا القتال، أقر لهم بذلك، رغم يعني أن دافعهم اندعر لا الشجاعة،  
لكن على أي حال، كانت صموفهم متراصة تراصًا حرمهم حرية التلويح  
بالسيوف، إضافة إلى أن الرجال الذين يواجهون من حيرة جنود مصر، أي  
من حيرة جنود العالم كله.

قاموا بعصر الوقت رغم ذلك، ثم حار تانوس ثانية من عمرة الوعي.  
ظننتُ للحظة أن جؤاره أمرٌ عسكري آخر، ثم أدركتُ أنه السطر الافتتاحي  
لنشيد المعركة احص الحرس ورغم أنني سمعتُ في أوقات كثيرة أناسًا  
يسلمون سماعة عن أن لروى يعبونه دائمًا في أوج المعركة، لم أصدق حقًا أن  
ذلك ممكن، حتى تلفت مئة صوت مُجهّد الألفية من حولي.

نحن أنماش حورس

الحارة كريح الصحراء،

نحن حصان الرجال..

صرخت سيوفهم لحداً من فُف للكلمات، مثل صلصلة المطارق على سدين  
انعالم السفلي. وهي مواجهة هذه الشراسة المتحرفة، ارتعدت قرائص ما  
بقي من الصردان، ويجرت المعركة قحاً إلى مدحة

وأيت من قبل زهرة كلاب بزية تمرق رعيلاً من الحراف، يكن ما يحري  
هذا اعنف، فقد رمى بعض الصردان سيوفهم وسقطوا على ركبهم يوسلون  
برحمة، غير أنهم لم يُقو رحمة، وحارب اخرون بلوغ ادواة، فوجدوا  
الحراس يتكثرونهم وسيوفهم في أيديهم.

رحت أتر قص على حواشي لقنال وأصرح من فوقه لقانوس، محارلاً  
حسن صوتي مسموعاً في لجة الهدير «أوقفهم! نحتاج إلى الأمرى»

لم يسمعي قانوس، والأرجح أنه تجاهل ماشداتي مساطة، وبيما ر ج  
مرفهم يعني ويصحك وكراش عن سمة ورميم عن ساره. كانت لحيته  
مبقوعة بما مخر من دماء قتلاء، وصداء تلتعن في فتاح وجهه الأحمر  
السيل سحون لم أزه قبهما من قبل ما لحائي لسيحة كم يرهق في تيار  
المعركة العيف!

صرخت، «توقف يا قانوس! لا تفلأهم كلهم»، وهذه المرة سمعني، قرأيت  
الجذور يتلاشي، واستعاد السيطرة على نفسه ثانية

ثم زار قائلأ: «ارحموا من توئل البرحمة»، وأطاعه الحرس. لكن في  
النهاية من أصل ألف صرد، حبا أقل من مثلي أعز على البلاطات الحجرية  
الدمية وتوصلوا الإبقاء على حيواتهم،

وقفت داهلاً ومرتاب لبرعه عند حافة هذه لمجزرة ثم سحب بطرب  
عيني حركة مُسترقه

أدرك شوقتي أن الهروب من البوابة غير ممكن فرمى سيفه وانطلق  
باحية السور الشرقي لساحة بالقرب من مكان وهو. كان هذا الجزء أكثر  
الأحراء حراً، حيث انحسف الحدار إلى نصف ارتفاعه الأصلي، وشكل الطوب  
انطس السامط منصة مرتفعة راج شوقتي يتسلقها اقتراب من قمة الحدار  
مسرعة رعم برلاقه وسقوطه لمتكر، وبد أضي لوحيد لذي لاحظ مرره، إذ  
كان الحرس مشعلين بأسراع، وبينما قانوس مولياً إياي ظهره يدير عمية  
التخلص من بقايا العدو المحطم.

ومن دون تفكير تقريباً، سحبْتُ والتقطْتُ نصف طوبة طيبة ومع بلوغ شوفي قمة الجدار، رميته بصورة بكل طاقتي، فحبطت قفا جمجمته بشدة أسقطته على ركبتيه، ثم انهارت الكومة العسّارة من الكسّارة الرخوة تحته وانزلق عائداً في سحابة من العسل ليحصد عند قدمي نصف صاج.

وثبت عليه حدث بوقد مطوقاً صدره بساقي وحشرت رأس حجري في حلمه، وراح نظره محدث إليّ وعينه الوحيدة لا تزال تلمع بفعل الشرخ الذي أصبته به.

وحذرته «أرقد بثياب وإلا بقرنك كم تُبقر السمكة».

كنت قد أضعت وشاحي وغطاء رأسي، وانساب شعري فوق كتفي. فتعرفني حينها ولم يفاخني ذلك، فقد التقينا مراراً لكن لمي أطراف محبقة. تلثم قائلاً «قابتا الحصي» أعلم السد إنتف بما يقمبه؟».

فطمأسته: «سعلمُ بالقرب العاحل (ووكروه حى نحر)، لكك لن تكون مُطْلَغُه».

ومن دون أن أخرج السن من حلقه، ماديت اثنين من أقرب الجبور بأخذه، فعلباه على وجهه وربطاً معصميه بحبل كتاني ثم جراه بعيداً

رأى تانوس أقبص على شوقي، فجاء إليّ بخطى واسعة فافراً فوق القتلى والجرحى وقال: «رمية ممتازة يا قايقا! لم يس شئت مما عنيتك إياه (ورمت طهري بشدة ونحتني)، لا يزال أمامك الكثير من العمل، فقد حسرنا أربعة رجال قتلوا، وثمة ما لا يقل عن درينة جرحى»

سألته «ماذا عن معسكرهم؟»، وحدثني إليّ.

- أي معسكر؟

- لم يثبت ألف صرد من ابرمال مثل رهور الصحراء لا نذ أن معهم مهازم وعبيد، وهي مكان غير بعيد من هنا حسب أن لا تتركهم يفرون. حسب أن لا يهر أحد ليحكي حكاية معركة اليوم لا يصحى السماح لأي منهم بحمر ثياباً ألك حي إلى الكرتك.

- إلك مصيب وحق إيزيس العدة لكن كيف سجدهم؟

كان واضحاً أن تانوس لا يزال ناهلاً شهوة المعركة اتساع أحياء عما كان يفعله من دوى.

قلتُ مصبراً بآدم: «بقبلي طريقهم رجوعاً فألف روج من الأقدام لا بدَّ ترك لنا طريقاً نقتبعه إلى حيث أنى»

أتى وجهه، وبأدى كراتاس عبر عرض المعبد عائلاً: «حد خمسين رجلاً واهب مع قايقتا، سيأخذك إلى معسكرهم القعدة».

هصمتُ أحتجُ: «لكن الجرحى...»

كنت قد استمتعتُ بما يكفي من أفعال ليوم واحد، لكنه تجاهل اعتراضاتي وقال: «أنت أفضل متعقب عسدي، يمكن للجرحى انتظار رعايتك، فبرابرتي قُساة كثر نرح لحم الجاموس الطازجة، ولن تموت إلا قلة قليلة منهم قبل عوبتك»



كان إحياء معسكرهم بسهولة كلامي عنه، إذ أجريت رفلة كراتاس وخمسين رجلاً يتعقبني من كثب عمية اقتشفه وأسمه حول المدينة، ووراء أول صف من الخلال، التقطتُ الأثر اعرض الذي تركوه عندما حاذوا وانتشروا بيطوقوثنا، متبعده حياً وقطعنا أقل من ميل قبل أن يعتلي طلعه وتجد معسكر الصردان في الوادي الضحل تحت

باعتناهم مباغطة صاعقة، وما كانوا قد تركوا إلا أقل من عشرين رجلاً في حراسة الحمير والنساء، فاكتسحهم رجال كراتاس بالهجمة الأولى، وتأخرت هذه امرأة عى إقناذ أي أسرى. لم يبق رجال إلا على النساء، ولما أمضوا المعسكر، سمح لهم كراتاس بهم جرءاً من المكافأة التقليدية لمتقصرين

بنت بي النساء نوبة أملح مما توقعْتُ رؤيته مصحبة جماعة كهذه، ورأيتُ يبيهن عدداً لا بأس به من الوحوش الحميلة أسسمن لطقوس الغزو نصب نفس استثنائي، حتى إنني سمعتُ بعضهن يصعن ويمرح على حين يلعب رجال الحرس بالقرود تراهناً عليهن، إذ إن الساء الداخلي للعمل في سلك تبع المعسكر لعصايه من الصردان لا يُعدُّ نداءً رفيعاً، وأشكُّ أن أيّاً من هاته السيدات عتراء حيئة، قد هن مأكهن الجند الواحدة تلوا واحدة إلى حد حناح أقرب كتلة من الصحور، حيث رُفعت تذاويرهن من دون مراسم ضافية قمرٌ حديد يتلو موت سابقه وأربع يتلو اشتاء، ومثلها، لم يظهر أي من السيدات أمارات الحياء على روحها السابق بل في الواقع سا محتملاً أن علاقات حديدته وربما تكون قوية تُقام هنا على رمال الصحراء

أما عن نفسي، فكنت أكثر اهتماماً بالحمبر وحمولتها، إذ بلغت أكثر من  
مئة وخمسين حملاً معظمها متين وفي أحسن حالاته ويمكنها تحقيق أسعار  
ممتازة في سوق الكرنك أو سفاجا. حسبت أنني سأستحق حصة نقد مئة  
على الأقل عندما تُورع الحواتر العالية قدرغم كل شيء، كنت أفتقد بالعمل مبالغ  
ضخمة من مدخراتي في سبيل تعزيز هذا المعصرة، ويجب أن أُمنح تعويضاً ما  
سألكم تانوس جيباً في الأمر، وأترقب أن يتعاضد معي، به روح سحيقة.

كانت الشمس قد غربت عندما رجعنا إلى مدينة جلالة نفوذ البهائم  
الأسيرة المحملة بأغنائهم وتتبعنا شريحة من النساء اللاتي ارتبطن على نحو  
طبيعي جداً برجالهن الجدد.

حوبنا أحد الصيادين الأصغر حجماً نهار الآثار إلى مستشفى صناعي،  
وهناك عملت صيده اللير أخيط حواش رجال لحدس المصابين على ضوء  
مشعل وسراج زيت. وكالعادة، أثارت رصدهم إعجابي، ذلك أن الكثير من  
جراحهم كانت حرجة وأليمة، ومع هذا، لم أُلقد إلا مريضاً واحداً قبل بزوغ  
الفجر إذ استسلم أمست بما خسره من دماء شريين دراحه الحظوة لو  
أنني عالجتُه بعد المعركة مباشرة بدلاً من الذهاب إلى لصحراء، لربما نمكبت  
من إنقاذه، ورغم أن مسؤولية ذلك تقع على عاتق تانوس، شعرتُ بالذنب  
والأسى المعهودين بحاء موت ريب كان يوسعي مدعه بأي حال، كنتُ، نقاً  
أن بقية مرضاي سيتعافون تعافياً سريعاً ونظيفاً، فكلهم شأن أقوياء في  
حال متفوقة.

لم يبقَ صربان جرحى لأناويهم، فقد قُطعت رؤوسهم حيث رقدوا في  
ساحة المعركة، ويصفتي طبيباً، لطالما أرغصتني هذه العدة السالية في  
التعامل مع جرحى الأعداء، على أنني أرى فيها بعض المصطق رغم ذلك،  
فلم يهدر المنتصرون مواردهم على المبهومين المشوهين في حين أنهم لا  
يُرجح أن يحملوا أي قيمة في سوق العبيد، وإن تركوهم أحياء فقد يستردون  
عافيتهم ويقاثلوهم في يوم آخر؟

عشتُ صيلة الليل من دون أن أحظى إلا بمرعة ساذ ومصح لقيعت من  
الطعام أكلتها جيداً دامتني تنقيتني، وأوشكتُ أن أنهك، لكن لم تُقدّر لي  
الراحة نص، إذ أرسل تانوس في طلبي نور بزوغ الصوء

صُنِجَ الأسرى الصديحون في معبدٍ يَمُحُّ بَعْدَ أَنْ عُلِّبَ معاصمهم خَلْفَ  
ظهورهم وجلسوا لقرصاء في صفوفٍ صوية على امتداد الحدار الشمالي  
حيث وضعوا تحت الحراسه حالما دخلتُ لمعبد، ناداني تانوس إلى مكان  
وقوفه مع مجموعة من المضباط، وكنت لا أزال في لباس روجة آشورية،  
فرمعت تتورني المصطحة بالدماء ومشيتُ بحدٍ بين بقايا المعركة المبعثرة  
على الأرض.

سألني تانوس: «لقد قلتَ لي إن الصربان ثلاث عشرة قبيلة، أليس كذلك  
يا تايقا؟ (أومأت برأسني)، وبكل قبيلة زعيمها. لينا شوهتي، قلنَّ إن  
كان مقدورك تعرّف أي زعيم آخر في هذه الصحرة من الرخار الكيسين  
اللطفاء!»، وأشار إلى الأسرى بضحكة خافتة ثم أحد نذاعي ليقودني إلى  
صف الرجال المقرصين.

أقبلتُ وحيي مُلَفِّفٌ حتى لا أتعرفني أي من الأسرى، ورحتُ أنظر إلى كل  
وجه أعبره، فتعرّفتُ اثنين منهم. أحيكو زعيم القبيلة الحنوية التي تفرس  
لأراضي المصطبة بأسوان والفتين والحدار الأول، وسيذكرك القادم من  
أرض أهد بحبة الشمال، زعيم كوم أمبو.

كان واضحًا أن شوهتي قد جمع كل ما تمكّن من جمعه من الرجال في  
هذه لمدة القصيرة، إذ رأيت أفرادًا من جميع القبائل بين الأسرى، وعندما  
عرُفتُ عن قادتهم بقرة على أكتافهم، جُروا بعيدًا.

بعد أن وصلنا إلى نهاية الصف، سألني تانوس: «أواثق أنت بأنك لم تفوت  
أحدًا؟».

- ولئى لي ثقة؟ لقد أخبرتك أنني لم ألتقي الرؤساء كلهم.

لهز كتفيه «لا يمكننا ترخي صيد هذه الطيور المصتلة كلها برمية شبكة  
واحدة. ينبغي أن نعدّ أنفسنا محظوظين لأننا قبضنا على ثلاثة بهذه السرعة.  
لكن دعنا نلقي نظرة على الرؤوس، لعل استوفينا بحالفنا فبعد بضعة آخرين  
بيهم».

كان مهمة شنيعة وربما لتؤثر في شخص أرقّ ملي، لكن اللحم البشري،  
حنه ومنه، مهتئ. وبينما جلسنا حاليين الجال على درجات المعبد بتمتع  
ببطور، عُرِضَ علينا الرؤوس المقطوعة محمولةً واحدًا واحدًا من شعورها



المليدة بالدم وألسنتها مسلاة من بين شعاعها، وأعيدها السطفاة تحديق مغبرة  
إلى العالم لآخر المحتوم عليها.

ظلت شهيتي سليمة كما هو شأنها دائماً، ذلك أنني لم أكل لا نعيمات في  
اليومين لأحبرين، فبينما رحبُ ألثهم الكعك والفاكهة اللذيذة التي قدمها  
تعامات لنا أدلُ على الرؤوس التي تعرفتها كان فيها عدد من النصوص  
العاديين الذين انتفيتهم قبلاً في مجرى ما أديته من أعمال لمصلحة السيد  
إنتف لكن ليس بسها إلا رئيس إصاقي واحد اسمه بظفر - تيمو من قلنا، وهو  
عضو أدنى شأننا في هذه لأخوية المروعة

قال ثانوس بنخرة رضى: «وهكذا صارو أربعة»، وأمر بوضع رأس  
بيفر - تيمو على قمة هرم لصاحبه الذي يشيده أمام منز حلاله.

وقال: «إذن فقد قصينا على أربعة منهم. علينا إيجاد الرؤساء التسعة  
الباقين مسداً بالتحقيق مع أسرائنا، ثم نهض بحيوية قابلتحت نقاب قطوري  
بمعجالة وتبعته على مضض هوذا إلى معبد يس

وعسى الرغم من أنني من أوضح لثانوس ضرورة وجود محبرين لنا من  
داخل القبائل، وأجل أن من اقترح طريقة تحييدهم، أصاقي الندم والذنب  
عندما نأوان تعيد افتراضاتي، فاعتراح التصرف الوحشي شيء، لكن الوقوف  
متفرباً يُفقد شيء آخر تضاف

تدرجت بذريعة وهية هي أن الجرحى في المستشفى المؤقت قد يحتاجون  
إلي، لكن ثانوس نبد لك ببهجة فائلاً: «الجُمل وارغك المُرهب الآن يا تاييتا،  
ستبقى بجواري في خلال التحقيق لنحرص على أنك لم تسه عن أي من  
أصدقائك القدامى في تفتشت الأول».

كان التحقيق سريعاً وقاسياً، ما أحسبه اسقط الوحيد الملائم لشخصيه  
الرجال الذين نتف من معهم

نادى ذي بدء، وثب ثانوس فاعتلى مديح يس الحجري وببدا مطر إلى  
صفوف الأسرى المقرقسين حمل حتم الحار في يده مجتسماً استصامه لا بد  
أسرت الرعشة فيهم، رغم أنهم تحت أشعة شمسن الصحراء بكامل شدتها

ثم قال لهم يحرم وهو يحمل التُميشير عاليًا: «أنا حامل حتم النار الخاص  
بلمرعون هاموس، وأطلق بلسانه. أنا قاضيكم وجلادكم»، ثم توقف قليلاً

ومرر نظره ببطء على الوجوه لناظرة إليه، وكلما التفت عيانه بعيني أحدها  
فخص لأحير عينيّه. لم يقدّر يُهم على الثبات أمام نظره الثاقبه  
- لقد اعتُقلتم بحرم النهب والقتل، وإن كان فيكم من يمكنه إنكار ذلك  
فليقف أمامي ويعلن براءته.

وبدأ يقطع صلال المسور المحبوسة بصره في لسماء فوقه على  
أرض اساحة المعصرة راح ينتظر، ثم قال «هيا! فتنصفوا أيها البريئون  
(وتنظر عاليًا ناحية الطيور المحلقة برؤوسها الوردية الصلحاء المشوّهة)، إن  
صبر إحبتكم منفذ في انصر الوليمة، دعوا لا مؤجرهم».

لكن لم يتكلم أحدهم ولم يتحرك، بأمر تانوس حتم البار «إن فعلتكم  
التي شهدتها جميع الحاضرين هباء تبييكم، وصمتكم يؤكد القرار، أنتم  
مذنبون، وباسم الفرعون الإلهي ألقظ احكم عليكم: أحكم عليكم بالإعدام  
بقطع الرأس ونشر رؤوسكم المقطوعة على طول طريق القوافل، ليرى  
جميع المواطنين العمتلين للقانون مندم، يعبرون هذا لطريق جصجصكم  
تبتسم لهم من جاسه، ويجرّوها أن الصُردان قد قابلت العقاب سيعرفون أن  
رأس مخافة القانون قد ولّى من هذه الأرض، وعاد أسلام إلى مصر. لقد  
بطلت بالحكم، وبه تطلو الفرعون صاموس».

أوجاً تانوس بعد ذلك، فحز أول أسير قُدم وأُنزل على ركعتيه أمام لعدج  
ثم قال له تانوس: «إن أجبت على ثلاثة أسئلة بصدق، أصبح عن حياتك  
وتُحدد مقاتلاً في فوجي، وتحصل على كامل الحقوق والمزايا وإن عصت  
الإجابة، يُنهد حُكمك مباشرة» ونظر بحزم إلى السجين الراكع.

اسؤال الأول، إلى أي القبائل تنتمي؟

لم يُجب المُدان، إلا إن قُسم الدم الخاص بالصردان أقوى مما يمكنه انحد

به

ثم سأله: «سؤالك لثاني أي لروساء نأمر بأمره؟» وظل الرخص صامناً  
ثم سأله: «اسؤل الثالث والأخير: هل ستفودني إلى محاسن عييلتك  
السرية؟».

رفع الرخص نظره ورجع في حقه ثم بصق، وتنفذ النلغم الأصفر على  
الأحجار، فأشار تانوس للحارس الواقف فوقه حاملاً السيف

كانت مصرمة مصيفة، فتشقلب رأسه على اندر حات أسفر المدبح، وقال  
تاتوس بهدوء: «رأس آخر لهرم»، وأشار أن يُحلب لأسير التالي قُدماً  
سأله لأسئلة ثلاثة لنفسها وعندما أجابه الصرد بقناعة متحدية، أوماً  
تاتوس للحارس، لكنه هذه المرة أساء توفيت مصرمة و راحت الجثة تتحبط  
بحسب نصف مقطوعة فقط، وتطلب الأمر ثلاث صرعات أخرى قبل أن يقهر  
الرأس على الدرجات.

قُطع تاتوس ثلاثة وعشرين رأساً أحصتها لألهي بعسي عن موجات  
الإشفاق الموهن التي تتكالب عليّ، حتى انهار أول المدابرين كان صغيراً،  
بالكار تحاوز الضياء وراح يُدبر بصوب حاد الإجابات قبل أن يتمكن تاتوس  
من طرح الأسئلة الثلاثة عيه.

- اسمي هُوي، وأنا من نخوة لدم لي قبيلة بانستي المتوحش، أعرف  
أمكنه السرية، وسأذك عليك عليها.

اسم تاتوس بارصاح عسير وأشار أن يوحد اعلام بعد أن سئ سحايه:  
داعتني به أبما عدية فقد صار أحد جنود الرُّرو، ورمين سلاحكم،

سار الأمر يُسر بعد استشفاق أحدهم، رغم أن الكثير منهم نحدوا تاتوس،  
فشنمه بعضهم وبعضهم ضحك في وجهه تعدياً حتى هبط لنصل منها  
استكساره بأعشار آخر أنقاسه من رغاماه المقطوعة في بقعة قرمزية

ملأني الإحباط بأولئك الذين، وبعد حياة سافلة وخسيسة، اختدوا في  
النهاية الرحيل شكل من أشكال العزة، وصنعوا في وجه الموت أعرف أسبي  
عاجر عن هذه النوعية من الشجاعة، ولو خُيرْتُ ذاك الحيات، أثق بأنني كنتُ  
لأرد مثلكم رد بعض الأسرى الضعاف.

اعترف أحدهم «أنا من قبيلة أور»، وقال آخر «وأنا من قبيلة مع-إن-  
بَع» وهو رعيم الصفة الغربية حتى مدينة الخارجة»، حتى صار معنا  
محبزون يقودون إلى معقل كل من زعماء اللصوص لباقيين، وكومه بارتفاع  
الكيف من اسرؤوس الممرده لنصفه إلى الهرم محوار لشر

من المسائل التي أوليتها وثانوس كثيرًا من التفكير كانت مسألة التخلص من رجاء اللصوص الثلاثة الذين قمصا عليهم بالفقر، ومجسرو المحصرين الذين التقطناهم من صفوف لصوص المداينين.

كنت أعرف أن نفوذ الصردن متعلم حديثًا لا نجرب على إبقاء أسرارنا في مصر، فلا يوجد سجن آمن بما يكفي لمنع أخ - ست وزعمائه من الوصول إليهم إما لتمريرهم من خلال الرشوة والقوة أو لإسكاتهم بالسُّم أو بطريقة معينة أخرى، ويعرف أن أخ - ست أشبه بأحطبوط رأسه مُضًا لكن مجساته تصل إلى جميع أركان حكومتنا وإلى سبيح وجوده نفسه.

وكان في هذا الوقت أن دحل صديقي قيامات، تاجر سفاجة، في حسابي غدا زاحقين بصفتنا وحدة من وحدات حرس اتمساح الأزرق، لا قافلة إماء، إلى المرفأ على البحر الأحمر بنصف الوقت الذي يستغرقه سلوغ خلاله ثم منح بأسراب لصوصوا من إحدى سبع قيامات التجارية التي تنتظروا في المياه، وأبصر العيطن من موره قاصدًا الساحل العربي، حيث يبقى قيامات مجمع عبيد آمن على جزيرة صغيرة اسمها جيژ بقوان قبالة الساحل بديرها حراسه الخاصون والمياه المحيطة بها تحت حراسة مجموعات الفروش البرقة الضاربة أكد لنا قيامات أن لا أحد من حاولوا الهرب من الجزيرة تمكن من بددي كل من ساعة الحراس وشهية الفروش قط.

أبقينا أسيرًا واحدًا فقط لم نرسله إلى الجزيرة هو هوي من قبيلة باستي المتوحش، لشاب نفسه الذي كان أول من أدين لتهديد الإعدام في خلال رحلنا إلى اسحر، أبقى ثانوس للنام قريب منه ووجه كامل سطوة شخصيته التي لا تقاوم عليه، فصار عبء الطائع بم تفشل موهبة ثانوس هذه في كسب ولاء وإحسان أبعاد الأرباط احتمالًا في إدهالي قط، وكنت وثقا بأن هوي، لذي اتهاز ببائع السرعة تحت تهديد الإعدام، سيضحي الآن طواعية بحياته لثاقفه من أهل ثانوس.

وتحت سحر ثانوس، تلق هوي كل ما يتذكره من تفاصيل عن القبيلة التي أقسم لها ثات مرة قعم ادم، ورحلت أتصت بصمت وريشة مسعدة، بينما يسأله ثانوس أد و ما يقوله.

عرفنا أن معقل باستي المتوحش في صحراء حس أم البحري المربعة، على نروة أحد اجمال مسطحة انقم الي نعيمها لجروب شديدة لتحدر من كل الجهات مسور ومنيع لكنه بعيد مسير أقل من يومين عن الضفة

اشرقية لسبل وطرق القوافل امردحمة التي تمتد على صفتيه أي إبه عش  
مثالي بصير خارج.

قال لما هُوي: لا توجد إلا طريق واحدة إلى الأعلى، منحوتة في الصخر  
كالدرج، ولا تتسع لأكثر من رجل واحد.

سأله تانوس: لا توجد طريق أخرى إلى القمة؟، فابتسم هُوي ووضع  
إصبعه على طول أفعه في حركة تأمرية

ثمة رب آخر استخدمته مرارًا للعودة إلى الحب بعد أن محرت مخفري  
لأزور صديقتي إذ كان باستني ليأمر بقتلي لو علم أنني مفقود فيه  
سألق حطري، لكن ببيت بإمكان دراسة من الرجار الأنواء صعوده  
وحلال قمة الجرف تصعد القوة الرئيسة لمر إليهم سأقودك إليه  
ب آخ- حورس.

كان أول مرة أسمع فيها هذا الاسم، آخ- حورس، أحو الإله العظيم  
حورس، وكان اسمًا لائق فتانوس بصفة الحال، لا يمكن لهوي وبقية  
أسرار أن يعرفوا هوية تانوس الحقيقية، إلا أنهم عرفوا بصريقتهم السبيحة  
أن تانوس لا يد أنه إله من صنف ماء، بمظهره مظهر إله، ويقاقل كوله، وقد  
ابتهن بدسم حورس في سجن المعركة، لذا استخلصوا أنه أحو حورس بلا شل.  
آخ- حورس! الاسم الذي عرفته مصر كلها حق المعرفة في الشهور التالية،  
تناقلته الصرخات بين فمم التلال وحملته طرقات القوافل. سافر امتداد النهار  
على شفاة المراكبيين من مدينة إلى مدمية، ومن مملكة إلى أخرى، وكثرت  
الأسطورة حول الاسم مع تكرار حكايات عماله وتضحياتها في كل رواية.

آخ- حورس المحارب نجًا الذي ظهر من اللامكان الذي أرسله أخوه  
حورس ليعتأف الصراع الأبدى ضد الشر، ضد آخ- بست، رئيس الصردان.  
آخ- حورس! الاسم الذي كلما رده شعب مصر، ملأ قلوبهم بأمل جديدة.  
ببما جلس في حديقته تيامات الناحر كان ذلك كله ينتظرنا في المستقبل.  
لم يعرف سوى شدة تحمس تانوس لمواجهة باستني، ومدى توقه إلى قيادة  
رجاله إلى جبل أم البحري لاصطياده وليس الأمر أن باستني شد الرعاء  
صراوة ووحشية محسب، بل هو أكبر من ذلك، إذ ثمة أحفاد شخصية ببني  
تانوس تسويتها مع هذا اللص، فقد علم مني أن باستني هو الأداة المحددة  
التي استخرجها آخ- بست لإنادة ثروة ولده، بيانكي سيد حاراب

وبعد هُوي قائلاً: «يمكنني قيادتكم في صعود حروف جبل أم البحري،  
يمكنني وضع ياستي بين يديك».

بينما يستلعب ذلك الوعد حل قانوس صامتاً لبعض الوقت في الغلظة ثم  
جلسنا وأصغنا إلى هذه العذلية في آخر حديقة قبهات. كان صوتاً أحبباً  
ثمناً عن الشر والشؤون التي نناقشها، وبعد دقيقة، تنهد قانوس وصرف هُوي  
بعد أن قال له: «لقد أبلت حسناً أيها الفتى. يرُّ بوعدك وستجدني ممتناً»

سجد هُوي كأنه يسجد لإله، فوكزه قانوس بقدمه بانفعال قائلاً «كمان  
من هذا السُّخف. انصرف الآن»

سبب رمح قانوس الأخير المفلح هذا إلى مرات لألوهة بإحراجه،  
ثم يكن بمقدور أحد اتهامه بالاعتدال أو التواضع من قبل، لكنه على الأقل  
كان عملاً، من دون أوهام رائحة عينا سميح بمرلته، إذ لم يصنع قط إلى  
الضرورة فرعون ولا إله، ولطالما كان ضيق الخلق بأي سلوك متبل أو  
صاغر يصدر عن المحييين به

حالما عابر الفتى، لتعت قانوس إلي وقال: «كثيراً ما أجد صاحب في  
الليل أفكر في كل ما أخبرته عن أبي، ويؤلمني كل نسيج في جسدي وروحي  
حُرقة للاستدعاء من أودي به إلى الشاقة والذو وطارده حتى موته بالكاد  
يمكنني ضبط نفسي. تملأني رغبة بهجران الحطة لملطوبة هذه التي جكتها  
لمحاصرة آخ- ست، وتحرق بدلاً من ذلك إلى البصع عنه مباشرة وبمربع  
نبيه السجس بيدي الحاريتين».

- إن فعلك ما تشتهي، فستحسر كل شيء وأنت تعرف ذلك حتى المعرفة  
أما إن تمت طريقتي فلن تستعيد سمعتك وحسب، بل سمعة أبيك  
اسبيل فوق ذلك، بطريقتي، ستستعيد الأملاك والثروة التي سُرقت منك.  
لن يملك صريقتي بقدرك يكمل اتساعه وحسب، بل ستوصلك أيضاً  
إلى لوستريرس وتحقيق الرؤيا التي راودتني عن كليهما في مناهات  
أمون رع ثو بي يا قانوس، لمصلحتك ومصلحة مولاتي ثو بي

فسأني وقد سمع در عي: «إن لم أثق بك، فمن أثق؟ أم قد أنك محق.  
لكنني لصالحاً اقتربت إلى اصبر دائماً أرى الطريق السريع والمباشر  
أسهر».

- في الوقت ابرهن، لا تفكر بأخ- ستت. لا تفكر إلا بالخطوة التالية هي لطريق العلتوية انتي عينا قطعها معاً فكر بياسني المتوحش، قياستي من اجتاج قول أليك التجاريه في عودتها من الشرق، لحصسه موسم، لم تعد قافلة واحدة من قوافل سيد حاراب إلى الكركك قط، إذ هوجمت جميعها ونُهبت في الطريق كس ياسني من دُمر مدحج بحسن أيدك هي سيسترا وقتل مهندسها وعمّالهم العبد، ومد داك الحين وعروق المعدن احام العتية تلك ترعد من دون أن يستعلها أحد. ياسني من تهوب بانتظام أملاك أبيت على طول النيل، وهو دبح عبيده في الحقول وحارق محاصيله حتى لم تعد تنمو إلا الحشائش في حقول سيد حاراب، واضطُرَّ إلى بيعها بشذرة من قيمتها الحقيقية.

- قد يكون ذلك كله صحيحاً، لكن أخ- ستت هو من أعطى ياسني الأوامر قلب له بسأم. «لا أحد سيصدق ذلك، لن يصدق له لقرعون، إلا إن سمع ياسني يعترف به لم نعاين ذلك؟ لقد تكلمنا في هذا مرة الرعم أولاً، وفي آخر الأمر رأس لألعي، أخ- ستت».

- إن صوتك صوت الحكمة، أعرف ذلك، لكن يشي عليّ احتمال لا تنصر إلى أتوق إلى الانتقام أتوق إلى تطهير شرعي من وصمة الفسدة والحياة، وأتوق، أه كم أتوق، إلى لوستريس!

اسحبني إلى الأمام وأمسك كفتي بقبضة أحفليسي «لقد فعلت ما فيه الكفاية هنا يا صديقي القديم، ما كنت لأنجز ما أوجرت لولاك، ولو لم تأت باحثاً عني لربما كنت لا أرا منقوغاً في امشروب وراقداً في حضن عاهرة أسنّه ما، أدين لك بأكثر مما يمكنني سداه أبداً، لكن لا بد لي من صرفك الآن، وثمة مكان آخر يحتاج ياسني لحلم غدائي. ولا أريد أن تشاركني وبيعتي لن تذهب معي إلى حبس أم السحري، من إسمي مُعبدك إلى حيث ينتمي» إلى حيث أسمى أما أيضاً، لكنه محرم عليّ- إلى جوار السيدة لوستريس، أعبطك يا صديقي القديم، وإسمي مستعد للتخلي عن أجلي بالحدود مقبل أن أذهب إليها عوض عذك»

اعترضت اعتراضاً جميلاً أشد ما يكون باطبع، وأقسمت إن كل ما أريده هو فرصة أخرى في محاربة أولئك الأشرار وأنتي رفيقه وسأحرص حزناً جدياً إن لم يمدحني مكاناً بحوره في حملته التالية، وفي خلال ذلك كله كنت مطمئناً بصبرتي أن قابوس حاسماً يستقر رأيه هي حطة سر ما يصير

متعتنا ولا يسهل صرفه عنها، إلا في أوقات نادرة أبداً بدرة، وعلى يد صديقه  
ومستشاره، العبد ثانياً

أما الحقيقة فهي أنني استمتعت بكفايتي من البطولات ومحاولات الآخرين  
قذلي، لست حزيناً طبعي، سكتُ مقاتلاً حلقاً معدوم الشعور، كرهتُ خشونة  
العسكرة في الصحراء ولم يعد بمقدوري احتمال أسبوع آخر من الحر  
والتعرق والذباب من دون أن ألمح المياه الخضراء العنية لنيل الأم. شتفتُ  
إلى ملمس الكتان النظيف على جلدي المستحم والمدهون باريث. اشتقت  
إلى مولاتي شوقاً لا تقسح الكلمات لتعبير عنه، حاتمنا الهادئة المتحصّره في  
العرف المطليه بجريرة إيفنتين، وموسيقاها ومحاثاتنا الطويلة المتروية،  
وحيواناتي الأليفة ولقائني، مارسب كلها عليّ استمالة لا يمكن مقاومتها.

كان قنوس محققاً، لم يعد في حاجة إليّ، ومكانتي الآن بجوار مولاتي لكن  
الانصراف بسهولة لأمره قد يعد من شأني عنده، ولم أريد ذلك أصلاً  
أخيراً، سمحتُ له بإقناعي، وبدأتُ، سائرًا بهفتي، بتحصيرات عودتي إلى  
الضنين.



أمر تانوس كراتاس بأن يرجع إلى الكرنك فيجمع لتعريزات ويأتي بها  
من أجل الحملة إلى صحراء جبل أم البحري قرر أن أسافر تحت حمايته  
حتى الكرنك، لكن استنذان قنوس في الانصراف لم يكن مسألة سهلة، فقد  
باداني مرتين لعملي، رسالة أخرى إلى مولاتي بعد معادرتي منزل تيامات  
للاضمام إلى كراتاس حيث ينتظرنني عند أطراف البلدة.

- قل لها، سي أمكر فيها كل ساعه من كل يوم!

فاحتجبتُ قذلاً: «لقد حملتني هذه الرسالة بالفعل».

قل لها إن أحلامي حافلة بصور وجهها الحبيب.

- وهذه أيضاً، يمكنني قراءتها عليك عن ظهر قلب أعطني شيئاً جديداً  
أرجوه

- قل لها إنني أومن برؤيا المذاهات بأنها في نضع سنوات فصيرة  
سكون حفاً

- كراتاس سطرني إن أمقصي هذه، فأني لي توصل رسالتك؟



فإن لها في كل شيء أفعله أفعله من أجبها، كل نفس أتنفسه من أجلها.  
(ثم توقف لحظة وعانقني) الحقيقة يا ثايتا هي أنني أشك في أن  
بإمكانني العيش يوماً آخر من دونها.

- ستمرُّ السنوات الخمس كما يمرُّ يوم واحد، عندما تلتقيها ثايتا ستكون  
قد استرددت شرفك ورجعت مدرك في البلاد، ولا يمكنها إلا أن تحبك  
كثير من أهل ذلك.

ثم ألتفتي.

- عتذرها حيناً حتى أتمكن من تولي هذا الواجب البهيج عنك. انصرف  
لآن، وأسرع إلى حوارها.

فقلت له بسحرة: «وهذه نثني مد سامة» وبسحت بالفرار.

قطعتُ الرحلة رفقة كراتاس على رأس جماعتنا الصغيرة إلى اكرنك  
في أقل من أسبوع وبخوفي أن يكتشفني واسفر أو السيد إنلق، نصبت  
أقل وقت ممكن في مدينتي الحبيبة ريثما تدبر العيون على إحدى العبارات  
المتجهة جنوباً، ثم تركت كراتاس منشغلاً في تجسيد الرجال الألف لصقدين  
الذين طلبهم قانوس من بين أفوج حرس الفرعون، وصعدت من العبارة

صادقت الريح الشمالية أشرعنا طينة الطريق، وربطنا الحبال برصق  
شرق الصقطين البحري بعد اثني عشر يوماً من معادرتنا طيبة، كتب لا أزال  
معتزماً ابأروكة ولداس الكهانة، ولم يتعرفني أحد عندما برلت إلى الشاطئ.

بمن حاسم بحاسي صغير، سناحرتُ زورقاً ليعبر بي النهر إلى الحزيره  
الملكية وببما أنزلني عند الدرجات التي تؤدي إلى البوابة المائية لحديقة  
الحريم حقق قلبي بين ضلوعي أصعد الدرج، ذلك أنني مفترق عن مولاتي  
مد وقت طويل جداً، وبم أدركت شدة مشاعري بأحيتها إلا في أوقات كهذه  
كتب وثقا بأن حب قانوس ليس إلا نسيماً نهرياً حقيقياً بالمقارنة مع خمسين  
مشاعري

لاعتني إحدى عبارتي بوسقريس الكوشيات عند البوابة، وحاولت منعي  
من الدخول قائلة: «مولاتي متوقعة أيها الكاهن، وثمة طبيب آخر معها في  
هذه اللحظة، لذا لن تقابلك».

قلت لها: «بل سيقابلني»، وبزعت عن باروكني.

فرعقت، «تأيتا» (ثم سقطت على ركبتيها وهي ترسم الإشارة الحارسة من الشر) إنك ميت هذا ليس أنت، بل شيخ شرير ما من العالم الآخر،  
نحيتها جانباً وعمّت إلى معدع مولاي، لأرى عند الباب أحد كهنة  
أوزيريس الذين يحسبون أنفسهم أطباء.

سألته بأفعال وقد أفزعني فكرة انزباب أحد هؤلاء لدجالين من مولاي.  
«ما الذي تفعله هنا؟ (وقبل أن يتمكن من الإجابة زمجرت فيه...) اخرج! اخرج  
من هنا خذ تعويدك وتمائمك وحرمانك البقرة واحرج ولا ترجع أبداً»  
بدأ أنه مستعدٌ لجدال، لكنني وصعتُ يدي بين لوحِي كنفه ودفعته دفعة  
مستمرة إلى البوابة، ثم هُرعتُ إلى حوار سرير مولاي.

كنت رائحة المرحض مملاً الغرفة لاذعة وقوية، واستندتُ بي كدراً حامض  
عندما بطرت إلى السيدة لوستريس، إذ بدأ أنها تقلصت حجماً، وشحنت  
بشرتها حتى صارت مثل رمال تار مخيم قديمة. كانت إما نائمة وإما في  
غيبوبة، ولم أستطع استرثاق من ذلك، لكنني ريتُ ظلالاً داكنة مكدومة تحت  
حجبها، ورأيتُ لشفتيها مطهراً خافاً ونشيراً ملأني رعباً

سحبتُ عنها ملأه لكنني انني نعتيها ووجدتها عاريةً تحتها، بوعتُ  
أحذق بذعر إلى جسدها، إذ داب اللحم عنها فصارت أطرافها نحيلة كالعصى  
وأضلاعها وعظام حوضها بارزة من خلال لحاد السقيم كماشية أصابها  
الحفاف ثم وضعتُ يدي برقة تحت إبطها لأنحس وجود حرارة أو حمى،  
لكنني وجدتُ حادها بارداً، ماغظت غيظاً شديداً. أي صيف من الأسقام هذا؟  
لم أصادف شيئاً مثله من قبل

ناديتُ الإماء من دون مغبرة جانيها لكن لم نجرؤ أيهن على مواجهة  
شيخ تأيتا، فيما اضطرب في النهاية إلى اقتحام مهجعهن وجر إحداهن  
تتدمر من تحت السرير

صحت: «ماذا تعتل لمولاي حتى أدلغتموها هذا المبلغ؟» وركلتُ مؤخرتها  
البدنة ليركر أسدها على سؤالي، فباحثت وهطت وجهها حتى لا تنظر إلي.  
- لقد أنت الصعاب. بالكاد حاولت بقمة في كل هدي لأسديج، منذ سُحيت  
صومياً تانوس سيد خراب في قبره بوادي لبلاء حتى إنها تقود  
طفل امرعون الذي كان تحطه في رحمها ارحمني أيها الشيخ  
الطيب، فأب لم أرتكب بمحك شرّاً

حدثت إليها منغيرًا للحيلة، ثم أدركت ما جرى، ثم تصلى الرسالة التي أرسلتها بتصرف مولاتي بوستريس قط. خمنتُ على البديهة أن الرسول الذي ابتعته كرائاس من لأقصر حاملًا الرسالة لم يصل إلى الفئتين، وربما انتهى به الأمر صحبة أخرى للصربان، مجرد حنة (صاحبة تعوم في النهر رفقة حقيبة فارعة وجرح بليغ في حلقه أمنتُ أن الرسالة قد وقعت في يدي لص أمي ما ولم نُحمل إلى آخ-ست، لكن لا وقت أمامي لأتق حبال تلك الآن. أسرعُ إلى حوار مولاتي وهبطتُ على ركتيَّ عند سريرها، ثم بينما أدلتُ حبهتها المُدبحة همستُ «مولاتي، هذا أنا عذب تايقا»

تزعجرتُ بعض الشيء وعمقتُ كلامًا لم أفهمه، وتبينتُ أن ليس أمامي من الوقت لا القليل فقد أوشكتُ أن نقصي أجلي، إذ مرُّ أكثر من شهر على موت تانوس المزعوم، وإن كانت الأمه صابغة في أنها لم تأكل شيئًا في خلال هذا الوقت كله، إن فُتجاتها حتى الآن أعجوبة

وثبتُ واقفًا وعدوتُ إلى غرفتي، ووجدتها على لرعم من «مصرعي»، لم يتغير فيها شيء ولا يرل صندوق أدويتي في البكوة حيث تركته، حملته بين درعي وأسرعْتُ عندئذٍ إلى مولاتي ثم أشعلتُ بيدي مرتعشتين غصيبًا من شعيرة دب العنكب من سراج الزيت حوار سريرها وحملتُ طرفه المبقع تحت أنفها مشهقت من فورها تعريبًا وعطست وجاهدت لتفادي الدخان الرجار

- مولاتي، هذ أنا تايقا، كلميني

فتحت عينيها، ورأتُ إيراكها الحديث لها معها يُحمِدُ هجر البسرة مريحًا فبهما، ثم مدَّت بي درعها السخيتين الشاحيتين، فصممتُ إلى صدرِي راحب تنشُّج برفق وثقور «لقد مات يا تايقا، مات تانوس لا يمكنني العيش بونه»

- لا إله إلا الله حي لقد حدث من حوار مدشرة حاملًا رسائل حبه وإحلامه لك،

- ما أفساك بتهزأ بي في هذا! أعرف أنه ميت، لقد أغلق قبره .

فصحتُ بها «كنت حيلة بتصايل الأعداء تانوس حي أقسم لك على ذلك إله سمك، ومنتظرك»

- أوه صدقتك الآن! إلا أنني أعرفك حق المعرفة؛ أعرف أنك ستكذب لتحميني كيف يمكنك تعليلي دعود فرغة؟ أكرهك جدًا (وحدث التخلص من مراعي)

- تانوس حي، أقسم لك.

- أقسم بشرف أمك التي لم تعرفها، أقسم بفصيص جميع الآلهة (بالكد فيها من العود ما يكفي لتعاونني)

- أقسم بكل ذلك، وبجبي لك والتمزامي بك يا مولاتي.

- أيمكن ذلك؟ (رأيت قوة الأمل تطعو عائدة إليها، ولونا أحمر بامتًا برهر في حديثها)، واه يا تانيتا، أيمكن أن يكون حقًا؟

وبينما تحقق إلى عيني باشرت بسرد كل ما حدث منذ عاصرت حوارها قبل أسابيع عديدة، ولم أعقل إلا تفاصيل الحال التي وجدت تانوس عليها في انحرزال العديم بين المستعجمات، وانسفة التي كانت معه

ثم تنطق بكلمة، لكن لم تُرخ نظرها عن وجهي على حين تلتهم كلماتي، ويوهج وجهها للشاحب، الذي أحاله الجوع شفافًا تقريبًا، مثل لؤلؤة وهي تنصت إلى حكايتي لعماراتنا في جلاله، وقدر تانوس مثل إله، وعدته امبتهج البربري في أوج المعركة.

ثم صممت كلامي قائلاً: «وهكذا كما تريد، فقد قلت حقًا، وتانوس حي»، فتكلمت لأول مرة منذ بدأت الكلام.

- إن كان حيًا، فاجلبه إلي. لن أكل لقمة حتى أرى وجهه ثانية بأم عيني. عاهدتها: «سأحلبه إلى جانبك حالمًا أتمكن من إرسال رسول إليه، إن كن تلك ما تشائين»، وأخرجت المرأة البروبرية من صندوق قوضعتها أمام عينيها وسألتها برفق: «أتريدينه أن يراك على هذه الحارة؟».

حدثت إلى صورتها الضاربة جوهاء العيين

- سأرسل هي هذه اليوم إن نامريسي. يمكنه الوصول في غضون أسبوع، بما ما أريدت ذلك بحق.

شاهدتها تصارع مشاعرها، ثم همست: «إنني قبيحة، أبدو مثل عذرة»

لا يزال خمالك موحودًا، لكنه محتئ تحت العنطح وحسب.

ثم انتصرت الخيلاء الأنثوية على بقية مشاعرها وقالت «لا يمكنني السماح  
بأن يراني تائوس بهذه الهيئة،

- عليك أن تأكلي، دن

- أنعمهذي (واربعشت)، أنعمهذي على أنه لا يزال حيًا وأنت سحطته  
إليّ حالما أسترث عافيتي؟

شعرت بجميع أضلامها، وبغلبها برقر من مثل طير مصيد تحت أصابعي،  
وقلت «أعاهدك»

- سألق بك هذه المرة لكن من كنت كاذبًا فلي أثق بك ثانية. انتوني  
بالطبع!

عندما أسرعْتُ إلى المطبخ، لم يسعني إلا الشعور بالغرور، فقد نال تايقا  
المحتمل مراده ثانية.

مزجتُ زبدية من الحليب الدافئ والعسل لبعدا برويّة، بعد أودت بنفسها  
إلى شعا الموت جوعًا وثقبات محتوى الزبدية الأولى، لكنها حافظت على  
اللدنية لو أنسي أجلتُ عودتي يومًا آخر لربما فات الأول

\*\*\*

يقصر الإمام لثرثارات، احتاحت أبياء عودتي العمانية من القبر لحرمة  
كما الجسريّ، وهيل أن يرحي الليل سدوله أرسل الفرعون أتون ليحصرني  
إلى مقابته حتى صيقي القديم أتون كان متوقّرًا ومتجعدًا في حصرتي،  
وقفر إلى الحف برشاقة عنيف حاولت لسمه، كأني قد نمرُ يدي في لحمه  
كنهجة نحان وبينما يفودي عبر القصر، من العبد والنلاء على حد سواء  
من طريقي، وبينما نصير راحت الوحوه نعصوية تراعيني من كل ناحية وركن  
محتم

استقبلني لفرعون بمزيج عجيب من الاحترام وتوتر الأعصاب، مزيج  
نُسخر برؤيته أشد الاستغراب على ملك وعلى إله  
سألني «أين كنت يا تايقا؟»، كأنه لا يرغب حقًا بسماع الإجابة.

سجدتُ عند قدميه «أيها الفرعون لإلهي، بما أنك جزء من الألوهية، أعني  
أنت تعالني هذا السؤال احتيازًا لي أنت تعلم أن شفتي محسومتان، وأن كلامي  
عن هذه الأسرار انتهاكٌ للمعدسات وإن كان معك، أرجوك أن تبلغ بقية الآلهة

أقر بك، وأنوبيس إله لمعابر بالتحديد، أسمى مخلص للفهمه لتي كُلفتُ بها،  
وأنتي حانظ بقسم لصمت الذي فُرض عليّ أحذرهم أني نجحت في الاحتراز  
لذي أعدته بي».

بينما يتفكر في ذلك صار وجهه كالرجاج، وتحرك في مجلسه باضطراب.  
رأيته يصوع الأسللة واحدًا تلو الآخر، ويندد كلاً منها بدوره إذ لم أترك له  
سانحة يستعملها.

وهي آخر الأمر قال بملادة من دون تفكير «صحيح يا تايقا، لقد نجحت  
في الاختبار الذي أعدته لك أهلاً بعودتك، لقد امتدحك» بيد أنني رأيتُ نكثُ  
شكوكه، وعاملني بالاحترام الذي يستحقه شخص حرّ العر لأعني  
حبوتُ مقترباً منه وحفضتُ صوتي حتى الهمس: «يا عظيم مصر أتعرف  
بم أرجعت؟»

بد، حائراً، لكنه أوما بردد، منهصتُ واقف وبطرت من حولي مرمية كأنني  
أتوقع وجود قوى حارقة تراقبني، ورسمتُ الإشارة الحامية من الشر قبل أن  
أكمل. «السيدة لوستريس: لقد أصابها ما أصابها من سقم بمأثر مباشر  
من...» لم أتمكن من نطق الاسم لكنني شككتُ بإصبعين إشارة القربين،  
بشارة الإله الحيث هيت.

نظر وجهه الحيرة بالوجل، ورتعش لا إرادياً ثم اقترب مني كثر، كأنما  
يشد حمايه، بينما أكمل كلامي: «غير أن أوجب، كانت مولاتي حاملة هي  
رحمها كثر عدلة ماضوس، ثم قدخل الخبيث، وبسبب سقمها أسقط الابن  
الذي كانت تحمله من رحمها»

ظهر على العرعور شديد لاضطراب، وهمٌ يقور، «بدن هدد سبب  
إخهاضها» ثم سكث فجأة

مهمتُ ما بعده وقلت سلاسة: «إياك والخوف يا عظيم مصر، لقد أعادتني  
قوى أعظم من الحيث لإنقاذها، حتى يسير القدر الذي تكهنته في متاهات  
أمور رع في بويه المقسوم ميانيك اس آخر بدلاً من فقيدك، ومنظّل  
سلالتك هي أمان».

قال «لا تتركُ جوار السيدة لوستريس حتى تسترد عافيتها (ورتحب  
صربه نثراً)، إذا أنت أنقذتها وحملت لي ابناً آخر، فلك أن تصلب مني ما تشاء،

لكن إن ماتت « ثم سكت وراح يفكر في أي تهديد عساه يحيف رجلاً عائد  
من العالم الآخر، وهي النهاية ترك الأمر يتلاشى تدريجياً.  
- إن تأت لي يا صاحب الجلالة عليّ لذهاب إليهما من عوري  
- من نورن! ذهب! ذهب!



كان محافي مولاي سريماً حتى إنني بدأت أشك في أنني استعنت بلا  
قصد قوة ما تفوق استيعابي، وشعرت بمهابه خرابيه إزاء قوتي.  
أخذ جسمها يكثر ويشتد تحت باضري تقريباً، فانبج كيسا اللحم  
الهريلان حتى عادا بهين مكورين ممثلين بهدين عذيين عدوية تكفي أن  
يشعل نار الحسد في مثال لإلهة حاجبي الحصري الواقف في مدحن ححرتها،  
وصرّجت الدماء الشابه الجديدة جير بشرتها حتى عادت إلى توربها، ورنّت  
صحكتها كنوافير الحقائق امائية.

سرعا ما صار إلزامها سريرها محالاً، وفي غضون ثلاثة أسابيع من  
عودتي إلى الهنطين، صارت تلعب ألعاب الترشق مع مائها، وترقص من  
حول الحديقة وتغمر لنفسك بالمتابة المفقوخة من فوق رؤوس الأحرىات،  
حتى صدرت الكرة خشية أن تثقل على طاقتها لعائدة وأمرتها بالعودة إلى  
ححرتها وما أطلعني من دون إرام صفقة، فوافقت على انباء معها، أو  
تعليمها ألز صبح اباو التي ستمكنها من انتمتع بنصرها لأول على أتون  
الذي كان مدمناً بلعة

كان أتون يحصر كل عشية للاستعلام عن صحة مولاي بالبيعة عن  
الملك، ويلعب معنا بعد ذلك للعبة اللوحية بدا عليه أنه قرر في نهاية الأمر  
أنني لست شاك خطراً، ورغم أنه عاملني باحترام جديد، صمدت صداقتنا  
القديمة أمام هلاكي.

في كل صباح، كانت مولاتي لوسترين تحملي على تكرر وعدي بها، ثم  
تناول مرأتها وتتفحص انعكاسها من دون أوهى أماراب الغطوسة، مقيمة  
جميع أوجه جمالها لتقرر أكانت جاهرة ليرها السيد فانوس أم لا

باحث قبلة: «إن شعري يبدو كالعش، وبثمة بثره أخرى بغرب من الطهور  
في دفتي أعد لي جمالي يا قايئا، اجعلي جميله من أجل فانوس».

هتبرمت. «تفولين هذا الصبر بذفسك، ثم تارين تايتا ليحسنة»، فضحكت وألقت بدراعيها من حول عني

- هذا سب وحوذك هذا أيها الوغد معجور لتعني بي

وفي كل عشية عندما أخرج لها شراةً مقويًا وأحلب وجاء لتعير، بيص فتحصر للنوم كنت تحمطني على تكرار وعدي لها، «أقسم على أنك ستجلب قادوس إليّ حالما أصبر مستعدة لاستقباله»

حاولت مجاهد المصاعب والأخطار التي سيحلبها هذا الوغد عبيدا، ورددت بإخلاص: «أقسم لك»، فاستلقت متكئة إلى مسد الرأس لعاحي وغطت في النوم بانتصامة على وجهها من أشغل بالي دابر يوعدي حتى يحين وقته



بلغ العرصور تقرير كامل عن تعاقبي لوستريس من أتون، وجاء شخصيًا لزيرتها جلب بها قلادة جديدة من الذهب والالارورد في هيئة عُقاب وجلس حتى المساء سمع ألحان للكلمات والأحادي معها، عندما استعد للمعادرة، ناداني لأمشي معه حتى مخدعه.

انقلاب حالها أمرٌ استثنائي، بها معحة يا تايتا متى يمكنني أخذها إلى فراشي ثدية؟ تبدو بالفعل في صحة تكفي لأن تحمل ابني ووريثي فكُدتُ له بشدة. ليس بعد يا عظيم مصر، قادي إجهاد لمولاتي قد يسب ارتكاسًا.

لم يعد يشكك في كلامي، ذلك أنني صرْتُ أتكلم بكامل نفوذ من مات وعد، وإن هزل مهانت السابعة إياي بعض الشيء بقعر الألفة

بدأت الإماء أيضًا تألق بعني، وصار يوسعهن انظر في وجهي من دون رسم الإشارة. في واقع الأمر مع بعد هودي من العام السفلي أكثر موصوعات لغريرة رواج في العصر، بل صار عندهن شيء آخر يشعهن وهو دخول آخ- حورس في حيوان وضمائر جميع سكان الأراضي الممتدة مع امتداد لنهر «عظيم

عندما سمعتُ اسم آخ- حورس أوان مرة يُهمس في أروقة القصر، لم أتعزّه مباشرة، بعد بدت حديقة تيامات بجوار لبحر الأحمر بعيدة اشد البعد عن عالم الصغير، وكنت قد نسيت الاسم الذي أسبغه هوي على



تأنوس، غير أنني، عندما سمعتُ حكايات قمانه الحسارة المسبوبة إلى نصف  
إله، أدركت هوية من يتكلمن عنه.

ركضتُ في اشتدالة حماسة عائدًا إلى الحريم ووجدت مولاتي في الحقيقة  
محصلة سزينة من لروار بين سبات نملات وزوجات معكيات، تلك أنها  
استردت من عافيتها بعد سقمها قدرًا يمكّنها من استئناف دورها بصفتها  
مفصلة نملات.

كنتُ مفعلاً حتى إني سمعت معامي وأنتي محض هدد، وعاملت السدات  
النملات بوقاحة قامة لتخلص منهن، فانتعصر متحصب في خروجهن من  
المسقة راعقت كسرب من الإورات المَهابة، واقصت علي مولاتي: «هذه ليس  
من شيمك، ما السي هناك بحق السماء يا تانيقا؟»  
تطلعت: «تأنوس!..»

قلت لاسم كأنه تميمية، ونسيت غيظها كله وأمسكت بكتا يدي  
- هههك أبناء من تأنوس! أخبرني! بسرعة قل أن أموت من بعد الصبر!  
نساء؟ أجب عدي أبناء عنه، ويا لها من أبناء! يا لها من أبناء استثنائية!  
يا لها من أبناء لا تصدق

تركت يدي وأمسكت بمروحتها المفضة المربعة فهددتني بها «كف عن  
هرايك اساعة، لن أحتمل معاكستك أكثر من ذلك، أخبرني وإلا أقسم أن أجعل  
في رأسك كُتلاً أكثر ما في رأس النوبي من براغيث»

قلت «تعالني! فلندخل إلى حيث لا يسمع أحد، وسبقها إلى المرمى  
ثم اتجهنا إلى دورق صغير، وهي منتصف النهار، صرنا آمنين من الأنان  
الحقيقة لكامة وراء كل راوية من روايا حيران القصر

قلت لها: «ثمة ربح خدسه بقعة ذهب على الأرض، ويسمون هذه الرياح  
آح- حورس».

نطق: «أخو حورس!».

نهت الكلمة بإحلال، وأريفت: «أهذا ما يسمون تأنوس به الآن؟»

لا يعرف أي منهم أنه تأنوس. يطلبونه إلهاً

فأصرّت قائلة «إنه به حقاً إله هي عيني».

- هكذا يرون الأمر أَيْضًا، لو أنه ليس إلهاً، فكيف يعرف ابن موارى الصردان؟ وكيف يرحف إلى معقلهم بدقة؟ وكيف يعرف عريزاً ابن يكمنون بالقوفل القديمة ويبلغهم في كمائنهم التي نصبوها بأيديهم؟ فسألتني متعجبة «هل أحر كل هذه لغزاً؟»

- هذه ومئة غيرها، إن كان بمقدور تصديق اشاعات التي تحقق في العصر - يقولون إن كل لص وقاطع طريق في البلاد يهرب مدعوراً لينحو بحياته، وإن قبائل الصردان ينبعث واحدة واحدة يهابون، جناحين نباتاً لأخ - حورس، جلالين كجناحي عقاب، وإنه خلق إلى الحروف المصيبة في جبل أم البحري ليظهر ظهوراً عجائياً في وسط قبيلة باسمي المتوحش، ويبدى العاريس، ألقى محسمة من قطاع الطريق من أعلى الجرف ..

صفقت بيديها قائلة «أخبرني يا مزيد!» وكادت تغلب برورق بحماسة، يقولون إنه بنى عند كل معترق طرق ويجوار كل طريق قوافل نصفاً تذكارية بمروره.

- نصب تذكارية؟ أي نصب هذه؟

- أكواماً من الجماجم البشرية، أهرامات شاهقة من الجماجم. رؤوس قطاع الصردان التي قطعها، تحديد للآخرين.

ارتعشت مولائي رعباً لزيد، لكن ظل وجهها مشرقاً، وسألتني «هل قتل كل هذا العدد؟»

يعول البعض إنه سبع خمسة آلاف، والبعض يقول خمسين ألفاً وثمة من يقولون مئة ألف حتى لكنني أظن أن أولاء يدعون بعض الشيء - أخبرني بالمزيد امزيد!

- يقولون إنه أسر بالفعل ستة على الأقل من رعماء الصردان

عاطفتني بمتعة وحشية «وقطع رؤوسهم!»

لا، يقولون إنه لم يقتل أولاء، بل حولهم إلى قردة رباح، يقولون إنه يقيهم في أقفاص ليسى بهم.

فقههت قائلة: «أهذا كله ممكن؟»

- كل شيء ممكن لاله

- به إلهي أوه يا تايता، متى سنسمح بي رؤيتك؟

قريبًا إن إشراف حمالك يرداد سطوحًا كل يوم، وقريبًا يسر، سامه  
في الوقت الراهن، عليك أن تجمع كل قصة وشائعة عن آخ- حورس  
وتأبني بها.

وصارت يرسلني إلى رصيف الحميل كل يوم لأسأل طواقم العنّارت  
القادمة من اشمال عن أبناء آخ- حورس.

أسألتها بعد إحدى هذه لزيارات، «يعولون إن أحدًا لم يرَ مطّ وجه آخ  
حورس، ذلك أنه يحتمر حودة لها واقية تغطي كل شيء إلا عينيه. يقولون  
أيضًا إن رأس آخ- حورس يضطرم في وطيس المعركة لهيّا يعمي أعداءه»  
فأكدت لي، «نقد رأيت شعر دنوس تحت أشعه الشمس، يبدو مضطرمًا  
بصوء سعاوي»

وذاذ صباح آخر أحبرتها: «يقولون إنه قادر على إكثار جسمه النفيوي  
كصور منعكمة في مرآة، وإنه قادر على أن يكون لي أمكن مختلفة عديدة  
بوقت واحد، ذلك أنه شوهد في اليوم نفسه في قنّا وفي كوم أصوء، وسنهما  
مئة مين».

فسألني بإحلال: «أهدا ممكّي؟».

- يقول البعض إنه غير صحيح، يقولون إن بعنوره تعطية هذه  
للمسافات الشاسعة لأنه لا ينام أبدًا، يقولون، به يعدو تحت جناح الليل  
على ظهر أسد، ويسمو في أعالي السماء بهازًا على ظهر عُقاب أبيص  
عملاق ينفض على أعدائه في غفلتهم.

فأوهأت بجديّة، «هذا يمكن أن يكون صحيحًا، لا أصدق أمر صور المرأة،  
لكن الأسد والعُقاب قد يكون حقيقيين، يمكن لدنوس أن يفعل شيئًا كهذا  
إنني أصدق».

قلت: «ظن أن المرحح أكثر هو أن جميع أهل مصر متحرقين برؤية آخ-  
حورس، وأن رغبة العاس مسحت تصرُّفاتهم يرويه وراء كل شميرة، وأما عن  
سرعة سمره، حسنًا، لقد زحفتُ مع الحرس ويمكنني أن أشهد.» لم تتركني  
أكمل، بد قاطعتني بتكأف

- إن روحك جدو من الرومانيه يا تايता، وإنك تتشكّ في أن لعيوم حرّز  
صوف من تحبّس أوزيريس، وأن الشمس وجه رخ، وذلك ببساطة لأنك

عاجز عن الصعود ولمسها أما أنا، عن نفسي، فأصدق أن تانوس قادر  
على كل ذلك

ووضعت بذلك الحرم حنًا للحدال، فليأت رأسى خاصمًا



عدنا إلى نجواننا المعهود في أوقات الطهيرة في الشوارع والأسواق، وكما  
كانت الحال قبل مرضها رحبت بها لجموع المشعوفة، وتوقفت لمحادثة  
الصحيح، أيًا تكن منزلتهم أو مهنتهم، ثم يَكُنُّ أحدُ من الكهنة إلى اعواض،  
مبيدًا أمام بهائثها وسحرها الصابق.

دائف ما تمكنت من تحوير الحديث إلى أخ- حورس، ولم يقلّ توق الناس  
عن موقها إلى مناقشة أمر الإله الجديد. بحلول هذا الوقت، كان قد برع في  
المحيلة الشعبية من نصف إله إلى عضو دائم في مجمع الآلهة، وبدأ مواطنو  
إلهنتين بالفعل حملة تبرعات من أجل بناء معبد لأخ- حورس، ما قدمت له  
مولاتي أسمي التمرعات.

احتير موضح بالمعبد على صفة أنهر المقبلة لمعبد أخيه حورس، وأعلن  
الفرعون رسميًا نيته تدشين المعبد شخصيًا، إذ إن لدى الفرعون جُملة من  
أسباب لامتناه، فقد حُلَّت روح جديدة من لاصمئذ خارج البلاد، ولم صارت  
طرق لقوافل التجارية آمنة، ازدهر حجم التجارة بين إمبركته العليا وبقية  
العالم

حيث كانت تصل من قبل قافلة واحدة من الشرق، صارت أربك تعبر  
الصحراء بأمان، ومثلها تنطلق في رحلة العوده واحتيت أبعاد كبيرة من  
حمير النقل لإعانة قدة القوافل، فراح المزارعون والهربون يقودونها إلى  
المدينة وعلى وجوههم انتسمات عريضة إراء الأسعار المرتفعة التي يتوقعون  
الحصول عليها

ولأن العمل في الحقول البعيدة عن حماية أسوار المدينة صار آمنًا، زُرعت  
المحاصيل في بقاع لم تنمُ فيها إلا الحشائش الضاربة لعقود، وبدأ الفلاحون  
الذين تدهورت جانبهم حتى صاروا متسولين، بالبناء من جديد. فرحت  
الثيران تجرُ العربات المحملة بأنغال على الطرقات التي باتت تحت حماية  
جحافل أخ- حورس، وامتلات الأسوار بالعلال الحدرحة

أهبط لتجار ومُلاّك الأراضي بعضًا من أرباح هذه المشاريع على بناء فيلات جديدة في الريف، حيث عادوا يعيشون آمنًا بمعيشة عائلاتهم، ورياء لطلب حُجاة على المُعاصرين والحرفيين الذين كانوا يجوبون شوارع طيبة والفنتين بحثًا عن موظف مهاراتهم ولم يسخّروا أجورهم بثمن ضروريات الحياة وحسب، بل الرفاهيات لأنفسهم وعائلاتهم أيضًا، وعُتبت لأسواقنا محشورة.

وبدأت كثافة حركة المرور في صعود النهر وهيوطه أربابنا هؤلاء، قارداً ذات الحاجة إلى المركب، وصارت أحواض السفر جميعها ملأى بعارضات البصر الجديدة، أهبط مناطنة الفوارب النهرية وطواقمها وعمل الأحواض ثروتهم الجديدة في الاحاث والمواخير حتى اصطحبت لمؤسسات والبغايا في طلب الملابس والحنى الفاخرة، فأصبح اسخياطون واسجواهرجيون وسوا سيرا حديدة، بينما طافت روحانتهن الأسوا حاملات الذهب والفضة في حمايتهن، باحثات عن كل شيء من العبد السحد إلى مدور الطبخ

بدأت الحياة تدب في مصر من جديد، بعد ان حسمها أخ- سنت وابصر دار طيله مدي السنوات سلبا وبهيا.

نتيجة لكل ذلك نمت عوائد النول، وحوم جامعو صرثب افرعون فوقها بتلذذ اسرور المحوم فوق لجث التي يذريها أخ- حوريس وجحاطه في جميع أرجاء لريف. وبالطبع، كن لفرعون ممثلا

وكذا كنت ومولاتي، ذلك أن كلينا وباقتراح مني استثمر في بعثة تجارية كانت تنحدر بلاطلاي إلى سوريا، وعندما رجعت البعثة بعد ستة أشهر وعدنا أنا ربنا خمسين ضعف قيمة استثمارنا الأصلي، شمرت مولاتي لنفسها عفا من المال وحمس إماء جدييات يزدن حياتي بؤسا، أما أنا، وبخصاصتي المعهولة، فاشتريت بخصتي خمس رُفعات من خيرة الأراضي على الصفة الشرقية بلهر، وكتب أحد كتاب العدل الصكوك ثم سجلها في بقاصر المعبد



ثم جاء اليوم الذي كنت أحشاه قذات صباح، تفحصت مولاتي انعكاسها في امراة باهتمام يفوق اهتمامها المعتاد حتى، وأعلنت أنها بانت مستعدة أخيرا، وحتى أكون منصفًا اضطرت إلى أن أوافق على مصص على أنها لم تكن أحمل قط كأنما أكسبها كل ما عادته مؤخرًا مروثة حديدة فتلاشت آخر آثار الصند والميرة وبهوى الصعولة من ملامحها، وصارت امراة ناصعة ورصيدة

لقد ولّيتُ بك يا ثايتا فأثبتت في الآن أن ذلك لم يكن سخفًا مني احب لي تايوس.

عندما فارقْتُ تايوس في سفاجا لم يجد سبيلاً إلى الانعاق على وسيلة متبادل الرسائل.

- سأكون في المسير كل يوم، وأمي لأحد معرفة إلى أين تؤدي هذه الحملة بي؟ أوص السيدة لوستريس أن لا تثق إلا لم نسمع مني خبرًا، وثُل لها إنني سأرسل رسالة عندما يدم مهمتي لكن قل لها إنني سأكون حاصرًا وقتما تنضح ثمار حبا على شجرتها، وتصير جاهزة للقطف وهكذا لم نسمع منه شيئًا إلا الشذعب لجائحة المتدوفة من أرصفة المرافئ والبارارات

ومرة أخرى، بدا لي أن لآلهة قد تدخلت وأبعدتني، وهذه المرة من سطح مولاتي لوستريس. بد ناعب شائعة جديدة في اسوق ذلك اليوم تقول إن عاقلة هارمة من الطريق الشمالي صادفت هرمًا من اريؤوس اعشورية سُيّد حديثًا في نقطة تبعد أقل من ميلين عن أسوار المدينة، وكانت اريؤوس طارحة حتى إن ساندتها حقيقة ولم يجردها العريان والصور من حُلدها بعد رج لثرثارون يقولون لبعضهم. «هذا لا معنى إلا شئنا واحدًا، وهو آخ-حوريس في كورة أسوان، وعلى الأرجح في نقطة تُرى منها أسوار الغنيتين لقد انقض على بقايا قبلة أخبكو السوارية خوفًا في الصحراء مدد أن قطع رأس رئيسهم في جلاله مذبح قطاع الطرق عن آخرهم، وكؤم رؤوسهم على قارعة الطريق. وبفصل الإبه العديد، صار الحبوب حاليًا من الصربان مدهوي الجانب!».

كان ما سمعته أنباء جديدة بحق، وهي أفضل ما سمعته منذ أسابيع، إذ سمعْتُ أشد الحماس لأنقلها إلى مولاتي ورجتُ أشق طريقي بين البحارين وابتحار والصيادين على الرصيف لأحد نوتيًا يُعيدني إلى الجزيرة.

جذب شخص ما درعي، ونترئف بانفعال، فعلى الرغم من البهجة الحديدة التي يحاح البلاد، وربما نسبها صار المسؤولون أكثر عددًا من أي وقت مضى، لكن هذا لم يستعلم بسهولة، فالتفتتُ إليه رميًا عصيًا بغضب حتى أطرده

تأوه امتسور قائلاً: «لا تضرني صديقاً قديماً أحمل إليك رسالة من أحد  
الآلهة، هاوعمت الضربة وبظرت إليه بعم هاعر».

صحت، «هوي! (صاق قلبي صنب تعمرت الابتسامة المكرة بلص  
لسابق)، ما الذي تفعله هنا؟ (ولم أنتظر إجابة عن سؤالي الأحق)، اتبعني  
على بساعة»

فدته إلى أحد الموحير في رفاق صيو وراء المرماً يقدم غرماً للأزواج،  
سواء أكانوا من الجنس نفسه أم من جنسين مختلفين، كانوا يؤجرون بكرة  
لفترة قصيرة تحدى ساعة مائية مثبنة عند الباب، ويأخذون خاتماً نحاسياً  
كثيراً أحراراً هذه الخدمة. بفعت الأجرة الباطلة، وحالما صرنا وحدا قبصت  
على هوي من عباته البابة

سألته بإلحاح: «ما أخبار سيبك؟».

فقهقه بسلاطة مسخطة: «إن حلفي قاحل وبالكاد يمكنني الكلام». كان  
قد اعتنى بالفعل حثيال جنود الرقي اوقح كله يا لسرعة قعم القرد الحيل  
الحيدة باديت البواب أن يعلب لنا إبريق حعة، وشرب هوي كما شرب  
حصار ضمان، ثم أبرد الإبريق وتجشأ بسعادة.

- يرسل الإله آح- حورس تحياته لك ويطرب أحر لا ينبغي بكر اسمه  
وبأمري أن أخبرك بأن المهمة قد تمت وأن جميع الطيور باتت في  
لقصص، ويذكرك بأن أشهر فليلة فقد تفصينا عن مهرعان أوريريس  
لمقبر، وأن أون كتابة بص جديد لمسرحية الآلام من أجر تسليه الملث

فسألته بتهف: «بئس هو؟ كم ستستغرق من وقب حتى ترجع إليه؟».

فصرح قائلاً: «يمكنني أن أبلغ جواره قبل أن يعوص أمون رع، إله  
الشمس، وراء اتلال المرية»، وألقت نظرة من خلال البافذة إلى لشمع  
انتي كنت في منتصف طريق هبوطها من السماء كان تايوس مجتئاً هريك  
حدا من المدة، وتهللت من حديد حكم اشتقت إلى شعور عناقه افاسي،  
وسماع ضحكته للمدويه العظيمة!

وبينما أبتسم في سري ترفناً، رحت أدرغ أرضية العرفة القدره ريثم  
استقررت على رسالة أحملها لهوي ويرجع بها إليه.



كان الليل قد هبط تقريبًا وقتما نزلتُ إلى الشاطئ عند مرسدا الصغير  
وأمرعت صاعدًا لدرج وجدتُ إحدى الإماء تنتحب عند لبوابة وتفرّت أدبها  
المنورمة. قالت متدمرة: «قد صرنتني». ورأيتُ أن كرامتها واست أكثر من  
أدبها.

فزجرتها: «لا تُشعري إسي السيبة لوستريس بتاء التأنيث. بأي حال، مم  
تشككين؟ خلق العبيد ليُضربوا».

على الرغم من ذلك، لم يكن من عادة مولاتي رفع يدها على أي شخص  
لي سبها، فقلتُ في قراري لا بد أنها هي مراج نائس حقا، وأطأتُ حطوي،  
وصلتُ -مقدمًا بحذر- مع فرار أمة ناكثة أخرى من العرفة، ثم ظهرت  
مولاتي في الباب من ورائها، والمضب يحمّر وجهها، قائلة: «لقد حولت شعري  
إلى كومة قش...».

رأيتُ أقدامك وقطعت شتيمتها، ثم انقضت عليّ بحبوبة عرفتُ منها أنني  
لسبب الحقيقي لتأثيرتها

وسألتني ملحة: «أين كنت؟ أرسلتك إسي المياء قبل الظهر» كتب بحرق  
على جعلي أنتظر كل هذه المدة؟»، وتقدمت ناحيتي بسحباء حملتني على  
لتراجع بحوف

قلتُ لها بسرعة: «به هنا (ثم أحفصتُ صوتي حتى لا تسمعني إحدى  
الإماء، وهمست) فانوس هنا بعد غد سأمرُّ بوعدي لك،  
لحرف مراجها، تحولًا كملاً وتفررت ملقية بذراعها حول عنقي، ثم مصت  
تحدث عن اسنين لهما تين تنو سيهما



أرس ملك العموريين التابع في صجل خراج السموي بمرعون زوجًا  
من فهود الصيد المدربة من مملكته وراء البحر الأحمر، وكان الملك منشوقًا  
لإطلاق هذين المخلوقين النديغين حلف لطلعان الغرلان التي ينقافن بين  
الكتبان الصخرانية على لصعة العربية، فأمر حاشية اللاط أكملها، مما  
فيهم مولاتي، بحضور المطاردة

بينما أبحرت عبر الضفة العربية في أسطول من المركب النهرية الصغيرة،  
تحقق الأشرعة البيضاء والرايات زاهية الألوان وترافقت الصحكات وموسيقا



العود والصلابل. سيبدأ الفېضان السوي لسهر العظيم في غضون أيام،  
وحقن هذا الترقب، رقة المناخ امزهر الجديد للبلاد، المزاج الاحتفالي  
للحاشية

كانت مولاتي في مرج أش من أئهم، وبينما يشق ورقدا المياه الصيفية  
الخضراء بسرعة تكفي لرخوة مقدمته بطوق أبيض محرم من الزيد وترك  
أثر مألوف وراءه، راحت نصيح بالتحيات المرححة لصديقاتها في القوارب  
الأخرى.

بدا أنني كنت لوحد غير السعيد وخالي البال، فقد حملت الريح جدة  
حشنة وجلعة وكانت تهب من الجهة الحاطئة. ظلت أطر مقلو إلى عرب  
السماء، وكانت رائقة وصافية، لكنها التمعت ببريق نحاسي غير عادي تقريبا  
كأن شمعا أخرى تشرق من الدحية المعكسة للشمس أنني مرقها حق  
المعرفة.

نحيث هواجسي جاتي وحدوت الاندماج مع روح الرحلة، وعملت، ذلك  
أن عندي أشياء غير الطقس ألقى بشأنها فإذا ما أخفق جزء واحد من أجزاء  
خمتي، ستكون حياتي، وربما حيوات أخرى أؤمن من حياتي، في معرض  
الحصر.

ولا بد أن وجهي أظهر نكت كلة إذ وكزني مولاتي برصبع رجليه الجميل  
المطلي قاذلة. «فيم هذا التجهم يا تايقا؟ سيعرف أي ناظر إليك أنك تحطط  
لشيء ما، انتسم! أمرن أن ينسماء»

عندما رسونا على الضفة الغربية، وجدنا جيشا من العبيد بانتفردنا،  
ومساة بمسكون بلحم حمير ركوب نساء فحة مكسوة بالحرب المرركش  
من الإصطبلات الملكية، وحمير نقل مثقلة بالحديد والنسب وسلال اطعام  
والشراب وبقية مؤونه الفضة الملكية حضر هوج من العيد، بعضهم وظفقه  
حمل المظلات فوق السيدات وبعضهم خدمه الصيوب لثلا، وحصر  
مهرجون ودهاوانات وموسيقيون لنسائهم، ومئة صياح لتأمين لمصدره.

كان قفص الفهدين محمولا على عربة راجه يجرف روحان من الثير  
النساء، واحتمعت حشية لئلا حول المركبة لاستباح هذيب الوحشين  
الدريين فاللهو. لا تظهر بصورة طبيعية في بلادنا، ذلك أنها من مخلوقات  
السهول العشية الواسعة، وهذه التصاريح غير موحية على طول النهر  
كان ذلك أول لقاء لي معها على الإطلاق، وثار فضولي حتى أنني سمعت

همومي الأخرى واقتربت من لقعص بقدر ما أمكنني المرور في الحشد من دون أن أصدم رجلًا برفًا ما أو أبوس على رجليه

كانت أحمل قنطط يمكن لمخيلتي تصويرها، أصغر وأنحل من مموريا ولها أضرف طويلة ودقيقة وبطون ضامرة بدا أن بجولها المستوية تدُّ على مزاجها، وكانت جلودها الذهبية مرشعة بؤريبات سواد حلكة، بينما امتد من الركن الداخلي لأعينها خط أسود نازل إلى خدودها كأنه مجرى دمع، وقد أعطاهما تلك، رقيقة حلستها الملكة سحنة مأساوية ورومانسية ساحرة في نظري. تحرقتُ شوقًا إلى متلاك أحد هذه المخلوقات، وقررتُ من موري أن أرفع الشكرة في رس مولاتي إذ لم يرفض لها الفرعون رغبةً قطُّ

وصل القارب حامل الملك إلى لصفة العربية بأسرع مما رجعتُ، وهرعتُ مع بقية الحاشية إلى الرصيف لاستقباله.

كان الفرعون مرتديًا لباس صيد خفيف، وبدأ لأول مرة مستريحًا وسعيًا توقف بجوار مولاتي، واستفسر بكياسة عن صحتها بينما يقرب الالتقاء الطقسية ملأني الحوف من أن يقرر إبقاها بحواره صيلة اليوم، فسيحرب ذلك ترتيباتي كلها، لكن العهد اصياد جذب بتباهه فعزُّ من دون أن يعطيه الأمر بالحاق به

صبيعنا نفسيب هي الحشد وشققنا طريقنا إلى حيث نحي خدُم دواب حمارًا مولاتي، وبينما ساعدتها على امتطائه، كلمتُ الخدم يهدوء، وعندما أسمعني ما رعتُ بسماعه، دسست في يده حاتمًا نصيًا فاحتقني كأنما يسحرها.

تسلم عبدُ قيادة حمار مولاتي وحمل أحرَّ مظلة فرقتها، وتبعنا وإيها امك والعربة انراحة إلى الصحراء استغرقنا -مع وقفات الإراحة المتكررة- نصف الصباح لتبلغ وادي الحلال. وعبرنا من بُعد في طريقنا معبرة قراس العتيقة التي يرجع تاريخها إلى زمن الفراعنة الأولين. قال بعض الحكماء إن القبور نُحتت من جرف الصحراء السرباء قبل ثلاثة آلاف عام رغم أنني عجزتُ عن معرفة طريقة وصولهم إلى هذا الاستدلال. بينما يمرر تعحصتُ من دون أن أشير الانتباه مداح القبور بتمعن، غير أنني لم أثيق من هذا الجعد أي أثر على وجود بشري حيث فيها فخاب أمني خيبة غير عقلانية، وبينما يمضي ظلمتُ أنقي بطرات إلى الحلف.

كان ودي العرلان إحدى معونات امسد الملكة، التي سمىها مراسم  
حط طويل من العراغة، وتتمركز في التلال فوقه سرية من الحراس الملكيين  
لداأمين لتنفيذ نوايا الملك القاضي بأن جميع المخلوقات فيه محفوظة له  
شخصياً، كانت عقوبه الصيد فيه من دون إذن ملكي اموت شتقاً.

ترجى النبلاء على قمة إحدى هذه التلال المطلّة على الوادي الأسمر  
لنسيح، فنصبت الحيام بسرعة لتفليهم، وفُتحت أبواب الشراب والمعة  
بتقع عطش رحلتهم.

حرصت على تأمين موقع جيد تراقب منه الصيد أنا ومولاتي، لكن يمكننا  
نصاً الاسحاب منه نصمت من نون جذب أي اسده لا داعي له، ثم نصبت في  
لمسافة قطعان انزلان من خلال السراب المائي المرتعش على أرض الوادي،  
وثبّهت مولاتي، ليها

فسألني: «أي طعام نثر عليه هناك؟ لا أرى أثراً للمعرة. لا بد أنها تأكل  
لصحور، إذ ثمة ما يكفي منها»

قلت لها «إن الكثير مما تربيته ليس صحوراً، إنما نباتات حية، وعندما  
صحكت تكدينا، قنشت الأرض الصحرية ونبعت حفرة من تلك النباتات  
لعجيبه

مقالت بإصرار «إنها صحور، (حتى أمسكت واحدة بيديها وسحقها،  
فقطرت الغصارة الكثيفة على أصابعها، ونبحت من دهاء الإله الذي حاك  
هذه الحديعة) أنها ما تعيش عليه؟ لا يبدو ذلك ممكناً».

لم نتمكن من إكمال هذه المحاولة لأن الصيد بدأ، إذ فتح اثنان من  
الصيادين الملكيين لقصر ووثب الفهدان إلى الأرض، توقعنا أن يهربا،  
كنهما كان اليعين كقطط المعبد، وراحا يحتكان بمودة بسيقان منربيهما،  
وبصنوا صوفاً معروفاً عربياً، أقرب إلى طائر منه إلى مفرس مدوحش.

تبين في الحرف المصّي من وادي الأسمر لصمغ صغ حامل  
لرايات، بهيئات صنيعة شوهتها لمسافة والسراب كانوا يتقدمون ببطء  
ناحنين، ومظمان لها تنساق أمامهم

وبينما يتقدم اسلك وصيادوه ربة الفهدين المصدين هابطين الحرف  
باتجاه قعر الوادي، ظلت وبقيّة الحاشية على القمة كان رجال البلاط

يتراهمون فيما بينهم بالفعل، وتشوّقُ بقدر أيّ منهم إلى مشاهدة نتيجة الصيد، لكن عقل مولائي كان مشغولاً بمسائل أخرى

همست لية: «متى يمكننا الذهاب؟ متى يمكننا لهروب إلى الصحراء؟»

قلت: «حالما يبدأ الصيد تتعلق جميع الأنظار عليه، وأتدال تكون فرصتنا، وببدا أتكلّم، سكنت الريح التي سقعتنا عبر الدهر وبرّقتنا في المسير فحاة، وكما لو أن محاساً فتح باب مصوره. صار الهواء تقريباً أسخن من أن نتنفسه نظرتُ مرة ثانية إلى الأفق العربي. كانت السماء فوقه قد استحات صغراء كبريتية، وببدا تُفرّج. بدت لحقة كأنها تتصاعد إلى السماوات، وأربكني ذلك، لكنني كنتُ اوحيد الذي ظهر عليه لانتبه إلى هذه الظاهرة الغريبة بين الجموع

ورغم أن عريق الصيد قد وصل إلى سفح انقلا، ظلت المسافة قريبة بما يكفيني لمراقبة المخطط العظيمة كما حد رأيا فلعن ابرلان لتي تُساق بعده باحيتهما، وردّهما لك من لحيوان الأليف ابرود إلى طبيعتهما الصبّدة المتوحشة، سرز رأساهم بعزم وأهبة، وانتصت آناهما قدما، وراحا مشدان الرسن وقد امتصا بضئيهما وصدرت جميع عضلاتهما هشودة كوتر قوس شذت عن آخرها

حدثت مولائي بنوري وهمست بالحاح: «قلّذه ب قامة»، وبدأت أندرج عى مصبض باحية كتلة صحور من شأنها ستر انسحبنا وحجبنا عن بقية الجماعة أُنحت لنا رشوة الفضة التي دشعتها لخدم الدوب حمار مريبوطا متوريا عن الأنضر بين الصخور، وحالما بلغناه، تأكدتُ من أنه يحمل ما طلبتُ. قرية الماء وكيس المؤونة، ووجدتُ كل شيء في مكانه

لم أتمكن من صيد نفسي، واستلقتُ مولائي قذلا، «لحظة أخرى فقط»، ثم تسفّثتُ، قبل أن تتمكن من نهبي، إلى قمة المنكشف لصحري وألقيت نظرة إلى الودي من تحت

كانت أقرب. المعها نمرّ على بُعد بصع مئات من الخطوات من حيث وقف الفرعون قبضاً على رسن الفهدين، ومددتُ رأسي في لوقت المناسب تماماً لأراه يفت ابرسن ويطلقهما. بدأ انطلاقتهما يوثية متأنية ورأسين مرفوعين، كأنهما يدرسن، فطمان لهما الحانة بأنامة يصتارا عريستهم، وصاه، أدركت

القطعان اقترابهما الخاطف واطلقت راکصة بأقصى سرعتها، فغشَّ السهل  
الترايبى كسرب من السمونات.

راحت النفس بسطاً حسيهما الطويين، ومدت أطرافهما الأمامية  
فدما ثم تمرُّ الحسية من بينها حافة، فينطوي جداهما اللينين قبل أن  
يبسطا من جديد. سرعان ما بلغتا سرعتهما القصوى، ولم أزل من قبل حيواناً  
هذه السرعة وبالمقارنة بهما بدت قطعان الغزلان كأنها صارت محاة تعدو  
في أرض مستقيمة أعاققت مرارها ثم بأبقة هفوة، أدركت القطعان لقطيع،  
فجاورتا مهاة شاربة أو ثمتين قبل أن تبعا ضحيتيهما استنقاتين

حاولت المهاثران استيعاب تفادي الهجوم الممتد، فقفزتا علياً وعيرتا  
اتجاههما في الهواء، ثم التوتا مرتدتتين على أعقابهما حالما لمس حوافرهما  
الدقيقة الأرض المسفوعة استقرأت القطعان التواء تهما بسلاسة أبيقة،  
وكانت انهابة محتومة، إذ أوعت كل منهما إحدى الغزلتين على الأرض  
في سحابة منزلقة متشقلبه من الشراب، وربضت فوقها مطبقة مكبها على  
نصبتها لتتحلقها، بينما تركل سيفس الغزلتين الحلفية بتشنج حتى تبيست  
أخيراً وحشها الموت

ألميت نفسي مهروراً ومنقطع النفس حماسة، ثم نهيت صوت مولاتي  
«تايتا ازل فوراً سيربك جاتماً هناك»، فهبطت ورجعت إليها.

ورغم أنني لا أزال مهتاجاً، رعتها هي السرج وقدت الحمار إلى الأرض  
المحتجبة حيث صرنا خارج مرمى بصر الجماعة التي تركناها على لذل  
وراءنا لم تحتمل مولاتي كنت انزعاجها مني طويلاً، وعندما ذكرت اسم  
ساموس ثابته معك، نسييت الأمر برعته، وحشئت مطيئتها إلى الموعد

لم أتجه مباشرة إلى مصره نراس حتى انطمشت إلى أسنا صرنا بعيدين عن  
وادي العزلان ووصعنا قمة أخرى وراء ظهري، وفي الهواء الساحن الجاهد،  
رح صوب حوافر حمارنا يقعقم ويقرقع على الحصاة كدنه يمرُّ على فراش  
من رجاج مهشم سرعان ما شعرت بالعرق يتصب على جلدي، فقد كان  
للحواء جانباً يتقله شعور انتاب الرعد وفيل أن يبيع المعيرة بوقت طويل  
فت لمولاتي «الهواء جاف كاعظام لعقيقة. يجب أن تشربي بعض الماء...».

- تابع المضي! سيكون أماننا وقت مديد لنشرب ماء بطوننا لاحقاً

نفت محتجاً، «لعبت قلباً إلا حيالك يا مولاتي».

قالت: «لا ينبغي أن نتأخر، فكل لحظة نصيبها تُبْقَص من وقتي مع قافوس». كانت محقة بالطبع، إذ لن نحظى إلا بوقت قليل قبل أن يفقدنا الآخرين ومولاتي محبوبّة إلى درجة أن الكثيرين سينطلقون إلى السبع بصحبها حالما ينهي الصبد ومرحومون إلى البهر.

ظل نشوّقها يرداد مع القراميس من اسعروف حتى لم يعد بإمكانها احتمال مشية مطيئتها، فوشت عن ظهرها وركضت إلى الطلعة التالية، ثم صاحت «ها هو! ها هو المكان الذي سينتظري فيه!»، بينما نشير أمامها

وبينما ترقص على حط لأفق، انقصت الريح علبذ «نقضاض الذئب المتهترس بعواء ملأ التلال والخابيد، وقبضت على شعر مولاتي فبشرته مثل رية نقصف وتتشانك من حول رأسها، ثم رفعت ثلورتها عاليًا فوق فخذيهما الممراوين المشوقتين، فصحكت مولاني ودارت من حول نفسها معازلة الريح كأنها عشيقها، لكنني لم أشاركها عيبتها

استدرت ومطرت خلفي، ورأيت العاصفة قادمة من الصمراء، إذ ارتفعت قادمة ومُريعة، إلى «سماوات الصفرء الكالحة، وأحدث تَمُور على نفسها كأمواج تتكسر على حيد مرجاني. حفا الرمل الذي بعثته الريح ساقئ، فانطلق راكضًا أجر الحمار خلفي من لجامه، وكادت لريح المنشبة في ضهري توقعني أرضًا، لكنني أمسكت بمولاتي

صرحت من فوق الريح، «عليك أن تسرع، يجب أن يبلغ جمي المقبرة قبل أن نضربنا»

ارتفعت سحب عالية من التراب أمام فرص الشمس، فأعتمته حتى صار بإمكانني لنظر إليه مثلشرة بعيني المجردة. غُسل العالم كله بلون المُعرة الكنيب، وصارت الشمس كره مرتقاسة باهتة، ثم رج لرمل امتطايير بسحج ما انكشف من جلد أظرف وبغاييد، حتى لعفت شالي من حول رأس مولاتي لحصبتها، وسقذها قدام من يدها.

طوقتنا صفائح الرمل المنثور وطمست محيطنا حتى حشيت أنني أصعب الاتجاه، ثم مجاة انفتحت ثعرة في ستائر الرمل ورأيت العم المظلم لأحد القبور يظهر أمامنا، فبينما مشيت أترنج أحر الحمار بيد ومولاتي بالأخرى إلى أن دخلنا كنف الكهف. كان المدحج منحوتًا من صعر أعم، وبقر إلى عمق سفح التلة، ثم ينحصف بعطافًا حاذيًا قبل أن يدخل المدفن حيث سميت الموماء العنقة ذات يوم لترقد. بين هرون حلت، تصرّف لصوص القبور

بالجسد المُصطَّ وجَمِيع كَنُوزِهِ، ولم يبقَ إلاَّ الرسومُ الجصيةُ الدَّأويةُ على  
الجدرانِ الحجريةِ؛ صورُ للآلهةِ والوحوشِ صيَّرتُها الظَّمةُ شحيرةً.

حرَّوْ مولاتي جالسةً عندَ الجدارِ لحجري، لكن حبيبتها كان أولُ ما فكرتُ  
فيه. «لنَّ صَبَّحتُ يائسةً: «لأنَّ لِي يَحْدَا تَانُوسُ أَبَدًا»، وحرَّحني حُودُها أَنَا  
السيَّ أَوْصلتها إلى برِّ الأَمْسِ فَككْتُ سَرَجَ الحمارِ وَكَوَّمتُ الحُمولةَ هي أَحَدُ  
أركانِ القبرِ، ثُمَّ صَبَّبتُ كأسَ ماءٍ من القربةِ وَحَمَلتها على لِشْرَبِ

سَأَلتُني بِمَنْ جَرَعاتُ الماءِ: «مَآذا سَيَحْدُثُ لِلآخَرِينَ؟ لِمَ لَكَ وَجَمِيعُ  
أَصْدِقَائِكَ؟». كَنتُ مَجْبُولةً على التَّفَكُّيرِ في سَلامةِ الآخَرِينَ حَتَّى فَيَّ ضَعُفْتُها  
الشَّخْصِيَّةَ

قُلْتُ لَهَا «سَيَعْتَنِي أَصْيَانُورُ بِهَمِّ إِبْهَمِ رِجَالِ بَارْعُونَ بِأَلْفُورِ الصَّحْرَاءِ»،  
عَيرَ أَسِي فَكَّرْتُ في قَرَارَتِي مُتَكَدِّرًا: «كُنْ لَيْسُوا بَارْعِينَ بِأَمْدَرِ ابْكَافِي لِيَتَوَفَّعُوا  
العاصِفةَ. وَرَغمَ أَنَّنِي حَاوَيْتُ طَمَأْنَتَهَا، عَرَفْتُ أَنَّ الحَالِ سَتَكُونُ شاقَّةً على  
النَّماءِ وَالْأَطْفَالِ في الحَارِجِ.

سَأَلتُني «وَقِ تَانُوسُ؟ مَآذا عَنْهُ؟»

- تَانُوسُ تَحْدِيدًا يَعْرِفُ مَا يَنْبَغِي فَعَلَهُ إِبْهَمَ كَالْبَدْوِ ثَقِي بَانَهُ تَوَقَّعَ تَنُومَ  
لِصَفَةِ

وَأَحِيرًا، فَكَّرْتُ بِسَلامَتِها الشَّخْصِيَّةِ «أَعَدِجُ عَلى النُّهْرِ أَبَدًا؟ أَسِيحْدُونَا  
هَنا؟».

قُلْتُ: «إِيسَا أَمْسَنَ هَنا. لَدَيْهِ ماءٌ يَكْفِيها أَيَّامًا عَدِيدَةً، وَعَندَما تَهْبَأُ العاصِفةُ،  
سَنُجِدُ طَرِيقَنا عَودًا إلى النُّهْرِ. وَعَندَما فَكَّرْتُ بِالمِياهِ الثَّمِينَةِ، حَمَلْتُ القَرِبَةَ  
الْمُنْتَفِخَةَ إلى عَمَقِ القَبْرِ حَتَّى لا يَدُوسُها الحِمَارُ بِحُلُورِ هَذا السَّوْقِ، كانَ  
الْعَلامُ قَدِ عَمَّ بِاكْمالِ طَرِيقًا فَهَرَعْتُ أَتَلَفَسُ في أَصْرَةٍ مَحَبًّا عَنِ السَّراجِ الَّذِي  
زَوَدَنِي بِالعَبْدِ بِهِ، وَهَرَعْتُ عَلى العَتِيرِ المُدَخَّنِ، فَانْتَهَبْتُ مَصِيئًا القَبْرَ بِصَوْرِ  
أَصْفَرٍ مُبْهَجٍ.

وَبِيبِ كَنتُ مُشْغُولًا بِالسَّراجِ وَمُحِيرًا ظَهَرِي لِلْمُدْخَلِ، صَرَحْتُ مَولاتي  
صَرَحةً مَجْلُجَةً تَهَيَّضُ نَعرًا وَهَيْبًا إلى دَرَجَةِ أَصَابَتِي بِخُوفٍ مَكاثِيٍّ وَأَجْرَتِ  
دَمِي سَعِيًّا وَبَطْمًا كَالْعَسَلِ في مِعارِبِهِ، رَغمَ أَنَّ حَفَقارَ قَلْبِي سارَعَ  
كَتَمِ السَّراجِ حَواوِرَ عِزالِ هارِبٍ، اِستَدْرَيْتُ وَمَدَدْتُ يَدِي إلى حَنْجَرِي، لَكِنْ عَندَما  
رَأَيْتُ الوَحْشَ الَّذِي سَدَّ جِسمَهُ المُدْخَلِ، تَحَمَدْتُ مِنْ نَوزِ أَنَّ أَلَمَسَ السَّلاحَ عَلى

حرامى، إذ عرفتُ غريباً أن يصلي لناعه لن تُحدي البتة أمام هذا المخلوق  
كأن ما قد يكون،

كنت هيئته مشوّهة ومُبهمّة في ضوء السراج الواهي، وتراءى لي أنه  
شريّ الشكل، لكنه كان أضخم من أن يكون بشراً، وأقنعني رأسه الشّع أنه لا  
يُدّ وحش العالم السفلي المصنف ذو رأس التمساح الذي يلتهم قلوب من يعبر  
ميزان تحوت أنهم عاصون، الوحش المرسوم على حدران القبر، إن تلاً رأسه  
بحراشف راحيّة، وكان همه أشبه بمنقار عقاب أو فم سلحفاة عملاقة، أما  
عياه فحفرتان عميقتان لجئان حذقان إلينا بحقد، من كتفيه، ستّت أجنحة  
عملاقة راحت تحفّق -متفخّة بصف التفافه- حول الجسد الشامخ كما يحفّق  
جناحا صقر حائم، توقعتُ أن يخلّق المخلوق بتلك الأجنحة ويمرّق مولاتي  
بمحله المضطّعة، ولا بدّ أنها حامت ذلك بقدر ما حفته، فبيما هي رابضة عن  
قدمي نوحش صرخت ثنية

ثم أدركتُ فجأة أن المخلوق ليس مُجنّحاً، بل كانت طيّات رداء صوفي  
طويل، كالذي بلبسه السود، مرصّف في الرمح حشفه، وبسما ما زلنا حامدين في  
حضوره المُروّع رفع كلت يديه وبزع حربة الحرب المسنّبة وقدعها المصنوع  
على هيئة رأس عقاب ثم هزّ رأسه وهبطت كومة من اللقائف الحمراء لاهية  
إلى كتفيه العريصتين.

وقال بصوته الحبيب المصمود «رأيتكما من قمة الجرف تأنين عبر  
العاصفة».

فصرخت مولاتي ثنية، لكن هذه المرة بفرح ربّان حامح «قافوس!»  
وركعت إبيه، فأحترما بدراعيه كأنها طقنة ورمعها عاك حتى لمس  
رأسها لسعف الصخري، ثم أنزلها وضمها إلى صدره، ومن مهد دراعيه  
رفعت فمها بحثاً عن قمه، وبدا أنهما قد يلتهم أحدهما الآخر من شدّة حاجته  
وقفتُ مسياً في ظلام القبر ورغم أنني تآمرت وحارثت بالكثير حتى  
جمعت شملهما، لا يمكنني حمل نفسي على تدوين المشاعر التي تكالبت على  
عدم جعلت شهنه مُكرّها على نشوتهما الغيرة أردن مشاعرنا، ومع ذلك،  
لقد أحسنت استدرة بوسقربس بقدر ما أحبا قافوس، وليس حبّ الأب أو الأخ  
كذلك، كنتُ حصياً، لكن ما كنتُ لها كان حب رجل صبيحي، وهو مستحيل  
بالطبع لكن لم ترده استحالفه إلا مراوغة لم أستمتع النقاء ومشاهدتهما،



وبدأت أنسل من القبر كجرو جُرد بالسوط، لكن تافوس رأسي أغادر وقطع  
تلك القيلة الموشكة أن نهك روعي

لا تتركني وحسي مع روجة الملك يا تايقا، بق معنا وحسي من هذا  
الإغواء المهول، إن شرب في معرض لخطر، ولا يمكنني الثقة بنفسي،  
يحب أن تنقي وتحرص على أن لا ألتطع زوجه الفرعون بالعدو.

فصاحت مولاتي لوستريس من بين ذراعيه: «ذهب واتركنا وحدنا لن  
أنصب إلى أي كلام عن العار والشرف الآن لقد حُرما حبا منذ وقت بعيد ولا  
يمكنني انتظار أن تتحقق نبوءة المتامات. اتركنا وحدا الآن يا تايقا الطيف».

قررت من الحيرة كأي حياتي في خطر، وربما كنتُ لأخرج إلى العاصفة  
وأهك فيها واصفاً هذا لها، لكنني أجبرٌ من ذلك بكثير، فتركتُ الريح  
ترجعني، ثم تعذرت إلى ركن من أركان المسخل حيث لم يعد بإمكان الريح  
دفعي، وتراجعتُ على الأرض الححرية، ثم رفعت شالي من فوق رأسي لأعطي  
عيني وأسد أذني، لكن رعم هدير العاصفة فوق الجروف، طلت الأصوات  
الصاعدة من حجرة ادهن مسموعة.

طلت العاصفة تنمح بيومين بضراوة لا تقطع، وبمت جرءاً من الوقت،  
مُجبراً نفسي على الانطواء في النسيان، لكنني كنتُ أسمعهما كلما استيقظت،  
وعدبني صوت، حيهما، غريب أني لم أعش صيقاً كهذا عندما كانت مولاتي  
بصحبة المال، لكنه من ناحية أخرى ليس غريباً جداً، ذلك أن العجور لا يعني  
لها شيئاً.

دخلت عالم مختلف من اللوحة، همزقت لأهات والأنات والهمسات علي،  
وهددت تقهّدات الشايه الموروبه، لتقهّدات غير الذبحة من الألم برهائي،  
أم صرختها الجامحة عند نشوتها الأخيرة، فألمتني أكثر من سكّين الحصي  
وأخيراً، خمب ابريح وحب، وراح تنوح في صفح الجروب، ثم اشتد  
الضوء وأدركتُ أنه اليوم الثالث من سحي في القبر رفعت نفسي وباديتهما  
من دور أن أحرق على دخول العربة الداخلية من حشية ما قد اكتشفه،  
ولبعض الوقت، لم أسمع رداء، ثم تكلمت مولاتي بصوت مبحوح ذاهل ردد  
المدخل صاه لمخيف، «تايقا، أهذا أنت؟ خُيل إلي أنني مت في العاصفة  
وحملت إلى حقول الفردوس الغربية».

لم يس معنا إلا قليل من الوقت بعد أن هدأت العاصفة، إذ لا بد أن اصحاب  
الملكيين كانوا يبحثون عنا بانفسهم، وقد منحت العاصفة أفضل عذر ممكن  
لغيابنا كنتُ واثقاً بأن لنأخى من جماعة الصيد سيكوبور مدحذين موز هذه  
التلال الشبية، لكن لا ينبغي لجماعة البحث أن نعث علينا برفقه قانوس

من ناحيه أخرى، بالكاد تكلمتُ وقانوس في هذه الأيام الأخيرة، ولينا  
أمر كثيرة مناقشها، سيما نقف في باب لمدخر خططنا خلطنا على عجل.  
كانت مولاي هدية رصينة في صورته قلما رأينا من قبل، فقد وقعت  
جوار قانوس، من دون هدير التلقائي تراقب وجهه بسكينه جديدة،  
ودكرتي بكاهنة تؤدي طقوسها أمام صورة إلهها لم ترح بضرتها عنه  
بصفة، وراحت تعد مدها بين الحين والأخر تتلمسه، كأنما لتؤكد لبعها أنه  
قانوس بحق.

وعندما تفعل ذلك، يصمت قانوس عن أي شيء يقوله ويمسح تيتك العيين  
الحضراوير لداكتين كل اهتمامه، بأصطرُ إلى بدائه حتى يرجع إلى المسألة  
التي لم نبعها بعد في حضرة هيام ظهر كهذا، كان متاعري الشخصية  
حساسة وحقيرة، وأحبرت نفسي على الفرع لأحدهما.

استغرقنا حتى أبعنا مسائلنا وقتاً أطول مما عدته حكماً، لكنني  
في آخر الأمر عانقت قانوس عناق الودع وحثت الحمار بخرج إلى ضوء  
الشمس الذي يصفيه غبر أصفر بديع لا يرال يملأ اسو وحنفت مولاي  
عسي هانتظرتها في أسفل الوادي

نظرت خلفي، ورأيتهم يخرجان من الكهف أحياناً. وقد يحدق واحدنا  
إلى رفيقه مدة طويلة من دون أن يلامسا، ثم استدار قانوس ومضى موسعاً  
خطاه، راقبته مولاي حتى غاب عن نظرها ثم نزلت إلى حيث أستطرها،  
ماشية كامرأة تحلم

ساعدتها على لركوب، وبينما أضبط السرج، مدت يدها فأمسكت بيدي  
وبالت ببساطة، «شكراً»

فأعرضتُ قائلاً: «لا أستحق امتنالك».

قال: «إني أسعد مخلوقات العالم. كل ما قلته لي عن الحب حقيقي.  
أرحوك أفرح لأجلي، وإن كان..» لم يبع حملتها، وأدركتُ قحاه أنها اكتنعت

أعمو مشاعري. حتى في قمة ابهاحها، أسفت لأنها سببت لي الألم، وأحسب  
أنني أحببتها في تلك اللحظة أكثر من أي وقت مضى.  
أدركت وحيي وتلقت الجناح، ثم قدتها عودًا ناحيه النيل.



رصدنا أحد لصياريين الملكيين من قمة تلة بعيدة، وحياتنا تحية قليلة، ثم  
بيما يسرع لينضم إليها قال: «كنت تبحث عنكما بامر من الملك»  
سأله «هل أنقذ الملك؟»

- إنه من يقصره في حريرة الفنتين، وقد أمر بأن يأخذ السيدة  
لويستريس إليه مباشرة حالما بعدها.

عندما هبطنا إلى مرسى القصر، وجدنا أتون باسطاربا، وراح يفتح خدعه  
امتدحجين ارتياحًا ويعرق مولاتي باهتمامه قال له بتلدد وحقني «وجدوا  
حدث ثلاثة وعشرين شقيًا هلكوا في العاصفة، كان الجميع متأكدًا أننا سنعثر  
عليكما ميتين أيضًا، لكنني صليت في معبد حابي من أجل أن ترجعا سليمين».

عنا راضيًا عن نفسه، وأرجعتني محاولته بيل الفض في نجاتها لم يسمح  
لذا إلا بوقتٍ يكفي أن يغتسل على محل وندم بشرتينا الجافتين بالريت  
العصري من أن يسرع بنا إلى مدينة الملك.

تأثر المرعون تأثرًا حفيظًا بحوبة مولاتي إني كنت متأكدًا أنه أحبه بعد  
ما أحبه الأحرور، وليس بمبرد وعد الخلود الذي رآه فيها، وعندما ركعت  
أمامه، تعلقت دموع برمشه وأسالت طلاء خديه

قال له: «هل أنت هلك (وكان لي عانقها لو تسمح له آداب اسلوك بذلك)،  
لكن بدلًا من ذلك أحبك أجمل وأكثر إشراقًا من أي وقت مضى»، وكان ذلك  
صحيحًا، فقد طلاه الحب بسحره الخاص

قالت له «لقد أقعدني تابتا قادسي إلى مأوى وحماسي في خلال هذه الأيام  
الرهيبه، كنت لأهلك من دونه، كنتك الأرواح الشقية».

سألني المرعون مباشرة بالحاج: «أهذا صحيح يا قايقا؟»، فسبت أكثر  
تعابيري تواصف وعممت: «لست إلا أداة حقيرة بأيدي الآلهه».

امتسم لي، وعرفت أنه عدا مولغا بي كذلك، ثم أمرني: «لقد أسديتنا خدمات  
كثيرة أبتها الأداة الحقيرة، لكن هذه أثمها اقتربا»، وركعت أمامه.

ومع أن تون بجواري، حاملاً صندوقاً صغيراً من خشب الأرز، ثم رفع غطاءه وقدمه للملك، فأخرج لملك منه سلسلة ذهبية. كانت من أبقى أنواع الذهب الحالص، وحمل رسوم الحواهر حيين الملكيين التي يوثق أن ورثها عشرين سنة<sup>(1)</sup>.

حمل الملك السلسلة من فوق رأسي وترنم قائلاً: «أهديك ذهب الثمام»، ثم أنزلها إلى كتفي، وحط الثقل الدامط بهجةً على قلبي. كنت هذه تميدالية أعلى سانشين الخطوة الملكية، وتُحرق في العادة للحمرلات والسفراء، أو كبار المسؤولين كاسيد إثناف، وأشك في أن هذه السلسلة الذهبية قد أحاصت عني عند وضعي في تاريخ مصرنا هذه.

سم تكي تلك آخر الهدايا والجوائز التي أسبغت عليّ، إذ ما كانت مولاي لتقبل بأن يعينها أحد وفي تلك المساء، عندما كنتُ أعتنى بأمر حمامها صرقت إمامها فجأة وقالت بعد أن رفعت عاريةً أمامي: «يمكنك أن تساعدني بارتداء ملابسي يا ثايت»، كانت تصحني هذا الامتياز عندما تكون مسرورة مني سرورًا خاصًا، فهي تعرف كم أستمتع بالانفراد بها في هذه الظروف الحميمة.

لم يستر حُسنها شيء، لا خصلات شعرها لداكن لبراقه، وبدأ أن تلك الأيام التي قضتها مع قانوس قد ملأتها بصنف حديد من الجمال، صنف يندفع من أعماقها عندما يوضع سراج داخل برطمان من لمرمر، يشع من حلال حواسه الشفيفة، وبالطريقة نفسها أشعت مولاتي لوسقريس.

قالت: «سم أحلم قط أن وعاءً يائس كجسدي هذا قادر على احتواء هذه المتعة (دلُكْتُ جسديها عندما قالتها، وأخفضت نظرها إلى جسدها، داعيةً إياي لأفعل مثلها)، كل ما وعدني به سحق عندما كنت مع قانوس. لقد أسبع العرعون ذهب الشاء عليك، ومن الملائم أن أريك تقديري كذلك. أريدك أن تشاركني سعادتي بطريقة ماء»

~ خدمتك أقصى جائزة يمكن أن أتمناها

أمرتني فائقة: «ساعدني على ارتداء ثيابي»، ثم رفعت يديها من فوق رأسها، وأخذ شكل يهديها يتغير كلما تحركت. كنت قد راقبتهما يكران

[1] الدين وحده مصرية قديمة لقيس الربيع عادل: 136 مخرافاً في عصر المملكة القديمة والوسطى و91 مخرافاً في عصر المملكة الجديدة. (المترجم)

عبر السنين من تيتيين عضتين صئيلتين إلى هانين لزمانين المكورقين  
المحتسنتين لأجل من اجواهر والمحوشات الرحمانية رجعت ثوب النوم  
الهفاهف فوقها وتركته يطعو على جسدها حتى غطاه، لكنه لم يحجب شيئاً  
من جمالها، كما ترى شأوة النحر مياة النين

- أمرت بإقامة مأدبة، وأرسلت دعوات للسيدات الملكيات

حسن جداً يا مولاتي، سأشرف على ذلك

- لا لا يا تايكا المأدبة على شرقك ستجلس بحواري صيفاً

كان هذا صادماً بفسر أي من المكاييد التي فكرت فيها مؤخرًا.

- هذا ليس لأننا يا مولاتي، ستنتهكين حرمة الأعراف.

- أنا روجة الفرعون أنا من يقرر الأعراف سأهديك هدية في حلال  
المأدبة، وسأمسحك إياها على مري من الجميع،

سألتها مرعباً بعض الشيء: «أسيحدرسي ما هي؟» ثم يمسك أن تيمت  
من أي شيطنة قد تحنر عنها تالفاً.

وابتسمت ابتسامة هاضمة: «ياطيع سأخبرك ما هي، إنها سر»



رغم أنني كنت ضيف اشرف، لم أقدر على ترك ترقيبت المأدبة لطياحين  
ولإماء المقهقهق، ففي النهاية، سمعة مولاتي بصفتها مضيفة على المحدث  
لذا تزلت إلى السوق قبل النحر لأؤمن البحر وأطرح مسمات الحقول والنهر

وعند أتوي أنه سيتلقى دعوة لفتح لي محرن حمور امك وسمح بي  
باحيار شكيلتي، ووضعت أصل موسمي المسنة ومهلواتاتها ودريتهم  
ورست اسبيد ليجمعوا رهور الياقوتيه والزنبق واللوتس من صفاف  
النهر من أجل أكثر جموع الزهور التي تزين حديقتنا بالفعل وطلست من  
النماحين خذل سفن صئيلة من البوص عومت عليها سرجاً رحاحية ملونة  
وتركتها تنحرف فوق برك حديقنا المائنة، وظهرت بسائد حديدية وأكاليس  
رهور بجميع لصيوف وحناجير من الريوت اسطويه تحفف حرهم في الليل  
الحائز وتطرده البعوض.

عند الغروب، بدأت السيدات الملكيات بالوصول بكامل بهرجتهن  
وتعالين، حتى إن بعضهن خلقن رؤوسهن واستبدلن شعورهن الصبعية

باروكات مُتقلبة حيكّت من الشعر الذي اصصرت زوجات الفقراء إلى بيعه  
لتطعمن أضعافهن كبت أشمئز من هذه الموضة وتعهدت أن أفعل كل ما في  
قدرتي لأمنع مولاتي من الرصوح لحماقة كهذه، إذ إن حصلات شعرها اللماعة  
من أحسن مباحي لكي حيسا يتعلق الأمر بالموضة، لا يمكن الوثوق حتى  
بأعقر النساء.

عندما فعدت، بعد إصرار مولاتي، على رساءة بجورها بدلًا من أن أنخذ  
موقفي المعتاد وراءها رأيت الصدمة على وجوه العديد من صيغاف إراء هنا  
السوت غير اللائق، ورحن يتهمسن من وراء مراوحن كبت متضايقًا مثلهن،  
ولاستر ارتبكي، أشرت للعبيد أن يهوا كؤوس السد ملأى وللموسفين أن  
يعزوا، وللراقصين أن يرقصوا

كان لنبيذ قويًا والموسيقا مثيرة، وجميع الراقصين بكورًا وهم هدموا  
دليلاً واقف على جنسهم، ذلك أني أمرتهم بلأداء في عري تام، وسحر العرض  
السيدات حتى إهن سرعان ما سبن غضبهن المحدثم وأعطين النبيذ حقه.  
لم يساوزني أي شك في أن العديد من الراقصين لن يعادر الحريم قبل الفجر،  
فلنحضر السيدات الملكيات شهية بهمة، والكثير منهن لم يزرهن الحلك صد  
سواء.

في هد الجو الأنيس، نهضت مولاتي ومعة ونادت على صيغاتها ليستهن.  
ثم أثبت عليّ أمامهن بلغة مغالية دفعت الدم إلى وجهي، واستمرت صحت  
أحدًاك مسلية ومؤثرة من الحياة التي قصيهاها معًا بنا أن لنبيذ لي موقف  
النساء مني، فصحتن وصفقن، حتى إن بعضهن بكى قليلًا بفعل السبد  
ولعاطفة

وأخيرًا أمرتني مولاتي أن أركع أمامها، ففعلت، وسادت نعمة التعليقات.  
كبت قد احترت ارتداء صورة بسيطة من أفر أنواع الكتان، وصفقت الإماء  
شعري في أفضل صورة ثلاثمني، ولم ألبس حبة إلا ذهب للقاء حول عنقي،  
فكان مظهري البسيط سحرًا في وسط هذه الأبهة وقد حافظت، بالسياسة  
ولعبرين المستطعين، على الحسد الرباعي الذي حدب السد إئتف إليّ في  
المعام الأول، وكبت في ريعان شبابي هي تلك اسنين.

سمعت إحدى النساء الكبيرات تعمم لجارتها: ديا بها من حسارة أن  
يعقد جواهره، كان ليصير دمية مسلية، وتمكنت في ذلك لمساء من تحامل  
الكلمات التي كانت لتنزل بي ألف ممضًا في ظروف أخرى.

بدا على مولاتي أنها راضية جدًا عن نفسها، فقد نجحت في إبغائي جاهلاً  
لطبيعة هديها ولم يكن من عادتها أن يبلغ من الحذافة حدًا يمكنها من أن  
تفوقني بهاءً. ثم أخفضت نظرها إلى رأسي المنحني وتكلمت ببطء ووضوح،  
معتصرة أقصى سعة اللحظة «أيها العبد قايتا، طيلة سنوات حداثي، كنتُ  
درعًا حاميةً تكتنفني، كنت مرشدًا ومعلمًا، علمتني القراءة والكتابة، ووضعت  
لي أسرار النجوم والعبور المُعزّه، علمتني انباء وارقص، ودرستني على  
صديق إيجاد لسفدة ولرضا في أشياء كثيرة وإنتني مهتمة،

بداً النمل مل مروح إلى السمكات المسكات، إدم سم سم من قبل مديماً  
يأض كهد، يُقال في عبد.

- في يوم الحماسين، أمديتني خدمة لا بد لي من مكافأتك عليها لقد  
أسبغ عليك الفرعون ذهب الثناء، وأما عندي هديتي لخاصة لك،

برعب من تحب رءائها لعيفة برئي مُحكمة بحيط ملوّن، وحملتها قائلة،  
«ركعت أمامي عبداً، والآن ينهض رجلاً حرّاً، هذا صدك إعناك لذي أعدّه  
تساخو ليلاط، من هذا يوم فصاعداً، أنت رجل حر،

رفعت رأسي للمرة الأولى وحدثتُ إليها غير مصدق، قدسنت لفيفة البردي  
بين أصابعي المحتررة واسمعت لي بحطف.

- لم تتوقع هذا، أليس كذلك؟ إنك متهاجئ حتى، بل ليس لديك ما تقويه  
لي قل لي شيئاً ما يا قليقنا، أخبرني بمدى امتنانك لهذه المنة

حرجيني كل كلمة قالنها كمهم مسموم، وحصر لساني حرجاً في شعبي  
وأنا أفكر في حياة من دونها، ذلك أنني، وبصفتي رجلاً حرّاً، سأستبعد من  
عصرنها إلى الأبد لن أعد لها طعامها ثانية، ولا أحصر حمامها بينما تتجهّر  
للنوم لن أشد الأغطيه من فوقها، ولن أوقفها عند الحجر وأجلس بجوارها  
عندما تفتح عينيها الحضراوين ابدأكنتين الحبيبتين في مطلع كل يوم جديد  
لن أغني معها ثدييه، أو أحصر كأسها، أو أساعدها على لبس ثيابها وأنمتع  
برؤية حسناتها كله.

كنت مشدوهاً، ورحتُ أحسب إليها يائساً، كمن سمعت حديثه نهايتها

أمرتني: «امرح يا قايتا، اقترح بهذه الحرية الجديدة التي أمسك إيداً»

فقت من دون تفكير، «بل أصرح ثانية أبداً، لقد تهدبني، أني لي العرج؟».

تلاشت امتسامتها، وحدقت لي باضطراب: «إسي أمجك أئمن هدية في قدرتي منحها. إمني أصحك حريتك».

هرزت رأسي: «إك تُلزِلين أوجع العقويات بي إك تُبعديني عنك. لى أعرف الفرح ثانية أمّا».

- هذا ليس عقاب يا تايك. كان القصد منه مكافأتك أرجوك، ألا تفهمي؟

قلت: «المكافأة الوحيدة لي أرغب بها هي لقاء حوارك لسقبة حياي (شعرتُ بالدموع ترتفع من أعماقي، وحاولتُ كبتها). أرجوك يا مولاتي، أُوَسِّل إليك، لا تُعصبي عنك. كنت تكتين بي أي مشاعر، فاسمحي لي بالبقاء معك».

قأمرتني هائلة: «لا تيك، لأنك إيا ما مكنت سأمكي معك، أمم كل صبومي». أعنف بحق أنها لم تفكر، حتى تلك اللحظة، بتواقب حركة النحاء مغلوطة الموضع هذه فاضت الدموع من فوق خفني وسالت على حدي.

قالت: «ألحم بموعك هذا ليس ما أردته! (وكنت دموعها صبيحة لدموعي)، لم أكر إلا بتكريمك، مثلما كُرمك العلك».

رحت لقيفه اسردي وأرحون اسمحي لي بتمزيق قطعة الحمافة هذه مرقاً. أعيديني إلى خدمتك اسمحي لي بالوقوف خلفك، حيث أنتهي».

قالت: «كف عن ذلك يا قايك! إك تقطر قلبي»، وراحت تنشق دموعها بصوت عالٍ، لكن قلبي لم يلبس.

- الهدية الوحيدة التي أسعها منك هي أن تسمحيني لحق بحبمك طيلة أيام حياتي. أرجوك يا مولاتي، أبطني هذا الصلك. انذني بي في تمزيقه. أومأت برأسها إيضاء شديداً وأخذت تنحب مثلما اعتدت أن تفعل في صعره عندما تقم وتسحج ركنيتها، فمَرَقْتُ ورقة البرقي مرة ثم مرة ثانية، وعندما لم تُرصني هذا السمير، حملتُ الحداوات فوق لهب لسراج وتركتها تحترق حتى صارت بغائف سوداء مشه.

- عديني أن لا تحاولي إبعادى مرة أخرى أقسمي إك لى تحاولي ثانية فرض حريتي عليّ.

أومأت برأسها من وراء دموعها، لكنني لم أقف بذلك، وألححت عليها: «قوليه، قوليه جهراً حتى يسمعها الجميع».



همست بصوت منحوح من خلف الدموع: «أعد أن أتيك عدي، وأن لا  
أسعك نداء، ولا أحرك (ثم لمع شعاع شيطنة من تيك الحضر اوين الداكنين  
الحزينتين)، إلا إذا ما أزعجتني إزعاجاً زائلاً بالطبع، أذاك سأستدعي كتاب  
العدد فوراً (ومدّت يدها لتنهضني) انهض أيها السحيف، واعتني بواحدك  
أقسم إن كاسي فارعة»

استندت موقعي الملائم من ورائها وأعدت ملء كأسها ضمت الجماعة  
المحمورة أن ذلك كله تسلية رتبهاها من أطلهم وراحت تصفق وبصقر  
وترمي أوراق الرهور علينا إعرافاً عن تقديرها. رأيت أن معطمهن ارتحن لأننا  
لم نحرق آداب المياقة، وأن العدد لا يزال عبداً

رفعت مولاتي كأس نبيذها إلى شفيتها، لكن قبل أن تشرب، ابتسمت لي  
من فوق حافتها، ورغم أن عينيها لا ترائن رطبتان يقص الدموع رفعت ذلك  
الابتسامة معبوياتي وردت لي سعادتي. شعرت أنني أقرب إليها من أي وقت  
في السنين الماضية.



في الصباح التالي للمأبى وساعة حرقتي، استيقظنا ليجد أن النهر قد  
ارتفع في الليل مع بدء لفيضان السنوي، ولم نلق أي تحذير حتى أبقتنا  
صباحات انتهاج المراقبين عند المياد غادرت سريرتي، ولا يزال رأسي ثقلاً  
بفعل السد، وركضت إلى حاسب النهر. مرأيت اضفتين محفومتين بسكان  
المدينة، يحتفلون بالعياد بالصوت والأعالي والتلويح بسعف النخيل.

كانت المياه في انخفاضها خصراف فاقعة بلون الزنجار ادي ينمو على  
قضبان النحاس، لكن مياه الطوفان شطفتها وامتلاً النهر حتى صار رهاً  
متوغلاً كان قد رحل في خلال الليل إلى أن بلغ منتصف أعمدة المرمأ  
الحجرية، وقريباً سيصعد على الدكات لتراوية للحاجر، ثم يشق طريقه  
بالقوة إلى أفواه قنوات الري المتشقة والجافة منذ شهور عديدة، ومن هنال،  
يلف خارجاً ويفيض على الحقول مفرقاً أكواخ الفلاحين وحارماً مؤشرات  
الحدود من الأراضي.

كان تقفص الحدود واستبدائها بعد كل فيضان مسؤولية حارس المياه  
وقد صاعب السيد إتياف ثروته من خلال تأييد مزاعم الأثرياء والأسخياء عندما  
يحين وقت إعانة وضع أحجار المؤشرات كل عام

تردد من أعلى المجرى صدى دوى الجسل، وطلى الطوفان الآخذ بالارتفاع على حواجر الجرائث الطبيعية التي وضعت في طريقه، وبسما مرّ هديرًا من حلال الحوائق. تصاعد الرداد إلى أسماء الذرقاء الجامدة في عمود قصي يرى من جميع أرجاء مقطعة أسوان. وعندما طاف الرذاذ الصافي على الجريرة، مرّ باردًا ومبعثًا على وجوهها المرفوعة، واغتسلنا في هذه النعمة، ذلك أنها امطر الوحيد الذي عرفناه في وادينا على الإطلاق.

وبسما أراقب، أكل الطوفان الشواطئ المحيطة بجزييرتنا، وسرعان ما سيغمر مرساه، ويطفئ النهر على بوابة حديقته، أما عن ثقصة توقفه، فهذه مسألة لا يمكن حلها إلا بدراسة مصعوبات مقياس النيل. تلك المستويات تقهر، رحاء البلاد كلها وكل فرد فيها أو محاعتها.

عجلت بالعودة لأبحث عن مولاتي وأحضر مراسم المياه التي أُلقي فيها دورًا باردًا، فليست أفسح ثياب وارثيت انقلادة الذهبية الجديدة، ثم انصمما رفقة بقية أهل دارنا وسيدات لمريم إلى لطابور العموي المتجه إلى معبد صاخي

ترأس الفرعون وجميع أسياد مصر الكبار، وانتظروا لكهنة الدين سمنهم بعد العيش على روح المعبد. كانت رؤوسهم حلقة تتألق بفعل الزيت، وأعيدهم لتلا شرفها، ذلك أن من عادة الملك الإسراف في الأصاخي اليوم.

حمل أمام الملك تمثال الإله من المقدس، وزيين بالأزهار والكتان العرمزي، ثم نفع بالزيوت والعطور بينما نغمي ترانيم الشاء والشكر له لإرساله الطوفان. في لجنوب البعيد، هي الأرض التي لم يطأها بسى متحضر قط، جلس الإله صاخي على قمة جبله وصب من إبريقين لا ينتهيان لمياه المقدسة في نيله. كانت لمياه كل إبريق لون وطعم مختلفين، إحداها خضراء مشرقة وعذبة. والأخرى رمادية ومثمة بالطين الذي يُغرق حقولنا كل موسم ويمنحها حياة وخصوبة جددتين.

وبينما نغمي، قدم لملك أضحية أذرة واللحوم والنبذا والفضة والذهب. ثم نادى حكماءه ومهندسيه ورياضيينه، وأمرهم بدحون مقياس النيل لبدء بالرهس وإجراء الحسابات.

عندما كنت ملكًا للسيد إنقف، رُشحت لأصير أحد مراقبي المياه. كنت العهد الوحيد في تلك الزمرة المرموقة، لكنني عريت نفسي بحقيقة أن قلة

قليلة عبري ترتدي ذهب الثناء، وأبهم عاملوبي ما حتر م. كانوا قد عملوا معي من قبل، ويعرفون قيستي، فقد ساعدتُ على تصميم مقاييس النيل التي تقيس فيضان النهر، وأشرف على بنائها، وأب من صعب المعادلة المعقدة التي تقرر من عمليات الرصد الارتفاع والحجم المتوقعين لكل فيضان.

أضاءت مشاعل الأسل المعصم بأقمار المرتفعة طريقنا، وثبتت الكهنة الأعلى إر فم مقياس النيل، وهو فتحة مظلمة في الباب الحصي للمقدس ثم هبطنا منحدر المدخل، وكانت الدرجات الصخرية رقيقة بفعل الوحل وعسرت السور، ومن تحت أقدامنا، يرنق صرل ماء أسود قاتل بعيداً، وعاص، مصداً هسيكاً حائقاً، في المياه الداكنة التي ارتفعت بالقدر إلى منتصف المدخل.

اجتمعنا على أحر درجة مكشوفة، وتفحصنا على ضوء المشاعل العلامات التي نقشها البنائون على جدران المدخل. كان كل رمز يحمل قيمة سحرية وتجريبية محصنة له.

قرأنا لقراءة الأولى والأهم معاً بعناية دقيقة، وفي الأيام الخمسة التالية، ستناوب على مراقبة ارتفاع المياه وتسجيله، وتوقيت انقراءات على فيضان سبعة مائة ومن عُبُات الماء، بقدر كمية الصمي لبي حملها، ويؤثر هذه العوامل جميعها في استنتاجاتنا النهائية.

عندما تتم أيام الرصد الخمسة، ندخل في ثلاثة أيام إضافية للحسابات التي تملأ العديد من لفائف البردي، وأحياناً نصير مستعدين لتقديم نتائجنا للملك. في ذلك اليوم، يرجع الفرعون إلى المعبد في هيئه ملكيه، ويرافقه بلاكه وبصف سكان إلفنتين يسمعوا التقديرات.

عندما قرأها ابكار الأعلى جهازاً، بدأت الابتسامه ترتسم على وجه الفرعون، فقد تبأنا بصرفا ينسب مثالية تقريباً، لا محققاً أكثر من اللازم، فيتربث الحقول مكشوفة تتحفص تحت اشمس، حارم إياها من طبقة الطمي السوداء العبة الضرورية جداً لخصوبتها، ولا مريقاً زيادة فيحرف انقراءات ولدكات الترابية، ويعرق القرى والمدن على الضفتين، سيجلب هذ الموسم حصاناً وثيراً وقصاعاً سميح.

ابتسم الفرعون ولم تكن ابتسامته لحسن حظ رعاياه، ولكن للمكافأة التي سيجمعها حياة لصرائب والضرائب لستوية تُحسب بناء على قيمة الفيضان، وسنُصاف هذا العام كنوز جديدة ضخمة إلى مستودعات معبده الحثائري. لاختتام مراسم مدركة لمياه في معبد حابي، أعلى الفرعون تاريخ

الحج الذي يُقام كل عامين إلى طيبة للمشاركة في مهرجان أوزيريس، وبدأ لي من غير الممكن أن عامين قد انقضيا منذ أدت مولاتي دور الإلهة في الأم أوزيريس الأخيرة.

بم أم تلك الليلة إلا بقدر ما سمعت وقصصا سهرت أراقب مقياس السنين. ذلك أن مولاتي كانت في حماسة مفرطة منعها من الحلود إلى سريرها، وحملتني على ابقاء معها حتى الفجر نعتي وبصحت وبكرت قصص قانوس التي لم تسأم من سماعها قط.

في غضون ثمانية أيام، سيبحر الأسطول الملكي شمالاً على فيضانات النيل اميزان، وعندما يصل، مسجد قانوس، سيد حاراب، هي متطربا بطيبة. وكانت مولاتي محصورة من قريظ اسعادة.



كان الأسطول الذي احتشد في أرقة مبداء المنتئين غفيرا حتى إنه بدأ يغطي امياه من الضفة إلى الضفة، وعلفت مولاتي مريحة بقولها إن رحلا قد يمكن من عبور النيل من دون أن يسلم قدماه من خلال الدمشي بين أبدان اسمر وبالرايات والأعلام المرفرفة من كل صاريه، قدم الأسطول عرضا أنيقا

كنت وبقية حاشية ابلات قد ركبنا بالمعر المراكب المخصصة لنا، ورحنا نهلس من فوق متوينا عظم هيظ الملك درجة الرحامي من القصر وصعد إلى الصندل لأميري العظيم، وعندما صدر أمنا على متنه، أطلق مئة نوى إشارة الإنحار، فاستعد الأسطول كله كأنه سفينة واحدة، ووجهت جميع المراكب حاضتها إلى الشمال، ثم انطلقنا، بدوح انهر وصعوف المجاديف

ساعت روح مختلفة هي البلاد خارج الجزيرة منذ أباد آخ حورس الصردن، فنزل سكان كل قرية عيرفاه إلى أطراف الماء لتحية ملكهم، وجلس الفرعون عاليا على مؤخرة السطح، معتمرا التاج المزدوج الثقيل، حتى يره الجميع بوضوح. راحو يلقحون بسعف السيل ويصيحون «عسى أن تمنسم الآلهة كلها للمرعون!»، د لم يجلب لهم النهر ملكهم وحسب، بل الوعد بإحسانه أيضا وكانوا سعداء.

في خلال الأيام التالية، نزل لملك وبطائه كلها إلى لشاطين مرتين لسنايه لنصب التذكارية التي أقامها آخ- حورس لمروره على مقترفت

طرق انقول، كان لفلاحون المحليون قد حاصلو على أكوام الحماحم  
الشنيعة هذه بوصفها محطات مقدسة ببلاله الجديد، ولمعوا الجماحم كلها  
حتى أشعت كالعاج، وثبتوا لأهرامات بملاط البناء لتضمد أمام السنين، ثم  
بنوا أهرجة من فوقها وعينو كهنة لتخدم هذه الأماكن المقدسة

في كلا هدين الضريحين قدمت مولاتي حاتما ذهبيا أضحية، وقتله  
الأوباء الذين عذبوا أنفسهم بأنفسهم بسعادة وسدى احتججت على هذا  
التنذير في أغلب الأوقات كانت مولاتي تنفجر إلى الاحرام المدس للثروه  
التي بدلت مال المهد في جميعها لها ولولا بدني الرادعة، لربما منحنتها كلها  
للكهنة لطماعين أو لعمر \* النهمين وهي تبتسم،

في الليلة العاشره بعد معايرتنا للفننين، حُبنت الحاشية الملكية على  
رأس بهي فوق منعطف في النهر كان مقررا أن تضم لتعليه في ذلك المساء  
أحد أشهر الحكواتية في البلاد، وفي العادة تفصل مولاتي سماع قصة جيدة  
على معظم المنع الأخرى، كنت وإياها متصلع إلى هذه للمناساة ونناقشها  
متوق منذ غاردا لقصر يد ما فاجاني وأصابني بخيبة مريرة أن مولاتي أعلنت  
أنها مرمقة وموهكة إلى درجة تجمعها من حصور القصة ورغم أنها تنتهي  
على الذهب وأحد بقية أهل د رث محي، لم أستطع تركها وحيدة ومريضه  
فأعطيتها شربة ساحة ونمت على الأرض نفس سريرها، حتى أكون قريبا إذا  
ما احتاجت إلي في الليل

قلقت حقا عندما حاولت يقاظها في الصباح إذ كان من عذتها أن تفقر  
من سريرها وعلى وجهها ابتسامة تطلع، مستعدة لالتهام النهار الجديد، بهمة  
لمتعة العيش، لكنها في هذا الصباح جذبت الأغطية من فوق رأسها وغمضت  
«امركني أيام قليلا بعد أشعر بالبلادة والحمول كامراه عذون»

قلت: «لقد أمر الملك بالبدء مبكرا، عينا انصعود إلى اعفن ثل شروق  
الشمس. سأحلب لك بقدر ساحتا من شابه أن يهتك، وصيبت مياها معلية  
من فوق زحمة فيها أعشاب تحفها بيدي في أكثر أطوار القمر الماصي  
ملائمة.

هبيت هائلة: «توقف عن المجادلة»، لكنني لم أسمح لها بالعودة إلى النوم  
مخزتها حتى أمات وحملتها على شرب المشط، ولوت فسمات وجهها  
متحرة: «أقسم إنك تحاول تسميمي»، ثم من دون تحدير وقبل أن أتمكن من  
وحد أي شيء لمبع ذلك تقيأ بغرارة

حدث بعد ذلك مصدومة مثلي، وروح كلاما محقق مدعورا إلى البركة لقي  
بتصاعد منها الدخان بخوار سريرها.

ثم همست: «ما خطبي يا تايقتا؟ لم يحدث لي ما يشبه هذا من قبل»  
فصرخت: «الخماسين! مقبرة تراس! تانوس!»

حققت إليّ بدهول لحظة ثم أذارت انقسامتها ظلام الخيمة كمصباح  
ومتعت: «إسي أصبح طفلا!»،  
وباشحتها: «احمصي صوتك يا مولائي».

قالت: «إيه طمر تانوس! إنني حامية طفل تانوس!» لا يمكن أن يكون  
حسين الملك، لقد نحدث في إبعاده عن سريرها مبد أن مرضت من جوعها  
وأجهمت

حر حرت فائلة وهي ترفع ثوب نومها وتفتحص بطنها «المسطح المشدود  
بمهاية: «وه يا تايقتا، فكر في الأمر فقط. عريب صغير يشبه تانوس تماما  
يمر بدخلي (ثم تلمست معدتها بمل). كنت أعرف أن الآلهة لن يترك البنادق  
التي اكتشفتها في مقبرة تراس تمرر لكرام. لقد أعطني ذكرى ستوم  
طيلة حياتي»

فحذرتها: «إلك تستيقين الأمور، قد يكون مجرد مخلص. يجب أن أجري  
الاحتمالات لتأكيد».

- لا أحتاج إسي احسن. أعرف ذلك في صميم قلبي وفي أعماق جسدي  
الدفينة

قلب لها بامتصاص: «سنجري الاختبارات رغم ذلك»، ودهنت لأحلب  
المبولة، فقرعصت فوقها ثرودي بمباها الأوى لذلك لنهر، وقسمتها إسي  
قسمين متساويين.

مرجتُ القسم الأول من يولها بما يصادله من مياه النيل، ثم ملأت برطمانين  
بتربة سوداء زرعت في كل منهما خمس بذور درة بيضاء سقيت أحد  
البرطمانين بمياه النيل البقية، والآخر بالمزيج الذي قمت به لي مولائي. وكان  
ذلك لاختبار الأول.

ثم تصيبتُ بين عصب البحيرة المحاورة للمحيم عشر صفارح، وبع تكى  
من الصف الأصفر والأصفر لرشيق ذي السيقان الفقازة، دل مخلوقات

سوداء لرجة لا تفصل بين رقوسها وأجسامها المليدة الدينة أعناق. وتستمر  
أعينها على جمجم مصطحة، لذا يسميها الأطفال بالناظرة إلى السماء  
وضعت كل خمسة من الدطرين إلى السماء في برطمان مفصل، أضفت  
إلى أولها معززات مولاتي الحميمية وفركت الآخر بقياً في الصباح التالي،  
في خلوة مقصورة مولاتي على متن لقدس برعنا القماشة التي غطيت  
البرطمانات بها، وعانيت محتوياتها

أخرجت الدرة لتي سقتها مولاتي لوستريص براعم حصراء ضئيلة، فيما  
ظلت البذور الأخرى حاملة. وكان خمسة الناضجين إلى السماء الذين نقوا  
نعمة مولاتي عقيمين، فيما وضع كل من البقية الأحسن حظاً سلاسل فضية  
طويلة مرقطة بالبيوض السرياء

رقزت مولاتي متعجرف قب أن أتمكن من إعلان تشخيصي الرسمي: «لقد  
أخبرتكم! أوه، شكراً لجميع الآلهة لم يحدث لي شيء أجمل من ذلك في حياتي  
كلها».

قلت لها، بتجهم «سأكلكم أقول حلاً، وستشاركين لملك سريره في هذه  
الليلة»، وحدثت لي في دهول.

قلت «حتى الفرعون الذي يصدق معظم ما أخبره به، من يصدق أنك حبيبة  
ببدور بنتها إليك رياح الحماسين علينا أن نجد أباً باتحى بلقبنا الصغير  
هذه» كنت بالفعل قد عدتُ الحبين حبيبات، لا حنينها وحده، ورغم أنني  
حاولت إحصاء ذلك مرة أخرى، كنتُ معتبطاً بحصوبيتها بعدر عبطتها تماماً.  
ثارت في وجهي قائلة «إياك أن تدعوه بالقبيل مرة أخرى سيكون أميراً  
- لن يصير أميراً إلا ابن تمكث من إيجاد أب ملكي له. جهزي نفسك، إنني  
ذهب لرؤية الملك».



قلت للفرعون «راودني حلم البارحة يا عظيم مصر. حلم منهد حتى إنني  
أعصت مقاهات آمون رع لأناك منه»

مار الفرعون إلى الأمام بتشوق، ذلك أنه صار مؤمناً بأحلامي والمقاهات  
بقدر أي من مرصاي الآخرين.

- إنه قاطع هذه المرة يا صاحب الجلالة. ظهرت في حلمي الإلهة إيزيس ووعدت بإبطال التأثير المشؤوم لأخيها بست، الذي حرمك بكل وحشية من ابنك الأول عندما أصاب السيدة لوستريس بالمرض المُضني. خذ مولاتي إلى قرارك في اليوم الأول من مهرجان أوزيريس، وستبارك بابن آخر. هذا وعد الإلهة.

بدأ الملك مبهجًا، «الليلة عشية المهرجان، في الحقيقة يا قايقا، كنت مستعدًا لأداء هذا الواجب السار طيلة الشهور الماضية، لو أنك سمحت لي بفعل ذلك. لكنك لم تخبرني بما رأيته في منامات أمون رع»، ومال إلى الأمام يتشوق ثانية. وكنت متجهزًا له.

- الرؤيا الماضية نفسها، إلا أنها هذه المرة أمتن وأوضح: الغاية اللاهائية نفسها من الأشجار النامية على ضفتي النهر، وكل الأشجار متوجة وفاخرة، سلالتك تمتد عبر العصور، قوية ومستمرة.

تنهد الفرعون راضيًا وقال: «أرسل إليّ البنت».

عندما رجعت إلى الخيمة، كانت مولاتي تنتظرني، وقد جهزت نفسها بأناقة ومرح.

أسرّنت إليّ: «سأغض عيني وأتخيل أنني في مقبرة تراس مع تانوس (ثم فهمت بوقاحة)، رغم أن تخيل الملك مكان تانوس كتخيل أن يصير ذيل القار خرطوم فيل».

جاء أتون ليأخذها إلى خيمة الملك حالما أنهى الملك تناول عشاءه. قرافقه بوجه هادئ وخطوة ثابتة، حاملة ربما بأمبرها الصغير، وبأبيه الحقيقي الذي ينتظرنا في طيبة.









## ويلبر سميث

وُلد ويلبر أديسون سميث  
في 9 يناير 1933 في زامبيا،  
وتوفي في 13 نوفمبر 2021،  
وهو روائي بريطاني من  
أهل طوب إفريقيا تخصص  
في كتابة روايات الخيال  
التاريخي حول التدخل  
الغربي بإفريقيا الجنوبية  
على امتداد أربعة قرون.

# اللعن

مصر القديمة، أرض الفراعنة، مملكة قامت على الذهب، وأسطورة حطمها الطمع...

تعد أن ورت طعفاء الرجال الناج القفدي، اندلعت نيران الحرب الأهلية في وادي الملوك فأهلكته، واهتضت الحياة من أطرافه.

وقضت الآلهة أن يقود المحارب الشاب تانوس جيش مصر في محاولة جسورة لإعادة توحيد المملكة. لكن تانوس يجد نفسه مضطراً إلى تحدي الآلهة لإحراز مجد أعظم. لوستريس الجميلة ابنة السيد إنتف، التي لم يعرف البتة أن الفرعون قد وُعد بالزواج بها بالفعل. وصار متروكاً لأكثر خدع الفرعون إخطا، الحكيم الموهوب تايتا، أن يحل المشكلة.

«حكاية عظيمة عن المكر والجدا، والحب الحقيقي والمنفى»

The Denver Post



تصميم الغلاف كريم آدم



aseeralkotb.com  
contact@aseeralkotb.com  
AseerAlkotb  
AseerAlkotb  
AseerAlkotb